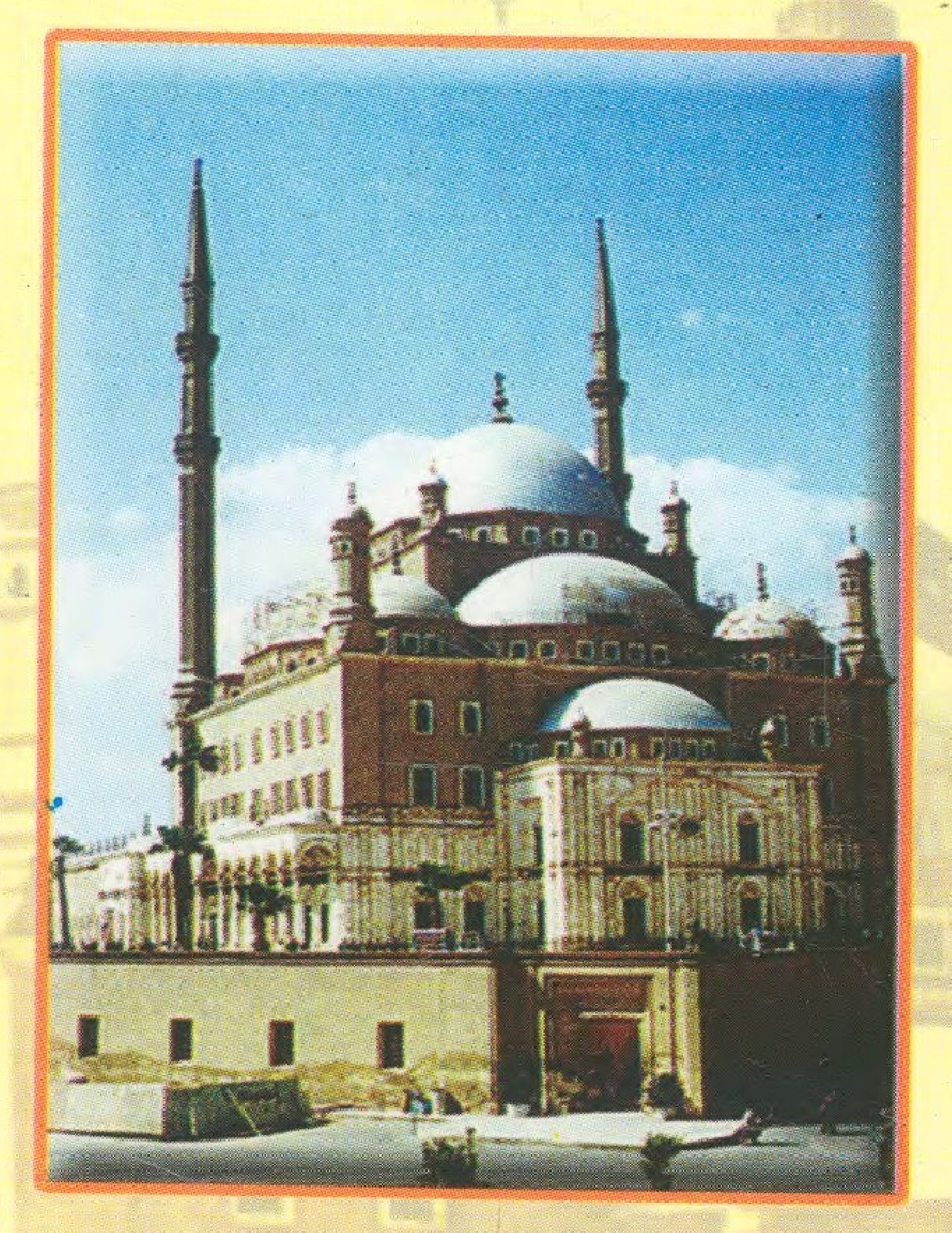
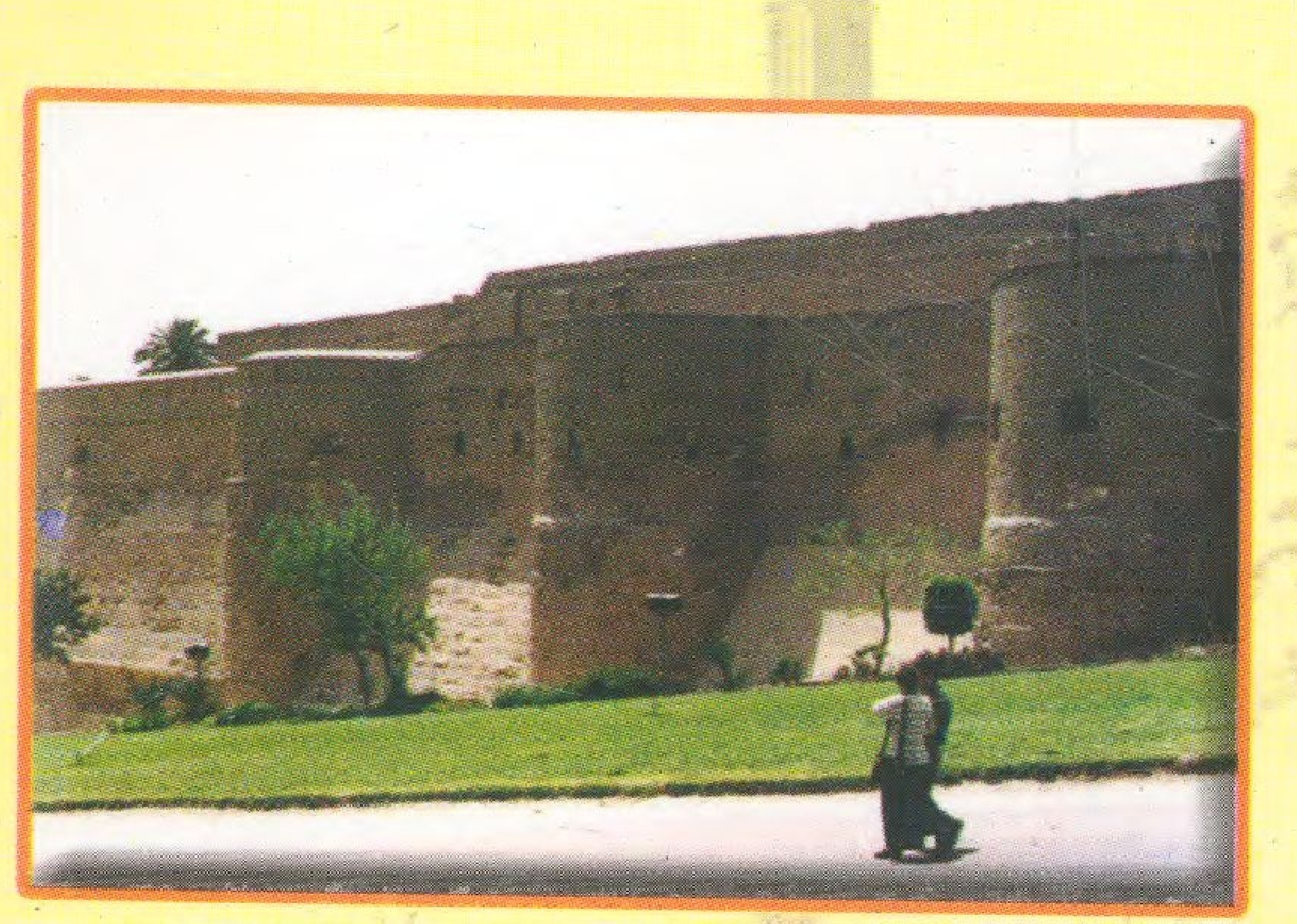
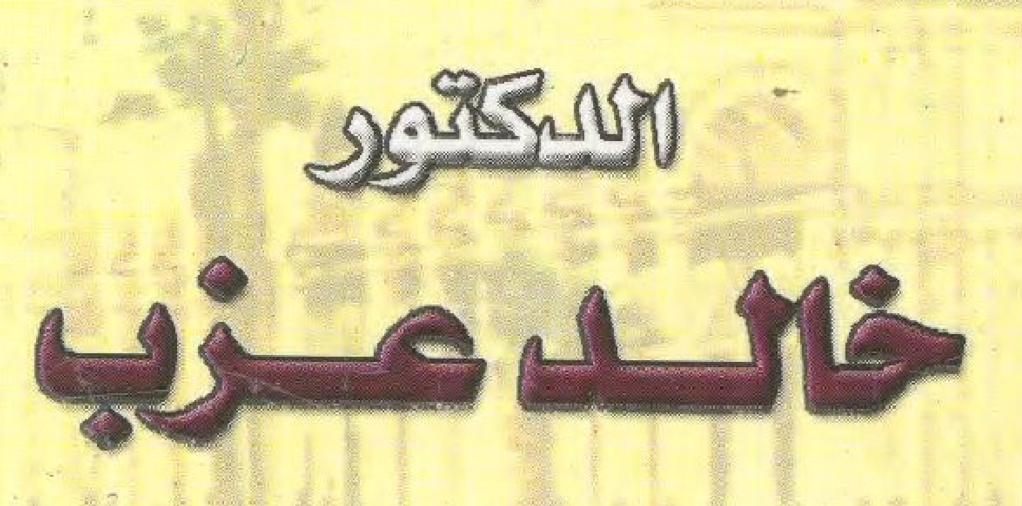
أسوار وقلعة صلاح الدين









الدكتور

خالد عزب

الناشر

مكتبة زهراء الشرق



١١٦ شارع محمد - فريد

ت.ف : ٣٩٢٩١٩٢

أسوار وقلعة صلاح الدين

الدكتور

خالد عزب

زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفون وفاكس : ٣٩٢٩١٩٢

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عزب، خالد.

أسوار وقلعة صلاح الدين/ خالد

عزب.- ط١.- القاهرة: مكتبة

زهراء الشرق، ٢٠٠٦

٢٩٦ ص؛ ٢٤ × ١٧سم

تدمك 977-314-293-0

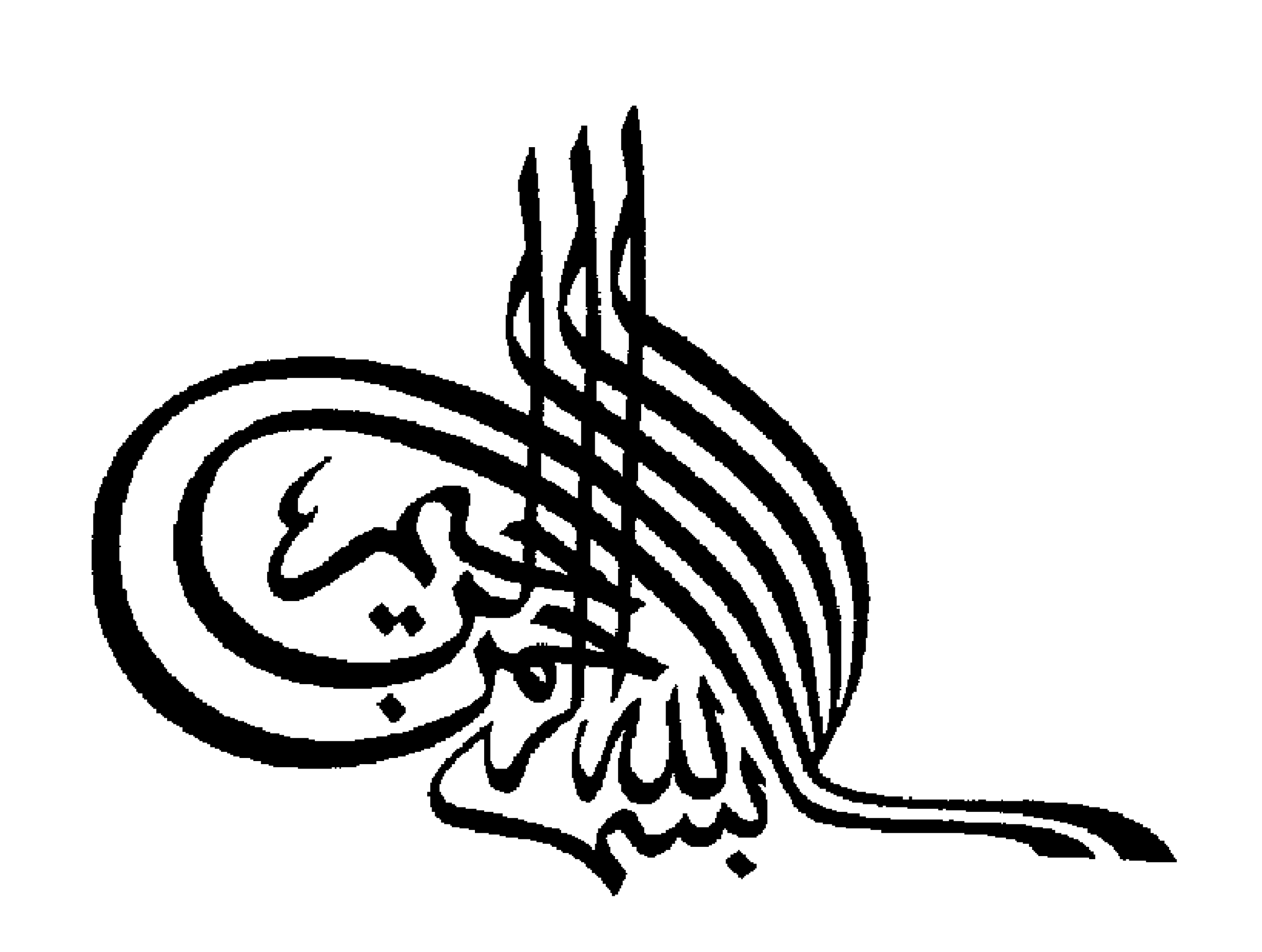
١ - قلعة صلاح الدين

٢- مصر – الآثار

أ – العنوان

٧٢٨,٨١

اسم الكتاب	:	أسوار وقلعة صلاح الدين
اسم المؤلف	:	د. خالد عزب
رقم الطبعة	:	الأولى
السنة	:	٢٠٠٦
رقم الإيداع	:	١٠٨٦٩
الترقيم الدولي	:	I.S.B.N
		977 – 314 – 293 – 0
اسم الناشر	:	زهراء الشرق
العنوان	:	١١٦ شارع محمد فريد
البلد	:	جمهورية مصر العربية
المحافظة	:	القاهرة
التليفون	:	٠٠٢٠٢٣٩٣٠٩٢٢
فاكس	:	٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
المحمول	:	٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

هذا الكتاب هو محاولة مني لتقديم صورة متكاملـــة للرؤيـــة الاســـتراتيجية الحربية للسلطان الملك الناصر صلاح الدين لحماية العاصمة المصرية " القاهرة "، وهو مؤسس دولة كان عمرها الزمني قصير، لكن تأثيرها السياسي كبير، فعلـــي الرغم من المحاولات المستمرة لتشويه صورته أو الانتقاص مـــن قـــدره، إلا أن جهوده ومآثره ظلت وإلي الآن دون العناية المرجوة، فصلاح الدين إنسان بشـــر يخطيء ويصيب، ومحاولة اصطياد الأخطاء للتقليل من شانه، هي دون مســـتوي إصابة كبد الحقيقة، فالتقييم الموضوعي يجب أن يكون هو المجال الـــذي نســـعى إليه لإبراز السلبيات والايجابيات لأي قيادة سياسية، علـــي أن يـــتم ذلـــك وفـــق معطيات ومفاهيم عصره عصرنا، فكثيرا ما نري معطيات تتناقض مع قيم وصلت إليها البشرية في عصرنا ورسخت كحقوق مكتسبة بينمـــا كانـــت فـــي العصـــور السالفة ما ينقضها مقبولا تاما.

كان صلاح الدين الأيوبي رجل دولة، لذا جمع حوله شخصيات قويـــة، لهـــا خبراتها أعانوه علي الحكم، وناصروه في معاركه، فبهم حقق ما كان يصبوا إليه، ومنه نتعلم منه الإستعانة بالرجال.

والكتاب قسم إلي فصلين : الفصل الأول منهما يتناول أسوار صـــلاح الـــدين وهو السور الذي أداره علي الفسطاط والقاهرة لحمايتهما من أي غزو، والفصـــل الثاني يتعرض بالتفصيل إلي قلعة صلاح الدين التي تعرف خطأ لدي العامة بقلعة محمد علي، وإنني أأمل أن يكون هذا الكتاب مقدمة لعمل اكبر يشمل الاستحكامات الحربية في العالم الإسلامي.

د/ خالد عزب

الفصل الأول

أسوار القاهرة في العصر الأيوبي

أسوار القاهرة في العصر الأيوبي

السور في اللغة حائط المدينة وجمعها أسوار[١]، شكلت أسوار المدن أهم الاستحكامات الحربية، كونها تعد من أهم المنشآت المعمارية الحربية التي يهتم الحكام بتشييدها حماية لمدنهم ودفاعً عن أملاكهم، والسور مفرد كلمة أسوار وهو بناء يرتفع عن سطح الأرض يحيط بالمدينة كلياً في المدن التي تبني في الوديان والسهول، أو يحيط بها جزئياً كما في المدن التي تبني في المناطق الجبلية وغالباً ما تستند المدينة علي جبل عالٍ أو تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها.

تبني الأسوار في الغالب بإحدى مواد ثلاث: الأحجار وخاصة في المدن الجبلية، الآجر المحروق أو الطين النيئ علي شكل قوالب من اللبن المجفف بالشمس أو علي شكل كتل من الطين يبني بها مباشرة وخاصة في مدن السهول والسواحل، ويكون سمك السور وارتفاعه مناسباً لموقع المدينة لذلك يختلف من مدينة إلي أخري، ويدعم السور علي مسافات محددة أبراج متنوعة منها المربع والمستطيل ونصف الدائرة وثلاثة أرباع الدائرة، وتتميز هذه الأبراج بارتفاعها عن مستوي ارتفاع السور، وكذلك باحتوائها علي عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل بأنواعها والسقاطات والممشى بجدرانه الساترة وغيرها من العناصر التي يتم الدفاع بواسطتها عن المدينة[٢].

هكذا كانت الأسوار، وللعاصمة المصرية أسوار تاريخية مازالت باقية (صورة رقم ١)، تحكي جانباً هاماً من التاريخ المصري، فبتأسيس القاهرة كحصن للحكام

---

(١) د/ محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٦٨، دار النشر بالجامعة الأمريكية في القاهرة ١٩٩٠ م.

(٢) د/ عبد الله الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، ص ٨٥، دار الشوكاني صنعاء ٢٠٠٣م.

الفاطميين شيد حوله سور لحمايتها وعزلها عن المصريين وذلك سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م، ثم تهدم هذا السور بتقادم الزمن وأعيد إنشاؤه مرة أخري علي يد بدر الجمالي ٤٨٠ /٤٨٥هـ - ١٠٨٧ م/١٠٩٢ م، ووسعت علي أثر ذلك حدود حصن القاهرة، وفي نهاية العصر الفاطمي ومع تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة الفاطمية رمم السور الفاطمي.

لكن مع قيام الدولة الأيوبية واتجاهها لتحرير الأرض المحتلة في بلاد الشام، وضع صلاح الدين الأيوبي مخطط إستراتيچي قام علي تحصين العاصمة المصرية من خلال إقامة سور يضم حواضرها (الفسطاط والقاهرة وما بينهما من عمران) مع إقامة قلعة تتوسط هذا السور العظيم (شكل ١، ٢) (صورة ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧)، وهو ما ورد في نص ذكره لنا العماد الأصفهاني كما يلي : (لما ملك السلطان صلاح الدين مصر وآتاه الله علي الأعداء بها النصر رأي أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعها، ولا قوة لأهلها لتحميها وتردها وقال : " لو أفردت كل واحدة بسور احتاجت إلي جند مفرد ونظر مجدد، والرأي أن أدير عليهما سوراً واحداً من الشاطئ إلي الشاطئ، ثم يتكل في حفظاهما علي الله الكالئ فأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة علي جبل المقطم، فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقسم وانتهي به إلي أعلي مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم، ووجدت في عهد السلطان ثبتاً رفعه النواب، وتكمل فيه الحساب، وهو دائر البلدين مصر والقاهرة، بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون ألف وثلاثمائة ذراع وذراعان، شرح ذلك قياس مابين قلعة المقسم علي شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع، ومن القلعة بالمقسم إلي حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعاً، ومن جانب حائط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة إلي البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف وعشرة أذرع، وذلك بطول قوسه وأبدانه،

وأبراجه من النيل إلي النيل علي التحقيق والتعديل، وذلك بالذراع الهاشمي، بتولي الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي "(١).

مما يلفت الانتباه في مشروع تحصين العاصمة المصرية هو أنه لم يشمل فقط تحصين القاهرة والفسطاط، بل شمل كذلك ضم أراضي طرح النهر غرب القاهرة. فظهور أراضي جديدة، في غربي المدينة أثر علي الوظيفة الدفاعية التي كانت تقوم بها، إذ كان الفاطميين يعتمدوا في طريقتهم الدفاعية عن المدينة الكبري علي أساس جعل القاهرة ـ وهي الجزء المحصن من المدينة الكبري في ذلك الوقت ـ هي التي تقوم بتحمل عبء الدفاع عن القاهرة والفسطاط معا(٢).

وهو ما أشار إليه المقدسي، حيث ذكر بأن الوصول إلي القاهرة لم يكن يتم إلا بعد المرور علي القاهرة، نظرا لكون القاهرة ممتدة فيما بين الماء والجبل(٣)، فهي تحجز الفسطاط من الشمال. وهي الجهة التي يسهل منها الدخول إلي هذه المنطقة، لأن أراضيها كانت أرض سهلية، في حين كانت تلال المقطم تحد المدينة من جهة الشرق ومعظم الأجزاء الجنوبية، فهي تكون خطا دفاعيا ممتازا، علاوة علي وجود الخليج غرب المدينة، يليه أراضي فيضيه رخوة لا تسمح طبيعتها

---

(١) البنداري، الفتح بن علي بن محمد، سنا البرق الشامي، إختصار كتاب سنا البرق الشامي لعماد الدين الكاتب الأصفهاني، ص ١١٩.

د/ أسامة طلعت عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتي عصر سلاطين المماليك، ص ٢٦. رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٢ م.

(٢) **Suzan jane staffa, conquest and fusion, the social elevation of Cairo, a.d. 642- 1890, p94, leiden1979.**

عدنان الحارثي، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين، ص٨٧، زهراء الشرق ١٩٩٩.

(٣) المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٠٠، ليدن ١٩٠٩م.

بالتمركز فيها وعرضها ليس كبيرا، مما يوفر مناعة طبيعية من هـذه الجهـات، وعند ذلك لا تحتاج الفسطاط إلا إلي توفير الحماية بإزاء الطرف الشمالي منها.

إلا أنه بمرور الزمن، فإن طرح النهر أدي إلي تباعد الشاطئ عن القـاهرة، الأمر الذي سيجعلها منطقة استقرار صالحة لأي قوة عسكرية، تستهدف الـدخول إلي مصر، وهو ما جربه صلاح الدين بنفسه، حيث أن القوات الزنكية لما دخلـت مصر في سنة (٥٦٤ هـ ـ ١١٦٨ م) استقرت في هذه المنطقة إذ كان نزولهم في أرض اللوق[1].

لذلك فقد اقتضت الضرورة إلي إجراء نوع من التكيف إزاء هذه التطـورات، فجري مد السور حتي شاطيء المدينة ضمن المشروع التحصـيني الـذي نفـذه صلاح الدين، وبشكل عام، فبالا مكان القول بأن انحراف نهر النيل باتجاه الغرب، ضمانا لمصالحها مع النهر، سواء الأمنية، أو الاقتصادية، التي لا بد وأن النهـر كان له دور أساسي في إيجادها.

أما عن نقطة البداية في هذا المشروع، فهي علي الأرجح من امتداد السـور الشرقي (شكل ٣، ٤، ٥، ٦) (صـورة ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٣٤، ٣٥، ٣٦)، عند لقائه بالسور الشمالي (شكل ٧) للقـاهرة الفاطميـة، يدلل علي ذلك ما عثر عليه من أحجار ذات كتابـات هيروغليفيـة فـي الجـزء المكتشف من السور أمام مستشفي الحسين الجامعي حاليا، ويبـدو أن قراقـوش رأي في مرحلة مبكرة من المشروع أن جلب الأحجار من أهرامات الجيزة التـي تعود لعصر الدولة القديمة أمر باهظ التكلفة، فرجع عنه. كما يعد السور الشمالي المرحلة الثانية في المشروع، أما المرحلة الثالثة فهي المرحلة التـي تبـدأ مـن

---

(١) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، الروضتين، ج١ ق٢، تحقيق محمد حلمي، ص ٣٣٤، القاهرة ١٩٦٢.
عدنان الحارثي، مرجع سابق، ص ٨٨.

القلعة لتضم الفسطاط التي بدء فيها سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥ م[١] أي بعد تسع سنوات من تاريخ البدء في بناء مشروع السور بصفة عامة، ولعل ذلك يرجع إلي العناية بالسور الشرقي والشمالي إذ كانت غالباً الهجمات تنصب عليهما.

خطط السور لكي ينتهي عند طرفيه الشمالي والجنوبي ببرجين كبيرين[٢] بمثابة قلاع صغيرة تشكل نقطتي إرتكاز لنهاية وبداية السور، فضلاً عن نقطة الإرتكاز الرئيسية الوسطي المتمثلة في قلعة صلاح الدين، يقوم هذين البرجين بعدد من الوظائف منها : أنهما مركزا قيادة وتحكم فرعيين - يقومان بالإشراف علي الحراسة والمناوبة علي طول السور- يتوليان الإشراف علي أعمال مراقبة أي هجوم وصده وإعاقته.

البرج الأول: برج المقس ويقع في نهاية السور الشمالي، وموقعه اليوم قرب جامع أولاد عنان[٣] عرف هذا البرج بقلعة المقس أو قلعة قراقوش[٤]. ظل هذا البرج قائماً إلي أن هدمه الوزير شمس الدين أبو الفرج عبد الله المقسي وزير الملك الأشرف شعبان بن حسين بن قلاوون، وذلك عند تجديده لجامع المقسي المذكور، وجعل في موضع البرج بستان، ويرجح أنه هدمه بين عامي ٧٧٠-٧٧٩ هـ / ١٣٦٨- ١٣٧٧ م.

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١ ق١، ص٩٠.
عدنان الحارثي، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين، ص٣٨٧.

(٢) عرفت القلاع الصغيرة بالأبراج، وهي تعد إستحكام حربي للمراقبة والدفاع الأولي، يتسع لإقامة حامية عسكرية صغيرة لصد هجمات الأعداء، أو علي الأقل تعطيلهم حتي تستعد القلاع والحصون القريبة منها.
د/ محمد أمين وليلي إبراهيم، مرجع سابق، ص ٢١.

(٣) يعرف حاليا بجامع الفتح ويقع بميدان رمسيس في القاهرة.

(٤) المقريزي، السلوك، ج ص ٣٨٠، الخطط، ج١، ص ٣٧٩ - ٤٨٠.

البرج الثاني: عرف هذا البرج بقلعة الكوم الأحمر[١] كما عرف بقلعة يازكوج[٢].

هذا البرج من المرجح أنه كان يقع علي شاطئ النيل عند إلتقاء السور الجنوبي بالغربي. أما عن سبب نسبته للأمير يازكوج فمن المرجح أن ذلك قد يعود لقيادته له.

أما العنصر الثاني في خطة بناء السور من حيث الأهمية الدفاعية، فهو الأبراج المفصلية (شكل ٨، ٩، ١٠، ١١)، هذه الأبراج قد تقع عند نقاط إلتقاء مفصلية بالسور، علي غرار برجي المقس والكوم الأحمر، ولكن الأبراج المفصلية ليست بمثابة قلاع صغيرة، ولكنها أبراج ضخمة، تبقي لنا نموذجين منها هما:

برج الظفر: يقع هذا البرج عند إلتقاء السور الشمالي الفاطمي بالسور الشرقي الأيوبي، وهو برج ضخم يتكون من ثلاثة طوابق، مازال باقياً إلي اليوم، وردت تسمية برج الظفر علي خريطة الحملة الفرنسية للقاهرة، يتكون البرج من ثلاثة طوابق، الطابق الأرضي يفتح علي الشارع الداخلي بالمدينة بعقد وينزل منه إلي أرضية الطابق بدرج حيث يغطي المنطقة الوسطي للبرج قبة ضحلة يوجد في

---

(١) البنداري، سنا البرق، ص ١١٩، أبوشامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق٢ ص ٦٨٧.

(٢) كان يازكوج مملوكاً لأسد الدين شيركوه، وصار أميراً علي طائفة الأجناد والأسدية في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م.
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٣٩.
السخاوي، تحفة الأحباب، ص ٧٥.
أبو شامة، الذيل علي الروضتين، ص ٣٤.
د/ أسامة طلعت، مرجع سابق، ص ٢٧١.
د/ عدنان الحارثي، مرجع سابق، ص ٣٨٨.

مناطق إلتقائها بجدار الطابق مقرنص من حطة واحدة، ويفتح علي الطابق ثماني فتحات من المزاغل موزعة علي ثلاثة أرباع الدائرة، ومن الملاحظ أن القبة يفتح بها فتحات شبابيك مستطيلة من الطابق العلوي، وهو عبارة عن ممر مقبي حول القبة تفتح عليه ٦ فتحات مزاغل عميقة، كل واحد منها عبارة عن قبو ينتهي بفتحة المزغل، أما الطابق الثالث فهو مندثر الآن، وكان عبارة عن طابق غير مسقوف به فتحات مزاغل.

يكتنف البرج من جهتيه الغربية والجنوبية بابي سر يؤدي كل منهما إلي درج مسقوف بقبو هابط.

برج درب المحروق: (شكل ١٢، ١٣) هذا البرج يبلغ إرتفاعه ١٥ متر وقطره ١٦ متر وهو علي شكل ثلاثة أرباع الدائرة علي غرار برج الظفر، هذا البرج الذي يقع علي إمتداد السور الشرقي جاء موقعه ليلفت الإنتباه، ولكن أدت أعمال الكشف الأثري به عام ١٩٩٩ إلي الكشف عن سبب إختيار هذا الموقع (صورة ١٧، ١٨، ١٩)، البرج هنا وظيفته إقامة نقطة إنتقال قوية بين مستويين من طبوغرافية الأرض، إذ أن مستوي الأرض إلي الشمال منه ينخفض عن الجنوب، ومن هنا إرتبط الطابقين الأول والثاني بإمتداد السور إلي الشمال منه، بينما إرتبطت باقي الطوابق بالسور الممتد إلي الجنوب منه، فضلاً عن أن السور قبل هذا البرج من الناحية الجنوبية ينكسر بزاوية قائمة بطول يقرب من ١٣,٦٠م ليلتقي بالبرج. البرج يتكون من ثلاثة طوابق، كشفت أعمال الحفر الأثري أنها مازالت بحالة جيدة، البرج من المفترض أنه يفتح علي المدينة بعقد مدبب كبير يفضي إلي الطابق الأرضي بالبرج بدرج يؤدي إلي قاعة مستديرة مسقوفة بقبة ضحلة كبيرة في أركانها عند إلتقائها بالحائط مقرنصات منن حطة واحدة، يفتح عليها قبوات تنتهي بفتحات مزغلية، ويوجد بها سلم يؤدي إلي الطابق الثاني وممشي السور إلي الشمال من القاعة، والطابق الثاني عبارة عن ممر مقبي بقبو

برميلي إرتفاعه ٣,٤٠م به ٦ دخلات مقبية تنتهي بفتحات مزغلية، أما الطابق الثالث فهو طابق مكشوف به قاعة وسطي مثمنة يفتح عليها ٥ فتحات مزغلية.

يكتنف برج درب المحروق عن جانبيه الغربي والشمالي بابي سر تم الكشف عنهما مؤخراً. وكان يعتقد أن الأجزاء التي تلي السور إلي الشمال قد فقدت إلي أن تم الكشف عن خمسة أبراج تالية نصف دائرية(صورة ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥).

* الأبراج نصف الدائرية:

تتخلل هذه الأبراج جسم السور الأثري، والدراسة المتأنية للسور تكشف عن نوعين من هذه الأبراج في السور الشرقي عند الدرب الأحمر والباطنية :-

النوع الأول: عبارة عن قبو طولي مدبب يرتفع إلي السقف الذي يعلو عن ممشى السور (صورة ٢٦)، يتفرع من هذا القبو ثلاثة أذرع ينتهي كل واحد منها بفتحة مزغل، وهما عبارة عن مزغلين جانبيين وواحد أمامي، وتغطي الأذرع الثلاثة أقبية طولية منخفضة عن قبو الدخول، ويفتح بالضلع الأيسر للداخل من قبو البرج ممر ضيق يؤدي إلي حجرتي رماية، هذا البرج كان يدخل إليه من الشارع الموازي للسور، ومزاغله ذات مستوي منخفض. وهناك نوع من هذا البرج لم تلحق به غرف رماية.

النوع الثاني: عبارة عن برج مصمت في طابقه الأرضي، أما الطابق الثاني فينزل إليه بسلم من ممشى السور (صورة ٢٧)، يؤدي إلي ممر يفضي إلي البرج الذي يتوسطه قبو طولي يقابله في الضلع الغربي فتحة نافذة لإضاءة وتهوية البرج، أما القبو فيوجد به ثلاثة أذرع مسقفة بأقبية، وينتهي كل ذراع بفتحة مزغل، وعلي يسار القبو يوجد ممر يفضي إلي دورة مياه علي يمينه وينتهي بحجرة رماية.

يتبادل هذين النوعين من الأبراج علي طول السور، وهذا يعني أن هناك

نوعين من مستويات مزاغل رمي السهام أحدهما أرضي وآخر علوي.

***حجرات الرماية :**

يوجد بسور صلاح الدين ثلاثة أنواع من أبراج الرماية، وهي حجرات تتخلل جسم السور بها فتحة مزغلية بهدف زيادة القوة الدفاعية له، وهما :-

النوع الأول: حجرات رماية ذات عقد مدبب يفتح علي داخل المدينة ويبرز سمت الحجرة عن سمت السور الداخلي، ويغطي الحجرة قبو مدبب يتعامد علي محور السور، ويتصدر ضلعها الشرقي فتحة المزغل، ويفتح بالضلع الأيسر للحجرة سلم صاعد إلي ممشى السور.

النوع الثاني: ينزل إلي الحجرة بسلم من ممشى السور يؤدي إلي حجرة التي غالباً ما تكون مستطيلة يتصدر ضلعها الشرقي فتحة مزغل، ويسقفها قبو مدبب.

النوع الثالث : غالباً ما يشبه النوع الثاني غير أنه يتم الوصول إليه عن طريق ممر جانبي من أحد الأبراج، وقد يلحق بأبراج السور إما حجرة رماية واحدة أو حجرتين واحدة علي كل جانب.

تعود أهمية حجرات الرماية إلي أنها تمثل نقاط دفاع تتخلل سمت السور الذي خلا من الممرات التي كانت تتخلل أسوار القاهرة الفاطمية، ولذا حرص المعمار علي إلحاقها أيضاً بالأبراج، وتعود هذه الحجرات وإنشائها لسببين :-

- توفير النفقات في مشروع بناء السور الأستراتيجي، حيث أن إنشاء ممرات في جسم السور بين الأبراج يعني إرتفاع تكلفة هذا المشروع الحربي العملاق الذي يغطي العاصمة المصرية.
- عامل الوقت إذ أن الحروب الصليبية مثلت ضغطاً علي صلاح الدين الأيوبي لإنجاز مشروع متكامل للدفاع عن مصر بإنشاء قلعة وسور للعاصمة وعدة قلاع في سيناء وبلاد الشام وتحصينات للسواحل المصرية، من أبرزها

سور الإسكندرية.

*** المزاغل:**

تعد المزاغل العنصر الدفاعي الذي يسمح للمتمرسين بالسور الدفاع عن المدينة تجاه أي قوات غازيه، لفظ المزاغل لم يرد له تعريف في اللغة العربية، لكنها ترد بلفظ المراحي[(١)]، في حين إنه يعرف في اللغة اليمنية القديمة بإسم صويت[(٢)] والتي ربما هي مشتقة من كلمة صوب السهم أو البندقية أي وجهه نحو الهدف وأستعد لإطلاقه، في حين يعرف في العمارة الحربية في الأردن بإسم الطلاقة وجمعها طلاقات[(٣)].

والمزاغل من الناحية المعمارية عبارة عن فتحة لرمي السهام علي هيئة شق مستطيل رأس أو مربع، ضيق من الخارج ومتسع من الداخل لتسهيل حركة المدافعين، إستخدمت منذ فترة مبكرة في العمارة الحربية الإسلامية وأقدم بقاياها توجد في قصر الحير الغربي ١١٠ هـ / ٧٢٨ م، وقصر الأخيضر ١٦١ هـ / ٧٧٨م ومزاغل الطوابق العليا في سور سوسة ٢٥٤ هـ / ٨٢٩ م - كما إستخدمت المزاغل في أسوار القاهرة الفاطمية ٤٨٠-٤٨٥هـ / ١٠٨٧-١٠٩٢م.

---

(١) الهروي، علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م) التذكرة الهروية في الحيل الحربية، ص ١٠٩، تحقيق مطيع المرابط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٢م.

(٢) فهمي الأغبري، التحصينات الدفاعية في إليمن القديم،ص ٣٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤م.

د/ عبدالله الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني، صنعاء ٢٠٠٣م.

(٣) سعد المؤمني، القلاع الإسلامية في الأردن، ص ٣٥٠ -٣٥١، دار البشير، عمان، ١٩٨٨م.

قسم الدكتور أسامة طلعت مزاغل السور الأيوبي إلي أربعة طرز[١] (صورة ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١):

الطراز الأول: مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه عقد أو عتب حجري مستقيم من كتلة واحدة يعلوه نفيس وعقد عاتق، أنتشر هذا الطراز في أماكن متعددة بالسور.

الطراز الثاني: مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه عتب مستقيم من كتلة واحدة وتكتنف فتحة المزغل جلستان لجلوس المدافعين، ويشتمل السور علي نموذج واحد فقط من هذا النوع، وهي مزاغل الطابق الأرضي بالبرج رقم ٣٧ غرب برج الظفر.

الطراز الثالث: مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل ويغطيه قبو مسلوب عبارة عن نصف مخروط صغير وضع أفقياً وقاعدته للداخل، ويوجد هذا النوع من المزاغل في برج درب المحروق.

الطراز الرابع: مزغل مسقطه الأفقي نصف دائري ويغطيه طاقية من نصف قبة صغيرة، ويوجد هذا النوع من المزاغل في برج الظفر.

* **الأبواب:**

تخلل سور صلاح الدين الأيوبي عدة أبواب علي طول السور، كان يعتقد أن جلها معروف مما أورده المؤرخين، غير أن الإكتشافات الأثرية بالسور الشرقي لأبواب جديدة، فضلاً عن وجود أبواب علي مسار السور لم يذكرها المؤرخين مثل باب الوداع بالحطابة، تدعو إلي إعادة النظر في الجزم بمعرفتنا الكاملة بأبواب السور، إندثرت بعض هذه الأبواب كباب الشعرية، كما كان يوجد في الجزء الممتد من السور إلي الفسطاط عدة أبواب إندثرت الآن منها:

---

(١) د/ أسامة طلعت، مرجع سابق، ص ٢٢٩- ٢٣٠.

باب مصر: هذا الباب بناه بهاء الدين قراقوش، وكان يقع بالقرب من السيدة زينب حاليا، بخط الحمراء القصوي، وكان به برجان يمنه ويسره بعتبة سفلي صواناً وقوس معقود عليه، ودفتين يغلقان عليه، وكان يسلك منه إلي أربعة طرق. وهي الطريق إلي القاهرة، وعلي يمنته إلي الفواخير وعلي يسرته إلي البحر وإلي داخل المدينة[١]، هدم هذا الباب في العصر المملوكي.

باب الصفا: كان هذا الباب الرئيسي الذي يؤدي إلي مصر الفسطاط منه تخرج القوافل والعساكر، وموضعه بالقرب من كوم الجارح، وكان باباً كبيراً ببرجين متقابلين يعلوهما عقد كبير، وهو بعتبة كبيرة سفل صوانا، هدم باب الصفا في عهد الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ /٦٧٦ هـ - ١٢٦٠م/ ١٢٢٧ م علي يد سيف الدين بن سدار والي الفسطاط، وباب الصفا سمي بهذا الإسم لوقوعه علي رأس درب الصفا، ودرب الصفا هو إمتداد الشارع الأعظم،و هو الطريق الذي يربط بين القاهرة والفسطاط، والذي يبدأ من باب زويلة ويمتد حتي مشهد السيدة نفيسة[٢].

بالإضافة إلي بابين آخرين هما باب الساحل وباب القنطرة.

هذا يقودنا إلي التعرف علي أنماط أبواب سور صلاح الدين الشرقي وهي كما يلي:

---

(١) ابن دقماق الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، ص ٢٧.
المقريزي، الخطط، ج ٤، ص ٢٧.
د/ خالد عزب، الفسطاط، النشأة، الإنحسار، ص ١٤٣، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٨م.

(٢) ابن دقماق، مرجع سابق،ص ٢٨.
المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٣٤٧.
د/ خالد عزب، مرجع سابق، ص ١٤٤.

النمط الأول:

يشبه في تخطيطه باب زويلة من حيث التخطيط، وهو عبارة عـن بــاب ذا برجين نصفين دائريين بينهما باب معقود، ويربط بين البرجين ممشى علوي بــه سقاطات، والباب كان يتقدمه زلاقة من حجر الصوان مائلة بحيث تعـوق بميلهـا صعود أي مهاجم، وهذا التخطيط وجد في باب الصفا، ومن المــرجح أنــه كـان يماثله من حيث التخطيط الباب المحروق.

*** الباب المحروق**

كان هذا الباب يعرف في العصر الفاطمي بباب القراطين لأنــه كـان يوجـد بجواره سوق الغنم، وكان يجلس عنده القراطون الذين يبيعون القرط (البرسـيم)، وحدث في بداية العصر المملوكي صراع بين أمراء المماليك انتهي بسيطرة المعز أيبك التركماني، ومقتل الفارس أقطاي، وهو ما دفع مماليك الأخير للهرب من باب القراطين الذي وجدوه مغلقاً فقاموا بحرقه، ومنذ ذلـك الحـين عـرف بالبـاب المحروق، وصار رمزاً لنهاية عصر النزاع الأيوبي وبداية استقرار دولة المماليك البحرية، وقد سدت فتحة الباب المحروق سنة ١٨٠٠ م عقب ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين، وذلك ليتمكن الفرنسيين من السيطرة علي المدينة بصورة جيدة.

ظل موضع الباب المحروق مجهولاً حتي قام المهندس محمـد فهمـي مـن مصلحة التنظيم سنة ١٩٤٠ م، بإكتشاف الباب، وتم إستكمال إكتشاف الباب مـن قبل فريق من المجلس الأعلى للآثار خلال الأعوام ١٩٩٧ م و١٩٩٨م[١] وفريق مصري فرنسي مشترك سنة ١٩٩٩ م (شكل ١٤) (صـورة ٣٢)، غيـر أن وجود خزان مياه حديث في مواجهة الباب أعاق عملية إستكمال الكشف عنه. وقد

---

(١) تولي تنفيذ الحفر الأثري عن الباب فريق برئاسة الدكتور خالد عزب الذي عمـل كـذلك بالإشتراك مع الفريق الفرنسي.

كشف في البرج رقم ٦ عن بقايا لفرن لصناعة الخزف والفخار يعود للعصر العثماني، تم الاحتفاظ بأجزاء منه في البرج للدلالة علي التحول الوظيفي الذي طرأ عليه.

يكشف تخطيط برجي الباب علي أنه كان للبرجين طابق علوي، بكل واحد منهما ثلاث فتحات مزغلية وبينهما ممشى به سقاطات.

النمط الثاني:

المدخل المنكسر: يعرف في العمارة الإسلامية بعدة أسماء منها الباشورة، والمدخل المكسر، والمدخل ذو المرفق، والمدخل ذو العطف، والمدخل المزور، والمدخل المنحني[1] سمي بهذا الإسم لأن تصميمه يجعل الداخل إليه ينعطف يساراً أو يميناً مرة واحدة أو أكثر ليصل إلي داخل المدينة أو القلعة أو المنشآت الأخري. كان أول إستخدام لهذا النوع من الأبواب في العمارة الحربية الإسلامية في سور بغداد ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م، وعلي غراره شيدت أبواب مدينة الرقة ١٥٥هـ / ٧٧٢ م [2] ثم انتشر استخدامها في أجزاء مختلفة من بقاع العالم الإسلامي، فنراه في مدخل قلعة الحصن ببلاد الشام، وفي قلعة الكرك، ومدخل قلعة عجلون.. إلخ.

---

(١) د/ عبد الرحمن ذكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص ٧٤، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٥، ١٩٦٩ م.

د/ فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة، ص ١٩١،٢٧٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ م.

د/ السيد عبد العزيز سالم، وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس، ص ٢٥، مجلة الجيش، عدد ٨٢، ١٩٥٧ م.

(٢) د/ عبد الرحمن ذكى، العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، ص ١١١، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٧، ١٩٥٨م.

قسمت المداخل المنكسرة في عمارة أسوار القاهرة إلي طرازين[1] :-

الطراز الأول: وهو البرج ذو المدخل المنكسر، ويتكون من بــرج مربــع أو مستطيل يبرز عن سمت واجهة السور الخارجية، ويفتح بداخل البرج ممر منكسر علي هيئة زاوية قائمة، يتبع هذا الطراز ثلاثة أبواب بالسور، فضلاً عــن البــاب المدرج في قلعة صلاح الدين.

الباب الأول: وهو الباب الجديد وموقعــه الآن شــرق شــارع المنصــورية، ويتكون من برجين الجنوبي منهما نصف دائري لتأمين المــدخل، ويتكــون مــن طابقين : يشتمل الأرضي منهما علي مساحة وسطي مربعة مغطاة بقبو متقاطع، ويتفرع منها ثلاثة أذرع، بنهاية كل ذراع فتحة مزغل، والطابق العلــوي فقــدت معالمه الآن، أما البرج الشمالي فهو مربع شكلت كل من زاويتيه الخارجيتين علي هيئة بدنة صماء ثلاثة أرباع دائرية، ويشتمل هذا البرج علي ممر المدخل وهــو منكسر علي هيئة زاوية قائمة واحدة ينحرف الداخل منها يساراً، ويفتح بكل مــن الضلع الشرقي والشمالي للمساحة الوسطي المربعة بممر المدخل دخلة تتصدرها فتحة مزغل تشرف علي خارج الباب، وتغطي هذه المساحة الوسطي قبة ضحلة، محمولة علي مثلثات كروية. وزود الباب بالعديد من الوسائل الدفاعية، منها جسر خشبي متحرك، وكان يستخدم لعبور الخندق الذي كان يتقدم الباب في حالة السلم، وكان يرفع عند الخطر، والسقاطات التي تفتح بين عقــدي الواجهــة الخارجيــة للباب.

هذا الباب يقودنا للحديث عن الباب المكتشف حديثاً إلي الشمال من برج درب المحروق، وهو عبارة عن مدخل منكسر، يتكون ضلعه الجنوبي من كتف بارز أو

---

(١) د/ أسامة طلعت، ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغــرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، ص ٣٢٧: ٣٣٠، بحث ضــمن أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة ١٩٩٩م.

بدنة بها قبوين مدببين بصدر كل واحد منهما فتحة مزغل، أما الضلع الجنوبي فيبرز منه برج نصف دائري له كتف بارز في جنوبه، وبين البرج والكتف الجنوبي توجد دخلة المدخل المنكسرة التي تؤدي إلي باب معقود بعقد مدبب يفضي إلي مساحة وسطي مسقفة بقبة ضحلة علي مثلثات كروية، ومن المرجح أن هذا الباب كان يعرف بباب البرقية(شكل ١٥) (صورة ٣٣).

أما ثالث الأبواب التي تتبع هذا التخطيط فهو باب القرافة، ويقع الآن بميدان السيدة عائشة في الجزء الذي كان يمتد من سور الفسطاط إلي القلعة، تبين من الأجزاء التي تم الكشف عنها، أنه مدخل ذو ممر منكسر علي هيئة زاوية قائمة كان ينحرف الداخل فيها يساراً، كان هذا الممر يفتح داخل برج تمتد واجهتيه الجانبيتين بإستقامة، أما واجهته الجنوبية الشرقية الخارجية فعلي هيئة قوس دائري، لم يتبقي من هذا الباب سوي مثلثين كرويين يعلوهما مدماكان من مداميك القبة الضحلة التي كانت تغطي المساحة الوسطي المربعة من ممر المدخل، فضلاً عن الطرف الشمالي الغربي من ممر المدخل ويفتح في سمت جدار السور ويغطيه قبو طولي نصف دائري وكان يؤدي إلي داخل المدينة[١].

<u>الطراز الثاني:</u> يتكون المدخل من برجين نصفي دائريين يبرزان عن واجهة السور الخارجية، ويحصر البرجان فيما بينهما ممراً عمودياً علي محور السور، ثم ينحرف الممر يميناً أو يساراً علي هيئة زاوية قائمة داخل كتلة بنائية مستطيلة، وتقع هذه الكتلة داخل السور لصق الواجهة الداخلية للبرجين. ويتبع هذا الطراز بابين بقلعة صلاح الدين هما بابي المطار والإمام، ومن المرجح أنه كان يوجد لهذا الطراز أمثلة في سور صلاح الدين.

---

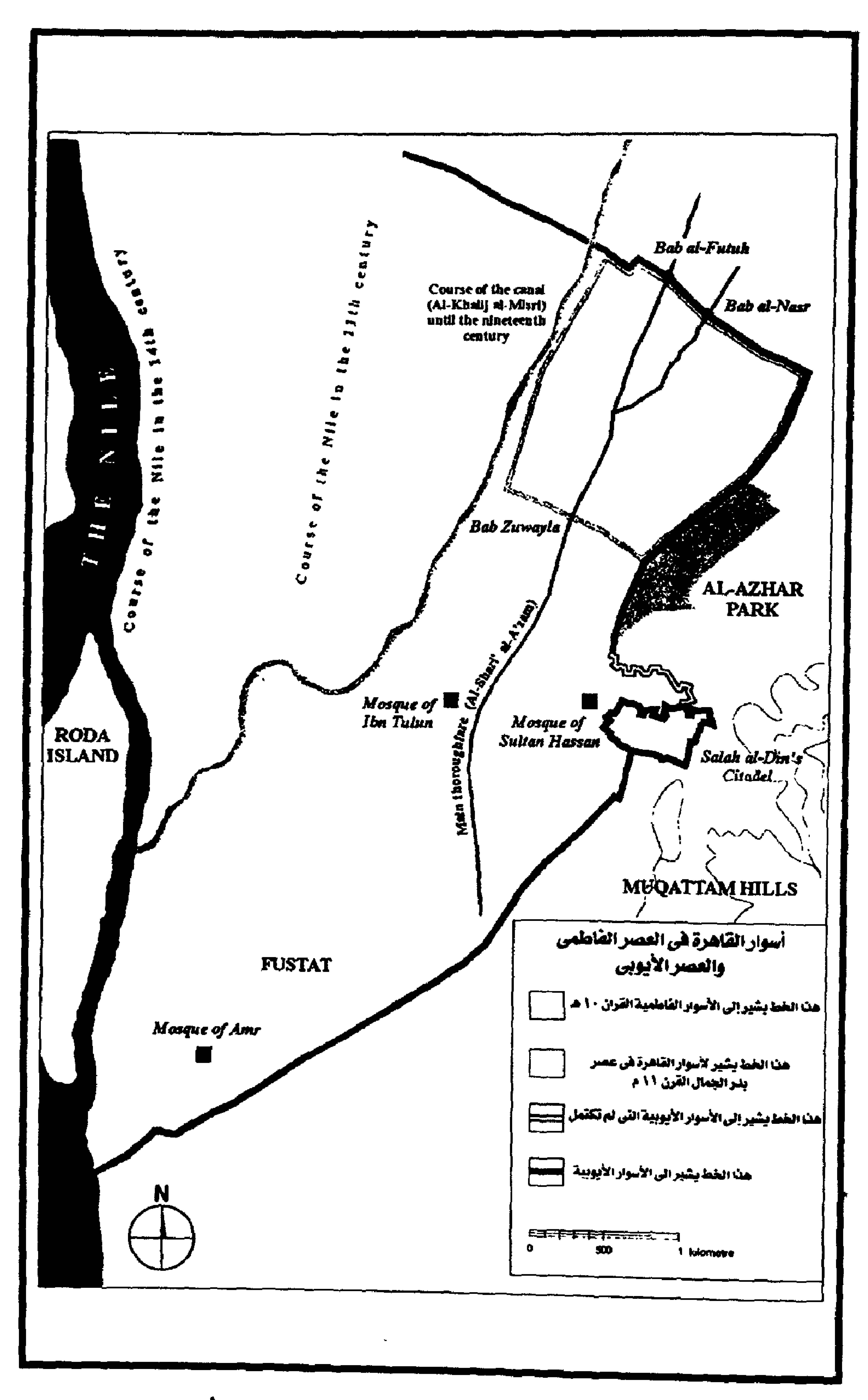
(١) د/ أسامة طلعت، المرجع السابق، ص ٣٢٨- ٣٢٩.

*** الجدار الساتر والممشى :**

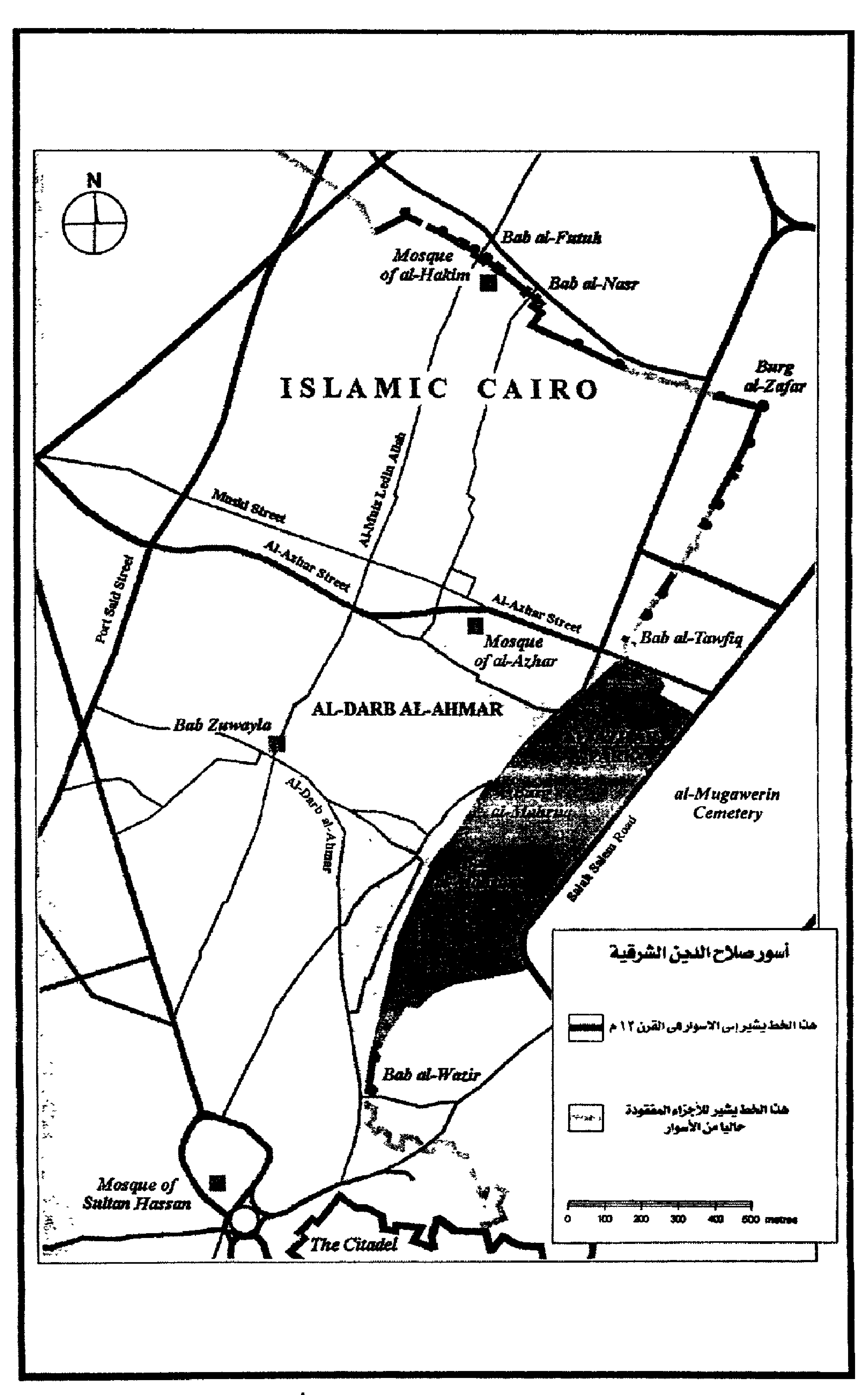
الجدار الساتر عبارة عن حائط يعلو الواجهات الخارجية للسور أمام الممشى الذي يعلو الثكنات أو الأبراج أو الأبواب أو بدن السور فيما بين الأبراج، والجدار الساتر في سور صلاح الدين عبارة عن مدماكين من الحجر يعلوهما شرافات نصف دائرية من ثلاثة مداميك، ويبلغ إرتفاع الجدار الساتر في السور ١,٨٥م، وهو ما يسمح للمدافعين عن المدينة بإستخدامه في رمي السهام والرماح بسهولة.

ويرتبط بالجدار الساتر الممشى، وهو إرتباط عضوي، إذ أن الأول هو الذي يحمي الممشى المكون من ممر إستطراق أو مساحة مكشوفة تربط بين أبراج السور، يتخللها سلالم تؤدي إلي حجرات الرماية. (صورة ٣٤، ٣٥).

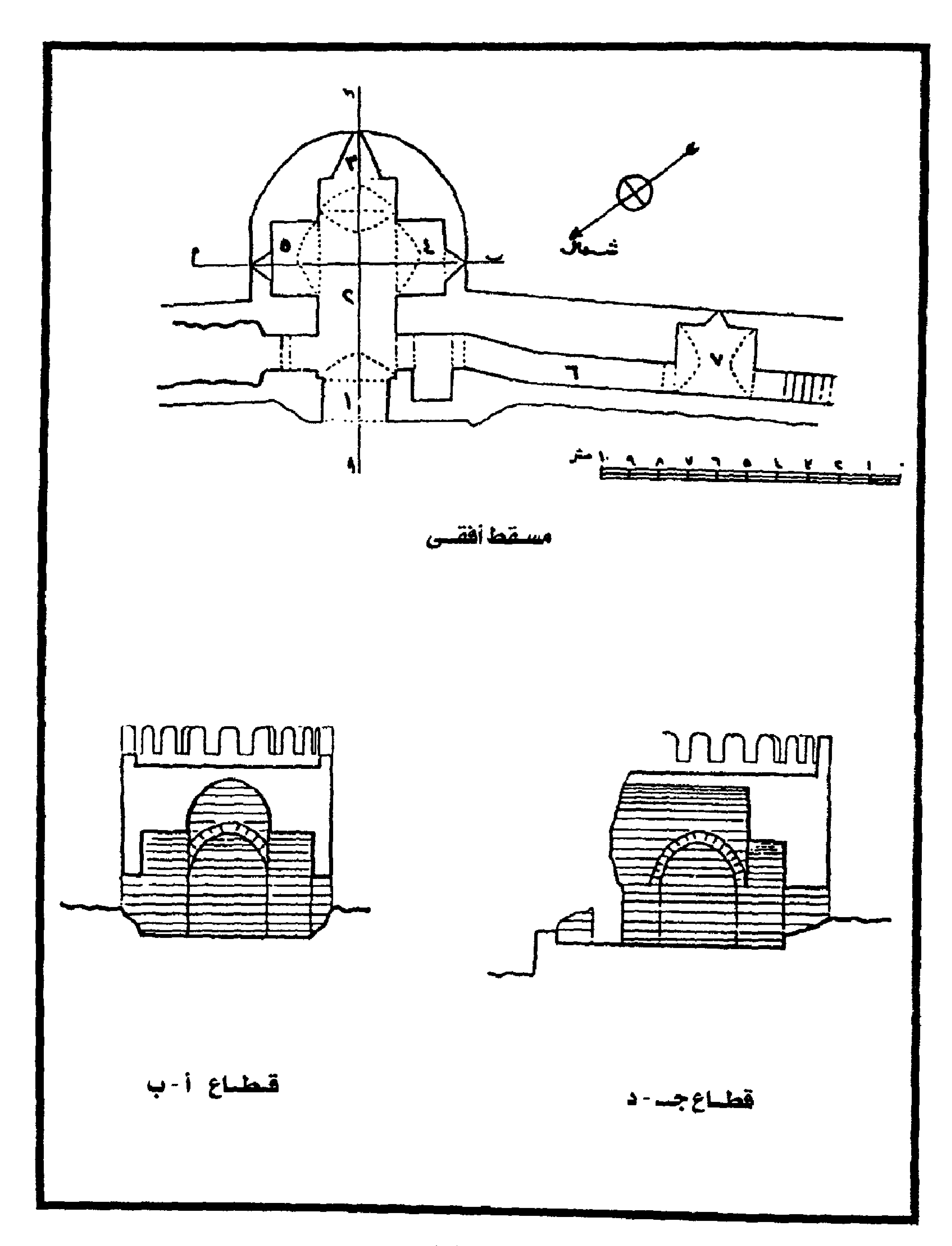
لوح وأشكال الفصل الأول



شكل (١) أسوار القاهرة فى العصر الفاطمى والأيوبى

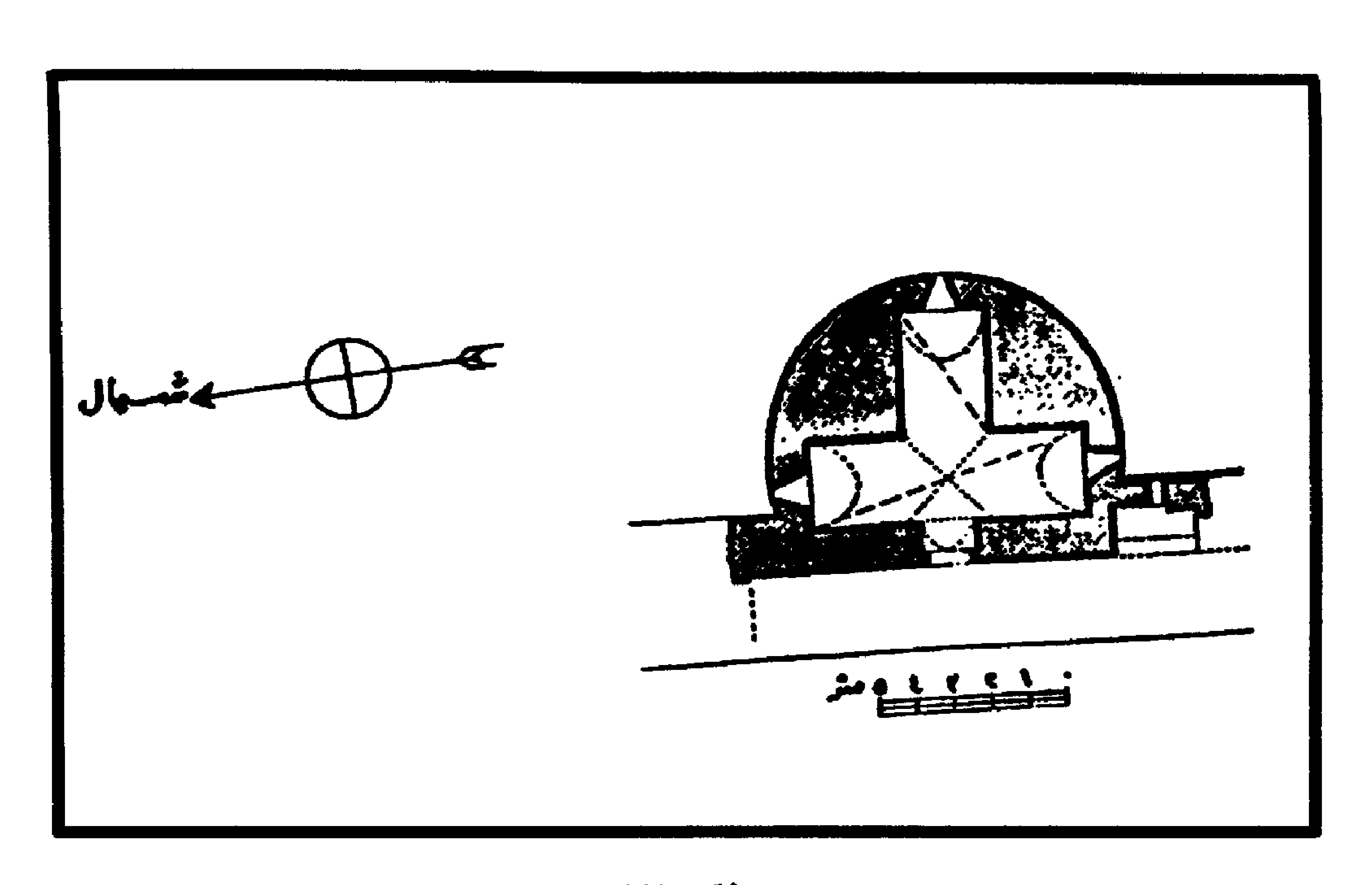


شكل (٢) بقايا السور الشرقى الأيوبى



شكل (٣)

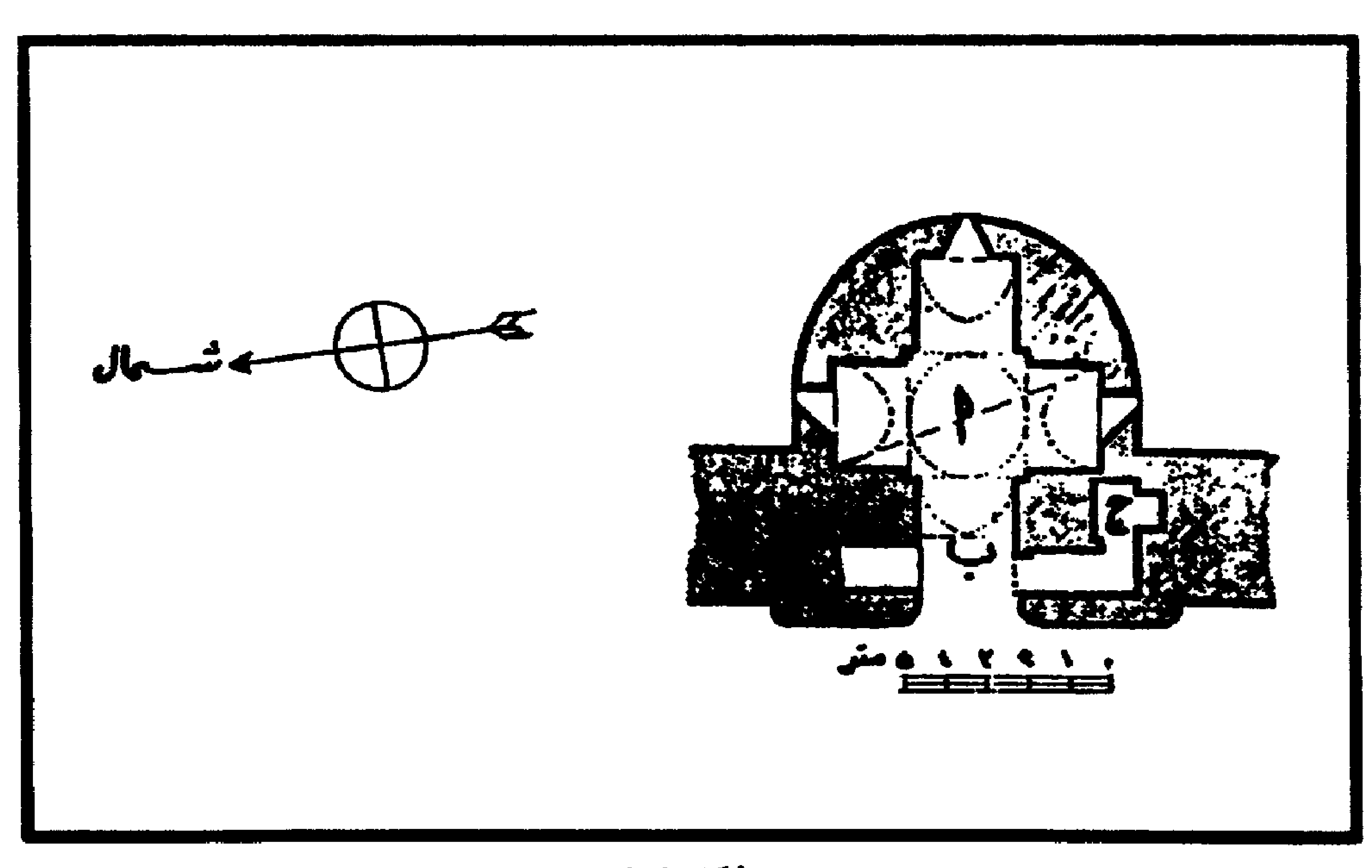
أبراج السور الشرقى ، برج رقم ١٥ . عن هيئة الأثار المصرية



شكل (٤)

أبراج السور الشرقى ، برج رقم ٢٤ / مسقط أفقى للطابق العلوى

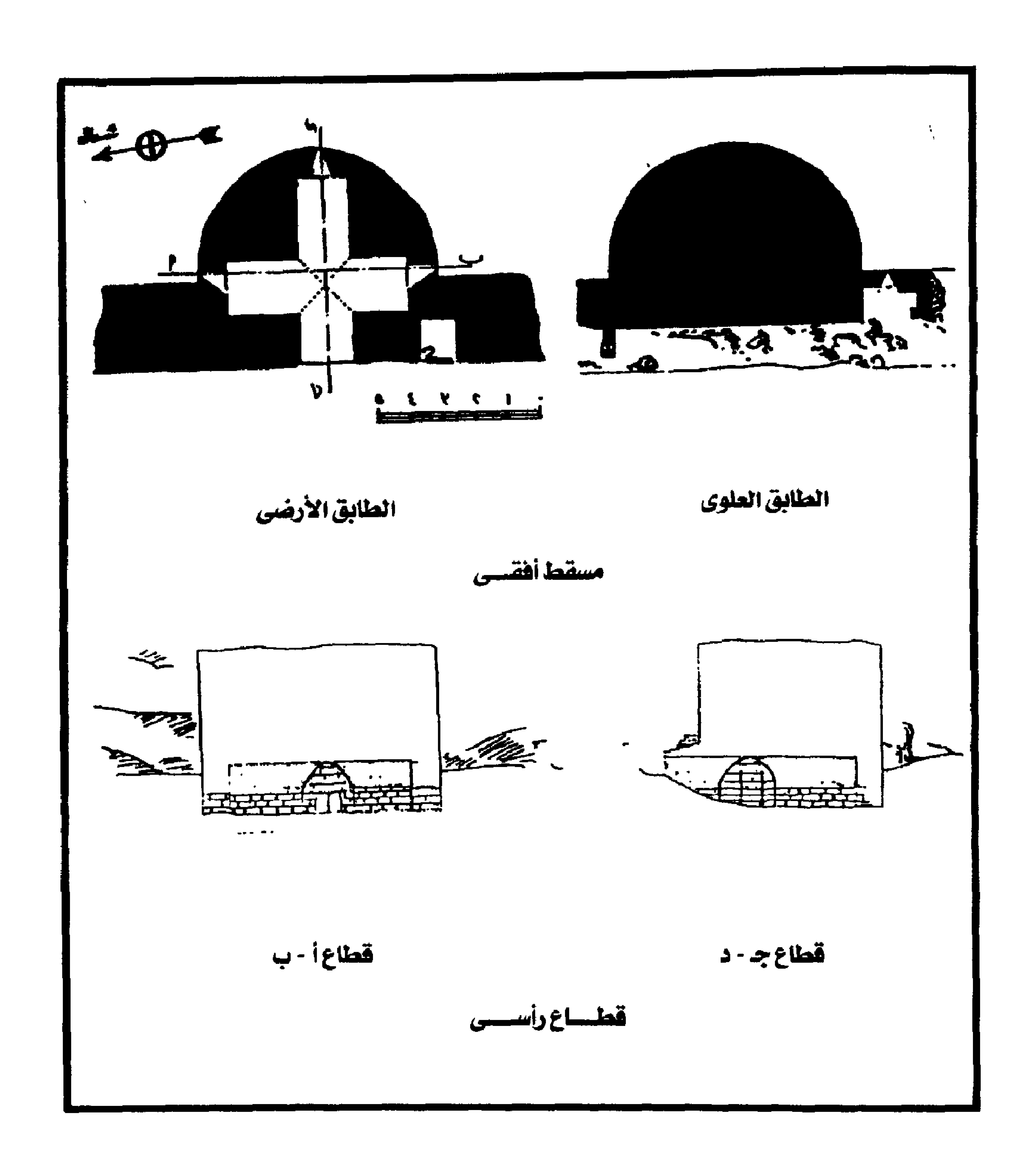
عن Cresswaell . M.A.E



شكل (٥)

أبراج السور الشرقى ، برج رقم ٤٣ / مسقط أفقى للطابق الأرضى

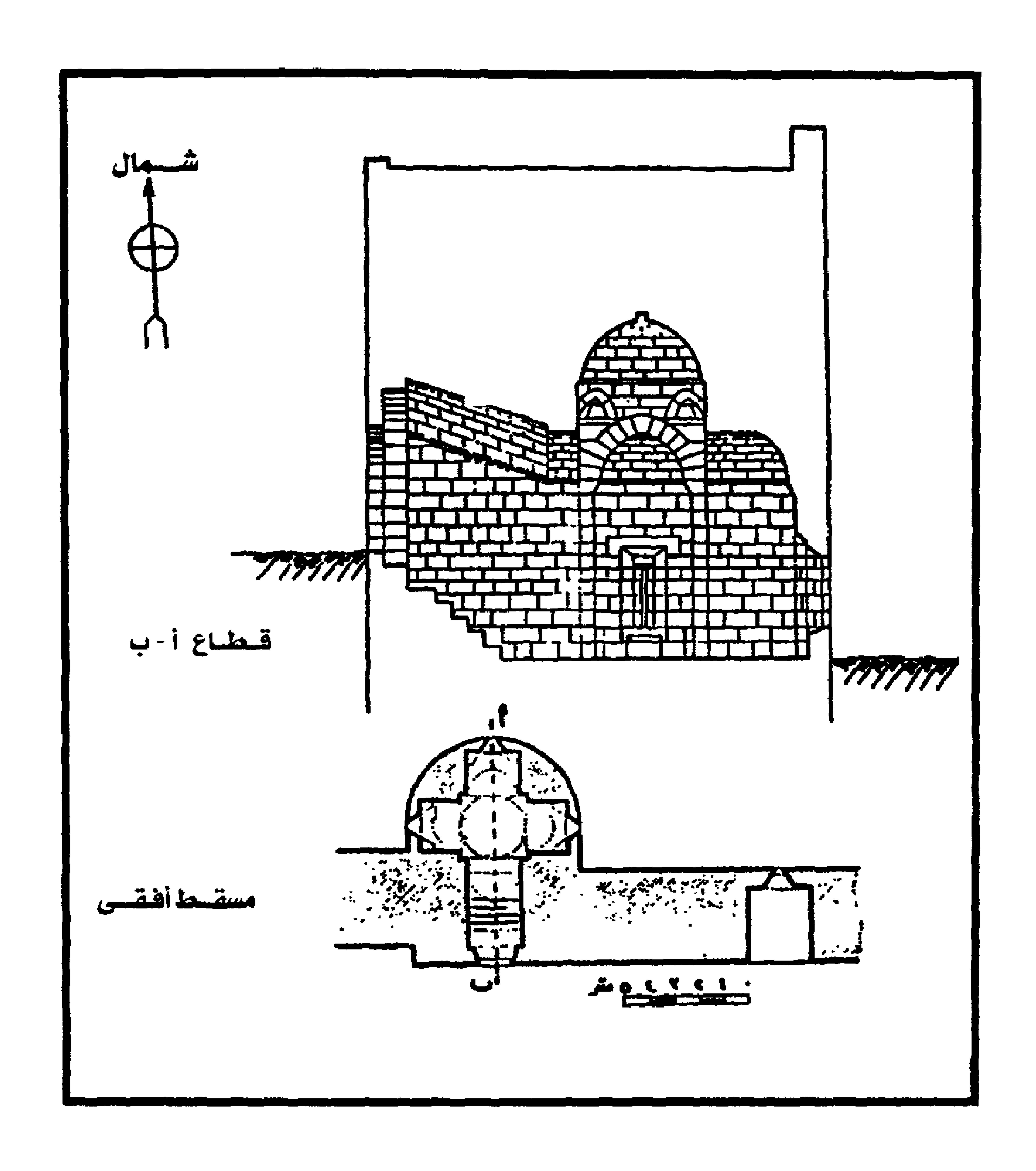
عن Cresswaell . M.A.E



شكل (٦)

أبراج السور الشرقى ، برج رقم ٤٣ / مسقط أفقى وقطاع رأسى

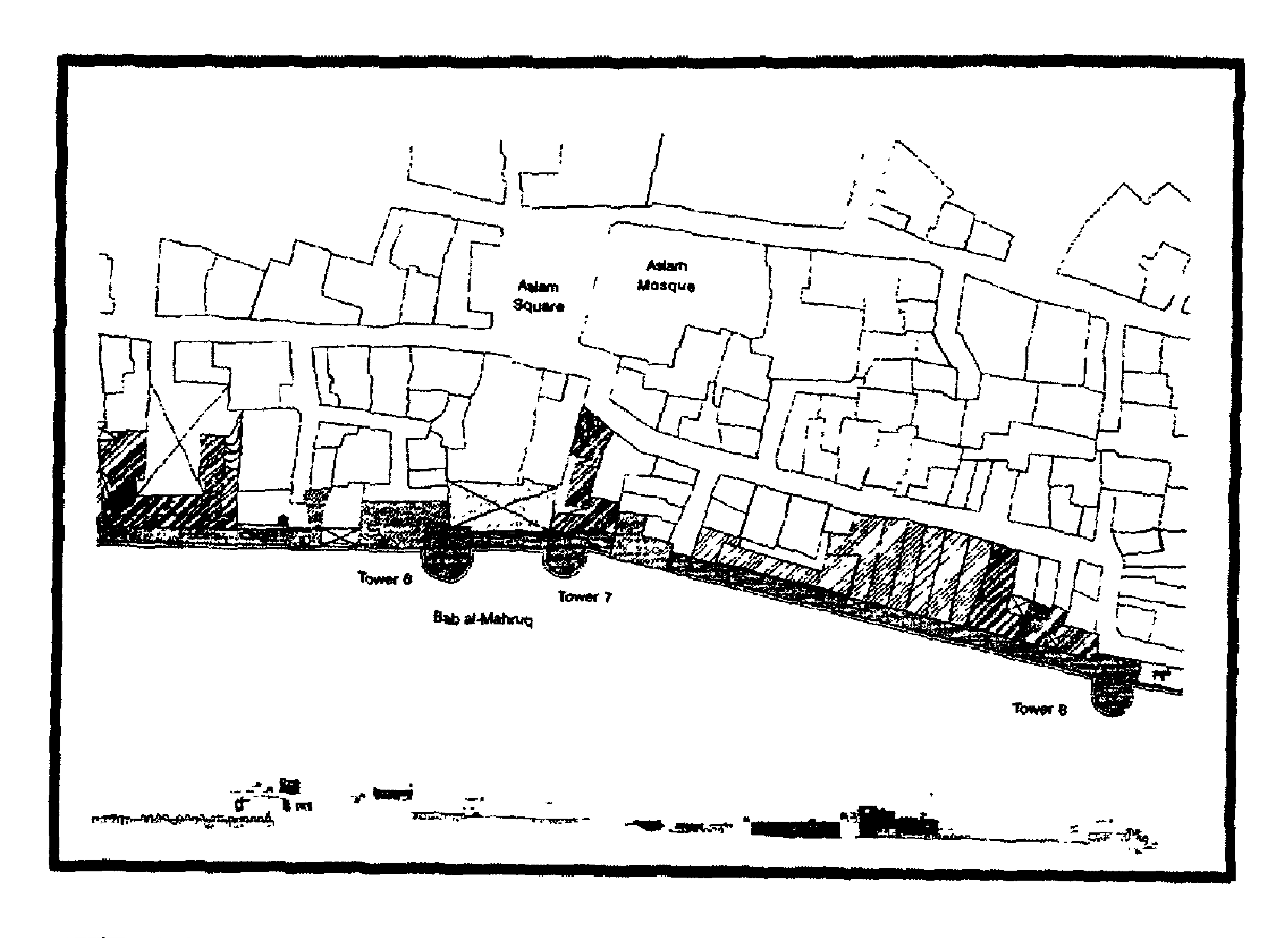
عن هيئة الآثار المصرية

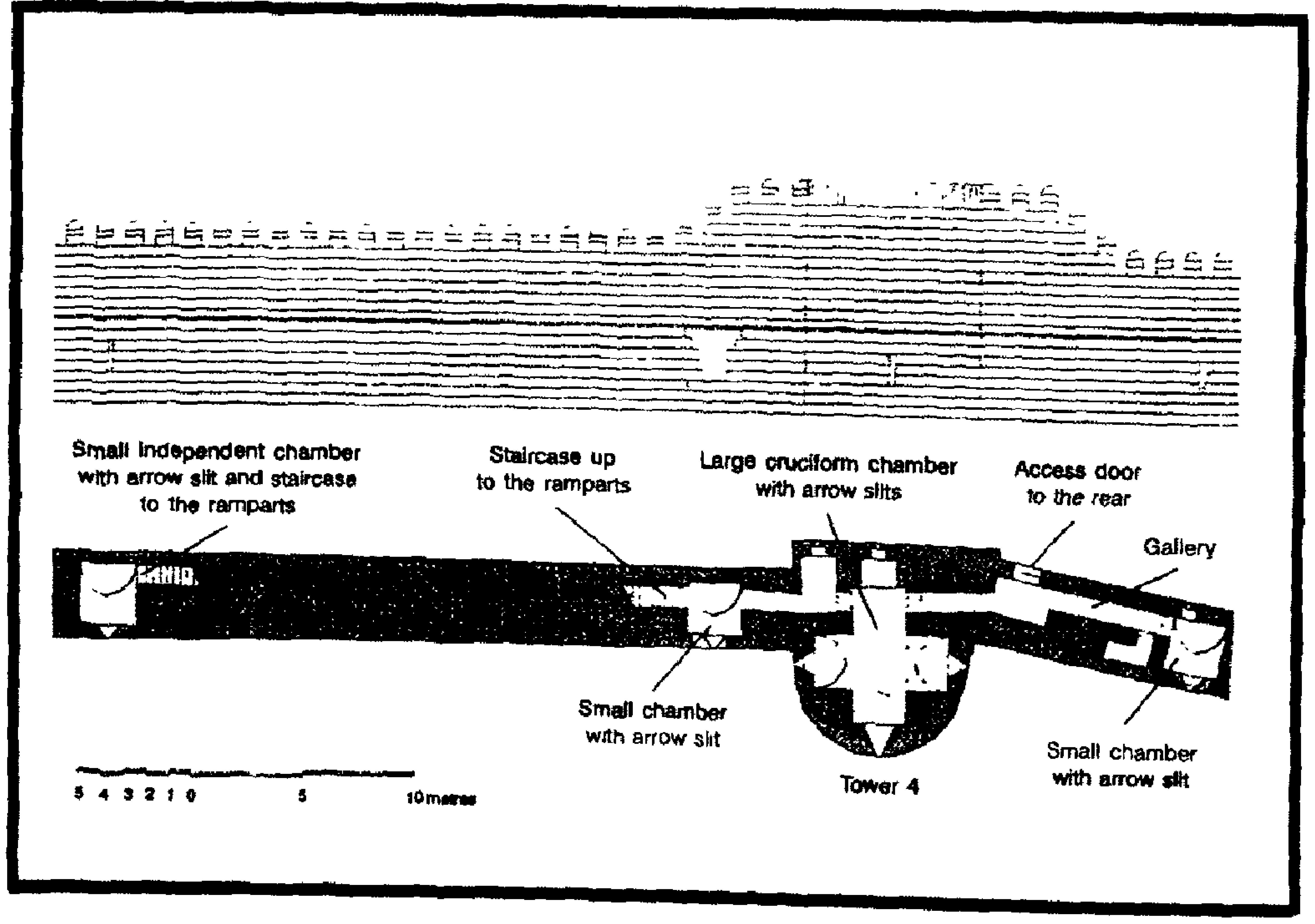


شكل (٧)

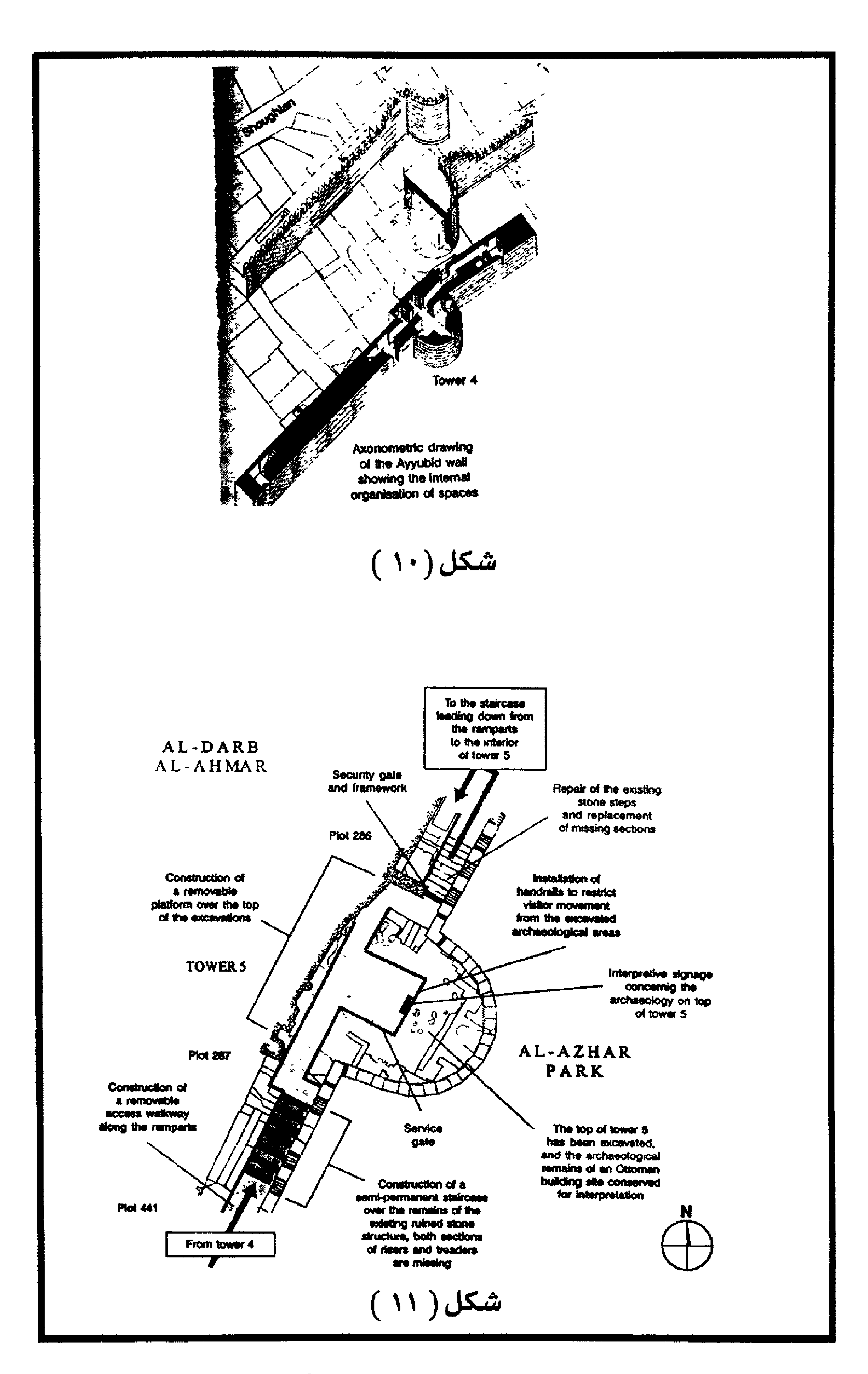
أبراج السور الشمالى ، برج رقم ٣٧/ مسقط أفقى وقطاع رأسى

عن Cresswaell . M.A.E

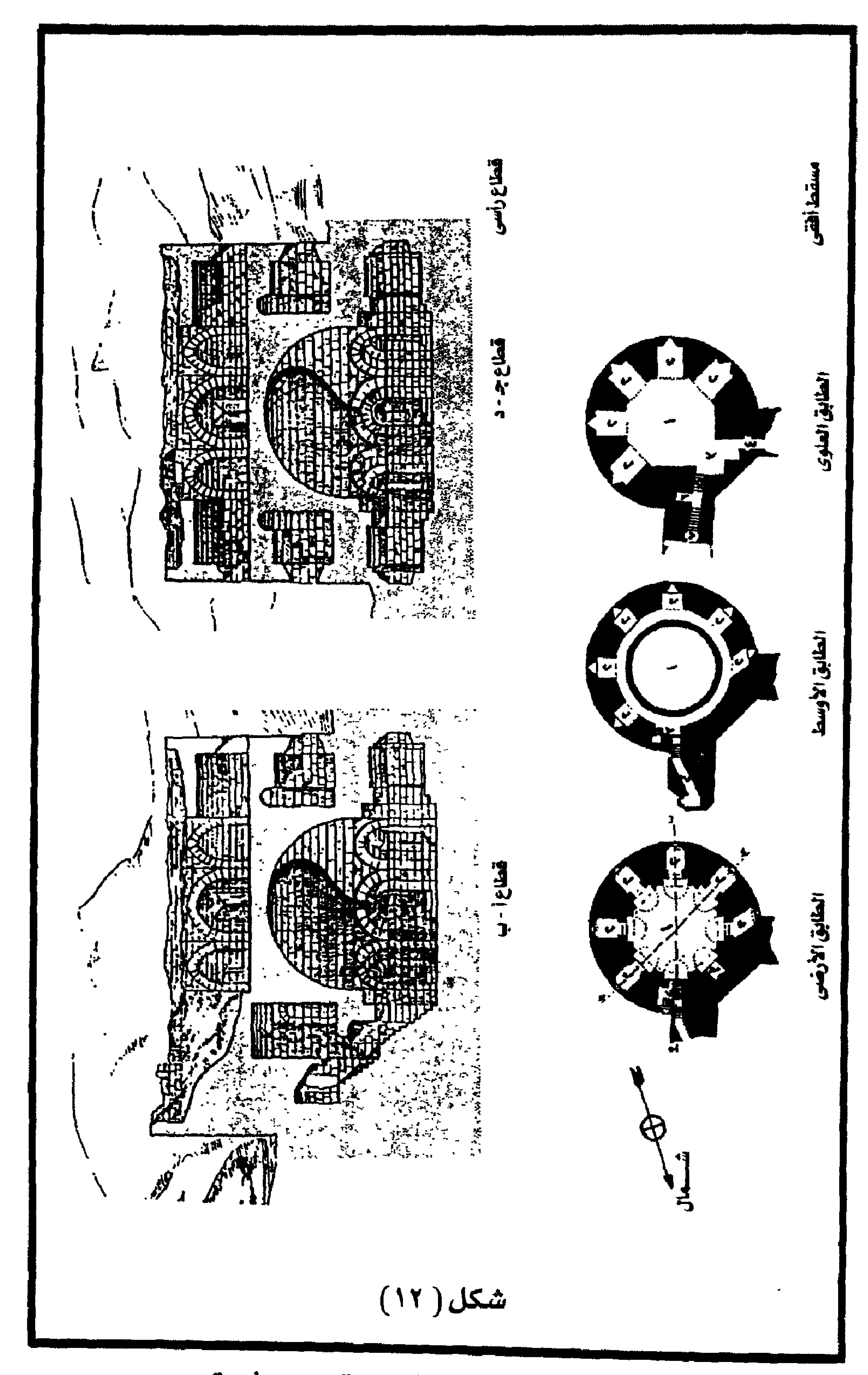




شكل (٨ ، ٩) تتابع الأبراج المفصلية على السور

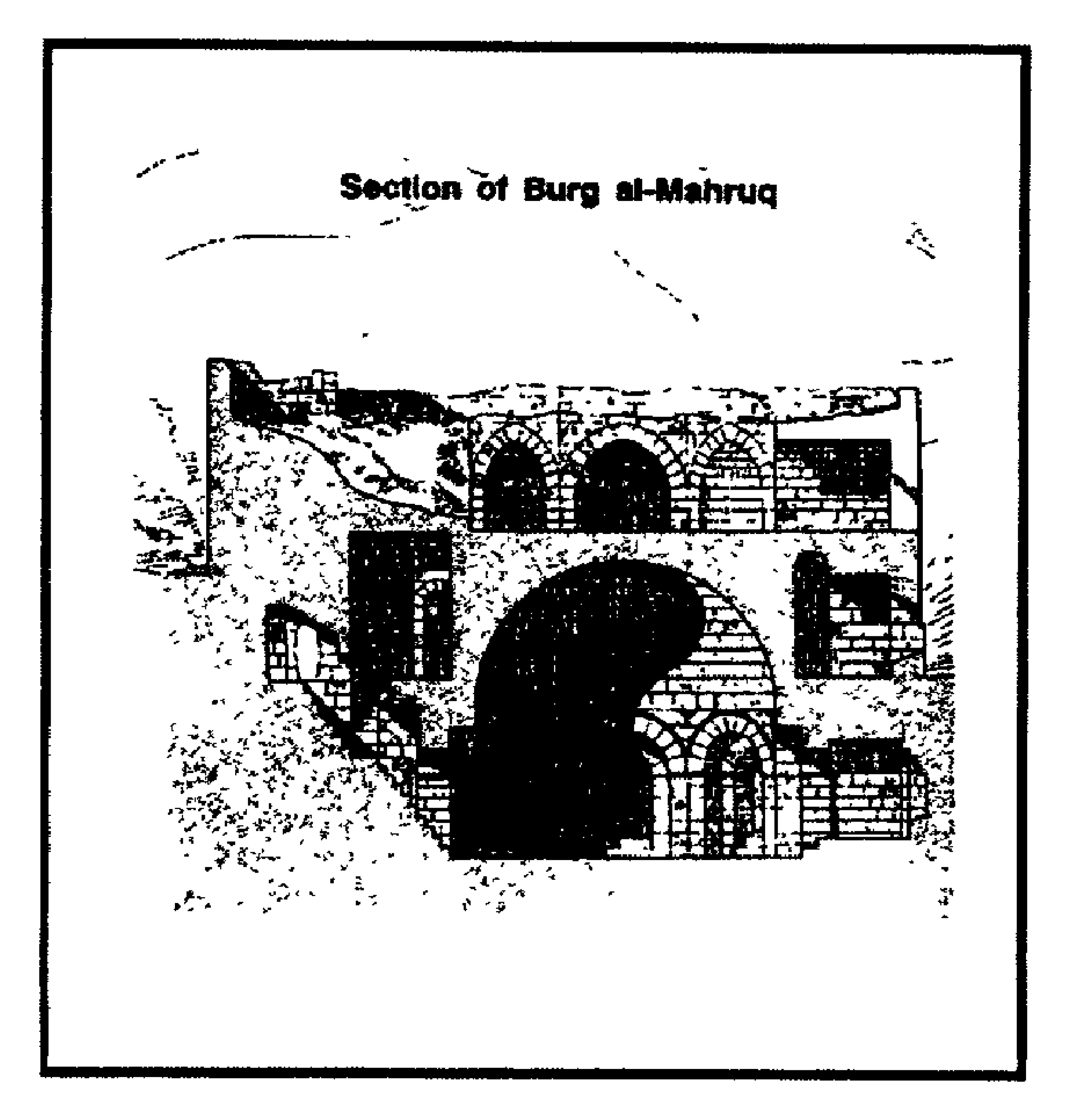


رسوم توضيحية توضح مدى قوة ومناعة الأبراج المفصلية



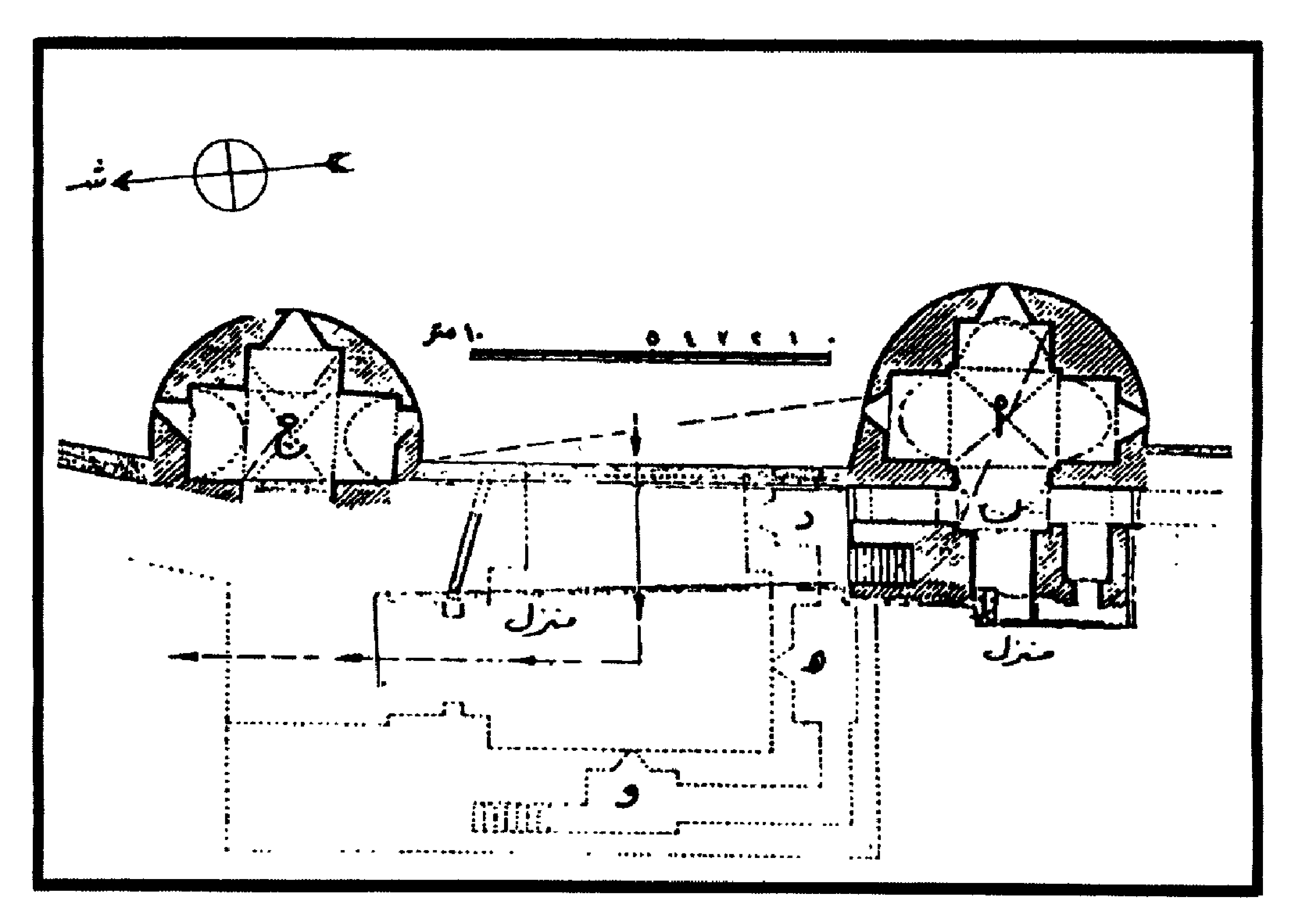
شكل (١٢)

برج درب المحروق. مساقط أفقية وقطاعات رأسية



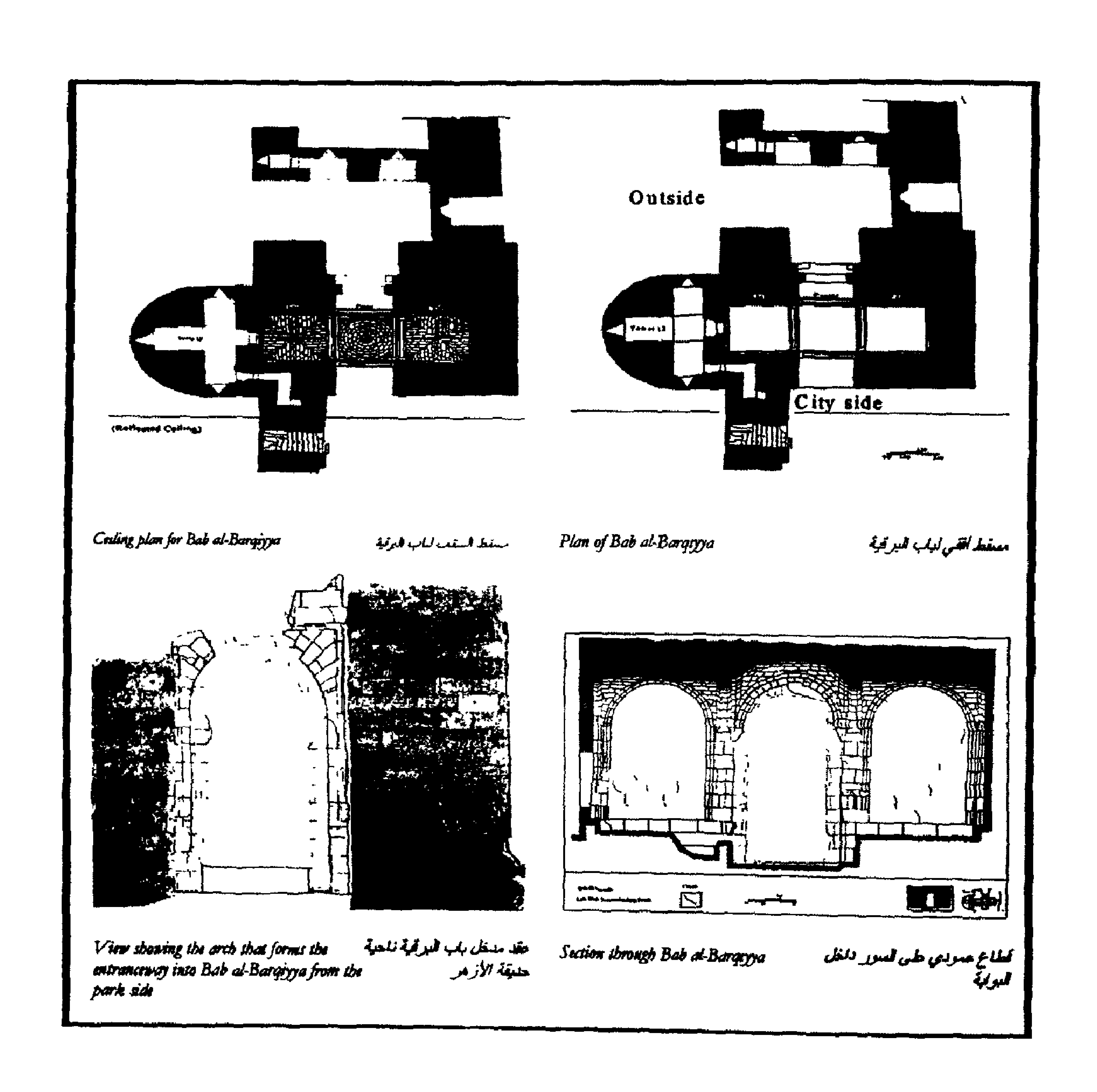
شكل (١٣)

برج درب المحروق . قطاع رأسى



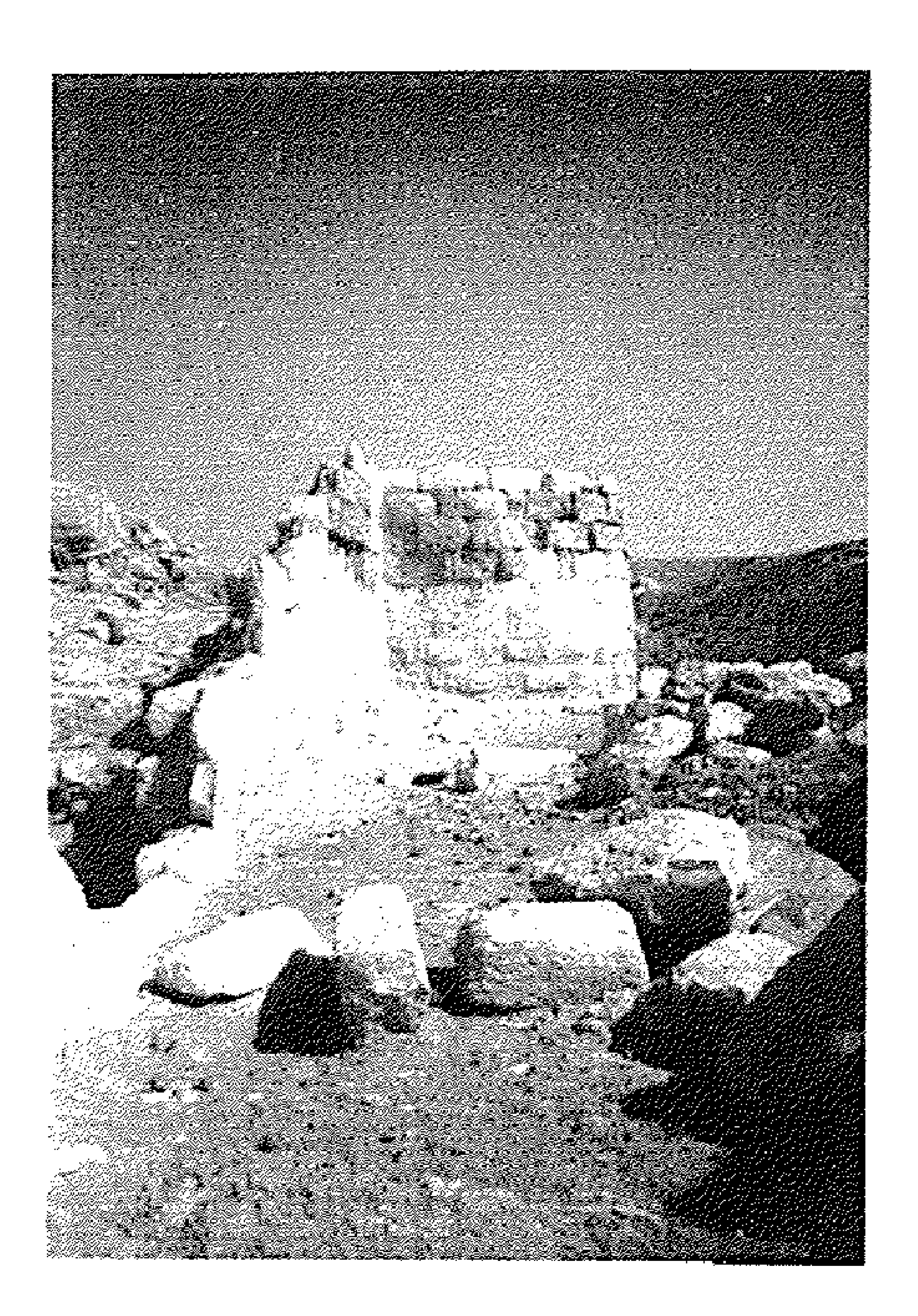
شكل (١٤)

الباب المحروق . مسقط أفقى



شكل (١٥)

باب البرقية. مسقط وقطاع رأسى



صورة (١) بقايا اسوار مدينة الفسطاط



صورة (٢) أولى مراحل الكشف عن السور الشرقى بباب الوزير



صورة (٣) المراحل الأولى للكشف عن سور صلاح الدين الشرقى



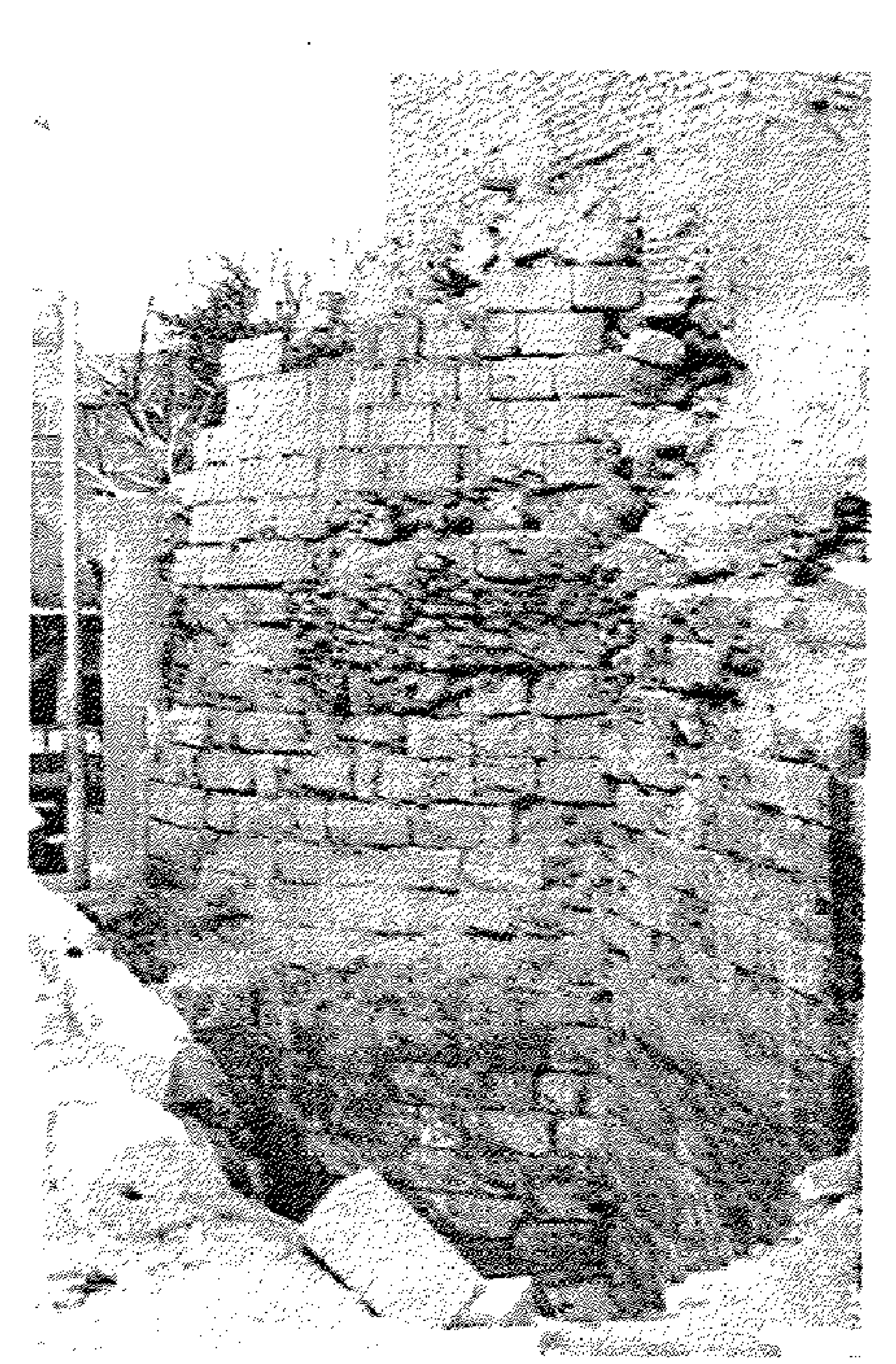
صورة (٤) احدى المراحل الأولى للكشف عن السور الشرقى بباب الوزير



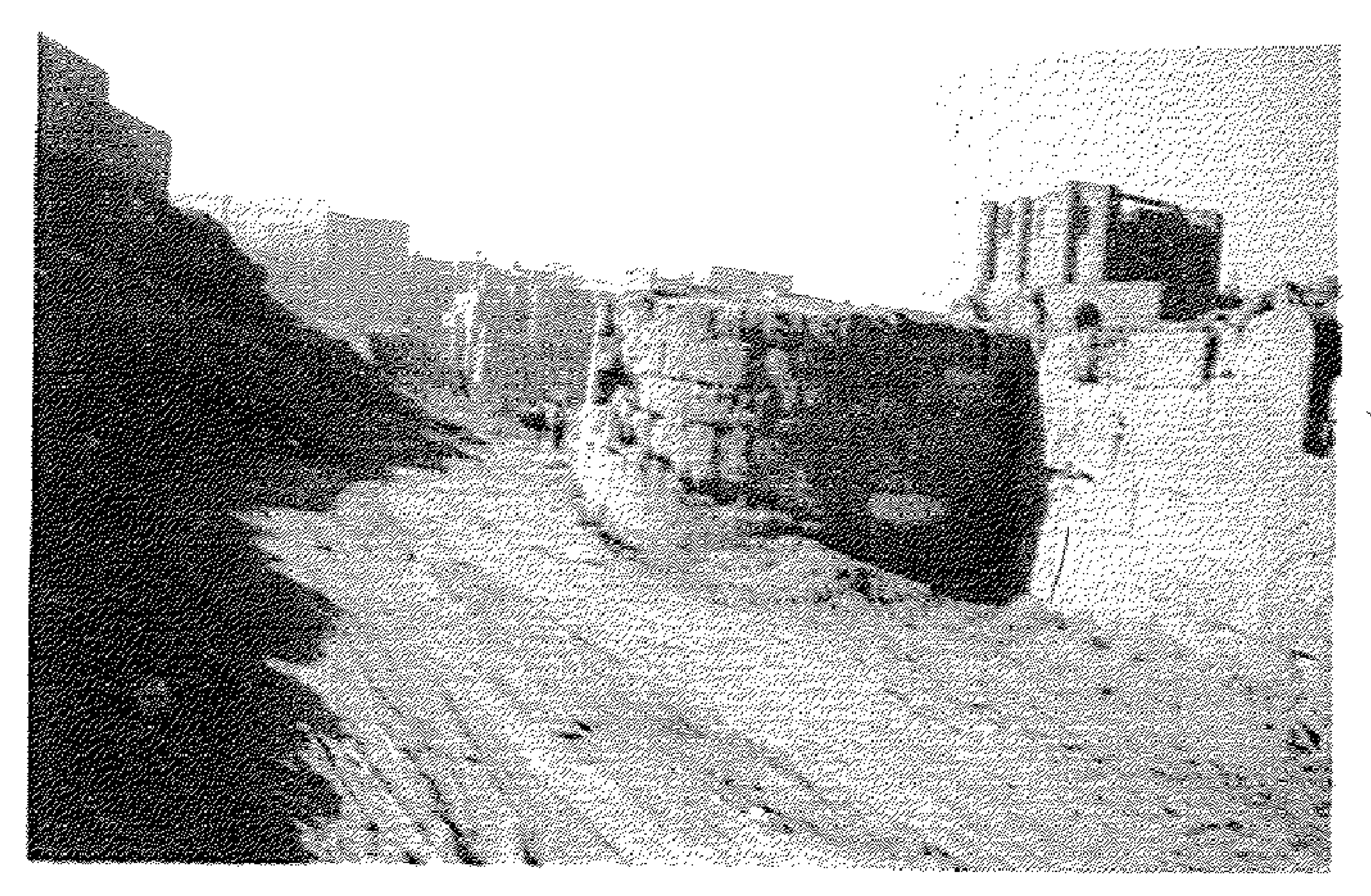
صورة (٥) السور الشرقى صورة للوضع العام ١٩٩٥ م



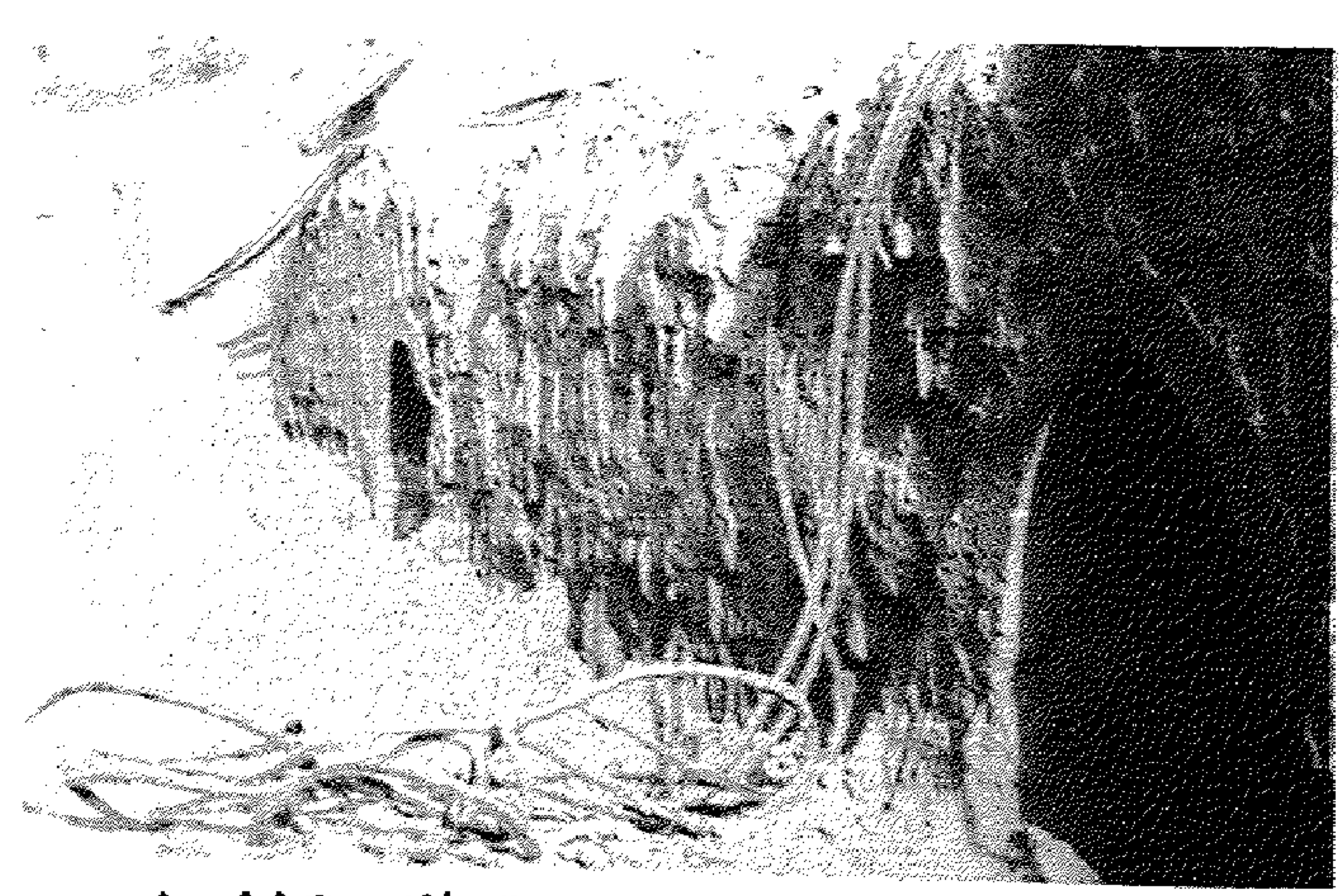
صورة (٦) الكشف عن الممر العلوى للسور الشرقى



شكل (٧) أحدى أبراج الشور الشرقى فى منطقة باب الوزير



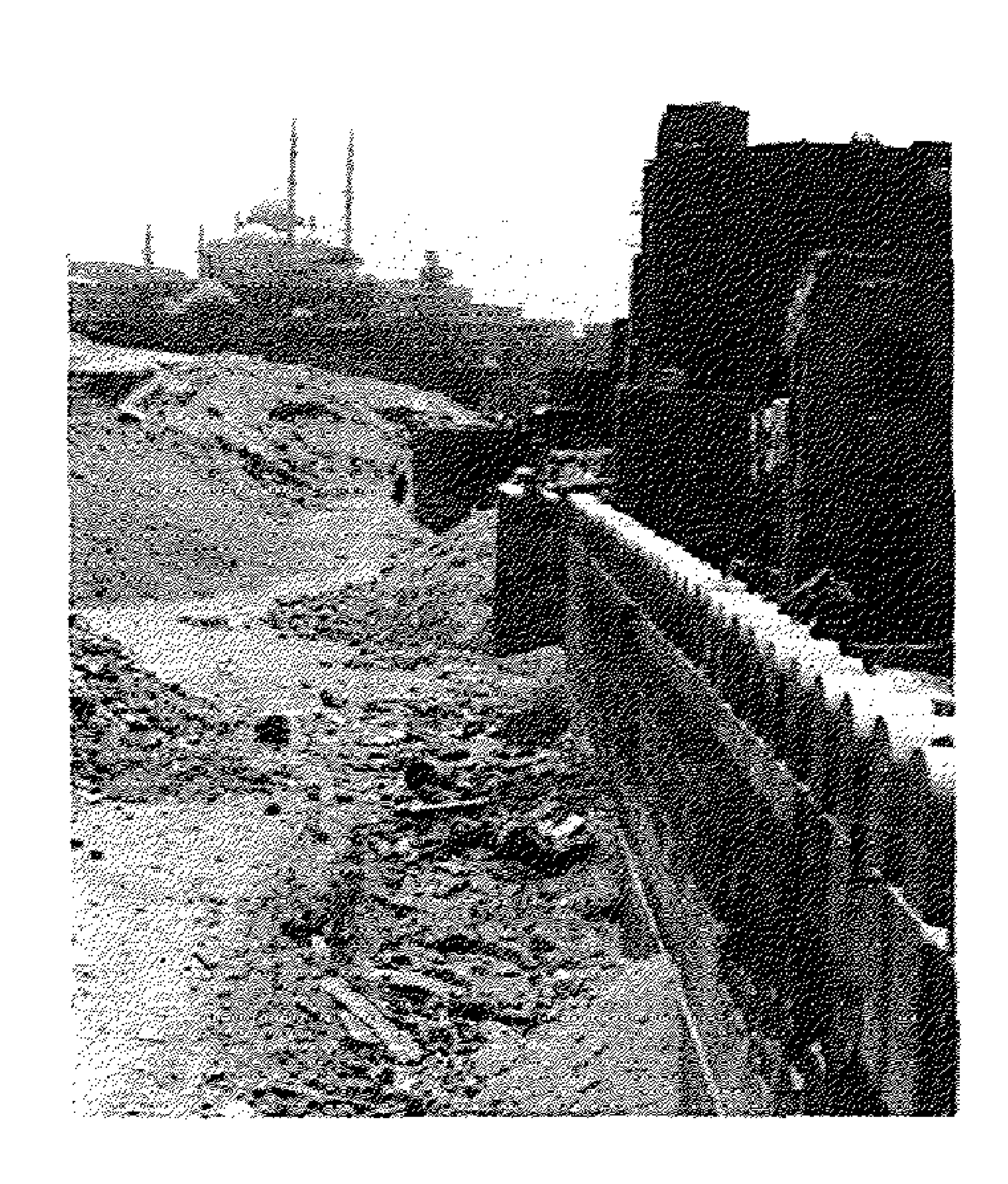
شكل (٨) السور الشرقى أثناء الكشف عنه . الدرب الأحمر



صورة (٩) امتداد سور صلاح الدين الشرقى أثناء الكشف عنه



صورة (١٠) سور صلاح الدين الشرقى أثناء الكشف عنه



صورة (١١) سور صلاح الدين الشرقى أثناء الكشف عنه عام ١٩٩٦



صورة (١٢) أعمال الكشف عن سور صلاح الدين الشرقى



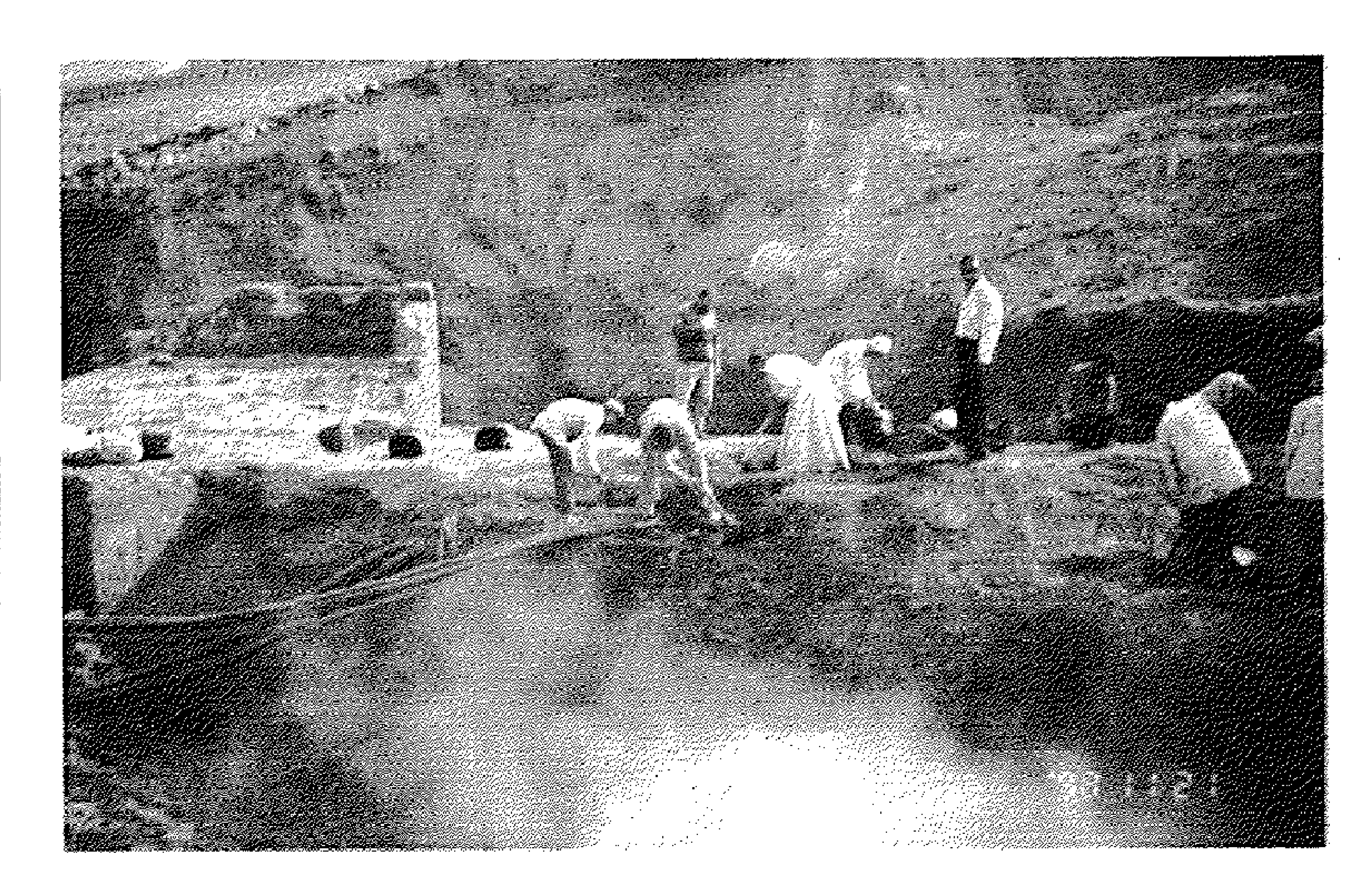
صورة (١٣) احدى مراحل الكشف عن السور الشرقى بالدرب الأحمر



صورة (١٤) احدى مراحل الكشف عن السور الشرقى بالدرب الأحمر



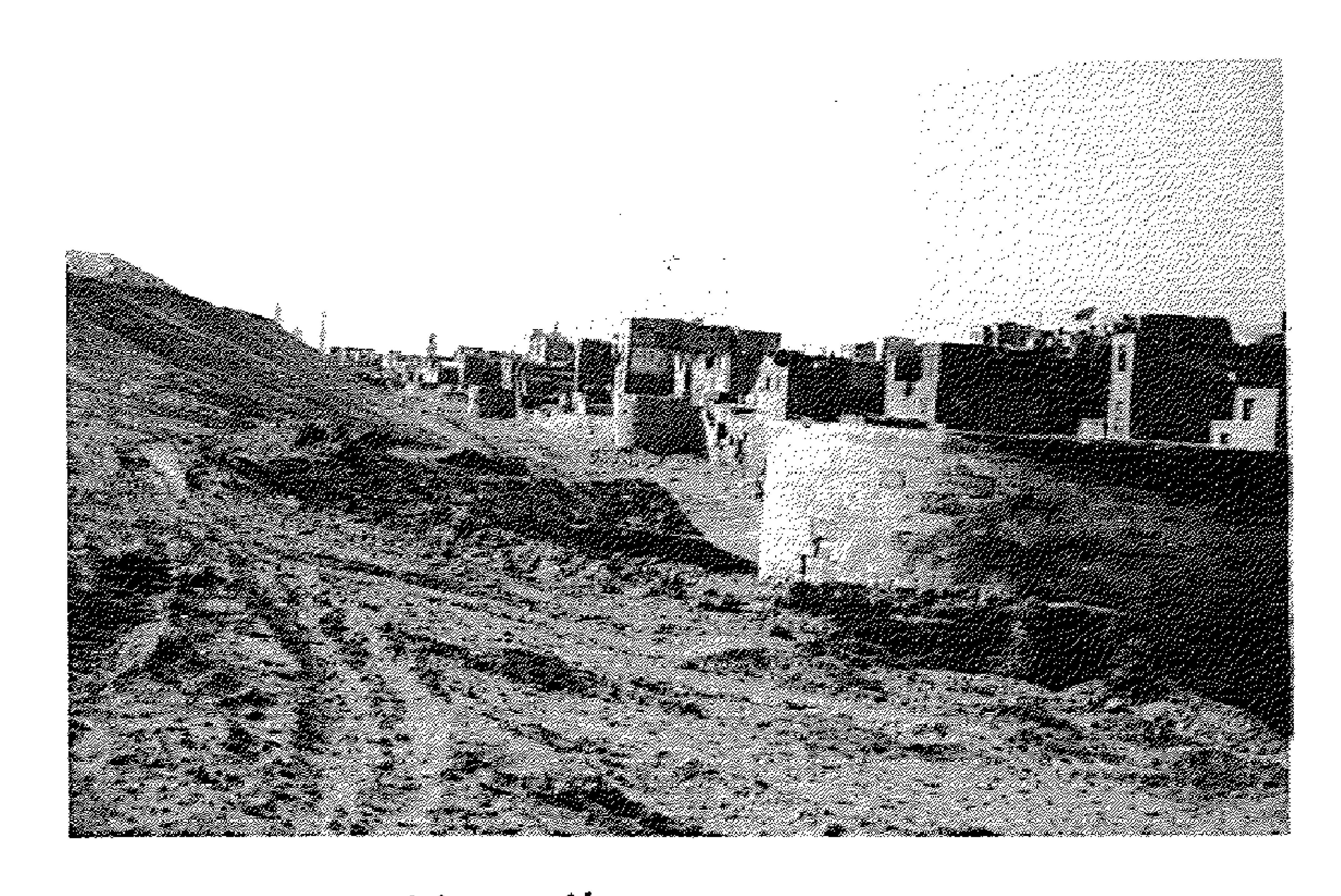
صورة (١٥) سور صلاح الدين الشرقى أثناء الكشف عنه



صورة (١٦) امتداد اعمال الكشف عن سور صلاح الدين بعد برج المحروق



صورة (١٧) انحناء سور صلاح الدين الشرقى قبل برج المحروق



صورة (١٨) برج المحروق أثناء الكشف عنه



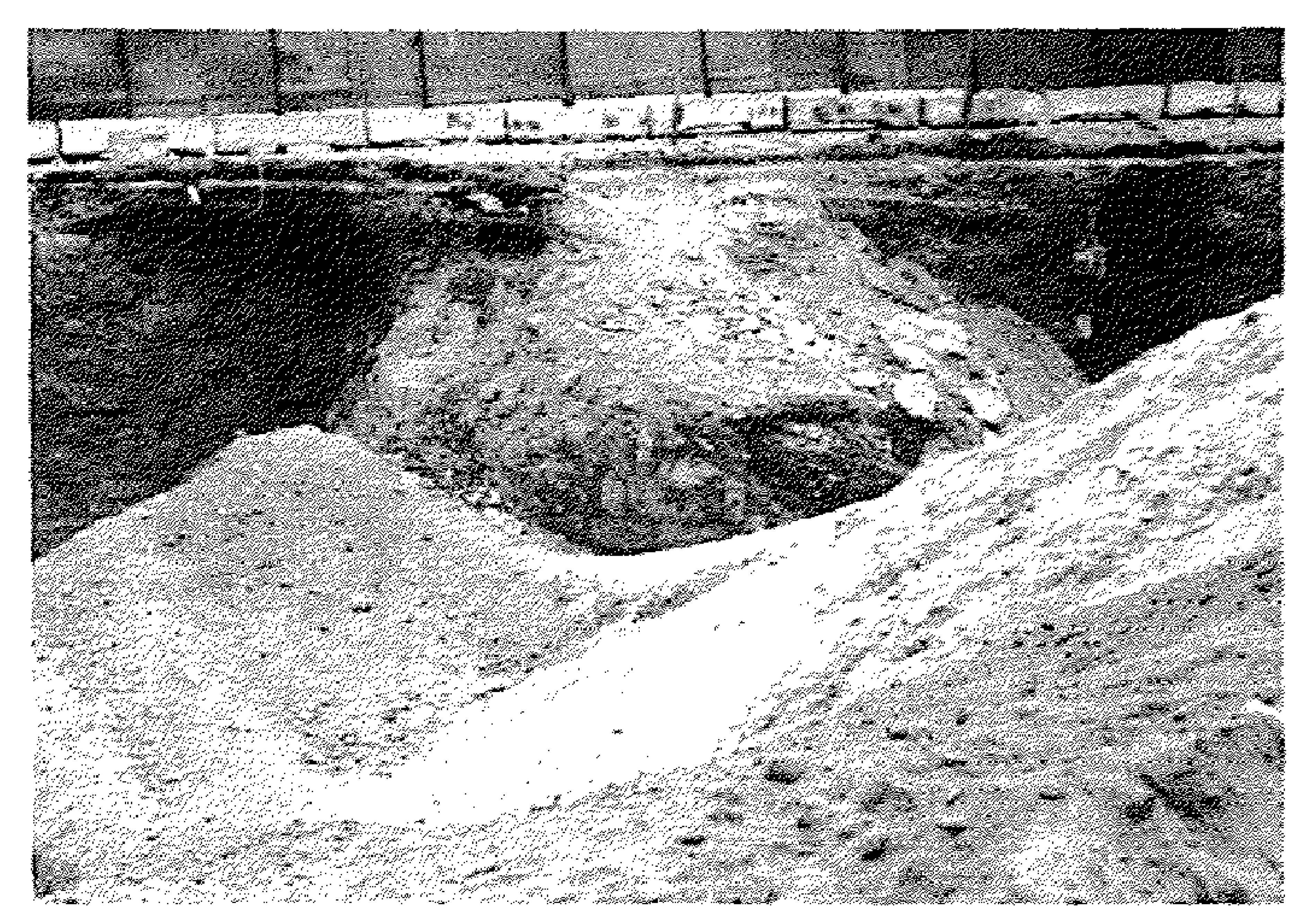
صورة (١٩) برج المحروق بعد الكشف عن امتداد السور الشرقى شماله



صورة (٢٠) المنطقة التى كشف أسفلها
عن امتداد السور السور الشرقى بعد برج المحروق

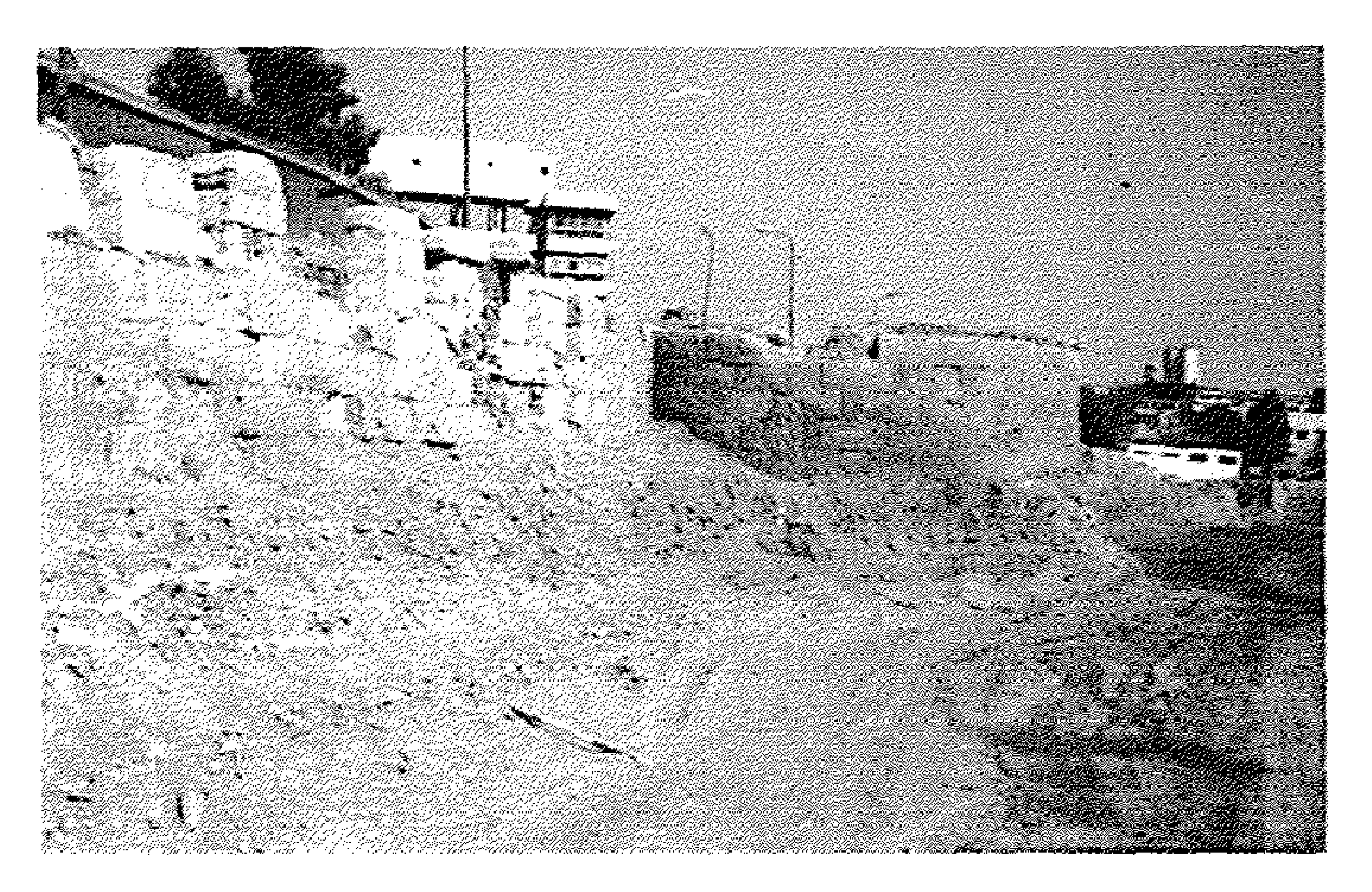


صورة (٢١) امتداد السور الشرقى بعد برج المحروق أثناء الكشف عنه

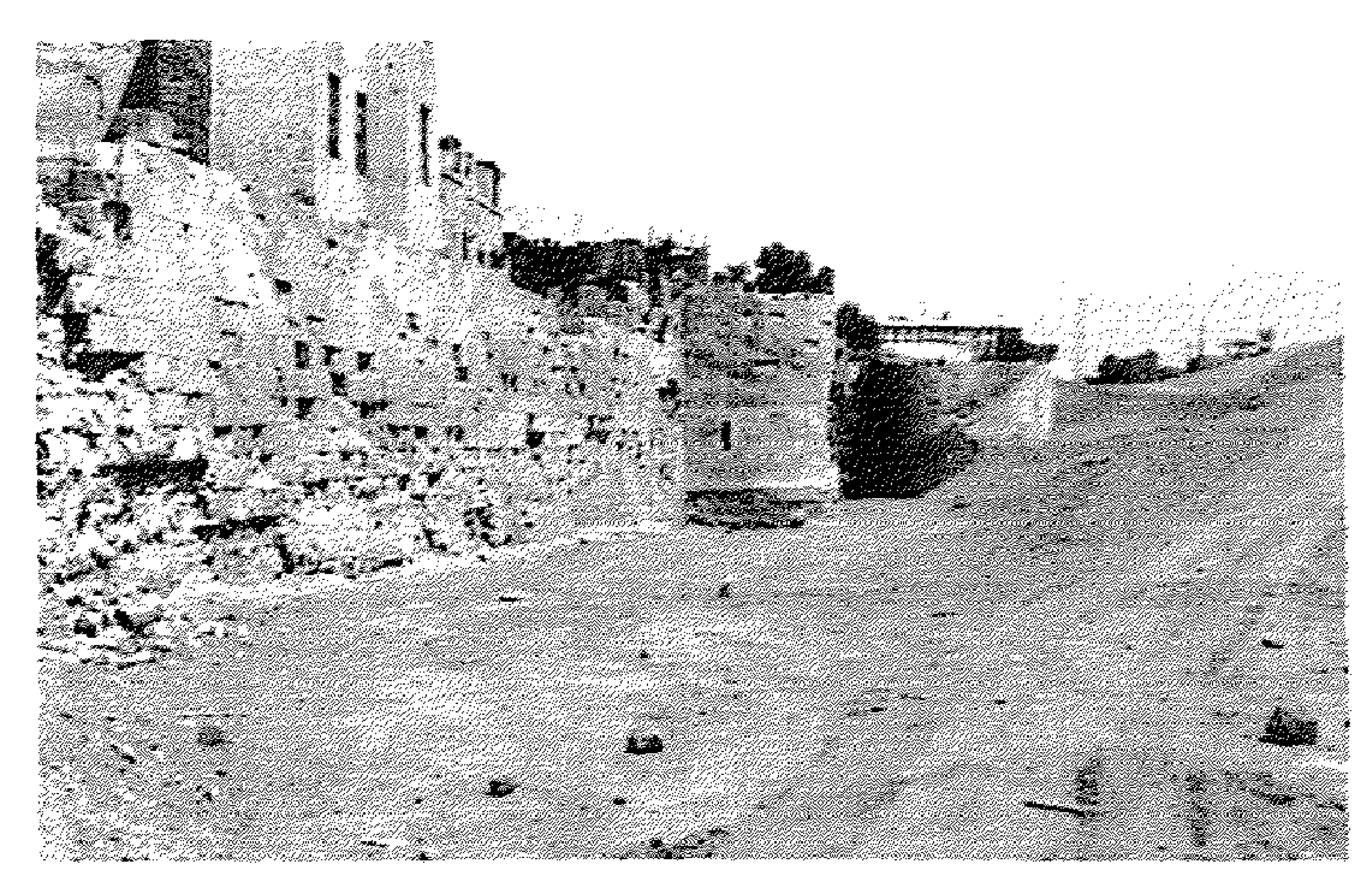


صورة (٢٢) احدى مرحل الكشف عن امتداد

السور الشرقى بعد برج المحروق



صورة (٢٣) احدى أبراج السور الشرقى بعد برج المحروق

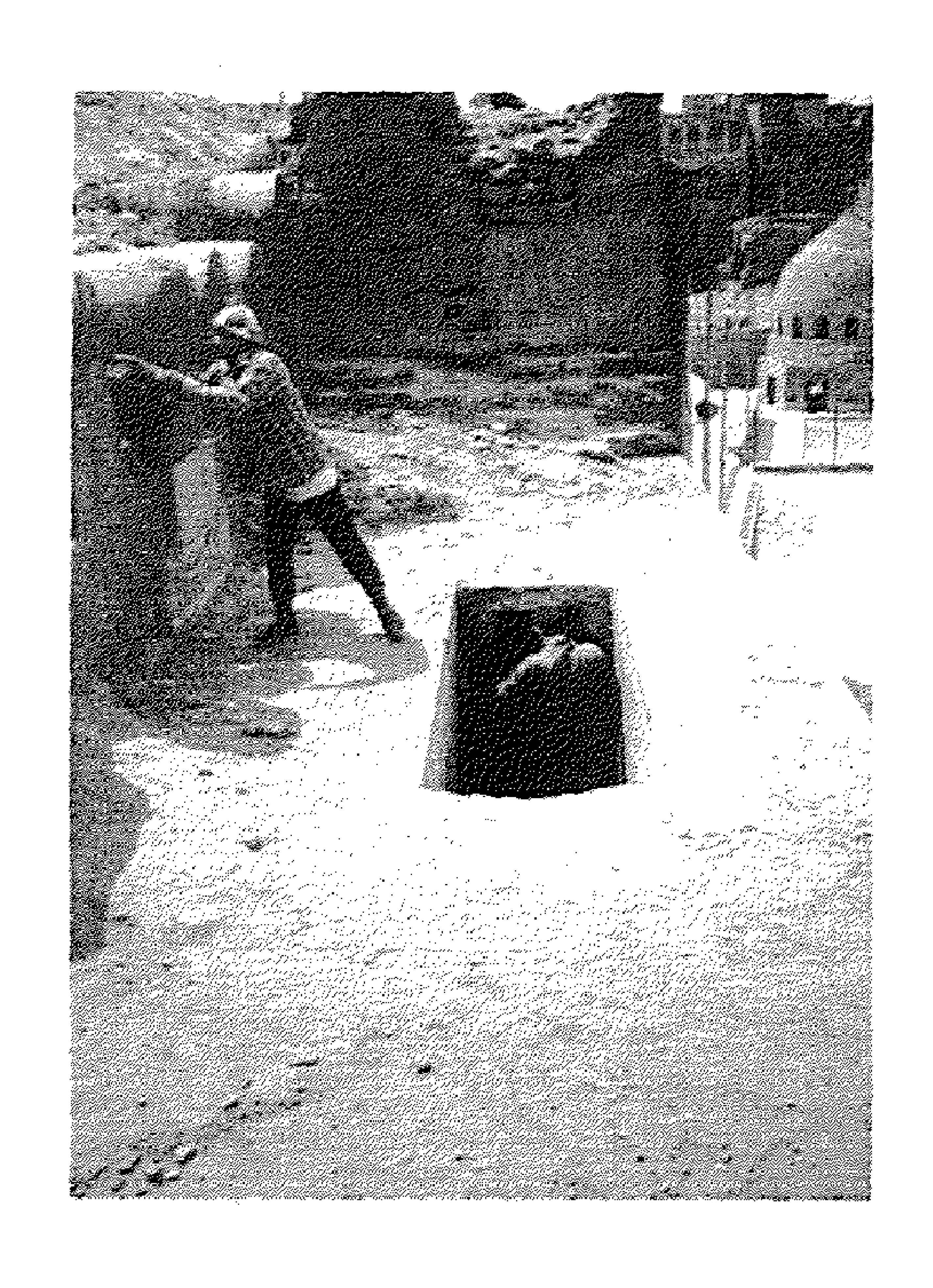


صورة (٢٤) سور صلاح الدين الشرقى بالباطنية

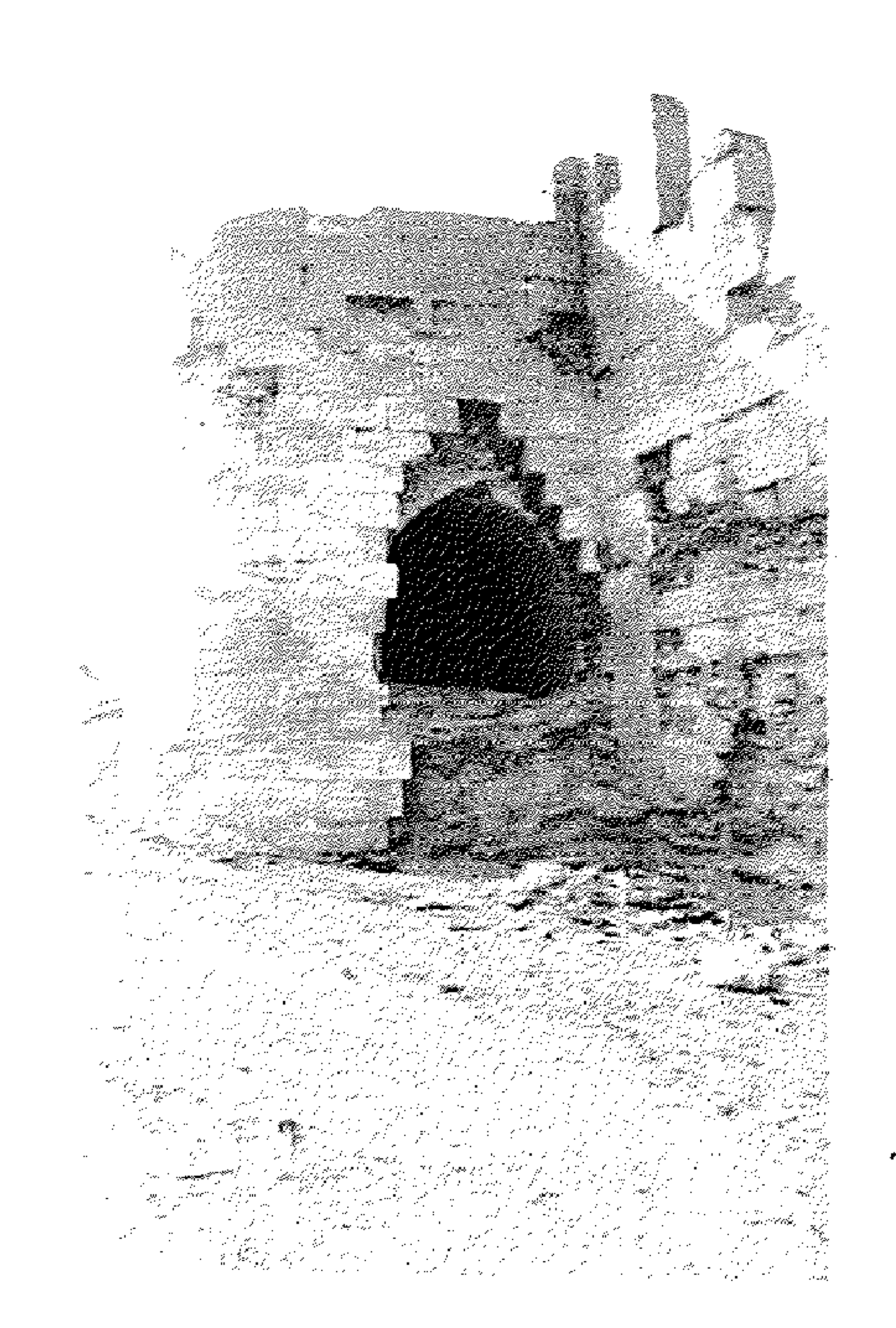
ويظهر فى الصورة برج المحروق



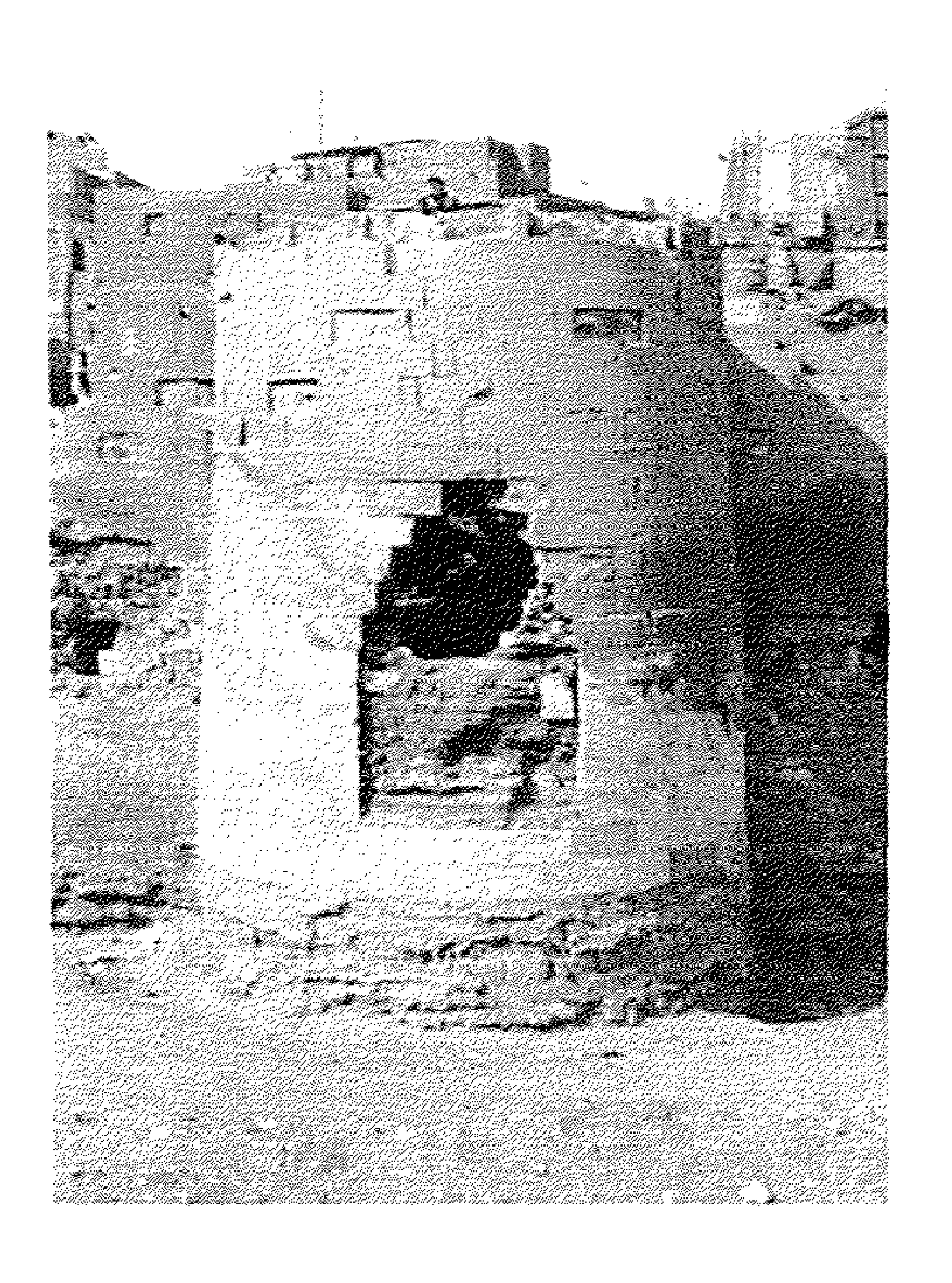
صورة (٢٥) قبو أحدى أبراج الدرب الأحمر



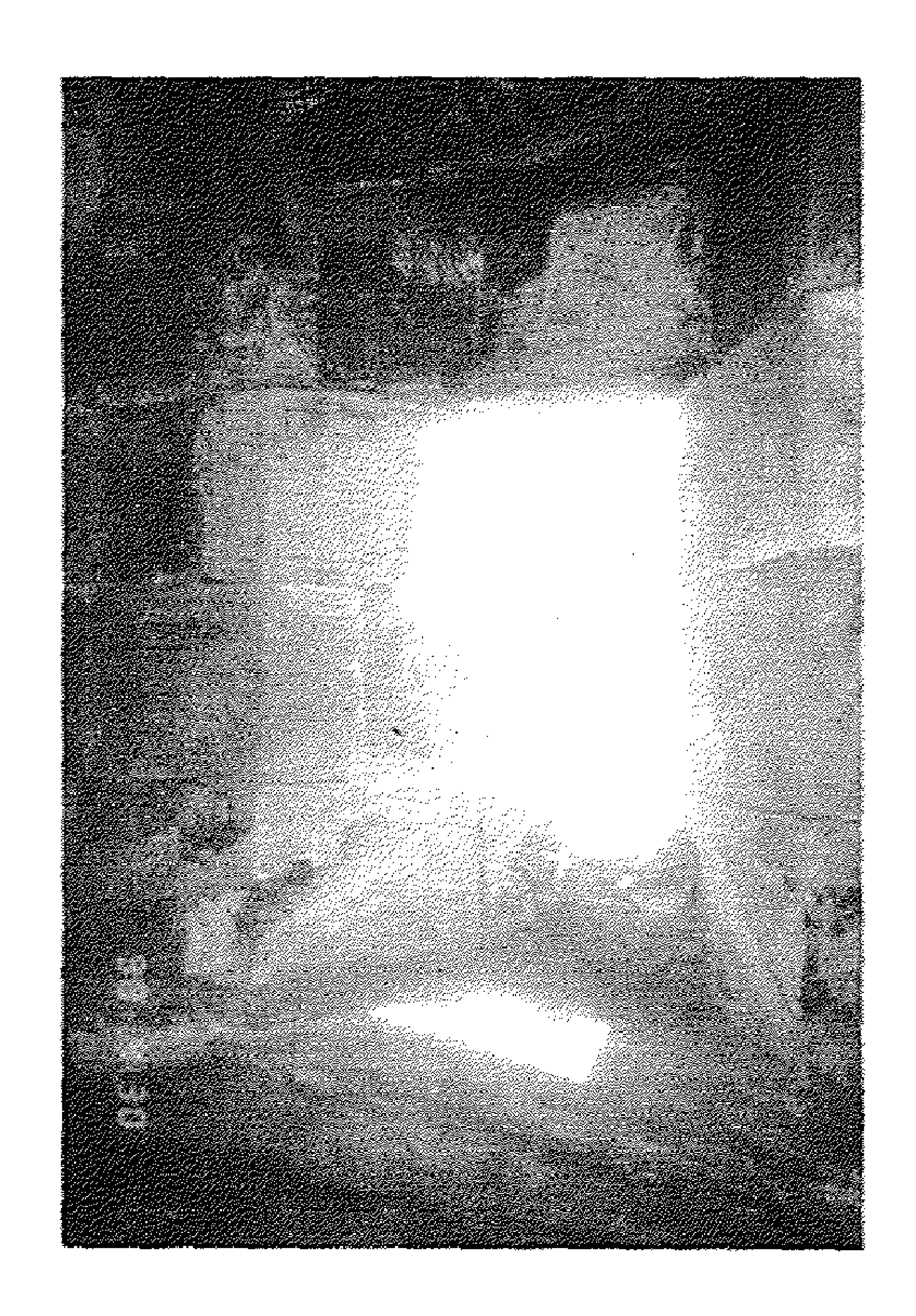
صورة (٢٦) الكشف عن سلم صاعد فى أحد أعراج السور الشرقى



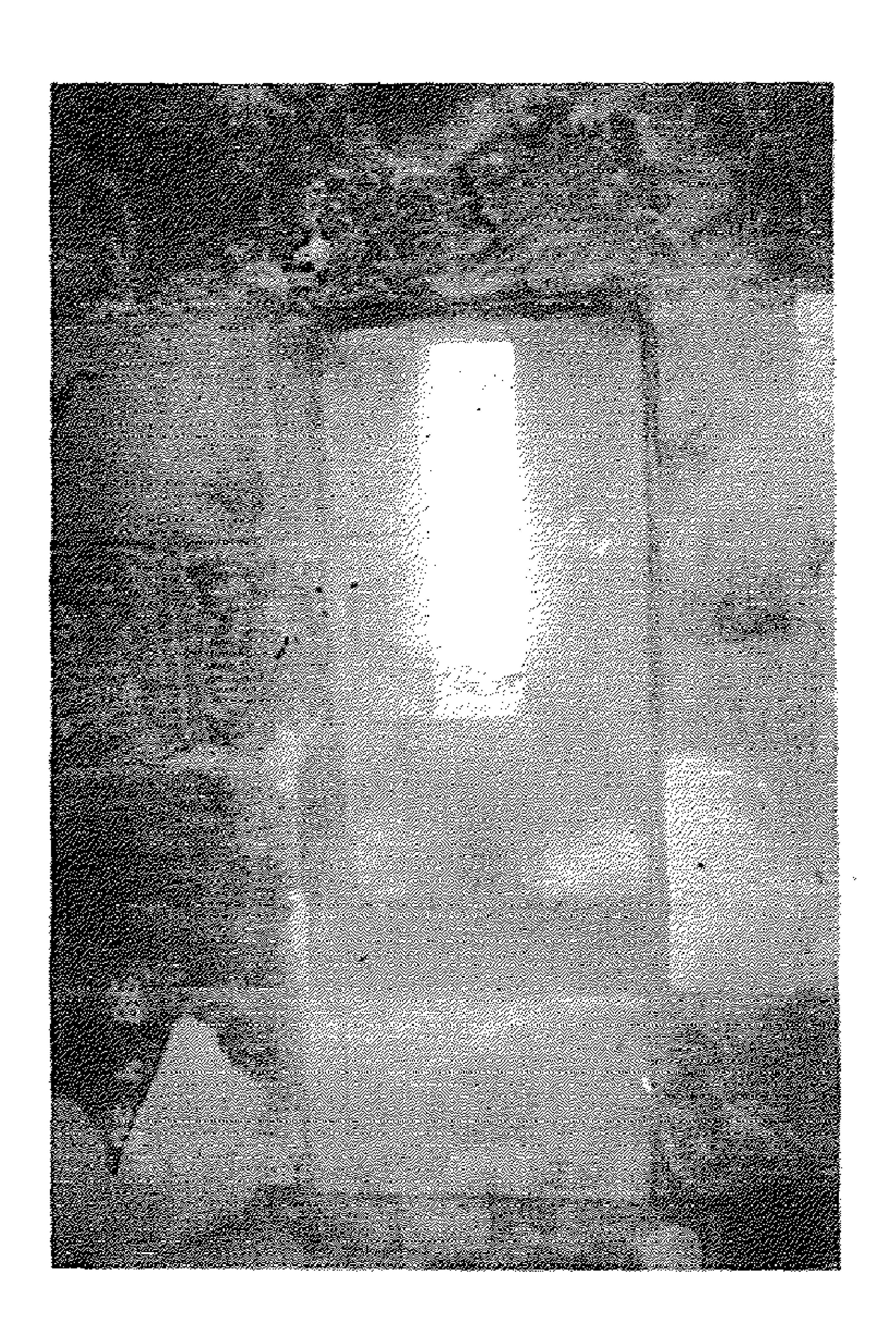
صورة (٢٧) سور أحد الأبراج النصف دائرى ذات المزاغل السفلية سور صلاح الدين الشرقى



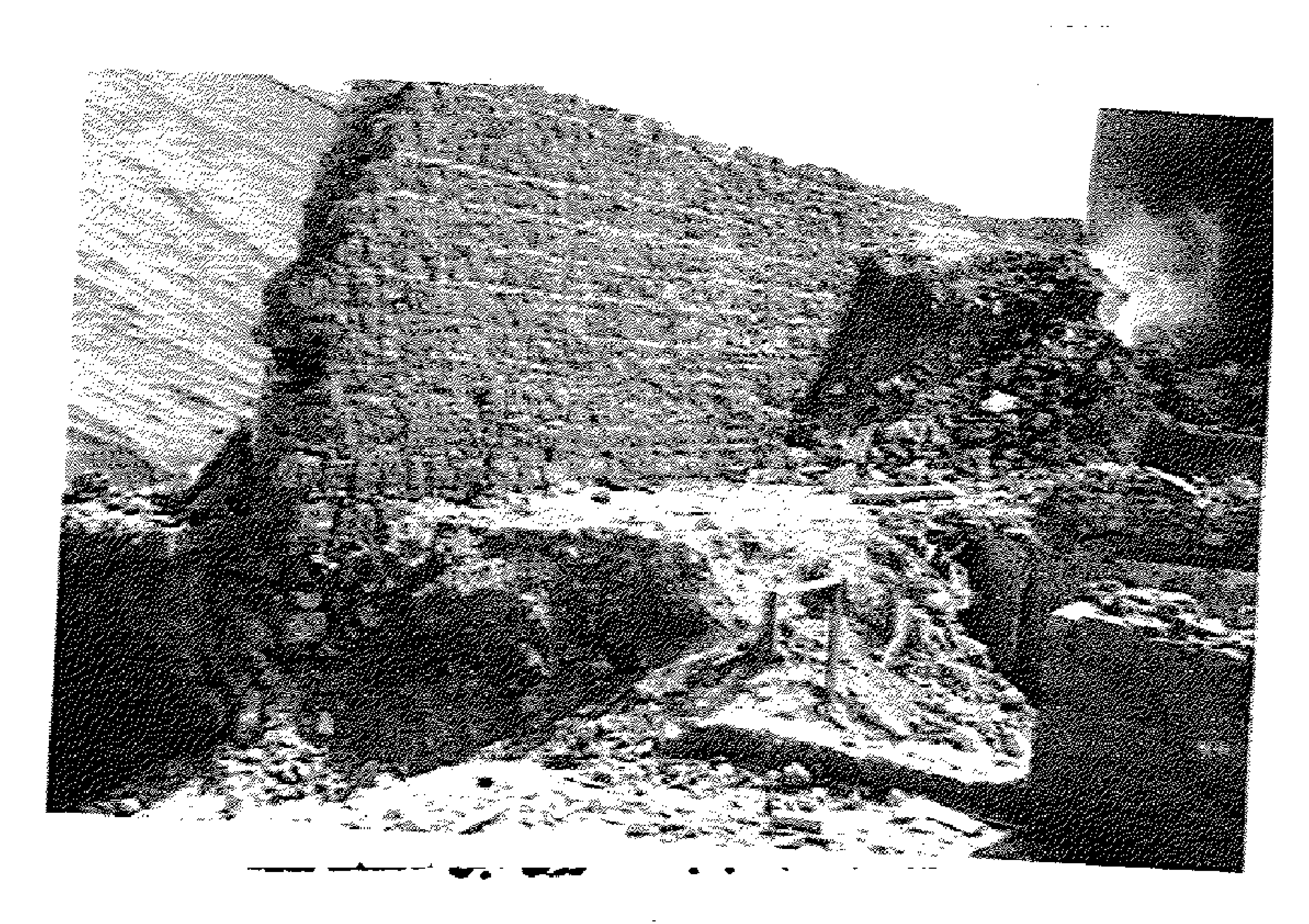
صورة (٢٨) أحد أبراج سور صلاح الدين الشرقى ذات المزاغل العلويه



صورة (٢٩) أحد مزاغل الأبراج



صورة (٣٠) أحد مزاغل حجرات الرماية





صورة (٣٢) باب البرقية أو الباب الجديد أثناء الكشف عنه



صورة (٣٣) سور صلاح الدين الشرقي بعد الكشف عنه



صورة (٣٤) سور صلاح الدين الشرقي بعد الكشف عنه



صورة (٣٥) سور صلاح الدين الشرقي بعد الكشف عنه

الفصل الثاني

قلعـــة صـــلاح الدين

قلعة صلاح الدين

التأسيس والتكوين:

مرت قلعة الجبل (شكل رقم ١٦) (صورة رقم ٣٧، ٣٨) بمرحلتين أساسيتين، الأولي هي مرحلة التأسيس التي بدأت علي يد صلاح الدين وانتهت بانتقال الكامل بن العادل الأيوبي إلي القلعة ليتخذها مقرا لحكمه عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م[١] . في هذه المرحلة باتت القلعة تستكمل مقوماتها كحصن حربي ومقر للحكم. والمرحلة الثانية تبدأ من عصر الكامل إلي نهاية عصر الناصر محمد بن قلاوون، ونستطيع أن نعتبرها فترة تكوين مقومات القلعة كمقر للحكم، وبعد حكم الناصر لم تضف إلي القلعة منشآت جديدة تدل علي تحولات مثيرة، سوي بعض الإضافات والتعديلات والتجديدات خاصة في العصر العثماني، يبقي عصر محمد علي فترة حاسمة في تاريخ القلعة، إذ حدث فيه تغير في التعبير المعماري كان انعكاسا للوضع السياسي الجديد، وهو ما سيأتي الكلام عنه في حينه.

طور التأسيس:

بنيت القلعة علي نتوء صخري ارتفاع ٧٥م يمتد غربا من جبل المقطم وهو في منتصف الطريق بين القاهرة والفسطاط. وطبقا لرواية المقريزي اختار صلاح الدين موقع القلعة بنفسه بواسطة تعليق ثلاث قطع من اللحم في ثلاث مواقع، كان موقع الرصد هو أكثر هذه المواقع التي بقي فيها اللحم أطول فترة ممكنه دون أن يفسد، وهو ما يوضح لنا أهمية المميزات البيئية والصحية في اختيار الموقع. وبالرغم من ذلك وقع اختيار صلاح الدين علي موقع القلعة الحالي لأسباب استراتيجية، فهذا الموقع يطل ويهيمن علي مدينة القاهرة في الشمال الغربي

---

(١) المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٨٥ م، ج ٢، ص ٢٠٣.

ومدينة الفسطاط في الجنوب. والمسافة النادرة السكان بينهما، والممر أو الطريق الشمالي الجنوبي بينهما، فضلا عن أنه قريب منهما بوضع يكفل للقلعة الإمدادات فحالة الحصار، وموقعها منعزل عما حولها مما يجعلها ملجأ آمنا للحاكم في حالات الاضطرابات السياسية. فضلا عن تأثر صلاح الدين بنمط القلاع الجبلية في الشام والعراق. لم يكن صلاح الدين ورجاله أول من التفت إلي أهمية موقع القلعة، فقد كان متنزها، إذ شيد فيه حاتم بن أبي هرثمه قبة الهواء وذلك فيما بين عامي ١٩٤-١٩٥هـ /٨٠٩-٨١١م[١]، واستعملت من قبل الولاة العباسيين وأقام بها الخليفة المأمون عند زيارته لمصر، ودارت بها العديد من الأحداث السياسية إلي أن دمرت مع تدمير الجيش العباسي للقصر والميدان الطولوني اللذين كانا يقعان أسفلها [٢]وكان ابن طولون ومن خلفه قد اعتنوا بها لذا عدها العباسيون جزءا من رموز السلطة الطولونية المستقلة عن دولة الخلافة، يري كازانوفا أن مكان قبة الهواء كان يقع في المكان المعروف حاليا بمتحف الشرطة والقاعة الأشرفية المكتشفة حديثا [٣]، غير أن ناصر الرباط قد أجري سلسلة من التحليلات انتهي فيها إلي أن موقعها في موقع مسجد الناصر محمد بن قلاوون [٤] والذي ذهب إليه يقرب من الصواب، إذ أن هذا الموقع شغل جزء منه مسجد سعد الدولة والذي يرجح أنه شيد لأداء الصلاة في هذا الموقع المنعزل عن العمران

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٢.

كريزويل، وصف قلعة الجبل، ترجمة د. جمال محرز - مراجعة د. عبد الرحمن زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - ١٩٧٤ م، ص ١٩.

بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ترجمة د. احمد دراج - د. مراجعة جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - ١٩٧٤ م، ص ٦١ - ٦٢.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٣) كازانوفا، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٤) Nasser; The Citadel Of Cairo,p53.

وربما أسسه حاتم بن هرثمه مع تشييده القبة وهذا المسجد ربما جدد في العصر الفاطمي، ومن الطبيعي أن تشيد قبة الهواء في اتجاه العسكر حاضرة العباسـيين في مصر، فضلا عن أن هذا الموقع نستطيع أن نري منه الاهرامات والنيل حينئذ. والمكان الذي اقترحه كازانوفا لموقع قبة الهواء كان يطل علي صحراء جرداء في العصر العباسي، وإذا دققنا في سبب ترجيح كازانوفا له س نجد أنه اعتمد علـي مقولة المقريزي أن قبة الهواء كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبـل [١] ولم يحدد اتجاهها. وتعلق الأمر هنا باستنتاج من كازانوفـا، غيـر أن معطيـات الموقع وما تحته من امتداد عمراني ترشح ما ذهب إليه ناصر الرباط. وما سـبق يعطينا دلالات أن هذا الموقع له جاذبيته السلطوية منذ فترة مبكرة. وقبة الهـواء نرجح أنها كانت تسمح لمن يجلس بها بالاستمتاع بما يراه منها من معالم، فضلا عن أنه من المرجح ألحاق مرافق بها للإقامة وتساعد علي أداء الولاة دورهم في حالة وجودهم بها، ولاشك أنه ألحق بالقبة مسـجد أو مصـلي لأداء الصـلوات الخمس في المكان المنعزل، ومن المحتمل أنه كان في موضع أو في جـزء مـن موضع مسجد سعد الدولة. ولفرط أهمية قبة الهواء وما جري بها من أحداث فقد ظلت ذكراها تتردد في المصادر التاريخية، وشيد في موضع القلعة عشرة مساجد في العصر الفاطمي[٢] بقي منها الآن مسجدان مسجد سعد الدولة الذي شيد فـي

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢ ص، ٢٠٢.

(٢) ذكر كل من ابن عبد الظاهر والمقريزي هذه المساجد ومنها: مسجد سعد الدولة ومسجد معز الدولة ومسجد شقيق الملك ومسجد ابن الملك سنان الدولة ومسجد ركين ومسـجد عبد الجبار ومسجد أبي منصور قسطة ومسجد القاضي النبيه ومسـجد العـدة ومسـجد الديلمي .

ابن عبد الظاهر، الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية، تحقيق د. ايمن فؤاد سـيد، الدار العربية للكتاب، ص ١٣١- ١٣٢.

المقريزي، الخطط، ج ٢ ص ٢٠٢ – ٢٠٣.

موقعه مسجد الناصر محمد بن قلاوون ومسجد قسطة الذي شيد في موقعه مسجد سارية الجبل [١]. وهدمت بعض هذه المساجد عند تأسيس القلعة[٢].

قلعة الجبل في عهد صلاح الدين (شكل رقم ١٧)

إذا أردنا أن نحلل التطور الطبوغرافي للقلعة طبقا للتحولات السياسية المختلفة التي طرأت عليها فلابد وأننا سنتعامل مع مشيدها، وكذلك من أدخلوا تعديلات جوهرية عليها. عهد صلاح الدين الأيوبي إلي بهاء الدين قراقوش[٣]

---

(١) كازانوفا، مرجع سابق، ص ٦٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢،، ص ٢٠٣.

(٣) قراقوش: هو أبو سعيد عبد الله الأسدي الملقب ببهاء الدين، ونعته بالأسدي يرجع إلي نسبته إلي أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين، فقد جنده بالجند الأسدية، وبعد وفاة شيركوه انتقل إلي خدمة صلاح الدين الأيوبي، ويرجح بعض المؤرخين أنه رومي الأصل كما نعت بأنه خصي لذلك فقد كان من رتبة طبقة الخصيان في الدولة الأيوبية، وربما يكون من أسري الحروب أو مملوكا وقد تولي العديد من المناصب في دولة صلاح الدين حتي شهد له بالكفاءة بدءا من فرض سيطرته علي القصر الفاطمي إلي تشييده قلعة صلاح الدين وأسوار العاصمة المصرية وشيد أيضا قلعة فرعون ورمم سور دمياط، وقام بعمارة أسوار عكا، وكان أمينا لأولاد صلاح الدين بعد وفاته وظل يحفظ ملكهم إلي أن تولي العادل حكم مصر، توفي بهاء الدين قراقوش عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م وقد ألف أعداؤه ضده العديد من الروايات والأكاذيب استندوا فيها علي شدته وصرامته كرجل دولة ناجح.

انظر: العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٢٠٩، تحقيق وشرح محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦٥ م.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٩١.

عفاف صبره، بهاء الدين قراقوش، الوزير المفتري عليه، من ص ١٣٦: ص ١٨١ . مجلة الدارة العدد الثاني، السنة الثالثة عشر، محرم ١٤٠٨ هـ / أغسطس ١٩٨٢ م

تشيد قلعة الجبل استخدم بهاء الدين قراقوش الأسري الصليبين في بناء القلعة[١] وهو ما وفر عليه الكثير من الأموال والوقت اللازم لتدبير العمالة اللازمة لأعمال قطع الأحجار في منطقة الخندق المتاخم للقلعة والتي تفصل القلعة عن جبل المقطم. وتوحي ملحوظة ابن جبير حول قطع الأحجار بأن هذه الأحجار كانت تستخدم في بناء أبراج وأسوار القلعة، وهو ما يوفر المال والوقت والجهد.وأعتمد بعض الباحثين علي ما ذكره ابن جبير في دحض ما فهم خطأ من رواية عبد اللطيف البغدادي عن استخدامه أحجار الاهرامات الصغيرة في الجيزة في بناء القلعة، غير أن رواية البغدادي تفيد أنه استخدم هذه الأحجار في بناء جسر بين الجيزة والفسطاط، يتكون من أربعين عقدا[٢]، غير أنه اكتشفت أثناء أعمال الكشف عن أسوار صلاح الدين الشرقية في عام ١٩٩٨م، نصوص هيروغليفية بالسور تعود لعصر الدولة القديمة تثبت استخدام قراقوش أحجار من منطقة أهرامات الجيزة غير أنه يبدو أنه قد تراجع عن ذلك لعدم جدوي نقل الأحجار من الجيزة إلي موقع السور وبالتالي القلعة.

يعد الفصيل الذي زاد فيه قراقوش ليفصل بين موضع القلعة وجبل المقطم والذي جعل منه خندقا عميقا من أكبر أعمال تأمين القلعة [٣]، ويعتقد بعض

---

(١) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، الرحلة، ص ٢٥. تحقيق حسين نصار. دار نهضة مصر. القاهرة ١٩٨٨ م.

(٢) البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ص ٢٥، كتابات مصرية العدد ١٠، القاهرة ١٩٨٨ م.
العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٢٠٩. تحقيق وشرح محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦٥ م.

(٣) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، الرحلة، ص ٢٥. تحقيق حسين نصار. دار نهضة مصر. القاهرة ١٩٨٨ م.
البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث =

الباحثين أن قلعة قراقوش هي القسم الشمالي من القلعة فقط من القلعة الحالية، ومن هؤلاء كازانوفا[١] بينما يرجح البعض أن يكون قراقوش شيد أجزاء من القسم الجنوبي ومنهم كريزويل [٢] وتعطي المعطيات التاريخية والتحليلية أن قراقوش شيد القسمين معا ولكن حدود القسم الجنوبي تعرضت للتغيير نتيجة لكثافة العمران وتتابعه في هذا القسم. والدليل علي أن القسمين نفذا معا ضمن مخطط القلعة هو القياسات التي أوردها العماد الأصفهاني من الوثائق الرسمية للدولة الايوبية، والذي أفاد بأن محيط القلعة بما فيه أبراجها هو ٣٢١٠ ذراعا هاشميا وهو إما ٢١٠٣ م أو ١٩٧٧م. واستخدم كل من كازانوفا وكريزويل الرقم الأول لإعادة بناء صورة قلعة قراقوش وفي أثناء دراستهما اكتشفا أن الرقم المذكور أكبر من محيط النطاق الشمالي للقلعة، ولكنه أصغر من مجموع النطاقين الشمالي والجنوبي معا. وقدما تفسيرين مختلفين لهذا التناقض [٣]، ومع أن حسابات كازانوفا نتج عنها نقص في ٣٠٠ م لسور القلعة، إلا أنه تمسك بأن النطاق الشمالي للقلعة كان يشكل القلعة الأصلية. أما النطاق الجنوبي وهو النطاق الملكي بدأ يفكر فيه صلاح الدين بعد الانتهاء من بناء النطاق العسكري أو الشمالي ولم يتم بناؤه إلا في عصر الكامل وأوضح كريزويل أن كازانوفا ضمن في حساباته أبراجا وأقساما بناها السلطان الكامل وليس صلاح الدين، وأجزاء من الأسوار بناها محمد علي في القرن التاسع عشر. ووصل إلي أن محيط النطاق الشمالي يقرب من ١٤٠٠ م تاركا ما بين ٥٤٥ و٧٠٠ م غير داخلين في حساباته، وافترض كريزويل أن هذا الفرق يبدأ من برج المقطم (صورة رقم ٣٩)

- المعاينة بأرض مصر، ص ٢٥.

(١) كازانوفا، مرجع سابق، ص. ٨٢ – ٨٣.

(٢) كريزويل، مرجع سابق، ص ١٠١، ١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠١– ١٠٢.

كازانوفا، مرجع سابق، ص٧٦ – ٧٨.

والبرج الوسطاني، وتوقف مفترضا أن الحفريات في النطاق الجنوبي ستؤدي إلي نتائج جديدة. وإذا أردنا أن نبحث عن هذا الفارق في حسابات كازانوفا فعلينا أن نفترض أن النطاق الجنوبي يبدأ من امتداد كل من برج المقطم والبرج الوسطاني. اخذين في الاعتبار أن هذا السور تعرض للتجديد خاصة الامتداد من برج المقطم الذي ينتمي إلي يكن باشا الذي أعاد تجديده في عام ١٧٨٥ م (صورة رقم ٤٠). والجزء الممتد من البرج الوسطاني حتي متحف الشرطة الحالي رممت أجزاء منه وجددت أجزاء أخري في عهد محمد علي يدل علي ذلك المقارنة بين الوضع الحالي وما جاء في خريطة وصف مصر، ويري كريزويل أن السور داخل النطاق الجنوبي والذي يمتد مسافة ٦٥ م جنوب غرب برج المقطم إلي البرج العثماني المضلع الذي علي بئر يوسف[1]. ربما يكون جزءا من الحصن الأصلي وهو ما أكدته شواهد كشف عنها في الثمانينات من القرن العشرين. ويقع برج مماثل بين البئر والركن الجنوبي لمسجد الناصر محمد، ويرتبط البرج الأخير بالبرج الأول بسور يعود لفترة متأخرة.، ويثير وجود هذه الأبراج إلي جوار بئر الماء تساؤلات عديدة منها أن الاهتمام بالبئر تعود إلي أنه يشكل حافة القلعة، وأن الأبراج أحدثت

---

(١) حفر هذا البئر بعمق يبلغ ٩٠ مترا في الصخر لإمداد القلعة بالمياه، وذلك برفعها من أسفل هذا العمق الشديد بواسطة السواقي إلي أعلي، وهو يعد تحفة هندسية معمارية يندر أن يوجد مثلها . وهذا البئر يعود إلي عصر الناصر يوسف صلاح الدين، ولذا عرف ببئر يوسف.

المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٢.

عبد الرحمن عبد التواب، بئر يوسف، مقال بمجلة المجلة العدد ٦٨ سبتمبر ١٩٦٢ م.

عاصم رزق (دكتور) المنشآت المائية في مصر الإسلامية، ص ٢٨٧ - ٢٩٠. بحث في كتاب النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٩٧ م.

سامي نوار (دكتور) المنشآت المائية بمصر، ص ١٠٨ - ١١٢. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ١٩٩٩ م

بها تعديلات أو أعيد بنائها في موضع الأبراج القديمة، فضلا عن أنه من المنطقي أن يكون بئر الماء في داخل القلـــعة.

وإعادة تخيل الجزء الباقي من قلعة قراقوش في النطاق الجنوبي أمر ممكـــن إذا بدأنا بتصور هذا الجزء وفقا لمعطياته فالجزء الممتد من البرج الوسطاني إلي برج الشخص [1] والذي يقع غالبا في موقع برج قديم يعـــود لعصـــر قراقـــوش (صورة رقم ٤١)، هذا الجزء لا شك أنه يعود إلي تخطيط القلعة الأيوبية، ويتخلله باب السر الكبير الذي يشكل أحد محاور الدخول إلي القلعة وموقعه حاليا البـــاب الوسطاني الذي شيد فوقه في تجديدات محمد علي بالقلعة. وهـــذا البـــاب كـــان المدخل إلي النطاق السلطاني بالقلعة ولا يفتح هذا الباب إلا في مناسبات محدده، ويشكل مع الممر الصخري الأيوبي الذي كان يدخل إليه من باب كان يفتح علـــي ميدان القلعة، ومدخل الباب المدرج الذي دلت حفائر القلعة عام ١٩٨٨ (صـــورة رقم ٤٢) أنه كان يقع في موقع أسفل نص تجديد القلعة الذي يرجع إلـــي عصـــر محمد علي (صورة رقم ٤٣)[2]، كان الباب المدرج يفضي إلي النطـــاق الشـــمالي بالقلعة وما زال باقيا منه السلم الصاعد والمدخل المنكسر الذي يفضي إلي النطاق واللذين جددا مرارا خاصة قبة المدخل المنكسر التي جددت في عصـــر الناصـــر محمد بن قلاوون كما هو ثابت بأركانها. والباب المدرج كان له محور آخر يفضي إلي باب السر الكبير، علما بأن النسر الأيوبي ذا الرأسين ما زال موجودا أعلـــي برج الشخص، وهذا البرج يقع علي حافة الطرف الشمالي للنطاق الجنوبي وهـــو يشرف علي الممر الصخري الذي حفره قراقوش لكي يصعد عن طريقه إلي القلعة

---

(١) هذا البرج يأخذ رقم ٨٦ في خريطة وصف مصر. انظر. جومار، وصف مدينة القـــاهرة وقلعة الجبل، ص ١٥٣. ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨ م.

(٢) عرف هذا المدخل في العصر العثماني بباب الشرك لأنه كان يشترك فـــي الـــدخول منـــه طائفتي الإنكشارية وعزبان. جومار، وصف مدينة القـــاهرة وقلعـــة الجبـــل، ص ١٥٣، ترجمة دكتور أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي ١٩٨٨ م.

(صورة رقم٤٤، ورقم٤٥) فضلا عن وجود سور يصل بينه وبين برج الرفرف[١]، والذي يحتمل أنه يرجع إلي قلعة قراقوش ولكنه جدد.

قدم لنا ابن فضل الله العمري أدلة تؤكد ما سبق ذكره فأسوار النطاق الجنوبي عبارة عن ستارة حجرية تكون أحيانا جزءا من منشأة تصل بين أطراف هذا النطاق وليس بها ممرات . ويذكر العمري ذلك بقوله (فأما القلعة، فهي علي نشز عال...... وهي مبنية علي ذلك النشز، ترتفع في موضع وتنخفض في آخر، يدور بها سور حجر بأبراج وبدنات إلي أن ينتهي إلي القصر الأبلق الناصري المستجد بناؤه، ثم من هناك تتصل بدور الملك وليست علي أوضاع أبراج القلاع)[٢].

وإشارة العمري هنا توضح معاملتين مختلفتين للأسوار، الأولي هي معاملة النطاق الشمالي والتي تشتمل علي أبراج تتخلل الأسوار الحربية [٣] (شكل رقم ١٨، ١٩) (صورة رقم ٤٦، ٤٧). والمعاملة الثانية هي معاملة النطاق الجنوبي، وهي ستارة حجرية قد تكون جزءا من منشأة قائمة بالقلعة وربما تم هدم الستارة القديمة لتدمج المنشأة الجديدة في محيط النطاق، والعمري يحدد أن هذه المعاملة تبدأ من القصر الأبلق الذي شيده الناصر محمد بن قلاوون، والذي أعاد تنظيم وبناء هذا النطاق من القلعة خلال فترات حكمه في القرن ٧هـ/ ١٤م.

ويعود اختلاف معاملة أسوار كل نطاق عن الآخر إلي وظيفة كل منهما، وإن كنا رأينا أبراجا في النطاق الجنوبي أيضا، ولكن وجود هذا النطاق في اتجاه

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢) العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص٧٩ – ٨٠. تحقيق د.أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٥.

(٣) عن أسوار وأبراج النطاق الشمالي، انظر – حسني نويصر(دكتور) العمارة الإسلامية في مصر، ص. ٢٣ – ٢٩. مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٩٩٦ م.

المدينة خفف من حدة الحاجة إلي وجود أبراج به فضلا عن التخطيط المسبق من قبل قراقوش ليكون به قصر السلطان ليطل علي الميدان أسفل القلعة. لقد كانت الأولويات الحربية عند تأسيس القلعة تقتضي الاهتمام بإنهاء النطاق الشمالي أولا في ظل حرب تدور أوزارها في بلاد الشام. هذا النطاق هو الخاص بالجيش المدافع عن القلعة ومصر لذا وجه قراقوش اهتمامه له فشيد به في المقدمة برجي الرملة والحداد كبرجين أماميين كبيرين للدفاع عن القلعة ومراقبة المنطقة خارجها .(شكل رقم ٢٠)(صورة رقم ٤٨) وفي نفس الوقت اهتم باستكمال النطاق الجنوبي ولكن يبدو أن الظروف السياسية حالت دون ذلك كما حالت دون استكمال أسوار العاصمة المصرية [(١)].

وينبهنا كذلك العمري إلي ملحوظة هامة وهي انتهاء أسوار النطاق الجنوبي إلي القصر الأبلق الذي بني خارج النطاق الجنوبي، إذ رفعه الناصر محمد علي قاعات مقبية من أرض نطاق الإسطبلات لكي تكون أرضيته في مستوي أرضية النطاق الجنوبي، وهذه القاعات هي المسجلة علي خريطة الكولونيل جران ١٨٩٦ م. تحت اسم (قبوات مدمرة) ونستطيع أن نحدد حافة القلعة من برج الشخص إلي أن تبدأ المباني التي رفعها الناصر محمد بن قلاوون، من أرضية نطاق الإسطبلات، وتشمل قبوات من ثلاث طوابق وقاعتين مقبيتين، وهذا يعني أن القصر الأبلق شيد خارج النطاق الجنوبي للقلعة. إن الفارق بين تصور أن القلعة شيدت في الأصل في إطار النطاق الشمالي فقط، وبين تشييدها منذ أول الأمر بنطاقين رئيسيين، هو الفارق بين اتخاذ القلعة مفصل قوي يربط أسوار القاهرة والفسطاط وبين اتخاذها بالإضافة إلي ذلك مقر للحكم علما بأن ابن جبير الذي

---

(١) انظر حول عدم استكمال الأسوار. أسامة عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتي عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة، ص ٤٧- ٤٨.

شاهد القلعة عند تشييدها أقر بأنها شيدت لتكون حصنا ومقرا للحكم [١] والمعطيات التاريخية التي أشرنا إليها سابقا تؤكد أن صلاح الدين شيد القلعة مقرا للحكم ومفصلا قويا يربط أسوار العاصمة (شكل رقم ٢١)

تبقي لنا من قلعة قراقوش رمزان يحملان دلالات سياسية:

الرمز الأول: هو النسر الموجود أعلي برج الشخص (صورة رقم ٤٩) بالنطاق الجنوبي بالقلعة، وهو نسر منحوت بشكل بارز علي سطح صورة مستطيلة مثبتة في أعلي الحائط المطل علي الممر الصخري . وكان أول من تكلم عنه أوليا جلبي الذي أقام في القلعة لفترة حوالي عام ١٦٧٠ م. وقد وصفه بأنه موجود في أعلي البرج المطل علي باب العزب. أكد جلبي أن النسر مزدوج الرأس، وأضاف أن النسر قد وضع هناك كطلسم [٢]، وقد فقد الرأس فيما بعد، وكتب العديد من الرحالة الأوربيين عن هذا النسر [٣] إلا أن المؤرخين العرب لم يذكروه في مؤلفاتهم. إلا أن عدم ذكرهم له لا يمكن اعتباره دليلا علي إضافته للقلعة في فترة متأخرة، إذ أنه من الطبيعي أن يلفت نظر الرحالة الأوربيين وأوليا جلبي لكونهم يترقبون بنظرات حادة كل شيء يلفت الانتباه في المكان. نسب كل من كريزويل وكازانوفا النسر إلي الفترة الأيوبية [٤]دون تحديد للتاريخ أو القصد من وضع هذا النسر في القلعة، وتدل المعطيات السياسية الأيوبية علي احتمال نسبته إما لعصر صلاح الدين أو العادل، فعندما جاء صلاح الدين إلي مصر. كان تابعا لنور الدين محمود، وكان والد نور الدين عماد الدين زنكي الذي ابتدأ حياته كحاكم للموصل وكأتابك لابني السلطان محمود السلجوقى، قد أسس إمارة واسعة

---

(١) ابن جبير، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٢) ناصر الرباط (دكتور) تاريخ قلعة القاهرة، ص ٨. مؤسسة الأغا خان ١٩٨٩م.

(٣) كازانوفا، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩٥. كريزويل، مرجع سابق، ص ١٠٢.

في سورية والجزيرة، كانت أرضها سابقا جزءا من الدولــة الســلجوقية، ومــن الثابت تاريخيا أن النسر المزدوج الــرأس كــان مــن جملــة شــعارات الدولــة السلجوقية، حتي إن هذا الشكل ما يزال يعرف بالنسر السلجوقى في الأناضول (١) ويعتبر السلاجقة أول من استعار الأشكال الخرافية القديمــة خاصــة النســر ذي الرأسين (٢) ليكون شعارا، وظهر بكثرة منحوتا علي عمائرهم ســواء فــي شــكل النسر الطبيعي أو النسر ذو الرأسين الذي يرمز إلي القوة والعظمة لقد كان النسر ذو الرأسين هو الشارة التي استخدمها السلطان السلجوقى عــلاء الــدين كيقبــاد كشعار له، وعثر علي نموذج لنسر علاء الدين في سور مدينة قونية (٣). وعثــر

(١) ناصر الرباط (دكتور) المرجع السابق، ص ٨.

(٢) يقال أن الذي ابتدع النسر ذا الرأسين خيال أحد الكهان السومريين القدماء، ثم انتشر في الشرق الأدني القديم ولاسيما عند البابلين والحيثيين، واقتبسه منهم بعد ثلاثة آلاف عام السلاجقة كشعار لهم.

زكي حسن(دكتور)، فنون الإسلام، ص ٣٧٥.

مني بدر(دكتور) أثر الفن السلجوقي علي الحضــارة والفــن فــي العصــرين الأيــوبي والمملوكي في مصر، ص ٢٥٢. رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة – ١٩٩١م.

وجاء النسر ذو الرأسين منحوتا علي تاج الرأس لأحد تماثيل البطل التركي كلتكن، وكان النسر مفرود الجناحين. كان هذا الشكل الخرافي شائعا ومفضلا عند قبائل الهون، بل أن النسر ذا الآذان والقرون كان الرمز الأعظم لقنهم، والأخير بوجه خاص هو الذي شــاع علي الفنون السلجوقية.

يوسف عزت باشا، تاريخ القوقاز، ص ١٣٣، تعريب خوستوقه عبد الحميد بك، القاهرة ١٩٣٣ م.

أوقطاي آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ص ٦، مركز الأبحــاث للتــاريخ والفنــون والثقافة الإسلامية، استانبول – ١٩٨٧ م.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

في برجي باب مدينة الرها اللذين يعودان إلي العصر الأرتقى [(١)]علي رسم النسر ذي الرأسين .[(٢)]

والرمز الثاني الذي يحمل دلالات سياسية: هو نص تأسيس القلعة الموجود بالباب المدرج (صورة رقم٥٠) ونصه كما يلي:

- بسم الله الرحمن الرحيم (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
- من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك
- الله نصرا عزيزا) [(٣)] أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة
- القاهرة بالعرمة التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة علي من التجي إلي ظل
- ملكه وتحصينا مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو
- المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولي
- عهده الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد خليل أمير المؤمنين
- علي يد أمين مملكته ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملكي
- الناصري في سنة تسع وسبعين وخمسماية.

يعد النص السابق صورة صادقة للأوضاع السياسية في ظل الدولة الأيوبية، فقد كان صلاح الدين مشغولا في الحروب ببلاد الشام، وقام أخوه العادل بتولي

---

(١) الأرتقيون: أسرة تركمانية حكمت أجزاء من دولة السلاجقة بعد تفتيتها. انظر كليفورد أبوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ٤٧، ٤٨، ٤٩. ترجمة حسين اللبودي. مراجعة د. سليمان العسكري مؤسسة الشراع العربي، عين للدراسات.القاهرة ١٩٩٤ م.

(٢) آصلان آبا، مرجع سابق، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٣) قرآن كريم، سورة الفتح، الآيات من ١: ٣ .

أمور مصر، وسير قراقوش أمور الدولة بصورة حازمة .والنص يشير إلي سلطة صلاح الدين، حيث بدأ بسورة الفتح، والتي نزلت بعد فتح مكة المكرمة، والـذي ضمن له صلي الله عليه وسلم السيطرة علي كل أنحاء غرب الجزيرة العربيـة . وكانت سورة الفتح تستخدم بالتبعية من قبل الحكام المسـلمين للاستبشـار بهـا لتحقيق انتصارات، أو للإشارة إلي تحقيق انتصارات عسكرية فعلا، وكلاهما وجد لدي صلاح الدين الذي نجح في توحيد مصر مع الأجزاء التي لا تخضع للسيطرة الصليبية ببلاد الشام، وصعوده من ضابط في جيش نور الدين محمود إلي سلطان علي دولة كبري. وإلي الحروب التي يخوضها لتحرير بلاد الشام مـن الاحـتلال الصليبي.

والنص يحوي العديد من ألقاب التكريم كلقب (محي دولة أميـر المـؤمنين)[٢]وهو هنا يشير إلي نجاح صلاح الدين في إعادة مصر إلي ظل الخلافة العباسية بعد أن قضي نهائيا علي الخلافة الفاطمية .واللقب الثاني هو لقب (خليـل أميـر المؤمنين) الذي تلقب به العادل الأيوبي، ليس لدينا ما يدل علي أن العـادل لقبـه الخليفة العباسي بهذا اللقب، كما أن لقب (محي دولة أمير المؤمنين) لم يلقب بـه الخليفة صلاح الدين، ولكن يبدو أن القوة التي تمتع بهـا بنـو أيـوب جعلـتهم يتجاوزون حد الانتظار للحصول علي هذه الألقاب، وسنري أنه حين تسلطن العادل

---

(١) الأصفهاني، محمد بن محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، ورقـة ١٨٠، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث استنبول رقم ٣٩٥٩.

(٢) أطلق هذا اللقب علي صلاح الدين في نقوش ووثائق كثيرة علي الرغم من تلقبه رسـميا (خليل أمير المؤمنين). وأطلق هذا اللقب علي صلاح الدين في نص أنشاء بتاريخ سـنة ٥٧٥ هـ في الجامع الأموي بدمشق، فضلا عن وروده علي بعض قطع مـن النقـود الخاصة به وفي وثائق مختلفة.

حسن الباشا(دكتور) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثـائق والآثـار، ص ٢٠٧. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٧٨ م.

العام ٥٩٥ ـ ٦١٥ هـ/١١٩٦ ـ١٢١٨م. خاطبه الخليفة العباسي (بشاهنشاه خليل أمير المؤمنين)[١]وهو ما يبدو معه أن الخليفة يقر أمرا واقعا ليس إلا.

ويعطينا نص تأسيس القلعة، الهدف الذي من أجله شيدت في العبارة التالية (التي جمعت نفعا وتحسينا وسعة علي من التحي إلي ظل ملكه وتحصينا) أي أنها ملجأ عند الأخطار، في وقت اشتد فيه الصراع الإسلامي الصليبي، ونجد تأكيدا علي استقلالية صلاح الدين في إشارة النص إلي" ملكه".

حدث تحول خطير في أعقاب وفاة صلاح الدين بدمشق العام ٥٨٩هـ/١١٩٣م. إذ تحولت المواجهات الإسلامية الصليبية إلي الأراضي المصرية [٢]، وذلك نتيجة للخلافات الشديدة بين أبناء البيت الأيوبي، والذين تخلوا عن مبدأ أن الحرب ضرورة حتمية يومية لمواجهة الخطر الصليبي، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلي استعانتهم بالصليبيين ضد بعضهم [٣]، وتولي عرش مصر بعد صلاح الدين ابنه العزيز عثمان ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م إلي العام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م. ثم ابن العزيز ناصر الدين محمد الذي كان بهاء الدين قراقوش وصيا عليه، ثم استدعي الملك الأفضل بن صلاح الدين ليتولى عرش مصر [٤] وقد استسلم لعمه العادل سنة ٥٩٧هـ ١٢٠٠م[٥]. ليتولى حكم مصر نيابة عنه، وظل يحكمها بهذه الصفة من العام ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م إلي العام

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٢) قاسم عبده قاسم(دكتور) ما هية الحروب الصليبية، ص. ١٨٩ - ١٩٠. عالم المعرفة الكويت، العدد ١٤٩، الكويت ١٩٩٠

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٤) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ٢٣٥، تحقيق محمد حلي أحمد، القاهرة ١٩٦٢ م.

(٥) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج ٨ ص ٢٦٠، بيروت ١٩٨٢.

٦١٥هـ/١٢١٨م. وورث أبيه علي عرش الدولة الأيوبية من العام ٦١٥هـ/١٢١٨م. حتي العام ٦٥٣هـ/١٢٣٧م.

والأعمال التي أنجزت بالقلعة بعد وفاة صلاح الدين غير واضحة المعالم ويبدو أنها توقفت نسبيا نتيجة للاضطراب السياسي الذي ساد الدولة آنذاك. حيث حالت المكائد السياسية بين الأيوبيين وبين ترك إنجازات تذكر، وتبين الحوادث التاريخية أن العزيز عثمان قد أقام في القلعة أثناء حياة أبيه ربما ليشرف علي العمل فيها لكنه انتقل إلي دار الوزارة [١]عند اعتلائه عرش مصر [٢]، وكذلك أقام فيها ابنه ناصر الدين محمد .وأقام العادل فيها، وأدي ذلك إلي تحول اسم دار الوزارة إلي دار السلطان لتعبر عن تحولها من قصر للوزير إلي مقر للسلطان [٣] ومن الواضح أن الدار السلطانية قامت بالعديد من وظائف الحكم. فقد كان بهاء الدين قراقوش، يجلس بها في أيام العزيز عثمان للنظر في مظالم الناس [٤]، وهي وظيفة ستشيد من أجلها دار العدل بالقلعة فيما بعد، واستغلت دار الوزارة بعد أن نقل السلطان الأيوبي الكامل بن العادل مقر الحكم منها إلي القلعة كدار ضيافة

---

(١) المقصود هنا دار الوزارة الفاطمية، والتي يشغل موقعها حاليا خانقاة بيبرس الجاشنكير، أنشأها بدر الجمالي، وظلت سكن الوزراء الفاطميين إلي انتهي الأمر إلي بني أيوب فسكنوها وعرفت من حين استيلائهم علي ملك مصر بدار السلطنة وأقاموا فيها إلي أن استقر السلطان الكامل في القلعة كمقر لحكم مصر، ثم استغلت كدار ضيافة لكبار زوار الدولة إلي أن أنشأ في موضعها العديد من المنشآت كان أبرزها الخانقاه الجاشنكيرية.
ابن عبد الظاهر، الروضة البهية، ص ٥٠.
المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٤٣٨، ٤٣٩.

(٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشي في صناعة الانشا، ج ٣، ص ٣٧٢.
المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٣٦٤. ج ٢، ص ٢٠٣.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٤٣٨.

(٤) عفاف صبرة، مرجع سابق، ص ٤٣٨.

للملوك والرسل القادمين إلي مصر [١]، وأنزل بها السلطان المظفر قطـز الأميـر ركن الدين بيبرس.

حين جاء إلي مصر العام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م. وذلك بعـد عودتـه لمصـر للإتحاد مع قطز في مواجهة التتار، وعندما عاد إلي مصر بعد أن قتل السـلطان قطز الذي انتصر علي التتار في معركة عين جالوت ٦٥٨ هـ/١٢٦٠م فـي طريق العودة[٢]، استقر بيبرس في القلعة [٣] التي صارت طوال الحكم المملـوكي مقرا للحكم.

قلعة الجبل في عهد السلطان الكامل بن العادل:

منذ أن تولي الكامل حكم مصر ٥٩٥ هـ/١١٩٨م سـعي إلـي اسـتكمال مرافق القلعة، لتكون مقرا لحكمه. أعتمد كذلك مخططا لزيادة قـوة تحصـنيات القلعة، فأضاف أبراجا مستطيلة لأسوار النطاق الشمالي منها برج الصفة وبـرج كركليان (صورة رقم ٥١) (شكل رقم ٢٢) وبـرج الطرفـة (شـكل رقـم ٢٣) والزيادة التي إلي باب القرافة وبرج الرملة وبرج الحداد...الخ[٤]. ويعود الاهتمام بزيادة تحصينات القلعة قوة إلي أن مشروع إقامة سور حول القاهرة والفسـطاط الذي بدأ في عصر صلاح الدين، لم يكتمل إلي عصر الكامل [٥] وهو ما أدي إلـي

---

(١) ابن عبد الظاهر، مرجع سابق، ص. ٥٠ – ٥١.
القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٣، ٣٤٨.

(٢) ابن أيبك الدودار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٨ (الدرة الزكية في تاريخ الدولة التركية) ص ٦١، ٦٢. تحقيق أولرخ هارلمان، المعهد الألماني للآثار القاهرة ١٩٧١ م.

(٣) المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٤٣٨.

(٤) كريزويل، مرجع سابق، ص ١٠٠.
حسني نويصر(دكتور) مرجع سابق، ص ٢٥.

(٥) أسامة عبد النعيم (دكتور) مرجع سابق، ص ٤٧.

تحول في مفهوم الدفاع عن العاصمة المصرية ككل إلي التركيـز علـي حصـن المدينة الرئيسي ومقر حكمها . واختار الكامل الإقامة في النطاق الجنـوبي مـن القلعة مع حريمه[١] وبين ابن سعيد المغربي أن الكامل بني قصورا بالقلعة ونقـل إليها بيت المال ومقر حكمه، وذكر أن بها المكان الذي سجن فيه بقايا الفاطميين، بدون أن يحدد بانيه [٢] ولكن المقريزي والقلقشندى نسبوا للكامل مبني آخر هـو السجن المظلم الذي سجن فيه العديد من ذوي النفوذ أثنـاء العصـرين الأيـوبي والمملوكي، وكان يعتقد خطأ أنه هو برج المقطم لكن المصادر التاريخية ترشدنا أنه كان يقع في مواجهة برج المقطم حاليا في الجانب الغربي [٣]ويـدلنا حصـار الناصر محمد بن قلاوون للقلعة في أثناء فترة حكمه الأولي ١٢٩٣ــــ١٢٩٤م، والذي تسلق أثناءه الناصر إلي البرج الأحمر إلي المماليك، علي موقـع البـرج الأحمر الذي كان قريبا من الباب المدرج [٤]وكذلك حادثة الصراع بـين السـلطان برقوق والأمير منطاش علي العرش سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٩ م. علي موقع البـرج [٥]، وهذه الحوادث تجعل موقع البرج عند مكان ما علي امتداد السـور الغربـي للنطاق الشمالي بالقرب من باب المدرج. وتبين خريطة وصف مصر وجود برجين

---

(١) الإدريسي، الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز، أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام، ص ٣٢. تحقيق ألريش هارمان، المعهد الألمـاني للأبحـاث الشـرقية، بيروت، ١٩٩١ م.

(٢) المغربي، علي بن موسي، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القـاهرة، ص ٣٩٠- ٣٩١. تحقيق د.حسين نصار، القاهرة ١٩٧١ م.

(٣) Nasser, op cit, p 77.

(٤) المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج ١، ص ٨٠٠.

(٥) ابن الفرات، ناصر الدين محمـد، تـاريخ الدولـة المملوكيـة. ج ٩، ص ٨١. تحقيـق قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٤٢ م.

بين الباب المدرج والركن الشمالي الغربي للنطاق الشمالي [١]، واللـذين شـيدت فوقهما منشآت من عصر محمد علي، والبرجان يشبهان الأبراج التي تعود لإنشاء الكامل في القلعة سواء في التخطيط أو الحجم مثل أبراج كركليان والطرفة علـى امتداد سور النطاق الشمالي، وقد تم تجديد هذا البرج بعد ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠م في عصر الظاهر بيبرس [٢] وينسب كازانوفا وماكنزي وعبد الرحمن زكي، العديد من المنشآت بالقلعة إلي السلطان الكامل، مع أنه لا يوجد مصدر ينسب له أي منهـا صراحة وينسبون إليه باب القلة، وباب السر والمسجد وأبـراج الحمـام وقاعـة الصاحب (الوزير) والإيوان والإسطبلات السلطانية وخزانة الكتـب فضـلا عـن القصور السلطانية [٣]. ويبدو أن هؤلاء الآثاريين درجوا علي نسبة أيـة منشـئه بالقلعة تعود إلي ما قبل عصر الظاهر بيبرس إلي الملك الكامل، مـع أن خلفـاءه الأيوبيين أو سلاطين المماليك ربما لهم منشآت بالقلعة. وخليفته العادل الثاني قام ببعض الأعمال بالقلعة مع أنه لا يوجد مبني محدد منسوب إليه . ومـن المؤكـد طبقا لتحليلات كازانوفا نسبة أبراج الحمام والمسـجد الجـامع وخزانـة الكتـب للسلطان الكامل[٥]، وكذلك الإيوان حيث أقيمت مراسم تولية الخليفة العباسي فـي "الإيوان الكبير الكاملي" سنة ٦٦٠ هـ /١٢٦١م. وهذا يعني أن المبنـي أقـيم بواسطة السلطان الكامل [٦]، ونستطيع أن نتأكد من نسبة دار العدل بالقلعة إليـه

---

(١) انظر خريطة وصف مصر في جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل.

(٢) ابن شداد، عز الدين محمد، تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٤١. تحقيق أحمد حتاته،

(٣) بول كازانوفا، مرجع سابق، ص ٨٨: ٩٧.

عبد الرحمن زكي (دكتور) قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلـي الملـك فـاروق الأول، ص ٨ – ١٠، المطبعة الأميرية ١٩٥٠ م.

(٤) Nasser; op cit p79.

(٥) كازانوفا، مرجع سابق، ص ٨٨ – ٨٩.

(٦) المرجع السابق، ص ٨٩.

لذكرها في المصادر التاريخية باسم " دار العدل الكاملية " ويرجح ناصر الرباط أنها كانت تقع في المنطقة الممتدة بين باب القلة والباب المدرج وهي المنطقة التي كان بها العديد من المنشآت الإدارية (١)ومن الملفت للنظر أنه في الوقت الذي كان فيه الكامل بن العادل يستكمل مقومات قلعة الجبل لتكون مقرا للحكم، كان والده السلطان العادل يقوم بتجديدات وإضافات في قلعة دمشق، وهي مقر حكم بلاد الشام، وذلك عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٦م. وربما كان مشروع العادل في دمشق يهدف إلي إصلاح ما تهدم بالقلعة نتيجة لزلزال ٥٩٧ ــ ٥٩٨ هـ / ١٢٠٠ــ١٢٠١م. وتقوية تحصيناتها وتنظيمها من الداخل (٢)، امتد العمل في تجديدات قلعة دمشق في الفترة من ١٢٠٦: ١٢١٧ م. كما هو واضح علي العديد من النصوص الإنشائية بأبراج القلعة، والتي يبلغ عددها سبعا (٣) وهذا يجعلنا نشير إلي أن الخطة التي اتبعت في عمارة قلعة دمشق تختلف عن خطة قلعة القاهرة التي لم يصلنا فيها من العصر الأيوبي سوي نص وحيد هو نص التأسيس، وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف الخطط التمويلية وإستراتيجية البناء، ففي دمشق تذكر المصادر التاريخية أن العادل أمر كل واحد من أمرائه ببناء برج

---

(١) Nasser; op cit,p79.

(٢) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق. د. جمال الدين الشيال، ج ٣، ص ١٨٢، الإسكندرية – ١٩٥٣ م.
عبد القادر الريحاوي، قلعة دمشق، ص ٦١:٦٥. دمشق ١٩٧٩ م.
عدنان البني، قلعة دمشق، ص ٣١ – ٣٢. الحوليات الأثرية السورية مجلد ٤، ٥. ١٩٥٤، ١٩٥٥ م.
هزار عمران وجورج دبورة، قلعة دمشق، ص ٢٣، ٢٤ ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٨م.

(٣) ست من هذة النصوص تحمل اسم السلطان العادل. انظر عبد القادر الريحاوي، قلعة دمشق، ص ٢٧٦ – ٢٧٨. دمشق ١٩٧٨ م.

في القلعة، وهو ما وفر علية مبالغ طائلة، وكانت هذه السياسة ذكية من العـادل لإشغال واستنزاف أموال الأمراء الصالحية الذين كانوا فـي السـابق مـرتبطين بالولاء لأخيه صلاح الدين، ومعظمهم كان بدمشق وبعضـهم كـان ذا طمـوح، وتصرف العادل معهم بهذا الأسلوب، محاولة منه كذلك للتأكد من ولائهـم لـه[١] وكان العادل أبقي مع الكامل في مصر الأمراء الصغار ومن يثق فيهم مـن كبـار الأمراء.

تمثل قلعة صلاح الدين استثناء في ظل الدولة الأيوبية حيث تكفلـت الدولـة بتكاليف البناء مباشرة من خزانتها [٢]علما بأن استخدام الأسري الصليبيين وفـر الكثير من تكاليف البناء، واستخدام الأسري في بناء قلعة صلاح الدين بالذات الآن الغرض منه إبعادهم عن مناطق الوجود الصليبي ببلاد الشام وهو ما يحرمهم من إمكانية تحريرهم عن طريق الهجمات المباغتة علي معسكرات أو قلاع المسلمين. كان كل من ابن جبير والمقريزي [٣]قد أشارا إلي استخدام الأسري الصـليبيين فـي بناء القلعة، كما استخدمهم العادل الثاني للعمـل فـي القلعـة أيضـا وفـي سـنة ٦٤١هـ/١٢٤٢م استخدمهم الصالح نجم الدين في بناء قلعته بجزيرة الروضة[٤].

يبدو أن كلا من مشروعي قلعة صلاح الدين وقلعة دمشق كانا جـزءا مـن خطة أكبر وضعها العادل لتقوية القلاع الرئيسية التي تقع تحت سيطرته شـملت

---

(١) Stephen.r.humphreys, from saladin to mangols: the ayyabids of damascus. p148. Albany. New york 1977.
Jean sauvaget,la citadelle de de damas,p 59,90, 216, 241.syria. 1930.

(٢) Nasser, op cit, p81.

(٣) ابن جبير، مرجع سابق، ص ٢٥. المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٤، لسلوك، ج ١، ص ١٢٦.

(٤) Nasser, op cit,p82.

تجديد قلاع عجلون وحلب وبصري [١] ولعل هذا هو الذي دعي كريزويل إلـــي أن ينسب الأبراج الكبيرة في النطاق الشمالي للعادل أكثر منهـــا للكامـــل [٢] مـــع أن المصادر التاريخية تتحدث عن الأخير أنه هو الذي أضافها وأكمل المخطط الداخلي للقلعة.

سكن العادل القلعة عندما كان نائبا عن صلاح الدين في مصر، وذلـــك لكـــي يشرف علي بنائها، وحينما زار مصر وهو سلطان أقام فيدار الوزارة بالقـــاهرة، وأدار أمور السلطة منها، بينما بقي الكامل في القلعة ليوضح استقلاليته في حكم مصر تحت سيطرة أبيه[٣].

يجب أن نأخذ في اعتبارنا عند دراسة هذه الفترة أن الأمن كان هاجسا قويـــا يسيطر علي الأيوبيين بسبب تنافسهم فيما بينهم، وحتي حينما كانـــت الأخطـــار الخارجية تنتهي فان الأمن والحماية ظلا المعيار الأساسي في اختيار مقر الحكـــم لكثيرين منهم، وكانت القلاع توفر الأمن لأسرهم وممتلكاتهم وملاذا فـــي وقـــت الشدة، ويحكي أن الكامل قبل عتبة القلعة عند عودته لها من حملة عسكرية فـــي الشام وقال "أري روحي في قلعتي " [٤] وهو يعني أن أمنه وراحته في القلعة.

نستطيع أن نري في الخريطة السياسية لبلاد الشام والجزيـــرة فـــي القـــرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي سلسلة من القلاع في الإمارات والولايات، كانت وظيفة هذه القلاع أن تكون مقار للحكم . وتحوي بداخلها قصـــورا ومبـــاني

---

(١) Creswell, k. a. c. Muslim architecture of egypte. vol 2, p 39. oxford, 1959.

(٢) كريزويل، وصف قلعة الجبل، ص ١٠٠.

(٣) ابن أيبك الدوادار، صفي الدين أبو بكر، الدر المطلوب في أخبار بني أيـــوب، ص ١٥٥. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٢م.

(٤) سبط بن الجوزي، يوسف بن محمد، مرآة الزمان فـــي تـــاريخ الأوان، ج ١، ص ٧٠، حيدر آباد. ١٩٥١ م.

إدارية وثكنات للجند أو طباقا لهم، وألحقت بها الإسطبلات، ويتقدمها ميدان سلطاني[١]، وتمثل هذه القلاع بالنسبة لحكام هذه البلاد المظهر العضوي لقوتهم وهيمنتهم، ولم تختلف قلعة صلاح الدين بمصر عن غيرها من هذه القلاع، فيما عدا حجمها الكبير، وتعدد الوظائف التي تقوم بها . نظرا لكونها مقرا لإدارة إقليم كبير هو إقليم مصر، بينما قلاع الشام والجزيرة كانت تدار منها مناطق محدودة المساحة والأهمية، كقلعة طرابلس وإقليمها وقلعة عكا التي تحكم عكا وإقليمها، وقلعة حلب التي تحكم حلب وإقليمها، وقلعة دمشق أيضا وإن كانت قلعة دمشق في فترات متفاوتة كانت مقرا للسلطان كما حدث في عصر العادل أو نائب السلطان في بلاد الشام كما حدث في عصور لاحقة خاصة في العصر المملوكي، وكان سلاطين المماليك يقيمون بها عند زيارتهم لبلاد الشام، وتوفي بها العديد من السلاطين منهم صلاح الدين والملك العادل[٢] والسلطان الظاهر بيبرس البندقدارى في سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م [٣].

وبالرغم من اتساع رقعة مصر الجغرافية، إلا أنه لم تتخذ فيها القلاع كمقار للحكم، وقد وجدت بها قلاع صغيرة في بعض المدن الساحلية أو في سيناء، إلا أنها كانت ذات وظيفة عسكرية بحته، ولذا كانت مصر تحكم كلها من قلعة الجبل، وهذا ما زاد في مركزيتها وأهميتها، وتعود الرمزية السلطوية المركزية للقلعة إلي شخصية مصر التي تتسم بالثبات والاستقرار وكان ارتكاز الحكم وتبلوره بعد تجارب عديدة في مصر الإسلامية تعبيرا عن الشخصية الإقليمية لمصر [٤] والتي

---

(١) Nasser, op cit,p83.

(٢) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والسلاطين، ص ٢٣٦. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة د.أحمد دراج. مركز إحياء التراث الاسلامي جامعة أم القري، بدون تاريخ.

(٣) عدنان البني، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٤) يعتبر العلامة جمال حمدان أشهر من درس شخصية مصر الإقليمية. انظر: جمال =

تتبلور فيدورها ألجهادي وفي قيادتها، لذا كانت دولة صلاح الدين هـي المحـرك لهذه الشخصية ولدورها، وبداية لعودة مصر مرة أخـري لتكـون أكبـر مركـز حضاري في المنطقة واستيعاب مصر للأيوبيين والمماليك من بعدهم، هو تعبيـر عن مدي مرونتها الحضارية،. ونحن هنا نتعامل مع شخصية إقليمية لديها قـدرة فائقة علي الاستيعاب والإبداع .فالاستيعاب يجدد قدرة هذه الشخصية علي الإبداع والتجديد، وهو يجعلها تخرج من حالة الركود أو الكمون التي تدخل فيها أحيانا.

ولهذا كانت وظائف قلعة الجبل متعددة تتناسب مع شخصية مصر منذ عصر الكامل، الذي كانت مصر في عهده تحكم كلا من مصر وبـلاد الشـام والجزيـرة والحجاز واليمن [1] وتحولت القلعة لمقر لحكم هذه الأقاليم منذ ذلك الحـين إلـي دخول العثمانيين مصر ٩٣٢ هـ / ١٥١٧ م. حيث تحولت إلي ولاية في دولة آل عثمان، وإذا تابعنا ما حدث في عصر بني أيوب سنجد العادل الثاني يخلف أبـاه علي العرش ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م لكن الخلافات الأسرية بين بني أيوب أدت إلي إقصائه عن العرش وتولي أخيه الأكبر العرش عوضا عنه، وذلك سنة ٦٣٧ هـ /١٢٤٠ م [2].

أبراج وأبواب القلعة:

تمثل الأبراج العنصر المعماري الأساسي للدفاع عن القلعة، وتعددت الفترات الزمنية التي شيدت فيها أبراج القلعة غير أن معظمها يعود لعصر الناصر صلاح

= حمدان (دكتور) شخصية مصر، دراسة في عبقرية الزمان والمكان، كتاب الهلال، العدد ٥٠٩، مايو ١٩٨٦.

(١) انظر عن محاولات الكامل إخضاع الشام لنفوذه. حامد زيان (دكتور) محاضـرات فـي تاريخ الأيوبيون والمماليك، ص ٥٠ - ٦٢.القاهرة ١٩٨٦ م.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، ص ١٢٨. دار النهضة العربية، ١٩٧٠ م.

الدين الأيوبي، وتأخذ شكل أنصاف الدوائر المتكاملة أو المتجاوزة، حسب موقعها من أسوار القلعة، مع استخدام الأحجار المصقولة واجهاتها، أما باقي الأبراج التي تعود للحقبة الأيوبية فيتم بناؤها سنة ٦٠٤ ه /١٢٠٧م علي عهد الملك العـــادل، وهي ذات قعدة مستطيلة الشكل، ويحتوي كل منها علي ثلاثـــة طوابـــق:طابقـــان مسقوفان، وطابق مكشوف، فضلا عن تعدد فتحات رمي السهام بها، والغرف التي تخدم البرج، مع استخدام الأحجار المسننة بها.تتركز معظم هـــذه الأبـــراج فـــي الجزء الشمالي من القلعة علي النحو التالي:

يضم السور الجنوبي من هذا القسم الأبراج التالية:

برج المقطم:

أطلق هذا البرج المقطم لمواجهته جبل المقطم، غير أن التسمية الأصلية له، هي برج القلة لوجود القلة التي كان يتم من خلالها كشف كامل محـــيط القلعـــة، وهي تظهر بوضوح في صورة من لوحات كتاب وصف مصر، أعتبر هذا البـــرج من الأبراج المضافة للقلعة غير أن الكشف الأثري والمعطيات التاريخية تشير إلي انه يعود إلي العصر الأيوبي، وجرت تجديدات عديدة به، خاصة في عصر الظاهر بيبرس الذي أنشاء سورا يفصل بين قسمي القلعة الرئيسيين العسكري والسلطاني عرف بسور القلة لأنة يبدأ من هذا البرج وينتهي إلي الجانب المقابل له، كـــان يتخلل هذا السور باب عرف بباب القلة بباب القلة جدد في عصر محمـــد علـــي ومن المرجع أن هذا البرج قد جرت به تجديدات واسعة في العصر العثماني.

يقع هذا البرج بالركن الجنوبي الغربي من الصور، وهو برج مستدير قطـــرة ٢٤ مترا، وارتفاعه ٢٥ مترا وبواسطة غرفة صغيرة ذات قبة صـــغيرة نســـبيا، ويعود ذلك لسمك جدران البرج التي جعلت كريزويل يري انـــه صـــمم لمقاومـــة المدفعية. أما السلم الصاعد إلي أعلي البرج فهو يوجد إلي يسار المدخل في سمت البرج.

برج الصفة: (شكل رقم ٢٤)

يلي هذا البرج برج المقطم وبينهما يمتد السور لمسافة ١٦،٦٠ متر، ويحتوي هذا الجزء علي ممر به فتحات مز اغل، ينسب بناء هذا البرج إلي الملك العادل، حيث بني بأحجار مسنمة، وهو شبة مستطيل طوله ٢٥،٨٠ مترا، وعرضة ٢٥،٣٠ مترا وارتفاعه ١٠ مترا.

أما أهم وحدات هذا البرج المعمارية:

القاعة التي تتوسط البرج، وهي متعامدة التخطيط، الجزء الأوسط منها مربع، وهو مسقوف بقبو متقاطع، أما الأذرع الأربعة الممتدة منة فيسقفها أقبية مدببة ارتفاعها ٥,٥٠ متر.

يوجد علي جانبي الذراع الجنوبي من البرج حجرتان مربعتان بهما مزاغل موزعة ناحية الجنوب والغرب وأخري ناحية الشرق.

فتحات المزاغل مدببة ويصل عمقها إلي متر، ويسقفها قبو متقابل.

توجد بعض الملحقات بهذا البرج الذي يتكون من طابقين متماثلين فضلا عن السطح العلوي الذي يعد طابقا ثالثا، هذه الملحقات بالطابقين السفلي والعلوي عبارة جزء متصل بالذراع الشمالي للقاعة المتعامدة، أهمها حجرة مربعة بالركن الشمالي الغربي، مغطاة بقبة ضحلة ذات مثلثات كروية، ويرجع أن هذا الملحق كان مخصصا لإقامة الجند، ويماثله من حيث الوظيفة ملحق آخر بالجانب الشمالي الشرقي، وهو يتكون من در قاعة محاطة بأربعة ايوانات مختلفة الأعماق، واستدل علي وظيفة هذا ين الملحقين من وجود دورات مياه بهما.

أكد الفحص الذي قام به كريزويل لهذا البرج أنة شيد علي امتداد سور أقدم منه خاصة أن الصور قد غير اتجاهه ٣٠ درجة بين الحجرتين الجنوبيتين الغربيتين، هذا ما جعل المعمار يوائم بين تخطيط البرج وهذا الانحراف، فهذا البرج قد احكم تخطيطه بصور ملفتة للنظر، ولواجهة الجنوبية للبرج حيث بها

تجديدات أثناء الاحتلال البريطاني لمصر.

برج العلوة : (شكل رقم ٢٥)

يفصل بين البرج العلوة وبرج الصفة سور طوله ٩ أمتار به ممر ذات فتحات لرمي السهام، غير أن الممر قد سد بناء درج برج صفة، والبرج له طابقين مسقفين وثالث مكشوف، والطابقين متماثلين من حيث التخطيط، إذ يتكون كل واحد منهما مما يلي:

- هذا البرج عبارة عن برج نصف دائري يبرز عن سمت السور بستة أمتار.
- يتكون كل طابق من قاعة متعامدة التخطيط ذات قبو متعامد، يوجد بها ثلاثة فتحات مز غليه، أحدها في الجنوب والأخر في الغرب، والثالث في الشرق.

تتميز مزاغل برج العلوة بأنها مسامتة لأرضية الطابق، وهو الأمر الذي كان يسهل للرامي أداء واجبة الدفاعي بسهولة وهذه المزا غل ذات عتب حجري مستقيم.

الضلع الشمالي من القلعة المتعامدة عبارة عن داخلة مستطيلة بها شباك يطل علي القلعة من الداخل.

يربط بين الطابقين السابق ذكرهما سلم في الجانب الشرقي من البرج.

برج كركيلان : (شكل ٢٦)

هذا البرج مربع تقريبا إذ يبلغ طول ضلعه ٢١ مترا تقريبا، وارتفاعه ٢٠,٦٠ من المتر وهو يعود لعصر العادل إذ شيد من الأحجار المسنمه تميل إلي السطح الخلفي بمقدار ٧٥ سم تقريبا.و يعد ركيزة أساسية في الدفاع عن القلعة ويمكن الدخول إلية من الباب في الطابق الأوسط حيث يتم الوصول منة إلي درج يصعد منة إلي الطابق الثالث العلوي المكشوف الذي يتكون من سطح سماوي محاط من جوانبه الأربعة بعدد من الحنايا علي هيئة نصف دائرة بكل حنية مزغل

أو مز غلين.يؤدي المدخل السابق ذكره أيضا إلي ممر علي هيئة زاوية قائمة يفضي إلي الذراع الشمالي للقاعة الوسطي ذات التخطيط المتعامد وذلك في الطابق الأوسط، هذه القاعة الوسطي مسقفة بقبو متقاطع، ويتعامد عليها أربعة اذرع كل واحد منها مسقف بقبو مدبب، زود الذراع الجنوبي الأوسط يمز غلين وعلي جانبي هذا الذراع من جهة الشرق والغرب حجرة مربعة التخطيط يغطي كل واحد منها قبو متقاطع وتصل هاتان الحجرتان بالذراع الشرقي والغربي للقاعة الوسطي، يوجد لكل حجرة أربعة مزاغل أثناء أماميان والآخران جانبيان وبذلك يصبح لدينا في هذا الطابق عشرة مز اغل.

ويوجد ممر ضيق يفتح علي الذراع الشمالي من التخطيط المتعامدة، عند نهايته دورتي مياه مفتوحان من الجانب الشمالي وينتهي الممر بفتحة مز غل، وفي عام ١٩٢٣ م اكتشف كريزويل فتحة باب كانت مغطاة بالملاط بالذراع الغربي المتعامد علي القاعة الوسطي بالطابق الأوسط يؤدي هذا الباب إلي السلم هابط يفضي للطابق السفلي من علي اليمين، أما الجانب الغربي للباب فيفضي إلي سلم يؤدي إلي حجرة للرماة فوق السور.يتشابه الطابق السفلي في تخطيطه مع الطابق الأوسط إلا أن جدرانه أكثر سمكا، كما أن الحجرات الخارجية يتم الدخول لها من الذراع الجنوبي مباشرة، وليس من الذراع الشرقي أو الغربي كما في الطابق الأوسط.

برج غير مسمي: (شكل ٢٧)

يلي البرج السابق برج صغير يعود لعصر صلاح الدين، وهو علي بعد ١٥ متر من برج كر كيلان، ويتصف هذا البرج بما يلي:

شكل البرج نصف دائري، بنيت حوائطه بمداميك من الحجر الجيري المصقول.

يتوسط البرج من الداخل قاعة متعامدة الأضلاع ذات قبو متقاطع، بها ثلاثة

مزاغل في الجنوب والشرق والغرب.

الطابق السفلي للبرج استطاع كريزويل كشفة سنة ١٩٥٤ م بتكليف من لجنة حفظ الآثار، حيث أزال طبقة أسمنتية، حيث أوضح لنا أنة لا يختلف من حيث التخطيط عن الطابق العلوي، وعثر به علي سلم صاعد لأعلي.

برج الطرفة: (شكل ٢٨)

تبلغ مساحة هذا البرج ٣٠ مترا مربعا.أصابه تلف في بعض أجزائه، وهو مشيد بالحجارة المسنمه، وينقسم البرج إلي قسمين، الأول أمامي يطل علي خارج القلعة، وهو عبارة عن أربعة غرف تفتح علي ممر خلفي، هذه الغرف المعقودة، وعقد كل غرفة يشكل قبو متناقص بشبة نصف مخروط قائم علي جانبية ينتهي بفتحة المز غل، وزودت حجرتين بمزغل إضافي في جهتي الشرق والغرب، كما يوجد فتحة إضاءة بالروايتين الغربية والشرقية.

أما القسم الخلفي من البرج فهو عبارة عن قاعة في الوسط متعامدة التخطيط وهي ذات ثلاثة اذرع يستدق أحد أذرعتها نحو الغرب، والذراع الشمالي مستطيل ١١،٧٠ × ٦،٣٠ م وهو مسقوف بقبو مدبب، والذراع الثاني يتجه شرقا وهو إيوان مستطيل مسقوف بقبو مدبب، علما بان الذراع الغربي يؤدي إلي ممر يفضي إلي ملحقات بها حجرات للإقامة.

برج المطار: (شكل ٢٩، ٣٠)

هذا البرج من المرجع أنة كان يستخدم في تربية وإطلاق الحمام الزاجل ذكر المقريزي في خططه وجود هذا البرج بالقلعة، تعود أهميته إلي أن الحمام كان وسيلة الاتصال بين القلعة كمقر رئيسي لحكم مصر وبلاد الشام، وكانت الرسائل أو البطائق تكتب بالخط الغباري، وهو خط دقيق يسميه البعض قلم الجناح واستخدم في نسخ البطائق ورق صغير خفيف عرف باسم البطائق.

يتكون برج المطار من زوج من أنصاف الدوائر متجاوران ويفصل بينهما حائط من الحجر الجيري، ويتكون كل برج من طابقين، بكل طابق قاعة متعامدة التخطيط، يسقفها قبو متقاطع بكل قاعة ثلاث فتحات مزغلية واحدة أمامية واثنان جانبيان، وقد زود العمار الطابق السفلي في كل برج بمزغلين إضافيين يتجهان نحو الداخل للدفاع عن ممر منكر رجع معه كريز ويل أن يكون هذين البرجين هما في الأصل أحد الأبواب الأصلية للقلعة، علما بأنة كان يتم الوصول للبرجين عبر ممر يخترق السور، وقد رجع كريزويل أن هذا الباب سد في العصر المملوكي نتيجة للفتن الداخلية والصراع علي السلطة بين المماليك.

يعد الجزء الواصل من السور بين برج المطار وبرج المبلط الذي يليه، من أفضل الأجزاء الباقية من السور، يوجد بداخلة ممر أو دهليز عرضية ٩٤ سم، ويبلغ سمك السور ٢،٨٠ م زود هذا الممر بثلاثة مز اغل، وعدة نوافذ ودورة مياه.

برج المبلط: (شكل ٣١)

يشغل هذا البرج الركن الجنوبي الشرقي من القلعة، وهو من الأبراج التي تعود لعصر صلاح الدين الأيوبي، شيد علي هيئة ثلاثة أرباع الدائرة، وهو ذا طابقين متشابهين من حيث التخطيط العام، إذ يتكون كل منهما من، قاعة متعامدة التخطيط ذات قبو متقاطع، يخرج منها ثلاثة اذرع بها ثلاثة فتحات مزغلية، يغطي كل ذراع قبو مدبب، هذا البرج ينحرف بعدة سور القلعة مشكلا في خط شبة مستقيم، مكون السور الشرقي لقلعة صلاح الدين.

يبلغ طول المسافة في السور القلعة من برج المبلط إلي برج الإمام ١٧٥ مترا، يتخللها برجان في الوسط، يقسمانه إلي أقسام أطولها هي ٥٣، ٥٥، ٤٣ مترا علي التوالي.أما البرجان فهما برج المقوصر والبرج غير مسمي وهما متشابهان من حيث التخطيط، إذ أن كل واحد يتكون من طابقين، بكل طابق قاعدة

متعامدة ذات ثلاثة اذرع ينتهي كل ذراع بفتحة مزغلية.هذا ويتخلل السور في هذه المسافة دهليز أو ممر به فتحات مزغلية.

باب الإمام: (شكل ٣٢)

يعرف هذا الباب أيضا باب القرافة الأنة كان يواجه قرافة الفسطاط التي يعرف رقم منها بقرافة الإمام، وربما هذا هو سبب تسميته باب الإمام، غير أن البعض يري أنة سمي باب الإمام لإقامة إمام مسجد سارية الجبل به.

ومن المعروف أن العديد من أجزاء السور والقلعة تحولت إلي مساكن خلال الحقبة العثمانية.

يعود هذا الباب إلي عصر صلاح الدين الأيوبي، وكان يكتنفه برجان نصف دائريان ثم مدخل منكسر إلي الشمال، وفي عصر الملك العادل سد المدخل المنكر ليحول الباب إلي أحد أبراج القلعة الحصينة، فهو حاليا برح مستطيل منحني الحواف أبعاده ٢٨،٧٠×٢٠،٧٠ متر، يتم الوصول إلي هذا البرج عن طريق ممرين بسور صلاح الدين أتحدهما يؤدي إلي قاعة متعامدة علي السور يغطيها قبو أسطواني. يوجد بالضلع الشمالي من هذه القاعة دخلتان مستطيلتان مزودتان بمزغلين يتجه كل منهما إلي المدخل المحصور نحو البرجين، والآخر يؤدي إلي القاعة المتعامدة الشمالية من برجي صلاح الدين حيث تفتح هذه القاعة من جهة الجنوب علي دخلتين مستطيلتين تنتهي كل دخلة بفتحة مزغل، ومن الملاحظ أن جميع المزا غل ذات عتب مستقيم يعلوه عقد عاتق، علي غرار الفتحات المزغلية التي تعود لعصر صلاح الدين، بينما الأحجار الخارجية للبرج مسنمة وهي تعود لعصر العادل. كان المقريزي أورد في خططه وجود هذا الباب في القلعة حتي عصره (توفي عام ٨٤٥ هجرية) وأشار إلي ندرة استخدمها، إلا أن هناك رأي مرجح أن الباب سد إما في تجديدات وترميمات أي من السلطانين جنبلاط أو طومان بأي ٩٠٦ هـ /١٥٠١ م في القلعة، وهو ما جعل الباب يتحول لبرج

مستطيل.

إذا سار الزائر في الممر الذي يلي برج الإمام فأنة سيؤدي بـــه إلـــي بـــرج الرملة، ويتخلل هذا الممر علي مسافة ٣٠ متر من برج الإمام برج نصف دائري غير مسمي يتكون من طابقين متماثلين، بكل طابق قاعة متعامدة الأضلاع يغطيها قبو حجري متقاطع، أهما ثلاثة فتحات مزغلية واحدة أمامية واثنان جانبيان يتصل هذا البرج ببرج الرحلة عن طريق الممر الذي يخترق السور.

برج الرملة: (شكل ٣٣)

هو أحد أبراج القلعة العظيمة وهو برج زاوية إذ يقع عند ملتقي ضلعين من أضلاع سور القلعة هما الضلع الشرقي والشمالي، يبلغ ارتفاع هذا البرج ٢٠،٨٠ متر وقطرة ١٨ متر، يعود تشييد هذا البرج لعصر صلاح الدين، وهو يتكون من طابقين وسطح سماوي مكشوف، كل طابق يتكون من قاعة متعامدة يتعامد عليها ثلاثة اذرع، وبكل ذراع مز غل.و في عصر العادل تم توسيع البرج، حيث تحولت اذرع المزاغل بالقاعات إلي فتحات أبواب تفضي إلي حجرات مســتطيلة، ويبلـــغ عمقها ٤،٢٠ مترا، مغطاة بأقبية مدببة، تنتهي كل حجرة بفتحة مز غليه، يلـــي برج الرملة ممر يفضي إلي برج الحداد، والمسافة بين البرجين عبارة عن ممـــر فتح به خمس دخلات للحراسة بكل دخلة فتحة مزغل وقد سدت كل مـــن الدخلـــة الأولي والخامسة بسبب إضافة العادل في كل من البرجين السابقين.

برج الحداد: (شكل ٣٤)

تشبه هذا البرج بصورة عامة سابقة، فهو يعد من أضخم أبراج القلعـــة، ذا هيئة ثلاث أرباع الدائرة إذ يبلغ قطرة ٢٢ مترا، وارتفاعه ٢١،٧٠ متر، كان في الأصل برج نصف مستدير من أبراج صلاح الدين، ونال إضـــافات تعـــود لعصـــر العادل، ففواته عبارة عن قاعة متعامدة الأضلاع بوسطها درقاعة مغطـــاة بقبـــو متقاطع، لها ثلاث اذرع ذات ثلاث فتحات مزغلية، حول مز غلـــين إلـــي بـــابين

يفضان إلي ممر علي هيئة نصف دائرة مغطي بأقبية متقاطعة، يحيط هذا الممر بواجهة البرج التي تعود لعصر صلاح الدين.بفتح علي هذا الممر خمسة اذرع مستطيلة مغطاة بأقبية مدببة تنهي كل ذراع بفتحة مز غل بالإضافة إلي وجود شق بالركن الجنوبي الشرقي علي هيئة فتحت مز غل، وظيفته إضاءة وتهوية البرج، يقع غرب البرج باب الدخول للبرج سلم ساعد للطابق العلوي.

من الملاحظ أن در قاعة الطابق العلوي مثمنة المسقط وهي بذلك تختلف في تخطيطها عما اعتدناه في باقي أبراج السور، وقد فتح بكل ضلع من إضلاع المثمن فتحة أما معقودة أو متوجة بعتب وذلك بالتوالي:

تؤدي خمس فتحات منها إلي اذرع بكل مزغل، وفتحتان تؤدي كل فتحة إلي ممر:أحدهما يؤدي إلي الممشي المؤدي إلي برج غير مسمي، والممر الأخر يؤدي إلي الممشي الذي يفضي إلي البرج الرملة، أما الفتحة الثامنة والأخيرة فهي فتحة شباك تطل علي الساحة الداخلية للقلعة، غطيه الدر قاعة بقبو متقاطع ترتكز أرجل القبو علي خطين من المقرنصات.

وسعت ثلاث فتحات من المزاغل بهذا الطابق إلي أبواب من عصر العادل لتؤدي إلي ممر نصف دائري يحيط ببرج صلاح الدين، غطي هذا الممر بأقبية متقاطعة، يفتح هذا الممر علي خمسة اذرع تنتهي بفتحات مزغلية، زودت الأذرع الرئيسية بأذرع فرعية ينتهي كل منها بفتحة مزغلية، بهدف زيادة القدر الدفاعية للبرج، وبالجانب الغربي بهذا الطابق سلم صاعد للطابق العلوي السماوي، الذي يوجد به دخلات مقبية ينتهي كل منها بفتحة مزغلية، وسعت في مرحلة لاحقة لتتناسب مع استخدام المدافع. وهناك بأرضية بعض الدخلات فتحات الرضية عبارة سقاطات تستخدم لإلغاء الزيوت المغلية علي العدو المهاجم.

باب السر:

يوجد هذا الباب علي مسافة ٢,١٦ متر من برج الحداد وهو باب سر مسدود حاليا، عرضة ١,٥٥ متر وارتفاعه ٢ متر.هذا الباب كان مخصصا لخروج قـوة تدافع عن القلعة تجاه أي هجوم يأتيها من خارج الأسوار.

يخرج من الطابق السفلي برج الحداد ممر يعلو الباب السابق ذكـره يمتـد لمسافة ٣٠ مترا، زودت هذه المسافة بثلاث فتحات مزغلية ويتخلل هذه المسافة برج نصف دائري من طابقين يشبه في تخطيطه الأبراج التي تعود لعصر صـلاح الدين.

برج الصحراء: (شكل ٣٥)

برج مركب، يبدو من الخارج انه برج نصف مستدير، ولكن عندما تكتشـفه من الداخل يبدو برج مربع ضخم أبعاده ٢١,٣٠×١٢,٧٠ م، يتتبع هذا البرج في تخطيطه أبراج صلاح الدين، من حيث احتوائه علي قاعة متعامدة، يخرج منهـا ثلاثة اذرع، بكل ذراع فتحة مدخل أو البرج من الداخل مسـتطيل، بقطعـة ممـر مغطي بقبو ينتهي بباب معقود.

يري كريزويل أنة كان يؤدي إلي برج الساقية حيث البئر الذي يغذي القلعـة بالمياه.

يوجد إلي الشرق من الممر قاعة كبيرة مستطيلة مغطاة بقبو مدبب تفتح من جهة الجنوب بشباك يطل علي داخل القلعة، ملحق بهـا دورة ميـاه.و بالجهـة الغربية من الممر بابين، أحدهما يصعد منة إلي ممر منكسر عند ناحية الشـمال حيث يؤدي إلي قاعة كبيرة ملحق بها دورات مياه.

كان يلي برج الصحراء برج صغير يماثل أبراج صلاح الدين.

هذا يوجد في أقصي زاوية السور الشمالي برج مربع، من المرجع أنة يعود

إلي العصر العادل، البرج عبارة به در قاعة وسطي مربعة يتعامد عليها أربعة اذرع هذه الدر قاعة مسقفة بقبة ضحلة مقامة علي ثلاث كروية، والذراع الشمالي الشرقي مستطيل ينتهي بفتحة مز غل، يكتنفه إلي الشرق والشمال حجرتان مربعتان، يغطي كل منها قبو متقاطع، وزودت هاتان الحجرتان بدخلات معقودة بها فتحات سهام. أما الذراع الشمالي الغربي فينتهي بفتحة باب مستحدثة يتقدمها سلم هابط بالنسبة للذراع الجنوبي الغربي فينتهي بفتحة مسدودة الآن، والحق به حجرتان بهما فتحتي مزغل، كما يوجد بالجانبين الشرقي والجنوبي دهاليز بها سلالم صاعدة وهابطة.

برج الزاوية:

ينسب ابن تغري بردي لبيبرس تشييد برج الزاوية بالقلعة [١]، ويدل اسمه علي أنه أنشي عند احدي زوايا القلعة، ويذكر ابن شداد أنه كان يقع بالقرب من باب السر الكبير [٢]، وأدي كشف أثري تم عند إعداد القلعة كمزار سياحي في الثمانينات إلي الكشف عن برج علية سباع منحوته (صورة رقم ٥٢) والسبع كان رنكا للظاهر بيبرس وذكرت المصادر التاريخية برجا في القلعة يعرف ببرج السباع [٣]هكذا وجد لدينا اسمين لبرجين واحد ينسب للظاهر بيبرس، والأخر غير منسوب إليه إن ما سبق يرجح أن برج الزاوية هو نفسه برج السباع [٤]، وأنه

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧، ص ١٩٠، دار الكتب المصرية، القاهرة – بدون تاريخ.

(٢) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق. احمد حتاته، ص ٣٤١.

(٣) كازانوفا، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٤) يبدو ان السباع انتشرت كرنك علي عمائر الظاهر بيبرس فيمصر فمن أشهر الأمثلة التي حملت هذا الرنك، قناطر السباع علي الخليج المصري، والتي تقع أمام مسجد السيدة زينب، والتي حملت هذا الرنك، وكان الناصر محمد بن قلاوون أراد إزالتها فأوحي إلي والي القاهرة، بان يجددها لارتفاعها، فلما جددها أشيع أن ذلك تم لإزالة شعار سلطان –

اشتهر بمرور الوقت بالاسم الأخير للسباع المنحوته عليه وواجهة البرج التي تقع داخل القلعة مازالت مدفونة، إلا أنه يمكن الدخول إليه عبر باب أسفل متحف الشرطة، ويذكر ابن تغري بردي لنا الدار الظاهرية، والدار الصالحية في حادثة حجز الخليفة العباسي المستكفي بالله مع أولاد أخيه في القلعة في العام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨ م. في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون (١)، وفي العام ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م يرد ذكر حجز الخليفة المستكفي أيضا، ببرج السباع مع أولاده، واحتجز ابن عمه إبراهيم في برج بجواره ومنعا من الاجتماع بالناس (٢).

وهاتان الحادثتان تدلان علي أن الدار الظاهرية تجاور برج السباع ويليها مباشرة الدار الصالحية التي إنشائها الصالح نجم الدين أيوب وعرفت بالقاعة الصالحية، ولما كانت هذه الدور تتخلل السور مع الأبراج في هذا الجزء من

= سابق، فأمر حينئذ الناصر بإعادة السباع مرة أخري للقنطرة، ومع ذلك فلم تنج هذة السباع من التخريب، فان الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر، شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظنا منه أن في هذا الفعل تقربا لله تعالي. وبقي بقناطر ترعة أبي المنجا، اثنان وعشرون سبعا لتعبر عن أعمال بيبرس لهذه القناطر سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ــ١٢٦٧م. علي يد الأمير عز الدين أيبك الأفرم، وهذا ن الأثران يدلان علي أن برج السباع بالقلعة من أعمال الظاهر بيبرس، ولما كان وجوده عند زاوية من زوايا النطاق الجنوبي ولوقوعة بالقرب من باب السر الكبير فمن المرجح أن البرج له مسميان، شاع منهما المسمي الأخير، كما شاع علي قناطر السباع بالسيدة زينب. انظر حول ما سبق:

عبد الرحمن عبد التواب، منشآتنا المائية عبر التاريخ، ص ٢١، ٢٢، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢. سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٩٦ القاهرة ١٩٦٣ م.

زكي حسن (دكتور) أطلس الفنون والتصاوير الإسلامية، ص ٥٠، ٢٦٨، فنون الإسلام، ص ٦٣٨، ٦٣٩. بيروت ١٩٩٢.

(١) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ١٤٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٩، ص ١١٥.

القلعة فقد أختلط الأمر علي المؤرخين، فذكر ابن تغري بردي مرة إقامة العباسين بالدار الصالحية ومره ببرج يجاور برج السباع. ولما كانت الدار الظاهرية ملاصقة لبرج السباع فهما يعدان امتدادا طبيعيا لبعضهما. ويبدو أن هذا الجانب من القلعة كان المكان المختار لحجز الخلفاء العباسين حين الخوف منهم من قبل السلاطين المماليك. خاصة أن شرعية الحكم المملوكي تحولت إلي هؤلاء الخلفاء، ولذا بات التحفظ عليهم أمرا واجبا في بعض الأحيان [(١)] ويشير ابن تغري بردي أن الظاهر بيبرس أخرج من برج الزاوية رواشن [(٢)] وبني عليه قبة وزخرف سقفها [(٣)] والحقيقة أن موقع هذا البرج الذي يعرف أيضا في خريطة الحملة الفرنسية ببرج الشخص، يلفت الانتباه إلي هذا البرج موقعه الاستراتيجي فهو من جانبه الشرقي يشرف علي مدخل القلعة المعروف بالباب المدرج وباب السر الكبير الذي يؤدي إلي النطاق الجنوبي، ومن جانبه الشمالي يشرف علي القاهرة وأسوارها، التي بدأت حركة العمران بها تنمو في اتجاه القلعة، فضلا عن إشراف هذا البرج علي الممر السلطاني المنحوت في الصخر المؤدي إلي باب السر الكبير، وإشرافه علي حركة القادمين إلي القاهرة عبر الصحراء.

لعل هذه الأسباب التي جعلته من أهم أبراج القلعة، التي حرص قراقوش أن يضع عليها النسر السلطاني، وأن يجدده السلطان الظاهر بيبرس وأن يلحق

---

(١) د. إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٥١، ٥٢، ٥٣. القاهرة ١٩٦٦ م.

(٢) روشن: بمعني الكوة أو النافذة أو الشرفة وهي من الفارسية روزن، ويقصد بها في العصر المملوكي الخرجات التي تستخدم للبروز بالعمارة وزيادة سطح الأدوار العليا، وتطل علي الشارع وواجهة الدخول.
محمد أمين وليلي علي إبراهيم (دكتور) المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٥٨.دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٩٠ م.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ١٢٠.

بجواره الصالح أيوب قاعة يشرف منها علي الحركة إلي داخل القلعة، ولعل ما حدث في مذبحة المماليك ١٨١١ م، يوضح لنا أهمية هذا الموقع في السيطرة علي القلعة وما حولها. هذه الأسباب مجتمعة هي التي جعلت بيبرس يعده كمجلس له بإخراج الرواشن منه ليستطيع من خلال الرؤية البصرية كشف الحركة حول القلعة والحركة إلي داخلها.

برج الرفرف:

وهو مازال قائما في الطرف الغربي من السور الجنوبي، واكتسب اسمه من الرفرف [(١)] الذي بناه الأشرف خليل فوقه عام ٦٩١ هـ /١٢٩٢ م. ويذكره بعض المؤرخين في حوليات السلطان بركة خان ابن الظاهر بيبرس، حيث خاطب الأمراء منه، وذكروا أنه يطل علي الإسطبل، ولم ينسبوه إلي السلطان بركه خان[(٢)] وهذا يعني وجود هذه المنشأة قبل عصر الأشرف خليل، وقد يكون في موقع القاعة الأشرفية منشأه قديمة هدمها الأشرف وأعاد بنائها. وهذا يجعلنا نعود بهذا البرج إلي قلعة صلاح الدين الأيوبي الذي ربما يكون هو ورفرفه جزءا من القلعة الأيوبية، ووظيفة هذا الرفرف تذكرنا بوظيفة برج الظاهر بيبرس الذي جدد جزءا من برج الشخص الأيوبي، الذي كان له وظيفة استراتيجية، فهذا البرج يبدوا أنه كان برج مراقبة للحركة داخل المدينة، فمن خلاله يمكن رؤية أي حركة

---

(١) الرفرف: رفرف الطائر إذا حرك جناحيه. ويطلق اللفظ في العمارة المملوكية علي ما يثبت في البناء من الخارج، فيطلق أساسا علي سقف خشبي مائل يحمل علي كباش أو كوابيل خشبية مثبتة بالحائط فوق المقاعد أو المصاطب أو مكاتب الأيتام كما يوجد أحيانا خارج الحوانيت علو مصطبة الحانوت.
محمد أمين (دكتور) مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٦٥٤.
ابن الفرات، مصدر سابق، ص ١٠٩.
كازانوفا، مرجع سابق، ص ١٠٩.

عند الصليبية الحد الشمالي للفسطاط، وفي ظواهر القاهرة الجنوبية، وازدادت أهمية البرج نظرا لبدأ تلاشي الخطر الخارجي، وبدأ الصراع الداخلي بين أمراء المماليك علي القوة والنفوذ، ولذا كان السلطان في حاجة إلي موقع يكشف من خلاله حركة القادمين إلي القلعة سواء عبر باب الإسطبل، أو المتجهين إلي باب القرافة عبر ميدان الرميلة.

ولذا حرص الأشرف خليل علي تجديد هذا البرج، ولكن المصادر التاريخية نري فيها المؤرخين يذكرون البناء بالرفرف، ويعود ذلك إلي فخامة هذا الرفرف الذي لم يسبق أن شيد مثيل له، وإن كنا نرجح أنه كان يشبه ما بناه الظاهر بيبرس من رواشن فوق برج الزاوية أو برج السباع.

وكان الرفرف عبارة عن قبة ترتكز علي أعمدة دائرية، زخرفت القبة بصور أمراء الدولة و"خواصها " [(١)] ربما قصد بها المقريزي صور لمدن الدولة وما تشتهر به، وهي رمزية تعبر عن تبعية الأمراء وهذه المدن والمعالم لسلطة الأشرف خليل . ولعل هذه القبة هي التي جعلت برج الرفرف تتكرر نسبته بقوة إلي الأشرف بالرغم من بنائه قبل عصره.

و يذكر المقريزي [(٢)] وابن تغري بردي [(٣)] أن الناصر محمد هدم برج الرفرف وأعاد بناءه مرة أخري، غير أن نص ابن تغري بردي يفهم منه أنه هدم الرفرف الذي يعلو البرج فقط وهو ما يؤكده الوضع الحالي للبرج، إذ أن به انقطاع رأسي يفصل بين برجين، وهو ما يعني أن البرج حدثت به إضافة من قبل الناصر الذي جدد الرفرف بالكامل.

وكان كازانوفا أول من حدد موقع هذا البرج، وقرأ اللوحة التأسيسية التي

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١٣.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ١٧٩.

وضعها الناصر عليه[١]. ونصها:

- بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشأ هذا البرج المبارك السعيد مولانا وسيدنا.
- السلطان المالك الملك الناصر الغازي في سبيل الله الحاج إلي بيت الله وقبر رسول.
- الله ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور بدؤه في جمادى الأولي والفراغ منه في سنة ثلاث عشر وسبعمائه [٢].

الباب الجديد:

بني هذا الباب علي رديم رفع أرض القلعة أسفله إلي مستوي يوازي الطريق الجديد الصاعد إلي القلعة، يبلغ طول الواجهة الشمالية (شكل رقم ٣٦) (صورة رقم ٥٣) للباب الجديد ١٥,٥٠ م أما ارتفاعها فيبلغ ١٦ م، ويزيد قليلا في الركن الأيمن لواجهة الباب الشمالية لوجود محرس أعلاها، تتوسط فتحة الباب الواجهة حيث يعلوها عقد نصف دائري، وقد زخرفت فتحة الباب والعقد بوسائد حجرية، ويحيط بعقد الفتحة من أعلي جفت لاعب بميمات ينتهي بميمة كبيرة أعلي مفتاح العقد، ويكتنف دخلة الباب مكسلتان، ويغلق علي هذا الباب باب من الخشب المصفح بألواح حديدية المثبة بمسامير مكوبجة، والباب من فردتي باب فتح في اليمني خوخة صغيرة، تستخدم للدخول إلي القلعة وكان الباب لا يفتح بكامله إلا عند مرور عربة أو مدفع، يعلو المدخل السابق صورة تذكارية كتب بداخلها بخط الرقعة البارز علي أرضية من فروع نباتية " يا مفتح الأبواب " ويوجد أسفل الكتابة السابقة باللوحة إطار زخرفي كتب بداخله " راقمه عبد

---

(١) كازانوفا، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٠، ١٢١.

الغفار[١] " ويؤطر اللوحة إطار زخرفي من فروع نباتية تتخللها زهور الرمان، ويعلو هذه اللوحة غرفة مراقبة تبرز عن واجهة فتحة الباب علي حرامدنين حجريين، وسقفها من النوع الجمالونى، وتوجد بها فتحتا مزغل. وكل هذه العناصر توجد داخل العقد النصف دائري المزخرف بوسائد حجرية، يؤطر هذا العقد جفت لاعب بميمات ويعلو مفتاح العقد ميمة كبيرة، وبكوشتى العقد جامتان دائريتان بهما رموز الجيش المصري، وهي المدافع رمزا للمدفعية، والطبلة والبوق رمزا للموسيقي العسكرية، والأعلام والبيارق، والبنادق والسيوف والدروع والبلط والرماح إلي جانب الهلال والنجمة، وكلها تلتف حول ما يشبه الزهرة في المنتصف.

يحدد كتلة المدخل إطار علي الجانبين علي هيئة دعامتين حجرتين، ومن أعلي كوابيل حجرية تبرز عليها حجرة المراقبة الرئيسية التي يسقفها سقف جمالونى، ويوجد بها ثلاثة شبابيك، وعلي يمين ويسار الغرفة يوجد شباكان، يفتحان علي حجرتين ذاتي سقف مسطح، وفي أعلي الركن الشمالي الغربي للواجهة يوجد محرس عبارة عن بناء مثمن تعلوه قبة حجرية وهو يرتكز علي مربع شطفت زواياه، وكان هذا المحرس يستخدم في مراقبة القادمين إلي القلعة.

أما الواجهة الجنوبية للباب الجديد فيتوسطها الباب وهو عبارة عن فتحة معقودة بعقد نصف دائري، يعلوه عقد ذا طيات مزخرفة بوسائد رأسية وزخارف هندسية، ويعلو فتحة المدخل صورة تذكارية كتب بداخلها بخط الرقعة البارز علي

---

(١) هو الفنان عبد الغفار بيضاوي، وهو خطاط إيراني، قدم إلي مصر في عهد محمد علي وعمل في خدمة الحكومة في الفترة من ١٨٢٤ / ١٨٢٥ م إلي ١٨٦٢ وهو تاريخ إحالته علي المعاش. وكان يعهد إليه بكتابة نصوص النياشين وتذهيبها. وشارك في كتابة نصوص مسجد محمد علي. محمد عبد الحفيظ، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص ٣٩٦، رسالة دكتوراة كلية الآثار، جامعة القاهرة ٢٠٠٠ م.

أرضية من فروع نباتية " افتح لنا خير باب " أسفل هذه الكتابة إطار زخرفي بداخل اللوحة كتب بداخله " راقمه عبد الغفار " ويؤطر اللوحة إطار زخرفي بارز من الزخارف النباتية تتخللها زهور الرمان، ويحدد كتلة المدخل إطار علي الجانبين علي هيئة دعامتين، ويعلو ذلك حجرة مراقبة بارزة عن الواجهة بكوابيل حجرية لها سقف جمالوني، وعلي يمين ويسار فتحة الباب حنيتان عرض كل واحدة منهما ٢,٧٠ وعمقها ٤٠ سم، وقد عقدت كل منهما بعقد نصف دائري زخرف بوسائد رأسية وفي الطرف الأيسر من الواجهة فتحة باب يعلوها عقد موتور تؤدي إلي بقايا درج الباب المدرج حيث يوجد في نهايتها فتحتا باب الأولي في المواجهة وتؤدي إلي دركاة الباب المدرج والثانية علي اليسار وتؤدي إلي الطابق العلوي للباب الجديد، والذي يوجد به مجموعة من الحجرات المختلفة المساحة (شكل رقم ٣٧).

يوجد بين فتحتي الباب ردهة (شكل رقم ٣٨)، وهي ردهة طويلة، تنقسم إلي خمس مساحات تبدأ من فتحة الواجهة الشمالية بمساحة مربعة الشكل سقفها علي هيئة قبو متقاطع، وعلي الجانبين توجد فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري، تؤدي إلي سلم صاعد يفضي إلي حجرة رماية في كل جانب، ويوجد بكل حجرة ثلاث فتحات مزاغل تفتح علي الواجهة الشمالية، والمساحة الثانية بالردهة مستطيلة الشكل يتوسطها قبة ضحلة ويفتح عليها أربعة عقود نصف دائرية ويفتح بالناحتين الشرقية والغربية منها إيوانان تقع خلف كل منهما فتحة باب مستطيلة علي يمينها ويسارها دخلتان تفتح بداخل كل منهما فتحة شباك مستطيلة يغلق عليها مصبعات حديدية ويعلو فتحة كل باب والشباكين إفريز حجري يعلوه نفيس، ويؤدي كل مدخل إلي حجرة مستطيلة مسقفة بقبو نصف دائري، والمساحة الثالثة بالردهة أكبرها مساحة وهي دائرية تسقفها قبة ضحلة، ويفتح علي هذه المساحة أربعة عقود نصف دائرية، ويوجد بالجانبين الشرقي والغربي

إيوانان ترتفع أرضيتهما عن أرضية الردهة، وفتحت بكل من الإيوانين فتحة باب مستطيلة علي يمينها ويسارها فتحة شباك مستطيلة يغشيها مصبعات خشبية، تؤدي كل فتحة باب إلي حجرة مستطيلة، والمساحتان الرابعة والخامسة تماثلان المساحتين الأولي والثانية بالردهة علي التتابع.

الباب الوسطاني:

يقع هذا الباب أعلي باب السر الكبير الذي كان مخصصا في العصر المملوكي لدخول كبار أمراء المماليك إلي النطاق السلطاني في القلعة، وكان هذا الباب يفتح أيضا في المناسبات الرسمية، ردم محمد علي هذا الباب في إطار استكمال منسوب الطريق الصاعد إلي القلعة وردم كل المنشآت المهدمة بها لإقامة منشآت جديدة مكانها. ويرتبط هذا الباب بسور النطاق الجنوبي الذي يمتد من برج السباع إلي باب القلة.

وللباب واجهتان أولهما الشمالية (صورة رقم ٥٤) وهي تطل علي امتداد الطريق الصاعد بعد الباب الجديد، يتوسط هذه الواجهة كتلة المدخل وهي تبرز قليلا عن سمت الجدار، وتوجد بها فتحة الباب وهي معقودة بعقد نصف دائري ذي طيات، ويؤطر المدخل علي جانبية إطار علي شكل عمودين منحوتين في الحجر، وكان يعلو المدخل نص تذكاري نزعت لوحته. ويعلو ذلك حجرة مراقبة بارزة علي كوابيل حجرية ولها سقف جمالوني يوجد بها ثلاثة شبابيك.

أما الواجهة الجنوبية فهي تماثل الشمالية ولكن يحدد حجرة المراقبة من أعلي كورنيش حجري من النوع المعروف باسم Frinsh Carve كما فتحت علي يسار الواجهة فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري تؤدي إلي الطابق الأول (شكل رقم ٣٩).

وردهة الباب مستطيلة (شكل رقم ٤٠) وقد فتحت علي يسار وعلي يمين الردهة فتحتا باب معقودتان بعقد نصف دائري، يغلق عليهما مصراع باب خشبي،

يؤدي كلا البابين إلي حجرتين مستطيلتين سقفتا بسقف عبارة عن قبو نصف دائري.

ويؤدي الباب الصاعد إلي الطابق الأول إلي ممشي يعرف حربيا باسم قدم بيادة، فتحت بسوره أربع فتحات مزاغل للبنادق، وفي نهاية الممشي فتحة باب مستطيلة تؤدي إلي حجرة المراقبة الرئيسية السابق ذكرها.

النطاق السلطاني:

بئر يوسف:

تقع هذه البئر التي تعد أروع المنشآت المائية في العمارة الإسلامية بمصر في النطاق السلطاني بقلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، ويعود حفره في صخر المقطم إلي عهد تأسيس القلعة علي يد صلاح الدين والذي تولي حكم مصر من ٥٠٥-٥٨٩هـ/١١٦٩-١١٩٣م. والذي قام علي حفره وعمارته هو وزيره المشهور بهاء قراقوش.

أشار المقريزي - نقلاً عن ابن عبد الظاهر - إلي أن بئر القلعة هي واحدة من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة في وسطها، وتدور أبقار في وسطها فتنقل الماء من أسفلها، ولها طريق إلي الماء ينزل البقر منها إلي معينها في مجاز منه في الصخر، كان ماؤها عذبا فلما أراد قراقوش زيادة نقر في الحجر ليوسع الفوهة فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها، وينزل لها بدرج عدده نحو ثلاثمائة درجة [1].

و البئر حاليا عبارة عن ثلاثة طبقات يلتف حولها ـ كما وضحنا ـ سلم حلزوني يضيق في الطبقة السفلي عنه في الطبقة الوسطي التي عملت فيها سلالم خشبية كانت تستخدم لرفع الماء من قاع البئر إليها بواسطة قواديس تديرها

(١) ابن عبد الظاهر، الروضة البهيه، ص١٩.

الدواب التي خصص لها منحدر بغير درج لتسهيل نزولها إلي هذه الطبقة وصعودها منها، وقد فتح المعمار في الجوانب الأربعة لهذه الطبقة أربع فتحات للتهوية والإنارة، كما جعل الوصول إلي الطبقة العلوية عن طريق فتحة باب في ناحيتها الجنوبية الشرقية تفضي إلي حجرة مربعة ذات سقف خشبي معرق وأرضية مفروشة ببلاطات من الحجر، في أسفلها قبو آجري للسلم الحلزوني، وبها ساقية خشبية ثانية كانت تستخدم لرفع الماء من الطبقة الثانية إليها بواسطة قواديس تديرها الدواب أيضا.

وقد استخدم من مواد البناء في هذه البئر الحجر للأرضيات والجدران ودرجات السلم، والآجر لقبوات هذا السلم، والخشب للساقيتين والأبواب وسقف حجرة الطبقة العلوية.

يبلغ عمق هذه البئر ابتداء من أرضية القلعة الحالية إلي أرضية الطبقة الثانية خمسين متراً وثلاثة أعشار المتر وعمقها من أرضية الطبقة الثانية إلي قاعها في الطبقة السفلية أربعين متراً وثلاثة أعشار المتر، وبذلك يكون مجموع عمقها في طبقاتها تسعين متراً وستة أعشار المتر.

أما المنحدر الذي ينزل الإنسان عليه إلي الحوض الأول من البئر فقد نحت في الصخر علي هيئة مدار حلزوني ذي خطوط مستقيمة تنحدر انحداراً هرمياً عرضه ٢ متر وارتفاعه ٢,٢٠متر، وقد نحت هذا المنحدر في براعة ومهارة فائقتين حيث يبلغ سمك الحاجز الذي يدور حوله ١٦سم فقط [١].

مسجد القلعة الجامع:

عندما شرع بهاء الدين قراقوش في بناء قلعة صلاح الدين وجد بها عددا

---

(١) بول كازانوفا، مرجع سابق، ص ٨٣ – ٨٧

– ناصر الرباط: تاريخ قلعة القاهرة، ص ٥ – ٦.

من المساجد التي يرجح أنها تعود للعصر الفاطمي، وظلت بعض هذه المساجد قائمة لأداء الصلاة بها، واعتبر مسجد سعد الدولة هو المسجد الجامع بالقلعة. والذي جدده الملك الكامل الأيوبي وخطب فيه الخليفة العباسي بعد توليه الخلافة فيعهد الظاهر بيبرس، ولكن هناك جدلية يفرضها وجود المسجد الجامع بالقلعة.

وكان عدم الدعاء لسلطان من علي المنابر يعني إسقاطه من العرش بواسطة الخطيب، والدعاء لسلطان يعني صعوده إلي العرش، وفي العصور الوسطي أكتسب ذلك أهمية متزايدة، نتيجة لأن المساجد الجامعة هي مكان تجمع أهل المدينة في يوم الجمعة، وعد الفقهاء صلاة الجمعة من أركان إقامة الدين[١].

عدت قلعة صلاح الدين مدينة حصنا مستقلة بذاتها تحتاج إلي مسجد جامع، كما كان الحال في كل من الفسطاط التي كان مسجدها الجامع هو مسجد عمرو بن العاص، والقاهرة التي كان مسجدها الجامع هو الجامع الأزهر ثم جامع الحاكم بأمر الله[٢].

مسجد الناصر محمد: (صورة رقم ٥٥)

كان مسجد سعد الدولة هو أكبر مساجد القلعة، ولوقوعه في القسم السلطاني أو في دار السلطنة بالقلعة، فقد تم اختياره كمسجد جامع للقلعة. وقد جدده السلطان الكامل محمد بن العادل.

ومع التوسعات المتلاحقة التي شهدتها القلعة بدءاً من عصر الظاهر بيبرس إلي عصر الناصر محمد بن قلاوون، والتزايد المستمر في أعداد المماليك خاصة

---

(١) السرخسي، محمد بن أبي سهل: المبسوط، ج ٢، ص ١٢٠. القاهرة، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٧ م.

(٢) أغلق صلاح الدين الأيوبي الجامع الأزهر بعد اسقاط الخلافة الفاطمية، لكونه مسجدها الجامع، وتحولت صلاة الجمعة إلي جامع الحاكم بأمر الله، إلي أن أعاد الظاهر بيبرس فتح الأزهر مرة أخري. المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٧٥.

المماليك السلطانية، باتت الحاجة ملحة إلي إعادة إنشاء مسجد جـامع بالقلعـة، يكون أكبر حجماً من مسجدها القديم، وهذا ما اتجه إليه الناصر محمد بن قلاوون، حيث قام عام ٧١٨هـ/١٣١٨م بهدم الجامع وإعادة إنشائه من جديد، وضم إليه منشآت كانت بجواره، وهي الحوائجخاناه والطشـتخاناه والفرشـخاناه[١]، وهـي منشآت خدمية هدمت لكي يتم زيادة مساحة المسجد، وانتهت عمارة هذا المسجد في أربعة شهور وخمسة وعشرين يوماً.

وفي عام ٧٣٥هـ/١٣٣٥م شرع الناصر محمد بن قلاوون في تجديد عمارة مسجده بالقلعة، وجاء هذا القرار في أعقاب الانتهـاء مـن الإيـوان الناصـري المواجه للمسجد، والذي يبدو من تتبع الربط بين المنشئتين، أن الناصـر أراد أن يخلق توازناً معمارياً بينهما، ذلك أن عمارة الإيوان جاءت أكثـر ارتفاعـاً مـن المسجد، وتميز عنه بقبته الخضراء العالية.

ويحدد لنا الدواداري ما أحدثه الناصر في مسجده فيذكر "أنه برزت المراسـم الشرفية بهدم الجامع الذي أنشأه مولانا السلطان عز نصره بالقلعة المحروسـة، وأن يجدد بنايته فهدم ما كان من داخله من الرواقات والمقصـورة والمحـراب، وجدد بنايته ما لم تر العين أحسن منه، وأعلي قناطر الرواقات اعـلاءاً شـاهقاً، وكذلك القبة أعلاها حتي عادت في ارتفاع، وأحضر لهذا الجامع أعمـدة عظيمـة كانوا منسيين بمدينة الأشمونين بالوجه القبلي من أعمال الديار المصرية، وكانوا هذه الأعمدة في البرايا التي بمدينة الأشمونين"[٢].

هذه الخطة التي ذكرها الدواداري توضح أن الهدم لم يشمل مداخل المسـجد ولا المآذن ولا الجدران الخارجية، ويبدوا أنه قد تم هدم السقف وبعض الأروقة، ويظهر رفع الجدران بوضوح في المدخل الشمالي الشرقي الذي يعلوه صف مـن

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٢٥ ؛ المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٣٨٢ – ٣٨٣.

النوافذ حاليا، بينما كان المدخل قبل إجراء هذه الإضافات يصل ارتفاعه إلي الشرفات المسننة التي تعلوه حاليا (صورة رقم ٥٦)، وكذلك في المئذنتين، التي يتضح أن جدران المسجد ارتفعت عنها(صورة رقم ٥٧، ٥٨، ٥٩).

وهذا يبين لنا سبب وجود صفوف من العقود الحجرية التي تعلو الباتكات المطلة علي صحن المسجد، والتي أضيفت في التجديد الأخير للناصر، أما القبة الخضراء التي تتقدم المحراب فقصد بها أن تعادل قبة الإيوان الناصري.

وهناك نقطتان هامتان:

- النقطة الأولي هي موقع المئذنتين، ذلك أن مهندس المسجد اختاره بعناية، إذ تواجه أحداهما الإيوان أو قاعة العرش، وهي بذلك توجه نداء الصلاة إلي الموجودين فيه، والمأذنة الأخري موجهة إلي طباق المماليك في النطاق الشمالي، وبذلك يكون المسجد هو المهيمن علي المكان، ومتتبع موقع المآذن وقبة المحراب من جهة القرافة والمقطم سيجد أنهما من المنشآت المهيمنة بصرياً علي القلعة.

والمئذنتان (صورة ٦٠) بطرازهما الغريب لفتتا الانتباه إلي كونهما متأثرتين، بطرز مآذن شرق العالم الإسلامي خاصة مآذن تبريز، وتشبهان مئذنة علي شاه بتبريز، ويبدو أن مئذنتا مسجد قوصون كلتاهما شيدتا علي هذا الطراز[1]، وأراد الناصر أن تكون مئذنتا مسجده علي هذا الطراز، فكلف الناصر محمد المعلم التبريزي الذي شيد مئذنة قوصون بتشييد مئذنتي مسجده.

ويذكر أن الأمير أيتمش أرسله الناصر محمد إلي خان الأزبك وأحضر معه معلم تبريزي، شيد مئذنتي قوصون ومئذنة أخري في مسجد بإقطاعية

1) Lila ibrahim and j.mrogers “the hangah of the emir Qawsun, p. 55-56.

أيتمش، ويظهر التأثير التبريزي في مئذنتا الناصر بشكل خاص في الشريط الكتابي من القاشاني، وفي قمتي المئذنتين ذواتي بلاطات القاشاني الخضراء[١].

- والنقطة الثانية هي المقصورة التي كانت بالمسجد، والتي أشار إليها المؤرخون، وكانت تقع بجوار المنبر، ويصلي فيها السلطان وخاصته يوم الجمعة[٢].

كان ظهور تلك المقاصير راجعاً لأسباب أمنية تتعلق بأمن الخليفة أو السلطان، حيث قتل اثنان من خلفاء المسلمين أثناء الصلاة في المسجد، وهما عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، ومنذ ذلك الحين أصبح هاجس الأمن ملحاً، ولم تعد شخصية الحاكم في صورتها البسيطة المتحدة في شخصية الرسول وخلفائه الأربعة تتناسب مع طبيعة دولة مركبة الإدارة متسعة الأرجاء ومتنوعة السكان والديانات، ولذا اتخذت المقاصير لحماية شخص الحاكم، وكان أول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليماني، ومعاوية بن أبي سفيان حين ضربه الخارجي، وهي هنا ضرورة أمنية، غير أن بعض الحكام اتخذها كوسيلة من وسائل الترفع والتباهي، وهو ما دفع الفقهاء خاصة ابن الحاج إلي عقد فصل في مفاسد المقاصير[٣]، ورأي الفقهاء أنها بدعة محدثة تقطع صفوف الصلاة وتؤدي إلي تمايز بين المصلين وكرهوا الصلاة فيها[٤]، ويري ابن الأزرق – وهو فقيه

---

(1) - Michael meinecke " die mamlukischen faience dekorationen: eine werkstatte aus tabrizin kairo (1330–1335), p. 85. kunst des orients 11 (1976 –77). doris behrens abousief, the minarets of Cairo " p78. Cairo 1985.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١٣ ؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٤، ص ٧.

(٣) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ٢١٠.

(٤) الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ص ٣٧٥، المجلس الاعلي للشئون الاسلامية، القاهرة – ١٣٢٤ م.

ومتخصص في السياسة الشرعية- أنه يجوز اتخاذها بشـرط ألا تقطـع الصـف الأول إلا لضرورة[١]، ورأي ابن الأزرق يمثل استيعاب الفقهاء للضرورات التـي تتعلق بالحكم، وما قد يتعرض له في حال تكرار اغتيال الحكام أثناء الصلاة.

وكان الناصر محمد بن قلاوون يدخل إلي مقصورة مسجده من باب صـغير يقع في آخر الجدار الجنوبي، ويفتح مباشرة علي ظلة القبلة، وبالتالي يؤدي إلي المقصورة هناك، وفي سنة ٧٣٤هـ/١٣٢٣م وثب شخص أعجمـي وفـي يـده سكين، وقصد المقصورة السلطانية فأمسك في وقته[٢]، وتوضح هذه الواقعـة - وغيرها كثير- مدي أهمية عنصر المقصورة، الذي أصبح وجوده يـرتبط بـأمن الحاكم وإن اختلفت أشكاله[٣].

ويسترعي الانتباه في هذا المسجد عدم إلحاق ضريح به، وهذا يعـود إلـي كونه المسجد الرسمي للدولة، وبالتالي لا يخص السلطان، فاتجـه الناصـر إلـي إنشاء ضريح له خارج القلعة، ولعل ذلك من الأسباب التي كفلت استمرار المسجد في أداء وظيفته دون تجديدات واسعة أو هدم حتي عصر محمد علي.

يوجد أسفل مسجد الناصر محمد طابق واضح في صور الحملـة الفرنسـية، حيث تظهر بها حواصل، وهذا الطابق ربما وجد لكي يحدث توازناً بـين ارتفـاع المسجد وارتفاع الإيوان الكاملي، ورأي الناصر حين جدد المسجد أن يحتفظ بهذا التوازن، وهو السبب أيضاً الذي دفع الناصر إلي إيجاد هذا التوازن حـين جـدد الإيوان وجعله أعلي من المسجد، ولكن حين جدد المسجد للمرة الثانية جعله أكثر

---

(١) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢.

(٢) الدواداري، كنز الدرر، ج ٩، ص ٣٧٨.

(٣) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسـلامية، المجلـد الاول، ص ٦٥٠ - ٦٩٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة - ١٩٩٤ م ؛ حسـين مـؤنس، المساجد، ص١٤٨ - ١٤٩، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، الكويت - ١٩٨١ م.

ارتفاعاً أو موازياً في ارتفاعه للإيوان الناصري، وهذا نستطيع استنتاجه إذا قارنا بين مستوي سطح المسجد، ومستوي الأسوار المواجهة للمسجد، ولكن يبدو أن قبة الإيوان بضخامتها، كانت هي الأكثر ارتفاعاً في محيط القلعة(صورة ٦١).

ومسجد الناصر محمد في صورته الحالية علي طراز المساجد الجامعة في العصر المملوكي، يتكون من مستطيل أبعاده ٥٧×٦٣ م(شكل رقم ٤١، ٤٢)، ويتوسطه صحن مكشوف تحيط به أربع ظلات أكبرها ظلة القبلة، وتتكون من أربع بائكات تحصر فيما بينها أربعة أروقة موازية لجدار القبلة، وتتكون كل بائكة من عشرة أعمدة مستديرة ما بين رخامية وجرانتية، تحمل عقوداً بشكل حدوة الفرس، وألغي عمودان من البائكة الثالثة والرابعة لإيجاد مساحة مربعة تتقدم المحراب تم تغطيتها بقبة كبيرة، كانت من الخشب، حيث أن مقرنصات منطقة الانتقال لازالت حتي الآن من الخشب، وتظهر التأثيرات السلجوقية الإيرانية في هذه القبة التي تعلو المحراب المكسوة من الخارج ببلاطات القاشاني الأخضر، ويتوسط حائط القبلة المحراب المجدد حديثاً يكتنفه محرابان جانبيان(صورة رقم ٦٢).

أما الظلتان الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية فتتكون كل منهما من بائكتين متعامدين علي جدار القبلة، وتتكون الظلة الشمالية الغربية من بائكتين أيضاً ولكنهما موازيين لجدار القبلة، ويتوسط هذه الظلة الباب الشمالي الشرقي للجامع، ويعلو هذا الباب بتلك الظلة دكة المبلغين، وهي أقدم دكة مبنية حتي الآن في العمارة الإسلامية، من حيث الموقع والبناء، يصعد إليها من باب علي يسار الداخل.

زخرف سقف الجامع بسقف خشبي بطريقة القصع، وبالألوان الأزرق والذهبي بزخارف نباتية يظهر بها التأثيرات الإيرانية.

تعتبر واجهة الظلات الأربعة علي الصحن الأوسط المكشوف شاهداً علي

المرحلة الثانية لبناء الناصر محمد لهذا الجامع، حيث أضاف المعمار صف من الشبابيك المستطيلة المعقودة بعقود مدببة حتي يتمكن من رفع سقف الجامع، وهي من التأثيرات السورية، التي رأيناها لأول مرة في الجامع الأموي بدمشق(صورة رقم ٦٣).

ويتميز هذا الجامع بواجهاته الجافة التي تخلو من أي زخارف كانت موجودة في باقي جوامع ومدارس هذا العصر.

وللجامع ثلاثة مداخل، أحدهما في الضلع الشمالي الغربي، وهو المدخل الرئيسي، وكان يرتفع عن الواجهة، إلا أنه في التجديد الثاني للناصر محمد صار بارتفاعها، والثاني في الضلع الشمالي الشرقي، وقد كان بارتفاع الواجهة، وصار الآن أقل منها بعد التجديد الثاني للناصر[١]، ويتميز بأن علي يساره أقدم مثل لشرفة المؤذنين، والمدخل الثالث في الضلع الجنوبي الشرقي، وهو الذي كان يؤدي إلي مقصورة المسجد، ومعظم من وصفوا المسجد لم يذكروا هذا المدخل (صورة رقم٦٤).

ولما كان لهذا المسجد صبغة رسمية، فقد ذكر لنا كل من العمري والقلقشندي[٢] هيئة صلاة الجمعة به، فذكر العمري "أن هذا السلطان –الناصر محمد– يخرج أيام الجمع إلي الجامع المجاور لقصره في القلعة، ومعه خاصة الأمراء، وتجيء بقية الأمراء من باب آخر للجامع، أما السلطان فيصلي علي يمين المحراب في مقصورة خاصة، ويجلس عنده أكابر خاصته، ويصلي معه

(١) للمزيد من وصف هذا المسجد وعناصره أنظر: علي المليجي، عمائر الناصر محمد الدينية، ص ٢٢٠- ٢٤٣، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار – القاهرة، ١٩٧٥م.

(٢) العمري، مسالك الأبصارفي ممالك الامصار، ص ٤١، تحقيق. ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة – ١٩٨٥ م ؛ القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٤.

الأمراء - خاصتهم وعامتهم- خارج المقصورة عن يمنتها ويسرتها علي مراتبهم، فإذا سمع الخطبة وصلي صلاة الجمعة دخل إلي قصوره... وتفرق كل واحد إلي مكانه".

دار العدل:

كانت قلعة الجبل آخر الحواضر الأيوبية التي حازت علي دار عدل خاصة بها، فقد بني الكامل محمد بن العادل دار عدل داخل النطاق الجنوبي، ثم جاء الظاهر بيبرس ليبني دار عدل ثانية عام ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م في منطقة الإسطبلات السلطانية، وكانت دار العدل الظاهرية فيما يبدو ذات واجهه مفتوحة علي الميدان المجاور للقلعة وسوق الخيل. ولم يستعمل الظاهر بيبرس دار عدله لجلسات نظر المظالم فقط، وإنما قعد بها أيضا أيام العروض العسكرية ليشهد فصائل فرسانه ومماليكه تمر أمامه من الميدان بمحاذاة أسوار القلعة[1]، ولما تولي قلاوون السلطة عام ٦٧٨ هـ / ١٢٨٠ م انتقل مركز دار العدل إلي النطاق الجنوبي، حيث بني دار عدل جديدة، ولكن قلاوون نفسه لم يجلس في دار عدله تلك لأنه كان أغتم، أي لا يتقن العربية، لهذا فقد فوض نظر دار العدل لواحد من كبار أمرائه الذي يتقنون لغة البلاد ويعرفون عاداتها: لاجين، الذي أصبح سلطانا بدوره، واتخذ نفس لقب أستاذه، المنصور، وبعد قلاوون جاء ابنه الأشرف ليهدم قبة أبيه، أو إيوانه، حيث أن الكلمتين كانتا تستعملان بالتبادل في مصادرنا للدلالة علي المبني نفسه، ويبني مكانه الإيوان الأشرفي الذي ما برح مستخدما كدار عدل حتي مجئ الناصر محمد الذي هدم إيوان أخيه بدوره وأعاد بناءه ثانية [2]. هذه

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص ٢١٠، تحقيق. عبد العزيز خويطر، الرياض - ١٩٧٦ م.

(٢) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، ص ٢٣٢، تحقيق. عبد الحميد صالح حمدون، القاهرة - ١٩٧٨ م.

السلسلة من الهدم وإعادة البناء لمنشأ واحدة في القلعة خلال نصف قرن فقط إن دلت علي شئ، فهي تدل علي طموح السلاطين لأن يكونوا أصحاب أكثر الأبنية أبهة وأهمها وظيفيا وأقربها إلي الرعية: دار العدل [1]

ومن الملفت للنظر استخدام اصطلاحي قبة وإيوان لمنشأة واحدة، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذا التبادل الإصطلاحي:

لعل أول هذه التساؤلات هل الإيوان[2]، هو الغالب في عمارة دار العدل الأشرفية والناصرية، وما هي علاقة الإيوان بدار العدل كمنشأة ؟ وثالث هذه التساؤلات لماذا استخدمت القبة في تغطية المساحة الرئيسية لدار العدل؟. وهل للقبة قيمة سلطوية رمزية ؟

= الداودري، كنز الدرر، ج ٨، ص ٣١٤.

ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٣٧٨، تحقيق. محمد صطفي، القاهرة – ١٩٨١ م.

(١) ناصر الرباط (دكتور)، دار العدل- قصة منشأة اسلامية قروسطية، ص ٦٨، مجلة الاجتهاد، ع ٢٢ – السنة السادسة، ١٩٩٤ م.

و حول دور العدل ونشأتها وتطورها انظر:

Jorgen Nielson: “ mazalimand dar al adel under the early mamluks “ p114: 11 2 T he muslim world. vol 66, n2. (april 1976).

(٢) الإيوان في العمارة المملوكية يمثل وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاث حوائط أي من ثلاث جهات فقط والجهة الرابعة مفتوحة، وإذا سد الإيوان من الجهة الرابعة لا يقال له إيوان بل مجلس، والإيوان يعلو دائما بمقدار درجة أو سلمة أو أكثر عن باقي مسطحات المكان، وسقف الإيوان أما معقود أو مسطح، وعلي واجهة الإيوان عقد أو قوصرة أو كريدي عدا في الوحدات السكنية الصغيرة فتعلوه فتحة عادية.

محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية، ص ١٧.

وعن تطور استعمال الإيوان في العمارة الإسلامية :

the encyclopedia of islam 2 (e 12),art. ” Iwan “ by olg graber,,vol 1v, 289.

لعل أول ما يمكن طرحه عند الإجابة علي هذه التساؤلات أن كلمة إيوان كلمة فارسية معربة من " ايفان " وتعني لغويا قاعة العرش[1]. ولما كانت دار العدل هي مقر العرش المملوكي فمن الممكن أنه أطلق عليها إيوان لهذا السبب خاصة مع قوة التأثيرات اللغوية الفارسية والتركية في ذلك العصر في مصر. ولما كان لفظ الإيوان اصطلاحا مملوكيا يعني وصفا معماريا لمنشأة ذات أوصاف محددة، فذهب ناصر الرباط أن التبادل الإصطلاحي في إطلاق إصطلاحي قبة وإيوان فيما يخص دور العدل بدءا من الظاهر بيبرس فقلاوون، وبعدهما دار عدل الأشرف خليل لاحتواء كل منها علي إيوان وقبة [2]، ربما خلف الإيوان، وهو يري أن ذلك يعطينا فكرة عن ترتيبها المعماري، ويجعلنا قادرين علي الربط تاريخيا ونوعيا بينهما وبين الإيوان الكبير الذي حل محلها. والذي بناه الناصر محمد علي مرحلتين.

كان إيوان الناصر تتوسطه قبة مركزية يتقدمها مساحة ربما كانت مغطاة بقبو أو بسقف مسطح، وتفتح علي القبة بثلاثة أبواب (صورة رقم ٦٥) وهي ذات واجهة بها ثلاثة عقود أكبرها أوسطها، وهذه الواجهة تذكرنا بواجهة إيوان مدرسة المنصور قلاوون، وهذا يعني أن المساحة التي تتقدم القبة يطلق عليها الإيوان، وغلب اسم الكل علي الجزء، وهذا احتمال يمكن أخذه في الاعتبار، وكان الإيوان له مدلول تاريخي علي واحد من أكبر منشآت العروش السلطانية، وهو إيوان كسري الذي يقع في المدائن، شمالي بغداد، وأطلق اصطلاح الإيوان علي قصر الحكم الساساني في المدائن، وهو من باب إطلاق اسم الجزء علي الكل ويبدو أن هذا طبق أيضا علي دار العدل بالقلعة.

---

(١) محمد أمين وليلي إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) اشتملت بعض المنشآت الجنائزية بجبانة المماليك علي قبة وإيوان منها منشأة طشتمر حمص أخضر وخوند.

الإيوان الكبير:

أعاد الناصر محمد بن قلاوون بناء الإيوان مرتين، الأولي سنة ٧١٥ هـ/١٣١٥ م، والثانية سنة ٧٣٥ هـ/ ١٣٣٤ م. ولعل ذلك ارتبط بتطور حركة العمران في عصر الناصر، وباستقرار حكمه، وبرغبته في إعادة بناء المجمع الملكي بالقلعة علي درجة تليق بسلطنته وسلطنة المماليك.

وهذا الإيوان الكبير الذي أسمته المصادر دار العدل أيضا، ثم حرف اسمه حوالي القرن السابع عشر ليصبح (ديوان يوسف) حفظت مخططاته في كتاب وصف مصر، الذي أنتجه علماء الحملة الفرنسية (شكل رقم ٤٣) (صورة رقم ٦٦، ٦٧) كما ساعدنا تخطيط رسم للإيوان سنة ١٧٩٩ م بواسطة الرحالة لكزيس ونشرته دوريس أبو سيف علي وضع تصور للإيوان (شكل رقم ٤٤) ويبين المسقط الفرنسي أن الإيوان كان مفتوحا من ثلاث جهات هي الشمالية الشرقية التي شكلت واجهته الرئيسية والجنوبية الشرقية والشمالية الغربية . أما الجهة الرابعة، والتي قامت قبالة القصر الأبلق الذي بناه الناصر محمد أيضا ليكون صالة عرش خاصة فكانت عبارة عن حائط حجري سميك به فتحات خمسة مداخل معقودة تؤدي إلي القصر، أكبرها أوسطها وهو معقود بعقد نصف دائري غائر يشكل نصف قبة مقرنصة وعلي جانبيه مكسلتان وأحجار الواجهات كلها من الحجر المشهر.

تتكون واجهة الإيوان الرئيسية من خمسة عقود أكبرها أوسطها وهي عقود مدببة، تمثل خمسة مداخل إلي الإيوان، وتكون الثلاث الوسطي عقود المدخل الرئيسي إلي قبة الإيوان، ويسمي المقريزي المساحة التي تليها بالدركاة[1] ويؤدي العقدان الجانبيان إلي جناحين متوازيين مع القبة، ويعلو هذه العقود صف من النوافذ التوأمية المعقودة، فوقها شريط كتابي بطول الواجهة، به الآية ٣٢

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٦.

من سورة إبراهيم ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ....﴾ ولاحظ ناصر الرباط وجود تتمة الآية مثبتة علي رسم الجدار الداخلي للإيوان في كتاب وصف مصر، وهو أسلوب غير معهود في العصر المملوكي، ولعل الرسام الفرنسي قرأ الكتابة علي الواجهة الخارجية فقط، ولم يتمكن من إثباتها كلها علي الواجهة التي رسمها فاضطر إلي استكمالها علي الواجهة الداخلية مما سبب تساؤلا حول مدي دقة الرسام الفرنسي في لوحاته ؟ [(١)]. ويعلو هذه الواجهة صف من الشرافات. وترتفع الواجهة الرئيسية عن باقي واجهات المبني. والواجهات الأخري للإيوان تتكون حسب رسم أوين كارتر(صورة رقم ٦٨) لإحداها في لوحته من صف من ستة عقود مدببة محمولة علي أعمدة، يعلوها تيجان، يفصل بينها بعد عقدين من نهاية جدار الواجهة دعامة ساندة بارزة بارتفاع المبني، ويعلو هذه العقود صفان من النوافذ المعقودة.

يتوسط المبني من الداخل مساحة مربعة يحيط بها من ثلاثة جوانب ثلاث أجنحة، شكلت هذه الأجنحة صفوفا من الأعمدة الجرانتية الهائلة نقلت من الآثار الفرعونية بالصعيد [(٢)] وحفر علي هذه الأعمدة اسم السلطان الناصر محمد كرمز علي نسبة البناء إليه، وكان يعلو قاعة العرش قبة خشبية ضخمة غطيت من الخارج ببلاطات القاشاني الخضراء، وتم الانتقال من المساحة المربعة إلي الدائرة التي تحمل القبة عن طريق أربع حنيات مقرنصة خشبية ضخمة ورائعة، قدم كتاب وصف مصر رسما تفصيليا لها وكتبت ألقاب السلطان بأحرف هائلة الحجم ولونت بالذهب واللازورد علي شريط دائر علي كامل محيط القبة [(٣)]، وقد كشفت

---

(١) ناصر الرباط، دار العدل، ص ٧٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٣) قدم أوليا شلبي وصفا دقيقا للإيوان ساعد مع ما جاء في وصف مصر علي وضع تصور شامل للإيوان، ويسمي أوليا الإيوان، بديوان الغوري، كما يفعل أغلب مؤرخي العصر =

حفائر القلعة في الثمانينات [1]عن بعض هذه الأعمدة. ويذكر المقريزي أن للإيوان باب مسبوك من الحديد بصناعة بديعة تمنع الداخل إليه، ولا يفتح هذا الباب إلا بعد جلوس السلطان علي عرشه، ويسمح للجنود أن ينظروا من خلال تخاريم الحديد علي ما يجري بداخل الإيوان [2]، وخلف مساحة القبة كان يوجد ممر يصل بين الإيوان والقصر السلطاني ينتهي بباب سر يدخل منه السلطان إلي الإيوان، ومن الواضح من تخطيط وصف مصر أن هذا الممر كان يشتمل علي غرف علي الجانب المقابل لجدار القبة، ومساحة مربعة صغيرة تعلوها قبة، هذه الغرف من المرجح أنها كانت تستخدم كغرف خدمية للإيوان. قدم ابن فضل الله العمري الذي شغل وظيفة كاتب سر [3] السلطان الناصر محمد، وصفا مفصلا لجلوس دار العدل كما كان أيام الناصر، وهو كشاهد عيان تكون مشاهداته ذات قيمة كبيرة، ونقل المؤرخون اللاحقون ومنهم المقريزي والقلقشندي، وصفه وأضافوا إليه ملاحظاتهم التي أثبتوها عن عصرهم. الذي يقارب الفرق الزمني بينه وبين عصر العمري من القرن.

= العثماني، وكان أوليا أقام في القلعة سنة ١٦٧٠ م.

EVLIYA CELEBI, SEYAHAT NAMESI,MUMIN CEVIK,P 9,1O.ISTANBUL 1984.

(١) قام بهذه الحفائر تفتيش آثار القلعة تحت إشراف كل من عبد الخالق مختار وآمال فرغلي إلا أن نتائج هذه الحفائر لم تنشر إلي الآن للأسف الشديد.

(٢) المقريزي، الخطط.ج ٢، ص ٢٠٦.

(٣) كاتب السر: هو أحد الموظفين من الكتبة وهو اسم آخر لصاحب ديوان وقد ظهر هذا المصطلح في الدولة العباسية، وهو يدل علي أن هذا الكاتب كان بحكم عمله علي علم بأسرار الدولة.

حسن الباشا (دكتور) الفنون والوظائف علي الآثار العربية، ج ٢، ص ٩٢٢ – ٩٢٥، دار النهضة العربية، القاهرة – ١٩٦٥ م.

وظيفة دار العدل:

واظب الناصر محمد علي الجلوس بدار العدل يومي الاثنين والخميس ما دام مقيما في القلعة. كان الناصر محمد يخرج في يوم دار العدل مبكرا من قصوره الجوانية والخدم أمامه، ويمر عبر الدهليز الواصل مابين القصر الأبلق والإيوان الكبير، ثم يدخل من تحت الباب الكبير المقرنص، وفي الأيام المخصصة لنظر المظالم يجلس السلطان علي كرسي خاص منخفض إلي جانب منبر العرش المنصوب في منتصف الجدار الخلفي للإيوان، والذي لم يكن يستعمل إلا في مناسبات استقبال السفراء. وبمجلسه هذا يشكل الناصر محمد قمة دائرة تترتب حوله فيقعد قضاة المذاهب الأربعة الشافعي فالحنفي فالمالكي فالحنبلي الذين يمثلون السلطة التشريعية الشرعية يليهم وكيل بيت المال، وناظر الحسبة، ويجلس كاتب السر، أي في عهد الناصر محمد ابن فضل الله العمري ذاته [١]وهو المختص بتلقي القرارات عن السلطان، وقدامه ناظر الجيش، أي المعادل لرئيس الأركان اليوم، وبعده جماعة موقعي الدست، أي كتاب الجلسات، وهم يكملون الحلقة حول السلطان. ومن المرجح أن هذه الدائرة في الجلوس كان موضعها تحت القبة الخضراء كأنها كانت صدي وظيفيا لمهابة القبة أو أن القبة شكلت انعكاسا لعظمة السلطان في جلوس دار العدل، ويكون السلطان قريبا من مسقط مركز القبة دلالة علي كونه مركز الجلسة ومركز السلطة كلها [٢].

ويصطف حول السلطان عن اليمين واليسار فتيان المماليك الخاصكية والجمدارية الذين يشكلون حرسه الخاص، وعلي بعد خمسة عشر ذراعا عن يمنته ويسرته، يجلس أكابر ذوي السن من أمراء المئين، وهم أمراء المشورة،

---

(١) قدمت دورو تباكرافولسكي تحليلا لهذه الجلسة في مقدمتها لتحقيق مسالك الأبصار لابن العمري، انظر ص ١٠ بيروت ١٩٨٦ م.

(٢) ناصر الرباط، دار العدل، ص ٧٢.

وهم في المصطلح المملوكي أصحاب أعلي الرتب إذ يملك كل منهم مئة مملـوك، وفي الحرب يقود ألفا، وهم في مصطلحنا المعاصر ألوية الجيش وقد كـان ثمـة أربعة وعشرين أميرا منهم علي عهد الناصر محمد، ولعل جلوسهم كـان مرتبـا علي صفين علي اليمين واليسار من السلطان، كل منهما مكون من اثنـي عشـر كرسيا، ويلي أمراء المشورة من أسفل منهم أكابر الأمـراء وأربـاب الوظـائف وقوفا، ومن ورائهم باقي الأمراء من أمـراء الطبلخانـه [١] وأمـراء العشـرات [٢]وقوفا أيضا. ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالمكان الحجـاب والدواداريـة لإحضار قصص أرباب الضرورات الذين قدموا للنظر في مظالمهم وتقرأ القصص علي السلطان فما احتاج إلي مراجعة القضاة راجعهم فيه. وما كان متعلقا بالعسكر تحدث مع الحجاب وناظر الجيش فيه ويأمر في البقية بما يراه.

ويمكننا أن نتخيل أن صفوف أكابر الأمراء امتدت أمام صف الأعمدة الداخلي المواجه للقبة في حين وقف باقي الأمراء بين صفين من الأعمدة عن يمين ويسار القبة. أما الفراغ الواسع أمام القبة، التي جلست تحتها حلقة السـلطان وقضـاته وكتابه، ففيه يقف أرباب القصص والحجاب والدوادارية.

---

(١) أمير الطبلخانه: مرتبه حربية من مراتب أرباب السيوف في مصر المملوكية، صـاحبها يلي أمير مائة مقدم ألف في الدرجة وسمي أمير طبلخانه لأحقيته في دق الطبول علـي أبوابه كما يفعل السلاطين وأمراء المئين، وهو بذلك في ثاني الرتب المملوكية، ويطلـق علي أمير طبلخانه أيضا أمير أربعين بمعني ان يكون في خدمته أربعون مملوكا وقد يزيد هذا العدد إلي سبعين أو ثمانين.

المقريزي، السلوك، ج ١، ص ٢٣٩، حاشية ١.

حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية، ج ١، ص ٢٣١ - ٢٣٦.

(٢) أمير عشرة مرتبة حربية يكون في خدمته عشرة مماليك. ويكون صغار الولاة من طبقة أمراء العشرات.

القاعة الأشرفية:

تعد القاعة الأشرفية أهم منشأة ارتبطت باسم الأشرف خليل، وقد عثر عليها في حفائر عام ١٩٨٧ م بالقلعة [1]. وتشير المصادر التاريخية إليها تارة باسم القصر [2]وتارة بالقاعة [3] والغالب عليها أنها قاعة إذ لم يرد اسم القصر سوي في الخطط [4] وافتتحها السلطان سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٩١ م بختان أخيه محمد وابن أخيه الأمير موسي بن صالح.

وهذه القاعة تتكون من إيوانين ودور قاعة وسدلتين (صورة ٦٩، ٧٠) (شكل رقم ٤٥) وزينت جدرانها بالفسيفساء (شكل رقم ٤٦). ويحيط بها أبواب في جوانبها توضح أنها كانت متصلة بالقصر الأبلق والقصور الجوانية من جانب والإيوان من جانب أخر، ووقوعها بين هذه المنشآت، جعل لها دورا سياسيا، ومنذ عصر الناصر محمد بن قلاوون استغلت في أحداث سياسية عديدة، وبالرغم من أن الناصر هدم العديد من منشآت سابقيه ليشيد مجمعا ملكيا متكاملا بالقلعة، إلا أنه لم يهدم القاعة الأشرفية بدليل استخدامها أثناء مجريات الأحداث في عهده، ففي عام ٧١٠ هـ / ١٣١١ م، نشأت أزمة نتيجة لتآمر بعض الأمراء لتولية الأمير موسي بن صالح ابن شقيق الناصر محمد عرش مصر، وهو ما اكتشفه الناصر، فحجز الأمراء بالقاعة الأشرفية إلي أن ظهر الأمير موسي الذي كان مختبأ بأحد المنازل بالقاهرة[5]. وكان تولي الأمير قوصون الناصري نيابة

---

(١) لم تنشر نتائج هذة الحفائر إلي الآن.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ج ٢٦.
ابن الفرات، مصدر سابق، ج ٨، ص ١٦٩.

(٤) المقريزي المصدر السابق.

(٥) ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج ٩، ص ٢٦.
المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٩٢.

السلطنة للملك الطفل الأشرف علاء الدين كجك، فقرر إدارة السلطنة من القاعة الأشرفية، وليس من دار النيابة، التي كان يحجزها عن النطاق الجنوبي سور القلة، وكان لا يريد أن يفلت السلطان الطفل من قبضته [١]. وفي نفس الوقت جدد قوصون دار النيابة وأنشأ بها قاعة حتي يضمن السيطرة علي الداخلين إلي القلعة وعلي النطاق الشمالي [٢].

وتدل حوادث محاصرة الأمير أيدغمش لقوصون في القلعة علي موقع القاعة الأشرفية بالضبط إذ كان مماليك قوصون يرمون بالنشاب مماليك أيدغمش والعوام الواقفون في باب الإسطبل وعند الطبلخانة وخارج القلعة من علو القاعة الأشرفية[٣]. وهذا الموقع يتناسب مع الموقع المكتشف للقاعة الأشرفية، التي يطل الجزء العلوي منها علي باب الإسطبل (العزب حاليا) وعلي الطبلخانه وعلي ميدان الرميلة (صورة ٧١).

وممن سكن الأشرفية من كبار الأمراء ألجيبغا في دولة السلطان المظفر حاجي ٧٤٨ هـ ـ٧٤٩ هـ /١٣٤٦ـ ١٣٤٧م) [٤]. والأمير شيخو الذي كان الأمير الكبير أثناء حكم السلطان حسن (١٣٤٧ - ١٣٥١ / ١٣٥٤ - ١٣٦١)[٥]. وكان شيخو أول من لقب بأمير كبير من نواب السلطنة[٦] وصار لقب أمير كبير هو المفضل لدي هؤلاء الأمراء العظام، الذين يذكرنا نفوذهم وسطوتهم،

---

(١) ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج ١٠، ص ٢١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢١٤.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٤٢- ٤٣.
ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٣٦٩.

(٤) ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج ١٠، ص ١٦٦- ١٦٧.

(٥) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٣١٤.
ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص ٣٩٨.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٩٩.

بسطوة وزراء أواخر العصر الفاطمي.

وأقام ألجاي اليوسفي في القاعة الأشرفية حينما تولي منصب أميـــر كبيـــر، للسلطان شعبان بن حسين (١٣٦٣ - ١٣٧٧ م) وكان زوجـــا لأم الســـلطان [١]. تضاءلت مكانة القاعة الأشرفية بمرور الوقت كمبني له دور في صناعة السلطة، وتحولت إلي سجن لكبار الأمراء، وفيما بعد إلي طباق للخاصكية [٢].

القصر الأبلق [٣]:

كان بالقصر الأبلق العرش المملوكي الذي يجلس به السلطان بصفة مستمرة

---

(١) المقريزي، السلوك، ج ٣، ٢١٢.

(٢) الخاصكية: مماليك من حاشية السلطان يأتون في ترتيب البرتوكول المملوكي بعد الأمراء المقدمين، كان عددهم في أول الأمر أربعة وعشرين ثم زادوا علي الأربعمائـــة ٠ تمتـــع الخاصكية بمكانة كبيرة فكانوا يدخلون علي السلطان في أوقات فراغة وفي خلواتة بغير أذن، وخصص لهم السلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة، وامتازوا بحسن المظهر وأناقة الركوب والملبس.
ابن شاهين، زيدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ٢١١، باريس - ١٨٩٤م.
ابن تغري بردي، النجوم، ج ٧، ص ١٧٩ - ١٨٠.
Nasser,op cit, p 151.

(٣) الأبلق من (البلق) بفتح الباء واللام وضم القاف وهو السواد والبياض في اللون، وأيضا (البلقة) بالضم سواد وبياض (وبلق، وأبلق، وأبلوق:كان في لونه سواد وبيـــاض فهـــو أبلق.و الأبلق حلية معمارية استخدمت في العمائر في العصر المملوكي بكثرة تنتج عـــن استخدام حجرين مختلفي اللون وقصد بهما في حالة الحجر الأبلـــق اللـــونيين الأســـود والأبيض بصفة خاصة وينتج ذلك عن استخدام الحجر والرخام مثلا.
ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجي الافريقي، لسان العرب، المجلـــد الأول، ص ٢٥٩، اعداد يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت.
سامي عبد الحليم (دكتور) الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك في القـــاهرة، ص ١٨ - ١٩، القاهرة ١٩٨٤ م.

عدا يومي الإيوان الناصري، ومن هنا اكتسب هذا القصر أهميته السياسية، وكانت واجهته تشكل مع الجامع الناصري، والإيوان أبرز معالم الرحبه بالقلعة، والناظر إلي هذه المعالم الثلاث يستطيع أن يتبين أبرز معالم القلعة كمقر للحكم في عصر الناصر محمد وخلفائه، وواجهة هذا القصر مكانها اليوم الصحن الذي يتقدم جامع محمد.علي وامتداده من المسجد.

شيد الناصر محمد هذا القصر متأثرا بالقصر الأبلق بدمشق الذي شيده الظاهر بيبرس عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦ ـ١٢٦٧ م [١]، والذي أقام الناصر فيه حين جرد جيوشه لرد غزوة للمغول، وذلك في سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٢ ـ ١٣١٣ م، وعند وصول الناصر لدمشق انسحب المغول وأقام الناصر شهرا في دمشق، ثم ذهب ليحج وعاد بعدها ليأمر ببناء القصر الأبلق بالقلعة، وذلك سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م. وكان القصر الأبلق بالقلعة يزيد عن قصر دمشق بشاذروان [٢]، بأحد ايوانات القصر، والذي أقيم علي جدار سميك سمكه ثلاث أذرع

---

(١) المقريزي، السلو ك، ج ٢، ص ١٢٩.
ابن تغري بردي، ج ٩، ص ٣٦- ٣٧.

(٢) شاذروان: فارسي معرب وهو ستر عظيم يسدل علي سرادق السلاطين وعلي الشرفة من القصر والدار، والشاذروان من جدار الكعبة هو الذي ترك من عرض الأساس خارجا وأصبح عبارة عن مدماك مائل ويسمي تأزيرا لأنه كالإزار للبيت. ورد اللفظ في الوثائق في العصر المملوكي بالدال والذال، وأصبح يجمع بين المعنيين من حيث كونه ستارة منقوشة وحاجز مائل للماء، فيتكون الشاذروان من صدر خشب مزخرف وفتحه يصب منها الماء في حوض صغير تحت الصدر يسمي قرقل، ثم يسيل الماء من القرقل إلي السلسبيل وهو لوح من الرخام أو الحجر المنقوش مركب في وضع مائل ينحدر من علية الماء إلي حوض أو صحن يسمي طشتية أسفله، وغالبا ما يخرج من هذا الصحن قناة صغيرة تسمي سلسال توصل الماء إلي فسقية وسط المكان أو إلي أحواض أخري والجميع مزخرف. وغالبا ما يقصد بالشاذروان السلسبيل فقط وهو لوح من الرخام المائل.

=

ويتناسب هذا السمك مع الحاجة إلي وضع أنابيب المياه التي تغذي الشاذروان. وهذا يعني أن هناك اختلافا بين القصرين.

قدم لنا ابن فضل الله العمري وصفا دقيقا لهذا القصر اعتمد عليه باقي المؤرخين ونقلوا عنه يقول (ويمشي من باب القصر في دهاليز إلي قصر عظيم البناء شاهق في الهواء بإيوانين أعظمهما الشمالي الغربي يطل منه علي الإسطبلات السلطانية، ويمتد النظر منه إلي سوق الخيل والقاهرة وحواضرها إلي بحر النيل وما يليها من بلاد الجيزة وقراها. وفي الإيوان الثاني القبلي باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه إلي الإيوان الكبير أيام المواكب، ويدخل من هذا القصر إلي ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لأرض هذا القصر الكبير واثنان مرفوعان يصعد إليهما بدرج في جميعها شبابيك حديد تخترق إلي مثل منظر القصر)[١].

هكذا حدد لنا العمري طبيعة عمارة القصر الأبلق وحدده بقاعتين مرفوعتين عن أرض الإسطبل السلطاني، وهما كذلك فعلا، فقد كان الناصر محمد أول وأخر سلاطين المماليك الذي فكر في توسعة النطاق السلطاني من القلعة، لكي يستوعب طموحاته المعمارية التي كانت تعكس ما وصلت إليه القلعة كمقر لحكم الدولة المملوكية، فقام برفع أرضية الإسطبل السلطاني، بأقبية أقام فوقها القصر الأبلق، وكذلك القصور الجوانية [٢].

وحدد لنا العمري أيضا وظيفة القصر الأبلق، إذ يذكر عن هذه الوظيفة ما يلي: (أما بقية الأيام ــ وهي عدا الاثنين والخميس اللذين يجلس فيهما السلطان

= محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص ٦٨- ٦٩.

(١) العمري، مسالك الأبصار، ص ٨١.

(2) NASSER, THE CITADEL OF Cairo,P110:118.

في الإيوان ـ فإنه ـ أي السلطان ـ يخرج من قصوره الجوانية إلي قصره الكبير البرانى ـ الأبلق ـ وهو شبابيك مطلة علي إسطبلاته وفي صدره تخت الملك المختص فيقعد تارة علية وتارة يقعد دونه علي الأرض والأمراء وقوف علي ما تقدم، خلا أمراء المشورة والقرباء منه فانه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس، ولا يحضر هذا المجلس من الكبار إلا من دعت الحاجة إلي حضوره، ثم يقوم في الثالثة من النهار يدخل إلي قصوره الجوانية ثم إلي دار حريمه، ثم يخرج في أخريات النهار إلي قصوره الجوانية لمصالح ملكه، ويعبر عليه إليها خاصته من أرباب الوظائف في الأشغال المتعلقة به علي ما تدعو الحاجة إليه)(١). شيد محمد علي فوق بقايا القصر الأبلق مسجده.

مسجد محمد علي:

أجبرت الاضطرابات المستمرة منذ أن تولي محمد علي حكم مصر علي الاهتمام بالقلعة وتحصينها، وذلك بدءا من الخطر المملوكي الذي كان يتهدده، والذي انتهي بإبادة المماليك في مذبحة القلعة الشهيرة، ثم الخطر العثماني المتمثل في محاولات عزله من قبل الدولة لإدراكها أنه خطر عليها. ثم إنتهاء بالتحالف الإنجليزي المملوكي والذي انتهي بالفشل أيضا. إلي محاولات اغتياله والتي دبرت علي يد الجنود الألبان. كل هذا كان كفيلا بأن يجعل محمدا عليا يولي اهتمامه إلي زيادة تحصين القلعة وتهيئتها لتكون مقرا له في حالات الاضطرابات، خاصة أنه قد نجح في إضعاف الزعامة الوطنية بعد نفيه عمر مكرم.

ولذا بعد انتهاء محمد علي من ترميم أسوار وأبراج القلعة، وكذلك ردم الأجزاء المتخربة منها، خاصة بقايا دار العدل أو الإيوان الناصري وقاعات

---

(١) العمري، مصدر سابق، ص ٣٨٠.
المقريزي، الخطط، ج ٢ ص ٢١٠.
القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٤، ص ٤٥.

الحريم، وإعادة تشييد مقر الباشاوات، وهو حوش الباشا، وإقامة قصر لحريمه، اتجه ليشيد عمارة ترمز لعظمة سلطانه في مصر، معبرا عن استقرار الأوضاع له. هو مسجد محمد علي. ذلك المسجد لم تكن له ضرورة ملحة بالقلعة لوجود مسجد جامع بها، هو جامع الناصر محمد بن قلاوون الذي يجاور الموقع الذي أختاره محمد علي لمسجده، ولعل لهذا العمل منحي سياسيا بحت يرتبط بتوجهات محمد علي.

سجلت الوقائع المصرية في حوادث سنة ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨ م، وقائع وضع حجر أساس المسجد، وجاء التقرير المنشور ليحمل العديد من المعاني السياسية، ومنها أن المسجد لم يشيد إلا بعد إصلاح أسوار القلعة وقصورها، وذكر التقرير أن محمد علي (قدم بناء القلعة علي بناء الجامع وأخر حتي حين إقتداء بمن قال الأمور مرهونة بأوقاتها) وحضر وضع حجر الأساس محمد علي ونجله سعيد ووالي جدة إبراهيم باشا، وملا أفندي قاضي مصر، وأعيان مصر وعلماؤها. وقرأ الجميع الفاتحة، وذبحت القرابين ونثرت الدنانير والدراهم، وذكر التقرير أن المهندسين وعمال البناء عملوا تحت إشراف أمين أفندي ناظر الأبنية، وأن المسجد سيشيد ليكون من الآثار المعمارية[1].

يتربع جامع محمد علي علي قمة القلعة في الزاوية الشمالية الغربية من السور في موقع لابد وأنه اختير بعناية بحيث أنه يشرف علي المدينة كلها (شكل رقم ٤٧، ٤٨) (صورة رقم ٧٢). وهو الآن المعلم الأكثر شهرة من معالم القلعة، حتي أنه أعطي اسمه لها في اللغة الدارجة المصرية اليوم، بحيث أن عامة الناس تنسب القلعة إلي محمد علي، مع أنه آخر من بني فيها. فهل كان ذلك مقصودا من محمد علي ومهندس جامعه ؟.

أكثر ما يلفت النظر في جامع محمد علي هو اختلافه الجذري شكليا ومعماريا

(١) الوقائع المصرية، مجلد ١/٥ حوادث ١٢٢٤ هـ، دار الكتب المصرية.

عن غالبية جوامع القاهرة الكبيرة، فهو من دون أي شك ينتمي للطراز المعماري العثماني الكلاسيكي بقبته وبمئذنتيه المدببتين الشاهقتي الارتفاع اللتين تؤطران القبة(صورة رقم ٧٣)، علي حين أن صورة جوامع القاهرة عموما بما فيها جامع القلعة الرسمي، فيما عدا بعض الجوامع، تنتمي للنموذج المملوكي الذي يمتاز بقبابه الصغيرة نسبيا والمنحوته بالنقوش الهندسية والنباتية الرائعة، وبتشكيلاته الفراغية المعقدة، وبمأذنتيه ذات الجواسق.

ومما يزيد في غرابة جامع محمد علي بالنسبة لمحيطه وزمنه هو أنه لا يشبه الجوامع العثمانية المعاصرة له، أي تلك التي بنيت في عاصمة الخلافة استنبول في بدايات القرن التاسع عشر، وإنما يعود بأسلوبه إلي الجوامع التقليدية الاستانبولية. وهي جوامع القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبشكل خاص جامعي بيتي فاليده (جامع الوالدة صفية والدة السلطان محمد الثالث، بني ١٥٩٥ / ١٦٠٣ م) وجامع السلطان أحمد الأول الشهير بالجامع الأزرق، وإن كان معظم المتخصصين في العمارة العثمانية يعيبون عليه أنه لا يتسم بالدقة والرشاقة التي تتسم بها الجوامع الكلاسيكية العثمانية.

بالإضافة إلي ذلك يتباين وضوح وصراحة إنشاء وعمارة جامع محمد علي مع زخرفته بغزارتها وانتقائية طرزها، فقبته التي ترتفع إلي علو ٥٢ مترا، مكسوة من الخارج بصفائح الرصاص، في حين غطيت سطوحها الداخلية بالنقوش النافرة الملونة والمذهبة والتي نفذت بأسلوب باروكي محدث (صورة رقم ٧٤) ويحيط بالصحن الملاصق للمصلي من جهة القبلة، ثلاثة أروقة، وقد كسيت أعمدة وعقود وجدران الأروقة بالمرمر المصري الشاحب، وكذلك كسيت القبة وفسقية الوضوء التركية الباروكية الطراز بنفس المادة (صورة رقم ٧٥)، وقد رفعت فوقها ظلة خشبية علي ثمانية أعمدة رشيقة، وتتشامخ مئذنتا الجامع المبنيتان علي زاويتي الجدار الغربي للمصلي إلي ارتفاع ٨٢ مترا، علي حين

يبرز في منتصف الضلع الغربي للصحن، والمطل علي ميدان الرميلة برج الساعات النحاسي المزخرف الذي أهداه لويس فيليب ملك فرنسا لمحمد علي سنة ١٨٤٥ م (صورة رقم ٧٦)، مقابل المسلة الفرعونية في ميدان الكونكورد في باريس [١]، ومن الملفت للنظر أن هذا البرج لا يتعارض مع الشكل العام للجامع، علي الرغم من أنه منطقيا وأسلوبيا يجب أن يكون نقيضه تماما.

يزخر جامع محمد علي بكم هائل من الكتابات تتناسب وحجم المسجد وإمكانيات المنشيء الهائلة، بعضها أبيات شعر من نظم الشيخ محمد شهاب الدين[٢]. علمنا من هذا الشاعر أن سلامة أفندي المهندس صنع مزولة للجامع، وأن الأبواب إنتهت سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م، وأن القبة الكبيرة إنتهت سنة ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م، ويستوقفنا في كتابات المسجد استخدام ثلاث لغات فيها، فالأبيات الشعرية كتبت باللغة العربية. والنصوص الكتابية علي الميضأة كتبت باللغة الفارسية [٣]، وشاهد قبر محمد علي بالتركية، وهذه التعددية اللغوية تعكس طبيعة العصر الذي شيدت فيه المنشأة. فقد كان محمد علي وبطانته لا يجيدون إلا التركية. وبالتالي شاعت التركية في النصوص التأسيسية بالقلعة وبالمنشآت الكبيرة في هذا العصر[٤] وفي المكاتبات الرسمية لكونها اللغة المشتركة بين

---

(١) حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، ص ٣٨٦، القاهرة ١٩٤٦ م.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨٧.

(٣) قام بنشر هذا النص وترجمته الدكتور مصطفي بركات في رسالته للدكتوراة لأول مرة: انظر مصطفي بركات محسن، النقوش الكتابية علي عمائر مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر – دراسة فنية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة، المجلد الأول – ١٤١٠ / ١٩٩١ م، ص ٢٢ – ٢٤.

(٤) لم يتجاوز عدد النقوش التركية في مصر خلال العصر العثماني أصابع اليد. ولكن في عصر محمد علي تجاوز عددها ثلث عدد النقوش.
مصطفي بركات (دكتور)، النقوش الكتابية، ص ٢٤٨.

الإدارة في مصر ومقر السلطنة في استنبول، وهذا هو السبب الذي جعل اللغة التركية تستمر في مصر إلي العام ١٩١٦ م[1] ويعود ظهور اللغة الفارسية إلي اهتمام محمد علي بها وبتدريسها في المدارس المصرية، إلا أنها لم تستخدم كلغة للإدارة، وإنما كانت معينا تقوم به الأصول الفارسية في اللغة التركية، وجاءت الفارسية في مسجد محمد علي علي يد خطاط فارسي هو ميرزا سنكلاخ[2].

بني الجامع في تاريخ متأخر نسبيا في عهد محمد علي، الذي رغب في إنشاء مدفن لنفسه فيه.

كتابات مسجد محمد علي:

يزخر مسجد محمد علي بالقلعة بكم هائل من الكتابات تتناسب وحجم المسجد الكبير وإمكانيات المنشئ الهائلة.

الكتابات خارج المسجد:

تحيط بالمسجد من ثلاث جهات وهي الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية، نصوص كتابية عبارة عن شعر بخط فارسي من نظم الشيخ محمد شهاب الدين تبدأ من أقصي الشمال من الضلع الشمالي الشرقي بصيغة: [3]

إلا وهو قطب الوقت غيث زمانه
منار الهدي المقصود في كل مقصد
معاليه جلت عن نظير وأصبحت
تباهي جميع العالمين بمفرد

---

(١) مصطفي بركات (دكتور) النقوش الكتابية، ص ٢٤٨.

(٢) مصطفي بركات (دكتور) النقوش الكتابية، ص ٢٥٠.

(٣) مصطفي بركات، ص. ١٤ – ١٦،

أنام الأنام المستظـــــلين في حمي

أمان وامـــــن من تخوف ومفسد

فيجفو الذي يبدي الجفـــــا تغضبا

ويعفو عن العـــــبد الكثير التودد

ويجعل في الحالين لينــــا وقســـوة

وذلك لتلـطيف وذا التشـــــــدد

فعرج علي تلك المــــــآثر وابتهج

بآثار هــذاك الخـــــديوي الممجـد

وســــــل سامـــع الداعي دوام حياته

وطول المـدي وابسط أكفك وامـــــدد

وزر حــــــــــــرما تشاهد جماله

نظرت بديع الصــــــنع في كل مشهد

وعـــــاين سنا حسن القبول منزهــا

لطرفك في روض البــــهاء المخـــلد

وهاك عقـــــــــودا من معان احادها

بيـــــــــان بنا هذا البديع المجدد

مبان إذا أمعـــــــــــنت فيها مؤرخا

تريـــــك علي قدر العزيز محـــــمد

وبين البحرين السابقين توقيع الخطاط بصيغة " راقمه بنده حقير وفائي حسن ١٢٦٧ ".

يلي ذلك المدخل الرئيسي للمسجد ويعلوه نص عبارة عن أية قرآنية وتوقيع

الخطاط والتاريخ بخط الثلث: " أن الصلوة كانت علي المؤمنين كتابا موقوتا كتبه محمد أمير ازميري ١٢٦٧ ". [١]

يلي ذلك الأبيات الشعرية، وهي بخط الفارسي امتدادا للأبيات الشعرية قبلها:

عروس كنور قد تحلت بمسجد مكللة تيجانها بالزبرجـــد

عند هذا الحد يرتد الجدار إلي الداخل ليشكل صفة تتقدمها مجموعـة مـن الأعمدة وتغطيها قباب ضحلة وتستمر البحور الكتابية علي النحو التالي: [٢]

أم الجنة المنتبي عالي قصورهـــا

بابهج ياقوت وأبهي زمـــــــرد

أم المكرمات الاصـــــفية أبدعـت

هيولي أعاجيب لصورة مسجـــــد

هو الفلك الاعــــلي نــزل وازدي

بزهر الدراري جامعـا كل فرقـــد

ألا أن تجديد العجيب مـن البنـــا

يؤكد تأسيـــس اقتدار المجـــدد

يلي ذلك نص عبارة عن آية قرآنية، وتوقيع الخطاط والتاريخ بخـط الثلـث بصيغة:

" أن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين رقمـه ميـر ازميـري ١٢٦٧ "، وتستمر البحور الكتابية بخط الفارسي علي النحو التالي:

(١) مصطفي بركات، المرجع السابق، ص. ١٦.

(٢) مصطفي بركات، المرجع السابق، ص. ١٦ - ١٩.

وهل اثر يا صاح يعرب عن حلي

مؤثرة دون البنـــــاء المشـــــــيد

فدع قصر غمدان وأهرام هُرمُس

و إيوان كسري أن أردت لتهتدي

و دع أرما ذات العمـــــاد ونحوها

و عرشا لبلقيس كصـــــرح ممـرد

و دع أموي الشام وانزل مصرنا

و بادر إلي هذا بايــــــما مرشـــد

يلي ذلك الجدار الجنوبي الشرقي والكتابات بخط الفارسي:

فلو عددت في الكون بدا بـــدائع

لكان به حـــــــــــــشم لذلك التعدد

كأن الليالي بالوالدات عـــــــجايبا

أصبن بـــــــعقم بعد هـــــذا لتولد

لئن صار في الدنيا وحيدا تفردا

فلا غرو والمنشئ له ذو تفرد

محـمد آثر عـــــلي مـــــــآثر

عـــــزيز افتخار ساد كل مسود

هو المنهل العذب الذي دون ورده

تراحمت فذا الام في كل مـــورد

هو الشمس لم تحجب ساها غمامها

ولا انكرت اضواء ها عين ارمـــد

همـــــــــم تسمو إلي هامة الـــــــــعلي

اذا حــــــددت لا تنتهي بالتـــــــجدد

فكم آية في صفحة الدهر خطها

لتتلي واحكام التـــــــلاوة سرمـــــــد

يلي ذلك الجدار الجنوبي الغربي:

و كم غرة في جبهة الكون اسفرت

باحسانه عن وجه عز وسودد

و كم مكرمات منه اوفت بعهدها

اذا وعدت تأبي تخلف موعد

و كم صدقات واصلتها صلاته

مسبلها يجري موقف مؤبد

و كم منشآت ا كالرواسي تخالها

حصونا جرت في البحر ذات تشييد

يلي ذلك المدخل الثاني للمسجد بالضلع الجنوبي الغربي وهو مغلق حاليا غير مستعمل يعلوه بخط الثلث نص قرآني واسم الخطاط والتاريخ بصيغة:

" وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا كتبه السيد محمــد ميــر ازميــري ١٢٦٧ "

يتولي الشعر بالخط الفارسي:

و كم مسجد مبناه يشهدانه

و علي وفق معني إنما يعمر ابتدي

محاسن شتي قد تجمع شملها

و صار انتظاما عقد دور منضد

فزانت به الدنيا مقلد جيدها

و قالت لأهل الدهر هل من مقلد

له الله من راع حمي حومة العلا

و راعي الرعايا إذا تروح وتغتدي

بسطوته الركبان سارت وحدثت

عن البحر في مد وجزر لمغتدي

يلي ذلك نص قرآني بخط الثلث بتوقيع الخطاط والتاريخ وبه تنتهي الكتابات الخارجية بمسجد محمد علي: " سلام عليكم كتب ربكم علي نفسه الرحمة كتبه أمير ازميري ١٢٦٧ ".

الكتابات داخل المسجد: [١]

تحيط بالمسجد من الداخل من جميع الجهات اعلي النوافذ بحور رخامية مستطيلة بخط الفارسي عبارة عن أبيات من بردة المديح للبوصيري وتبدأ علي يمين الداخل مباشرة في الضلع الشمالي الغربي ثم الجنوبي الغربي مرورا بالضريح ثم الشمالي الشرقي ثم الشمالي الغربي مرة أخري حتي تصل إلي الباب حيث توقيع الخطاط في البحر الأخير وسنة الإنشاء وفرمان الإنشاء بصيغة:

علي يمين الداخل بالضلع الشمالي الغربي:

امن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جري من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة

---

(١) مصطفي بركات، المرجع السابق، ص ١٩ – ٢١.

و أومض البرق في الظلماء من أضم

والبحرين الأخيرين بداخل الضريح يلي ذلك لضلع الجنوبي الغربي ويبدأ أيضا من داخل الضريح في بحر واحد يلي بقية البحور علي النحو التالي:

فما لعينك أن قلت اكففا همتا

و ما لقلبك أن قلت استفق يهم

أيحسب الصب أن الحب منكتم

ما بين منسجم منه ومضطرم

لولا الهوي لم ترق دمعا علي طلل

ولا أرقت لذكر البان والعلم

فكيف تنكر حب بعد ما شهدت

به عليك عدول الدمع والسقم

يلي ذلك الضلع الجنوبي الشرقي:

و اثبت الوجد خطي عبرة وضني

مثل البهار علي خديك والعنم

نعم سري طيف من اهوي فارقني

و الحب يعترض اللذات بالألم

يا لائمي في الهوي العذري معذرة

مني إليك ولو أنصفت لم تلم

محمد سيد الكونين والثقلين

و الفريقين من عرب ومن عجم

يلي ذلك الضلع الشمالي الشرقي:

نبينا الآمر الناهي فلا احد

ابر في قول لا منه ولا نعم

هو الحبيب الذي ترجي شفاعته

لكل هول من الأهوال مقتحم

فاق النبيين في خلق وفي خلق

و لم يدانوه في علم ولا كرم

و كلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من لبحر أو رشفا من الديم

يلي ذلك الضلع الشمالي الغربي حتي المدخل حيث ينتهي نص البردة علي النحو التالي:

فان فضل رسول الله ليس له

حد فيعرب عنه ناطق بفم

أكرم بخلق نبي زانه خلق

بالحسن مشتمل بالبشر متسم

وأسفل كلمة بالحسن اسم الخطاط بصيغة: " راقمه عبد الغفار بضاي خاوزي".

وأسفل كلمة بالبشر بخط فارسي اصغر التاريخ " بتاريخ جهارم رمضان المبارك ١٢٦٣ هـ ".

واعلي متسم الأمر بالإنشاء بصيغة: " حسب الفرمان قدرتوان داور عدالت كتر محمد علي مد ظله العالي. نوشته شد ".

و يغطي المسجد قبة ضخمة وأربعة أنصاف قباب وقد نقشت علي المثلثات الكروية الحاملة للقبة الوسطي والمثلثان الكرويان الحاملان لنصف القبة الذي

يتقدم الجدار الشرقي وتحوي المثلثات الست شهادة التوحيد وأسماء الخلفاء الأربعة واسم الخطاط بخط الثلث والثلث الجلي:

المثلث الأول: لا اله إلا الله بخط ثلث جلي

المثلث الثاني: محمد رسول الله بخط ثلث جلي

المثلث الثالث: أبو بكر" ثلث جلي " رضي الله عنه " ثلث "

المثلث الرابع: عمر " ثلث جلي " رضي الله عنه " ثلث "

المثلث الخامس: عثمان " ثلث جلي " رضي الله عنه " ثلث "

المثلث السادس: علي" ثلث جلي " كرم الله تعالي وجهه " ثلث "

وأسفل اسم الإمام علي مُسجل اسم الخطاط بصيغة " كتبه أمير ازميري ".

الكتابات والنقوش التي علي الميضأة: [1]

يتوسط الصحن قبة للوضوء مقامة علي ثمانية أعمدة رخامية تحمل عقودا تكون منشورا ثماني الأضلاع فوقه رفرف به زخارف بارزة باطن القبة محلي بنقوش تمثل مناظر طبيعية وبداخل هذه القبة قبة أخري رخامية ثمانية الأضلاع، وتحمل الثمانية أضلاع بعرض الضلع بحور كتابية مستطيلة مقسمة إلي ثلاثة مناطق أفقية، الرئيسية منها هي الوسطي وتتضمن آية كريمة وحديث نبوي شريف، أما المنطقتان العلوية والسفلية فتنقسم كل منها إلي خمس مناطق، الأولي والوسطي والأخيرة متضمنة نص بيضاوي صغير يتضمن اسم محمد علي بعضه وفي الأخر اسم الخطاط، أما المنطقتان الرئيسيتان في كل منطقة فتمثل بحر مستطيل به نص شعري من بحرين بكل منطقة باللغة الفارسية والخط الفارسي علي النحو التالي:

---

(١) مصطفي بركات، المرجع السابق، ص. ٢١ – ٢٤.

الضلع الأول:

المنطقة الوسطي   قال الله تبارك وتعالي

المنطقة العلوية   اصل وفرع نماز ساز وصوست

صحت داء علت ازداروست

المنطقة السفلي وأن نمازي كه با حضور بود

ازوضوهاي مقصور بود

وترجمته:

قال الله تبارك وتعإلي

أن الوضوء هو صانع اصل الصلاة وفرعها

و هو صحة الداء والدواء من العلة

و تلك الصلاة التي تكون مـــــع الخشوع

تكون قائمة من الوضوء بلا قصـــور

الضلع الثاني:

المنطقة الوسطي   في كتابه الكريم وفرقانه العظيم

المنطقة العلوية   باروضوا انكَجي كه كَشي يار

دل براز نور نفسي ترازنار

المنطقة السفلي   جوت وفارغ شدي ز في نفس ذميم

برسيدي بخلد وناز ونعيم

وترجمته:

في كتابه الكريم وفرقانه العظيم

في ذلك الوقت الذي تكون فيه قريبا للصلاة

يمتلئ القلب بالنور والنفس بالنار

عندما تنتهي من النفس الذميمة (الأمارة بالسوء)

فانك تصل إلي الخلد والعز والنعيم

الضلع الثالث:

المنطقة الوسطي يا آيها الذين آمنوا إذا قمتم

المنطقة العلوية روي نا شيسته از صفات ذميم

بند يزد نماز رب عظيم

المنطقة السفلي خضوع...................... زد

و ربنا شد خضوع نسيت جواز

وترجمته:

يا آيها الذين آمنوا إذا قمتم

الوجه الذي لم يغتسل من الصفات الذميمة

فان الرب العظيم لا يقبل صلاته

....

و أن لم يكن خضوع فأنها لا تجوز

الضلع الرابع:

المنطقة الوسطي إلي الصلاة فاغسلوا وجوهكم

المنطقة العلوية خلد مخصوص توست هين بشتاب

بوضوي بهشت دارياب

المنطقة السفلي تور مسجد درون وضوي بسا

تما شابر وبباغ نماز

وترجمته:

إلي الصلاة فاغسلوا وجوهكم

أن الخلد خاص بك فهيا أسرع

و الحق بالجنان بوضوء واحد

قم بالوضوء داخل المسجد

ثم اذهب للتنزه في حديقة الصلاة

الضلع الخامس:

المنطقة الوسطي وأيديكم إلي المرافق وامسحوا

المنطقة العلوية وضوي كه بي خلل با شد

دانكه در سربا محل باشد

المنطقة السفلي باضو كَار دمي دمساز

خد بيا نيروز بانك نماز

وترجمته:

وأيديكم إلي المرافق وامسحوا

الوضوء الذي يكون بلا خلل

اعلم انه يكون موضوع في القلب

انك أن صرت قرينا مرة واحدة للوضوء

فانك تجد القوه من آذان الصلاة

الضلع السادس:

المنطقة الوسطي   بروسكم وأرجلكم إلي الكعبين و

المنطقة العلوية   جون نمازت نياز بكَشايد

اتجه خاهندلب هستان أيد

المنطقة السفلي   يا ربت از سرره إقبال

كرده لبيك دوست زا استقبال

وترجمته:

بروسكم وأرجلكم إلي الكعبين

عندما تفتح صلاتك بالضراعة

كل ما تريد شفاه الموجودات يتأتي

ويا رب منك علي راس طريق الإقبال

يقول لك الحبيب لبيك مجيبا

الضلع السابع:

المنطقة الوسطي   قال صلي الله عليه وسلم

المنطقة العلوية   يا ربي ازتو ودو صد لبيك

يكسلام ازنو وهزار عليك

المنطقة السفلي   هفده ركعت نماز ازدل وجان

ملك هزده هزار عالم دان

وترجمته:

قال صلي الله عليه وسلم

يا رب واحدة منك ومائتا لبيك

و سلام واحد منك وألف عليك السلام

سبع عشرة ركعة صلاة من القلب والروح

اعلم أنها تساوي ملك ثمان عشرة ألف عالم

الضلع الثامن:

المنطقة الوسطي الوضوء سلاح المؤمن سنة ٢٦٣

المنطقة العلوية بس همين حديث با ريك أست

زانكه هفده زهزدة نزديك أست

المنطقة السفلي هركه أو هفده ركعه بكَذارد

ملك هزده هزار أو دارد

وترجمته:

الوضوء سلاح المؤمن ٢٦٣

أذن نفس هذا الحديث دقيق

ذلك أن السبعة عشر قريبة من الثمانية عشر

كل من يصلي سبع عشرة ركعة

يملك ملك ثمانية عشر ألف

هذا وتتناثر بين البحور جامات صغيرة تحوي اسم الخطاط بصيغة:

" راقمه سنكلاخ خراساني في سنة ٢٣٦ " [(١)]

---

(١) حذف الخطاط من التاريخ خانة الآلاف مكتفيا بخانات الآحاد والعشرات والمئات والتاريخ كاملا هو ١٢٦٣.

خطاطو جامع محمد علي:

وصلنا أربعة من أسماء خطاطي الكتابات في جامع محمد علي سواء التذكارية منها أو الآيات القرآنية أو الأبيات الشعرية، وهم خطاطون تدل أعمالهم علي حذقهم لفن الخط ومهارتهم الفائقة ومن هؤلاء الخطاطين:

١- عبد الغفار بيضاي خاوزي:

ينتمي هذا الفنان إلي بلدة " البيضاء " احدي بلاد فارس، وهذه المدينة هي قاعدة إقليم كام فيروز وكان اسمها الأصلي " نسا " وتقع شمالي شيراز وغربي اصطخر، وقد جاء هذا الخطاط إلي مصر قبل عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م، وكان عبد الغفار بيضاي خاوزي خطاطا رسميا في الحكومة عهد إليه بكتابة نصوص النياشين وتذهيبها، كما انه زاول مهنة التذهيب إلي جانب الخط في مصر لمدة تزيد علي ثلاثة وأربعين عاما.

ومن أعماله الفنية كتابات الباب الجديد بالقلعة والذي أنشأه محمد علي باشا سنة ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م، ونصوص بردة المديح(١) بجامع محمد علي بالقلعة

---

(١) تتكون قصيدة الكواكب الدرية في مدح البرية والمعروفة ببردة المديح للإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري المولد بقرية دلاص سنة ٦٠٨ هـ والمتوفي في الإسكندرية سنة ٦٩٧ هـ من عشرة أقسام أو أجزاء أو فصول تتناول التحذير من هوي النفس وبيان عظمة القرآن ومدح النبي (ص) ومعجزاته من مولده وجهاده، وإلي جانب القيمة الروحية والأدبية التي مثلتها بردة المديح فقد كانت مادة خاصة للخطاطين والفنانين فسجلوها علي العمائر فنراها في منزل الرزاز سنة ٨٢٦ - ٩٠١ هـ وبيت السحيمي ١٠٥٨ - ١٢١١ هـ وجامع الأمير همام ١١٧١ هـ وجامع عقبة بن عامر ١٠٦٦ هـ وجامع الإمام الليث ١١٣٨ هـ بالإضافة إلي جامعي محمد علي بقلعة الجبل وجامع البوصيري بالإسكندرية. سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ ٣، ص ٩٣ - ٩٤، المجلس الاعلي للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف - مصر ؛ محمد رضوان الداية، البردة، ص. ٨٠، مقالة بمجلة تراث، العدد ٤٨، نوفمبر ٢٠٠٢ م.

وتعتبر من أهم أعماله والتي أسندت إليه ليكون بذلك من ضمن مجموعة الخطاطين الذين نفذوا كتابات مسجد محمد علي بالقلعة وقد قام بتنفيذ هذه النصوص اعلي الشبابيك السفلية داخل بيت الصلاة وذلك داخل أفاريز كتابية مستطيلة الشكل ينتهي طرفها بنصف دائرة بداخلها زخرفة نباتية مذهبة، يضاف إلي ذلك انه كان الخطاط الذي قام بتنفيذ كتابات مسجد الإمام شرف الدين البوصيري بالإسكندرية سواء كانت نصوص أبيات البردة في بيت الصلاة وحجرة الضريح أو الكتابات التأسيسية والتذكارية العربية منها والتركية اعلي المداخل وعلي الميضأة. [١]

٢- الميرزا سنكلاخ خراساني:

يعد الخطاط سنكلاخ خراساني من أعظم خطاطي العصر القاجاري في القرن ١٣ هـ / ١٩ م، واسمه الأصلي " محمد علي البجنوردي " لقب نفسه باسم سنكلاخ وهي كلمة فارسية تعني الحجر، وهو ينتمي لأحدي قري خراسان، تعلم الخطوط وبرع في خط التعليق، وقد استقدمه محمد علي إلي مصر للعمل في خدمته، وقد حدد عباس العزاوي [٢]تاريخ قدومه إلي مصر بعام ١٨٢١ م.

ومن بواكير الأعمال التي كلف بها سنكلاخ في مصر كتابه الحروف بخطه الجميل، بمطبعة بولاق عقب افتتاحها في سنة ١٨٢٢ م ومن الجدير بالذكر أن

---

(١) بدر عبد العزيز محمد بدر، نصوص البردة علي العمائر العثمانية في مصر – دراسة فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، ص. ١٨٠ – ١٨١ و٢٥٣ – ٢٥٥ ؛ محمد علي عبد الحفيظ محمد، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر – دراسة أثرية حضارية وثائقية، ص ٣٩٦ – ٣٩٧، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة.

(٢) عباس العزاوي، الخط ومشاهير الخطاطين في الوطن العربي، مجلة سومر مجلد ٣٨، ج ١ – ٢، بغداد – ١٩٨٢ م، ص. ٤٨٠.

هذه الحروف قد طبع بها ديوان محي الدين بن عربي.

وقد عاش سنكلاخ في مصر مدة تزيد علي اثنين وثلاثين عاما وتوفي في عام ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م، ومن أهم مؤلفاته " تذكرة الخطاطين " المسمي بـ " امتحان الفضلاء ".

حفظت لنا عمائر القرن التاسع عشر العديد من الأعمال الفنية لهذا الخطاط منها نصوص ميضأة مسجد محمد علي بالقلعة ونصوص تركيبة قبر إبراهيم باشا بن محمد علي بمدافن الأسرة العلوية بالإمام الشافعي ونص أخر يثبت وضع التركيبة السابقة علي قبر إبراهيم باشا. (١)

الحوش السلطاني:

يثير إنشاء هذا الحوش الذي يمثل امتدادا للنطاق الجنوبي (شكل رقم ٤٩) من القلعة العديد من التساؤلات لعل أولها هو موضع باب الجبل قبل إنشائه، وهو أحد الأبواب الرئيسية للقلعة، والراجح أن هذا الباب كان يقع بين المسجد الجامع والآدر الشريفة السلطانية المخصصة للحريم. خلف بئر يوسف، وكان يطل علي القرافة مباشرة، ولكن بعد توسعة جامع الناصر ودور الحريم، وقيام الناصر محمد بإنشاء الحوش السلطاني تحول موضع الباب إلي مكانه الحالي، الذي يعتبر اليوم المدخل الرئيسي للقلعة من طريق صلاح سالم. وهذا كله علي وجه التقريب، إذ لا توجد أدلة تحدد الباب القديم بالضبط، ولكنه علي أغلب الظن كان حيث حاولنا تحديده.

أراد الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٨ هـ/ ١٣٣٨ م، إنشاء حوش للخراف بلغ عددها ٨ آلاف رأس علي حد قول ابن تغري بردي (٢) فوقع اختياره

---

(١) محمد علي عبد الحفيظ محمد، المرجع السابق، ص. ٣٨٥ – ٣٩٦.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج ٩، ص ١١٩.

المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٤٣٣ – ٤٣٤.

=

علي غور يقع بجوار دور الحريم، استخدمت أحجاره في بناء العديد من قاعات القلعة، وبلغت مساحة هذا الحوش أربعة افدنة. أشرف عل ردم هذا الغور الأمير عبد الواحد أقبغا، وعمل فيه الأسري والجنود، كما سخرت العامة للعمل فيه، إلي أن خلصهم الأمير الطنبغا الماردانى بواسطته لدي السلطان الناصر محمد من هذه السخرة ٠ وانتهي العمل في هذا الحوش في ٣٦ يوما، ويذكر ابن تغري بردي أنه كان به أبقار بلق وأغنام وبيوت للاوز وأجريت إليه المياه. وبعد الفراغ من هذا أقام السلطان سماطا بهذه المناسبة، وخلع علي بعض من أشرفوا علي العمل بالحوش [1]. ولا يذكر المؤرخون إن كان الحوش قد أحيط بسور أو لم يحط بسور، غير أن الغالب علي الظن أنه أحيط بسور. تم تجديده علي مراحل كان أخرها في عصر محمد علي وخلفائه، وقد تبقي ثلاثة أبراج مستديرة من هذا السور تعود إلي عصر الناصر محمد (صورة رقم ٧٧، ٧٨).

تعود أهمية هذا الحوش بالنسبة للسلطان إلي الأسمطة التي تمد خمس مرات يوميا في القلعة، فضلا عن حاجته إلي إطعام مماليكه سواء السلطانية أو التي تسكن في النطاق الشمالي. وهي تسمي الجراية، فضلا عما يذبح من الحيوانات في الأعياد والمناسبات [2]، وحاجة السلطان إلي توفير اللحوم للقلعة في حالة حصارها، فالهدف من تشييد الحوش هدف إستراتيجي يرتبط بالرسوم السلطانية، وبحاجة السلطان إلي توفير الطعام لجنده[3]. وبعد عصر الناصر أهملت الحيوانات

= الخطط، ج ٢، ص ٢٢٩.

(١) ابن تغري بردي ن النجوم، ج٩، ص١٢١ ٠

(٢) العمري، مصدر سابق، ص٤٠ ٠

(٣) يذكر ابن دقماق أن راتب الامير يلبغا إليحياوي وهو أحد أمراء الناصر من اللحم في اليوم الواحد له ولمماليكه ستةوثلاثون ألف رطل ٠ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٦٤ ٠ وأحصي المقريزي ما يستهلك من اللحوم في الاسمطة السلطانية والقلعة ٠ المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢١٠، ٢١١ ٠

بالحوش.

أول من فكر في استغلال الحوش السلطاني كان الصالح إسماعيل حيث شيد به الدهيشة لكي ينافس بها دهيشة[١] الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة. وكان ذلك سنة ٧٥٤ هـ /١٣٤٥ م وحول جزء من الحوش إلي بستان به نافورة وشاذروان [٢]. وكانت علي الجانب الشمالي من الحوش، ملاصقة للدور السلطانية، وبذلك يمكن تحديد موقعها بين مسجد محمد علي حاليا إلي قصر الجوهرة وربما كان جانب منها جزءا من القصر.

وهي مذكورة في وصف مصر تحت اسم (جامع الدهيشة)، ويبدو أن الصالح إسماعيل استخدمها كقاعه خاصة، وكان يبت في أمور السلطنة بها ٠ لكثرة جلوسه فيها فقد فرشها بالبسط والمقاعد الزركش [٣]. ويذكر ابن تغري بردي أنها في أيامه صارت مجازا لأوباش الرعية لمن له حاجه عند السلطان من التركماني والأعراب والأوغاد والأتباع [٤]، وكان خلفاء الصالح إسماعيل قد

(١) الدهيشة: دهش تحير فهو مدهوش، أطلقت كلمة الدهيشة علي بعض المباني المملوكية، ربما لما لها من شكل جميل يدهش الناظر إليها ،منها قاعة الصالح اسماعيل بالقلعة ٠
وأطلق المقريزي أيضا لفظ الدهيشة علي القاعة التيعمرها رئيس الاطباء فتح الله بن معتصم بن نفيس ٨١٦هـ/ ١٤٨١ بداره بخط سويقة المسعودي فقال (وأنشأ دهيشة كيسةللغاية، بوسطها فسقية للماء ٠٠٠ وتشرف هذة الدهيشة علي الجنينة التي أبدع فيها كل الابداع وركب علو هذهالقاعة الاروقة العظيمة بجوارها عدة مساكن لمماليكه)
المقريزي، الخطط، ج٢، ص٦٢ ٠
محمد أمين، مرجع سابق، ص٤٩ ٠

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٦٣٣ ٠

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٠، ص ٩٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٠.

استخدموها كقاعة خاصة، وزوج بها السلطان جقمق ابنته للأمير أزبك [١]. واتخذت الدهيشة نقطة البداية لمواكب التولية للسلاطين الجدد [٢]، وتوالت بعد الدهيشة المنشآت في الحوش السلطاني، ومن أهمها:

قاعة البحرة [٣]:

ليس لدينا وصف دقيق لقاعة البحرة اليوم، ولكن من المرجح أنها كانت تقع بين ديوان الكتخدا اليوم وقصر الجوهرة، وتشير المصادر التاريخية أن السلطان المؤيد شيخ جدد قبتها، وبعد ذلك أنشأ السلطان جنبلاط سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م [٤] قاعة ذات قبة عرفت بالأشرفية بين الدهيشة والبحرة، وكان إلي جوار البحرة حمام، ومنطقة خدمات تضم الطشتخاناه وحجرة لخزن الخيم السلطانية في عهد السلطان قايتباى ٨٧٢ ـ ٩٠١ هـ / ١٤٧٢ ـ ١٤٩٦ م. وقد تعرضت هذه الخيم لحريق قيل أنه جاء من مطبخ الخليفة [٥]، ونستشف من هذه الحادثة أن الخليفة كان مقيما في الحوش في عصر السلطان قايتباى، في بيت يبدو أنه بني خصيصا لإقامة الخلفاء [٦]. وجدد السلطان قايتباى قاعة البحرة وأضاف لها مقعد أو غرفا خاصة وحجرات للمخازن [٧]. ومازالت بقايا الأعمدة التي تحمل عقود

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) DORIS, OP CIT,P 55.

(٣) البحرة المنخفض من الأرض ومستنقع الماء. وفي كلام العرب البحرة بمعني الشق مع التوسعة، وفي العمارة المملوكية يطلق مصطلح البحرة أحيانا علي وسط المكان ولكن غالبا علي: فسقية كبيرة للشرب في وسط صحن الجامع أو القاعة.
محمد أمين وليلي إبراهيم، مرجع سابق، ٢٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٠١.

(٥) المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٠٠.

(٦) إبراهيم طرخان (دكتور)، دولة المماليك الجراكسة، ص ٣٢٩، القاهرة – ١٩٦٦ م.

(٧) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٢٩.

المقعد باقية بالحوش بالطابق الأول من قصر الجوهرة. وهي تحمل رنك السلطان قايتباى ومن المرجح أن يكون موضعها اليوم هو موضعها الأصلي. (صورة رقم ٧٩)

مقعد الغوري:

يعد مقعد الغوري آخر المنشآت السلطانية بالحوش، وكان الانتهاء من عمارته في عام ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م. وحدد ابن إياس موقعه (بأنه خلف جنينة البحرة المطل علي الحوش السلطاني) وحدد أبعاده بأنها ٦٠ ذراعا طولا و٢٠ ذراعا عرضا، وجعل له السلطان شبابيك علي جنينة البحرة والحوش [١] وهو مقعد قبطي [٢]. كانت جوانبه مؤزرة بالرخام، وكان السلطان الغوري افتتحه في أول ليلة من رمضان حيث أفطر به مع أمراء دولته [٣]. وهذا المقعد عرف فيما

= عبد الرحمن عبد التواب، قايتباي المحمودي، ص، ٢٠٤ سلسلة أعلام العرب (٢٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م.

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٦٥.

(٢) المقعد القبطي: هو أكثر أنواع المقاعد شهرة في العمارة السكنية في مصر، ولم يكن عند الكثير منذ البداية لبس في تسميته. ومن المرجح أن هذا المقعد قد نال تسميته نسبة للقبط أو الأقباط، وهم أهل مصر وأصلها، والمقعد مقعد مغلق، أي لا يفتح تصميمه الفراغي علي الفناء الذي أمامه مباشرة مثل أنواع عديدة من المقاعد، ولذلك أطلقت عليه بعض الوثائق مقعد قبطي حبيس، ويطل هذا المقعد علي الفناء الذي أمامه بواجهة من الحجر الفص النحيت، بها غالبا عدد من الشبابيك الكبيرة، كما كان مقعد السلطان الغوري بالحوش السلطاني.

محمد أمين، وليلي إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٧٤.

غزوان ياغي، المقاعد في عمائر القاهرة السكنية في العصر المملوكي والعثماني، ص ١٩٠ - ١٩٥. رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٩.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ١٦٥.

بعد في العصر العثماني بديوان الغوري، حيث كان لـه دور بـارز في الحياة السياسية في ذلك العصر كمقر للديوان العالي [١]. ورمم ديوان الغوري قرة محمد باشا سنة ١١١١ هـ ـ١١١٦ هـ /١٦٠٢ ـ ١٦٠٧ م [٢].

وظيفة الحوش:

كان لقيام دولة المماليك الجراكسة بلا شك أثر في تغيير مراسم الدولة التـي ارتبطت بأسرة قلاوون التي حكمت معظم العصر المملوكي البحـري، وارتبطـت بمراسم الدولة البحرية منشأتين هما إيوان العدل الناصري والقصر الأبلق.

أدي تزايد المنشآت في الحوش منذ العصر البحري وحتي العصر الجركسي، إلي ازدياد أهمية الحوش. وانتقال العديد من المراسم إليه. وهو ما أدي بالتبعية إلي تحوله مقرا لولاة مصر في العصر العثماني، ومن هـذه المراسـم اسـتقبال السفراء [٣]. واستعراض المهزومين فيما يـدخل تحـت الاحتفـال بالانتصـارات العسكرية. فقد استقبل الأشرف برسباى رسول شاه رخ الذي حضر إلـي مصـر طالبا من الأشرف برسـباى ٨٢٥ ـ ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ ـ ١٤٣٨ م إعـلان خضوعه للدولة التيمورية [٤]. وبالرغم من تجديدات الأشرف قايتبـاى للإيـوان الناصري والقصر الأبلق [٥]. إلا أن استقباله للسفراء واستعراضه للجند، كان عند

---

(١) ليلي عبد اللطيف (دكتورة)، المجتمع المصري في العصر العثماني، ص ٨٣، دار الكتاب العربي، ١٩٨٧ م.

(٢) عبد الرحمن زكي (دكتور) قلعة صلاح الدين وما حولها مـن آثـار، ص ٨٠، القـاهرة ١٩٧١.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥، ص ١٦٧.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٦٧.

(٥) الحلبي، تاريخ الأمير يشبك، ص ٢٢، تحقيق د. عبد القادر طليمات، دار الفكر العربـي، ١٩٧٣ م.

قاعة البحرة بالحوش التي أضاف لها مقعدا [١]. ويبدو أن الحوش كان المحور الرئيسي لإدارة السلطنة في عهده. وكانت مواكب النصر مظهرا آخر من المظاهر الدالة علي أهمية الحوش السياسية، وتحول إدارة السلطنة إليه، من ذلك الاحتفال الذي صاحب الانتصار علي ملك قبرص وضمها لسلطنة المماليك، وكان برسباى قد استقبل ملكها جانوس مكبلا بالحديد في الحوش، وحضر هذا الاحتفال سفراء عثمانيون، وبعض أمراء التركمان وشريف مكة وسلطان تونس الحفصى. وقنصل البندقية وتجار أوربيون. وكان هذا الحدث فريدا إذ لم تشهد القلعة مثله في عهد الجراكسة سوي مرات قليلة. وقبل جانوس ملك قبرص الأرض للسلطان برسباى وتشفع فيه الأوربيون [٢].

وفي عهد السلطان قايتباى شهد الحوش السلطاني حادثا مماثلا، حين انتصرت دولة المماليك علي شاه سوار حيث جلس السلطان علي الدكة تحت المقعد السلطاني، ووقف الأمراء في مراتبهم، وأحضر شاه سوار وقبل الأرض للسلطان. هذه الحادثة تدل علي استقرار مراسم السلطنة في الحوش، وأنه قد أصبح لها ترتيب، ودكة السلطان تذكرنا بتلك التي كانت إلي جوار منبر العرش بالإيوان الناصري ومثيلتها في القصر الأبلق.

تبادل الحوش في العصر الجركسى مع الإسطبلات وظيفة دار العدل، وتري دوريس أبو سيف أن هذا التبادل موسمي خلال العام، وأرتبط ذلك بالموكب السلطاني الذي كان يحدث أسبوعيا في القلعة، فقد كان الموكب يقام في الحوش أسبوعيا في أيام الخميس والاثنين، وكان يعقد في الإسطبلات في أواخر الشتاء

---

(١) DORIS,OP CIT, P 59, 60.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٣٠٠ – ٣٠٧.
إبراهيم طرخان (دكتور) دولة المماليك الجراكسة، ص ١٠١.

وأوائل الربيع في أيام السبت والاثنين [١]. وكان السلطان برقوق أول من عقد جلسات القضاء في الإسطبلات، ثم تم التخلي عن عقد الجلسات في الإسطبل حتي عهد السلطان خشقدم الذي جدد هذه العادة [٢].

وكان السلطان الغوري يجري الموكب السلطاني يوم الاثنين والخميس بالحوش السلطاني، ويوم السبت والثلاثاء بالميدان [٣]. وهذا يدل علي انتقال بعض الوظائف للميدان الذي بدأت أهميته تتزايد منذ عصر الكامل الأيوبي والظاهر بيبرس، وتترسخ في عصر الناصر محمد، وتتضاءل في العصر العثماني.

ومن الملفت للنظر أنه في عهد السلطان أينال ٨٥٧ ـ ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ ـ ١٤٦١ م. تزايدت أهمية الحوش ونقلت إليه كافة وظائف القصر الأبلق والإيوان. وسبب هذا النقل النهائي لباقي الوظائف علي بساطتها يعود للاضطرابات بين السلطان أينال ومماليكه [٤]. ويقر أمرا واقعا بالفعل وهو انتقال معظم آليات الحكم إلي منشآت الحوش.

وشهد الحوش في عهد السلطان خشقدم عودة للرسوم الملكية البحرية حيث كان يجلس علي الدكة في الحوش، ليستعرض الجند، ويشهد الاحتفالات، ولكنه في أواخر حياته إشتد عليه المرض، وأدار السلطنة من فراش مرضه بقاعة البيسرية، وكانت الخدمة السلطانية بالقاعة آنذاك قاتمة الظلال [٥]. حيث لم يصاحبها ذلك الوهج الذي كان يصاحب الاحتفالات السلطانية. وفي عهد السلطان قايتباى وبالرغم من تجديده للإيوان الناصري وللقصر الأبلق، فقد ظل الحوش هو

---

(١) DORIS,OP CIT,P 57.

(٢) DORIS, op cit, p 57.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٨٨.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٩٤.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٣٠٢.

المقر الرسمي لمراسم السلطنة، حيث تجري استعراضات الجند وتوزيع جامكياتهم، وفي الصيف كان السلطان ينام علي الدكة السلطانية في الهواء الطلق، حيث بني سورا أمامها ليحميه من الفضوليين، خاصة بعد أن حاول أحد المماليك قتله أثناء نومه (١). وقام السلطان قنصوة أبو سعيد الذي كان مغرما بالرسوم السلطانية وما يصاحبها من أبهة الملك، بزخرفة الدكة فزينها بنسيج حريري مطرز ومقصب بخيوط ذهبية (٢). وفي عهد السلطان الغوري بنيت مصطبة بدلا من الدكة، وشهد الحوش حوادث سياسية عديدة ارتبطت برسوم البلاط، منها استقبال سفراء من الحبشة (٣). حيث أن سفارات الحبشة كانت نادرة في العصر الجركسى، وتوجد صورة رسمها جنتيلى بلليني تمثل استقبال الغوري للبنادقة في القلعة، ويري فيها السلطان جالسا علي المصطبة التي بناها في الحوش (٤). وقام السلطان طومان باي بهدم مصطبة الغوري وأعاد الجلوس علي الدكة بالحوش السلطاني مرة أخري، وكانت الدكة قد تكسرت فأصلحها، وجعل لها غشاء ـ غطاء ـ من الجوخ الأصفر، وجلس عليها طومان باي للمحاكمات كما كان يجلس قايتباى، وقال ابن إياس في ذلك شعرا يعكس نظرته لعصور هؤلاء السلاطين (قايتباي، الغوري، طومان باي) حيث يقول:

قد عادت التكة للحكم وانهدمت مصطبة الظلم

وصار طومان باي بين الوري يمشي الشاة مع الضغم

فياله من ملك عدله قد شاع بين العرب والعجم (٥)

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣٢٢– ٣٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٢٩.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٠– ١١.

(٤) عبد الرحمن زكي (دكتور) قلعة صلاح الدين، ص ٥٥ – ٥٦.

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ١٠٧– ١٠٨.

الحوش في العصر العثماني:

كان لانتقال السلطة في مصر إلي العثمانيين أثر سلبي علي القلعة، ومن أوائل هذه السلبيات نزع رخام القلعة، وتخريب سائر أماكنها [١]. بل إن السلطان سليم وجنوده في رأي ابن إياس لم يكن لديهم مراعاة للمراسم السلطانية، ونتج عن ذلك أنه عند صعود السلطان سليم للقلعة احتجب عن الناس ولم يجلس للنظر في المظالم بالحوش [٢].

بعد أن تولي خاير بك ولاية مصر ظل يدير أمر الولاية من الحوش السلطاني[٣]. وتحول اسم الحوش إلي الديوان نسبة إلي الديوان الذي نظم أمره للنظر في أحوال مصر. كان الديوان يعقد أربعة أيام في الأسبوع [٤]. ويعرف بالديوان الكبير، وكان يعقد في مقعد الغوري، واكتسب بناءا علي ذلك المقعد اسم ديوان الغوري، هذا الديوان كان يبحث في الشؤون العامة للبلاد، والأوامر التي يتلقاها الباشا من السلطنة [٥]. كما كان يعقد ديوان يومي في مقعد قايتباي الملحق

(١) المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠ - ٢٩٥.

(٤) أحمد فؤاد متولي (دكتور)، قانون نامة مصر، ص ٧٣، مكتبة الانجلو، ١٩٨٦ م.

(٥) ضم هذا الديوان في عضويته وظائف وليس أشخاص ، فقد كانت عضويته ترتبط بتولي الشخص منصب من مناصب الديوان، فكتخدا الباشا عضو في الديوان بحكم منصبه، وكذلك قاضي عسكر أفندي أو قاضي القضاة، والدفتردار والرزنامجي والأمراء الصناجق وأغاوات واختيارية الأوجاقات السبع وعضوية هؤلاء الأشخاص ثابتة وتابعة لوظائفهم لذا كان لابد من حضورهم جلسات إرسال الخزينة الإرسالية، وإعلان وفاء النيل، واستلام أمير الحج لأموال الحرمين، ومحاسبة الباشا وغير ذلك. أما في الجلسات التي يعقدها الديوان لمناقشة بعض القضايا الهامة، فلم يكن يشترط حضور كل هؤلاء الأعضاء وإنما كان يحضرها أساسا قاضي القضاة أو نائبه وبعض الأعضاء الآخرين وفي هذه الجلسات ذات الطابع الخاص كان يحضرها أشخاص ليسوا من أعضاء الديوان وإنما يحضرون =

بقاعة البحرة، ويعرف هذا الديوان بالديوان الصغير، ويقوم هذا الديوان بتسيير الشؤون اليومية[1]. ومن هنا أكتسب مقعد قايتباي اسما جديدا، هو ديوان قايتباي، ويبدو أن هذا الديوان كان يعقد أيضا في قاعة البحرة الواقعة خلف المقعد.

وكان يربط بين الديوانين سلم [2]. وهذا يدل علي مدي العلاقة بينهما، وهي العلاقة التي يماثلها في العصر المملوكي البحري العلاقة بين الإيوان الناصري الذي يقابله هنا ديوان الغوري في العصر العثماني والقصر الأبلق الذي يقابله هنا ديوان قايتباي، وهذا يعني أن رسوم القلعة السلطوية في العصر العثماني كان بها تأثير نسبي من العصر المملوكي. ومن المعروف أن السلطان المملوكي كان يتوجه من القصر إلي الإيوان عن طريق باب للسر، يقابله هنا السلم بين مقعد الغوري ومقعد قايتباي من النوع التركي المفتوح [3] يوجد أسفله حواصل. وأرتبط

= بوصفهم أطراف في النزاع أو شهود في صف أحد المتقاضين وهؤلاء كانوا من التجار أو العلماء أو النساء علي سبيل المثال.

لمزيد من التفاصيل عن الديوان وإليات عمله وتكوينه انظر: ليلي عبد اللطيف (دكتورة) الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص ١٣١ - ١٥٦. جامعة عين شمس ١٩٧٨ م.

٦ الديوان الصغير: يضم في عضويته كتخدا الباشا، والدفتردار والرزنامجي، ومندوب عن كل أوجاق ــ أي فرقة عسكرية ــ والأغا والضباط الرئيسيين في فرقة المتفرقة والجاويشية. وهو في الغالب مجلس تنفيذي أداري للشئون الإدارية العادية. وما يتعلق بالشئون اليومية للحكم.

البكري، المنح الربانية في الدولة العثمانية، ص ١٤٣، تحقيق. د. ليلي الصباغ، مركز جمعة الماجد، دار البشائر، دمشق - ١٩٩٦ م ؛ ليلي عبد اللطيف (دكتورة)، مرجع سابق، ص ١٣٢- ١٣٣.

(٢) كازانوفا، مرجع سابق، ص ١٧٩.

(٣) المقعد التركي: هو المقعد ذو العقود المفتوح علي فناء.

غزوان ياغي، مرجع سابق، ص ١٩٠ - ١٩٥.

محمد أمين، مرجع سابق، ص ١١٤.

بعدد من المنشآت خلفه والي جواره، لعل أبرزها قاعة البحرة التي مورست من خلالها عدة وظائف، وارتبط بهذا كله قاعة الدهيشة والبيسرية، والسبع قاعات وقاعة العواميد، وأدر الحريم وغيرها، وشكل كل هذا في مجمله ما يسمي بسراية الباشا أو بحوش الباشا (شكل ٥٠)[١]. ومن الملاحظ أنه منذ العصر العثماني بدأ مصطلح السراي الذي يعني القصر بالفارسية، يدل علي مكان إقامة الحاكم[٢]، حتي صار منذ انتقال مقر الحكم إلي قصر عابدين دالا علي مقر إقامة الحاكم، وتحول إلي مصطلح له مدلول سياسي أكثر منه معماري في النصف الأول من القرن العشرين. وجاء إطلاق هذا المصطلح في أول الأمر تأثرا بالمصطلحات العثمانية، فمقر إقامة السلاطين باستنبول، يعرف بطوب قابي سراي. وربما انسحب هذا علي مقر إقامة باشاوات مصر.

شهدت سراي الباشا بالحوش السلطاني أو الديوان كما صار يعرف في العصر العثماني إضافات وتجديدات متعددة في العصر العثماني، لعل أبرزها، بناء بيرم باشا ١٠٣٥ـ ١٠٣٨ هـ /١٦٢٥ ـ ١٦٢٨ م. كشكا [٣]عرف بكشك بيرم باشا [٤] كما شيد إسماعيل باشا الوزير ١١٠٧ ـ ١١٠٩ هـ /١٦٩٥ ـ ١٦٩٧ م كشكا مطلا علي عرب اليسار [٥]. وهو الكشك الذي جدده محمد علي وصار يعرف بكشك الجوهرة، وهذا الكشك ربما يكون في موقع قاعة البحرة أو

---

(١) المصري، التاريخ العيني، ص ٣١٠ - ٣١٢.

(٢) برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ص ٩٥- ٩٦، ترجمة الدكتور سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ١٩٨٢ م.

(٣) عرف أحمد عيسي الكشك بأنه بيت صغير الحجم بسيط التأثيث يقام للاستجمام وسط المزارع أو علي الشواطيء كما قد يستخدم لإقامة الحراس، أحمد عيسي، مصطلحات الفن الإسلامي، ص ١٠١، أرسيكا، استنبول ١٩٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٥) المصدر السابق، ص ١٩٨.

يعلوها.

دار الضرب " الضربخانه ":

في العهد العثماني:

شهد الحوش السلطاني منذ بداية العصر العثماني وحتي نهايته العديد من الاضطرابات السياسية اختلفت أطرافها بين الجنود العثمانيين والمماليك والعامة[(١)].

كان من نتيجة الاضطرابات التي سادت في هذا العصر أن تأثر موقع دار الضرب داخل القلعة. كانت دار الضرب تقع في خط القشاشين بالقاهرة، وهذا الموضع اختير لها في العصر الفاطمي، وظلت تؤدي هذا الدور إلي عصر المقريزي، الذي يذكر في خططه (هذا المكان الذي هو الآن دار الضرب من بعض القصر) [(٢)] ـ أي القصر الفاطمي ـ ونقلت هذه الدار بعد عصر المقريزي إلي الحوش السلطاني بالقلعة في وقت غير محدد [(٣)]. ومن المرجح أن هذا النقل كان لسببين أحدهما هو الاضطرابات التي سادت عصر المماليك الجراكسة، خاصة من

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢١٣، ٢٧٠، ٢٩٨.
المصري، التاريخ العيني، ص ١٢٢، ١٢٦، ١٧٤، ١٩٣.
الفرا، علي بن محمد الشاذلي، ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة، تحقيق د. عبد القادر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨ م.
عفاف مسعد العبد (دكتورة) دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر، ص ١٩٩:٢٣٢، سلسلة تاريخ المصريين(١٧٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ م.

(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٣) رأفت النبراوي (دكتور) مسكوكات دولة المماليك الجراكسة في مصر، ص ٨، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩١ م.
أحمد الصاوي (دكتور) النقود المتداولة في مصر العثمانية، ص ٢٠٥، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩١ م.

المماليك الجلبان، فمن الممكن إن السلطات المملوكية أرادت بنقلها دار الضـــرب تأمينها من هذه الاضطرابات التي تؤثر سلبا علي حركة النقد والاقتصاد بالمدينة، وثانيهما يرجع إلي اضطراب النقد في العصر الجركسي، وربما أرادت الســلطات الملوكية مزيدا من السيطرة علي دار الضرب من خلال هذا الإجراء [١]. وربمــا كان موقع دار الضرب في ذلك العصر هو موقعها الحالي، حيث أن الحوش كان قد ازدحم بالمباني آنذاك. ولقرب هذا الموقع من باب الجبل، وهو ما يسهل دخــول وخروج المتعاملين مع دار الضرب.

تأثرت دار الضرب بالتغييرات التي أدخلها العثمانيون علي نظام الحكــم فــي مصر، حيث صارت دار الضرب من جملة ما تسيطر علية طائفة مســتحفظان [٢]. فنقلت إلي النطاق الشمالي من القلعة، ولعل موقعها كان في موقع قصور الحريم الآن بهذا النطاق، ويرجع دخول دار الضرب تحت نفوذ الإنكشارية إلي عام ٩٣٠ هـــ / ١٥٢٤ م. عندما حضر إبراهيم باشا الصدر الأعظم لإخماد ثورة أحمد باشا الخائن، فأدخل دار الضرب تحت سيطرة هذه الطائفة، وصارت بباب الإنكشــارية [٣]. وظلت دار الضرب في النطاق الشمالي إلي عام ١١٢١ هـــ / ١٧٠٩ م. حتي ثار نزاع بين فرقة مستحفظان وبقية فرق البلكات الست الأخري وعلـــي رأســـها طائفة عزبان [٤]. وتعود جذور هذا النزاع إلـــي عـــام ١١٠٦ هـــــ / ١٦٩٤ م. عندما أدي مقتل كجك محمد إلي ازدياد أسعار القمح، وإعادة ما كان قد أبطله من

(١) حول هذا الاضطراب النقدي انظر: رأفت النبراوي (دكتور) النقود الإسلامية في مصــر، عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٢٣١- ٢٦٣. مركز الحضــارة العربيــة، القــاهرة ١٩٩٦ م.

(٢) ليلي عبد اللطيف (دكتورة) الإدارة في مصر، ص ١٨٢- ١٩٠.

(٣) باب الإنكشارية هو باب القلة وعرف أيضا في العصر العثماني بباب مستحفظان.

(٤) عراقي يوسف (دكتور) الوجود العثماني المملوكي في مصر، ص ١٠٣.

المظالم والحمايات التيكان الإنكشارية يستفيدون منها [١] فأوغر ذلك صدور باقي فرق العسكر، وأجمعوا أمرهم في المحرم من عام ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م. علي مطالبة الباشا بنقل دار الضرب إلي السراية وإخراج من له وظيفة في دار الضرب من العسكريين. وعللوا طلبهم هذا بأن ذهب دار الضرب منخفض العيار وفضتها نحاس، وهذا كله بسبب الإنكشارية يأمرون القائمين علي الدار بشغل الذهب الخارج والفضة الزيوف ويستولون علي الفارق لصالحهم [٢]. وطالبت الأوجاقات[٣] الست أيضا بإبطال الحمايات التي يفرضها أوجاق مستحفظان علي الحرفيين والتجار، وكان رد الإنكشارية هو المطالبة بإبطال مظالم السباهية [٤]. في الأقاليم مع رفضهم لنقل دار الضرب لما في ذلك من مساس بكرامتهم [٥].

ولما رأي الإنكشارية المستحفظان إصرار بقية الفرق علي نقل دار الضرب من بابهم إلي الديوان، وافقوا علي ذلك بشرط أن يكتب الجميع حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منهم ولا تخوفا عليها فأمتنع خصومهم واتفقوا هم ونقيب

(١) ليلي عبد اللطيف (دكتورة) الإدارة في مصر، ص ١٩٣.

(٢) المصري، التاريخ العيني، ص ٢٢٢.

(٣) مفردها أوجاق، وهي كلمة تركية بضم الهمزة ضمة مبسوطة مفخمة ومعناها الأول في التركية الموقد والمدخنة، وهي هنا بمعني فرق الجند العثمانية، وكان عددها في مصر بعد عودة سليم الأول أربعة أوجاقات ثم زاد ها سليمان القانوني عام ١٥٢٤ م أوجاقين فصارت ستة وجاقات ثم صارت سنة ١٥٥٤ م سبعة وجاقات.
أحمد السعيد سليمان (دكتور) تأصيل ما ورد من الدخيل في الجبرتي، ص ١٩٤- ١٩٥، دار المعارف، ١٩٧٩ م.

(٤) السباهية: هم أوجاق الفرسان ويعمل في خدمة حكام الأقاليم، وكان هؤلاء الفرسان في الأصل من فرسان الباب العالي
أحمد الصاوي (دكتور) مرجع سابق، ص ٢٥٢
عراقي يوسف (دكتور) الوجود العثماني، ص ١٠٣.

الأشراف ومشايخ السجاجيد علي كتابة عرض [١] ليرسل إلي الباب العالي وبالطبع رفض الإنكشارية التوقيع علي العرض. وأرسل إلي استنبول في ٢٦ محرم سنة ١١٢١ هـ، ومن جانبهم اجتمع الإنكشارية في بابهم وكتبوا عرضا من أنفسهم لأرباب الحل والعقد من الإنكشارية في استانبول وسافر به شخصان منهم بعد العرض الأول بيومين. • وكان مضمون عرض البلكات الست أن الإنكشارية يحمون تجار البن والخضار والفاكهة والخبز رغم مغالتهم في أثمان السلع، وأن دار الضرب داخل بابهم ويضربون عيار السكة علي مرادهم.

وجاء الرد سريعا من الأستانه ففي ١٩ ربيع الأول جاء الرد مع أمير أخور[٢]. من الديار الرومية وقرأ مرسوما بنقل دار الضرب من قلعة الينكجرية إلي حوش الديوان [٣]. ومعه أمر شريف آخر بإزالة المظالم والحمايات [٤]. وأرسلت الأستانه أمينا جديدا لدار الضرب وسكة زان وكاتبا [٥]. تم بناء دار الضرب الجديدة في منتصف جمادي الثاني من عام ١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م.

---

(١) مشايخ السجاجيد هم شيوخ الطرق الصوفية وكان عددهم عند مقدم الحملة الفرنسية أربعة هم الشيخ البكري وجده أبو بكر الصديق، والشيخ السادات وجده الإمام علي بن أبي طالب والشيخ العناني وجده عمر بن الخطاب، والشيخ الخضيري وجده الزبير بن العوام • وكان لهم دور بارز في الحياة السياسية خلال هذا العصر •

توفيق الطويل (دكتور) التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج ١، ص ١٠٣، سلسلة تاريخ المصريين ٢١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م.

(٢) أمير أخور: اسم مركب من لفظ (أمير العربي) و(أخور) الفارسي ومعناها المعلف، وكان هذا الاسم يطلق علي القائم علي أمر الدواب السلطانية في الإسطبلات في دولة المماليك، حسن الباشا (دكتور) الفنون الإسلامية، ج ١، ص ١٧٦- ١٨٣.

(٣) الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الحنفي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ١، ص ٥٠، طبعة الأنوار المحمدية، بدون تاريخ.

(٤) المصري، التاريخ العيني، ص ٢٢٤.

(٥) عزبان، أحمد كتخدا، الدرة المصانة في أخبار الكنانة، ص ٧٩،

وضربت بها السكة، ويذكر الجبرتي أنها شيدت مكان معمل البارود الذي نقل إلي محل بجوارها [١]. بينما جاء في الدرة المصانة أن دار الضرب بنيت مكان مدق البارود الذي نقل أمامها. وأن الذي أكمل بناء الدار هو مسلم إبراهيم باشا [٢].

بقيت دار الضرب في مكانها حتي مقدم الحملة الفرنسية، ويذكر جومار أنها تقع في الركن الشرقي من حوش الباشا، وهي أكثر مباني القلعة بساطة. وهي في ذلك تشبه عملية سك النقود نفسها [٣]. ومهما يكن من أمر خروج دار الضرب من باب مستحفظان إلي حوش الديوان فإن ذلك لم يحل دون سيطرة جهة جديدة علي دار الضرب، وهي الباشا [٤]. وجرت العادة عند تولي سلطان جديد للحكم أن يرسل خط شريف بالسكة والخطبة والشنك [٥]. باسم السلطان الجديد[٦]. وكان حرص العثمانيين شديدا علي توحيد طراز سك العملات الذهبية في أنحاء السلطنة العثمانية، ولذا فقد كان الخط الشريف يرد عادة مصحوبا بالسكة أي القوالب التي ستضرب علي غرارها العملة. ونظم قانون نامة مصر، الذي وضع في أعقاب الاضطرابات المملوكية والأهلية في مصر، العمل في دار الضرب طبقا لطراز السكة العثمانية [٧]. وأول ذكر جاء لقوالب السك هذه والمعروفة باسم " السكة "

---

(١) الجبرتي، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٢) عزبان، الدرة المصانة، ص ٧٩.

(٣) جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ص ٢٤٠.

(٤) احمد الصاوي، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٥) الشنك: في التركية بمعني يهيج وشنلك البهجة والطرب، والشنك العربية من الشنلك التركية قلبت اللام نون، وأدغمت في النون الأصلية، وتطلق كلمة الشنك علي الاحتفال الذي تطلق فيه النيران الملونة والمدافع في الأوقات الخمسة.
أحمد السعيد سليمان، تأصيل الدخيل، ص ١٣٧.

(٦) ليلي عبد اللطيف (دكتورة) الإدارة في مصر، ص ١٤١.

(٧) أحمد متولي، قانون نامة مصر، ص ٩٢، ٩٣.

يعود إلي عام ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م. عندما وردت في شهر صفر " سكة دينار عليها طرة " فجمع الباشا الصناجق والأغوات بالديوان وأحضر أمين دار الضرب وأسلمه السكة الجديدة وأمره أن يطبع بها [١]. وحلت هذه السكة المسماة بالذهب الطرلي محل سكة الذهب الأشرفي [٢]. ويعد سبك النقود علي الطراز العثماني واحدا من أقوي مظاهر التبعية المصرية للدولة العثمانية.

في عهد محمد علي: (شكل رقم ٥١) (صورة رقم ٨٠)

جددها محمد علي سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م [٣]. وأثبت هذا التجديد علي لوح رخامي ما زال موجودا علي بابها الأوسط نصه (جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد علي باشا حالا). وتم عمل إضافات جديدة لهذه الدار تم الفراغ منها سنة ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م. وتشمل هذه الإضافات " محلات للموازين ومعرفة الذهب والشيشني ومكتب ومسجد صغير " وبلغت تكلفة هذه الإضافات ١٢ ألف قرش [٤].

وتتكون العمارة الخارجية [٥] لهذه الدار من واجهتين حجريتين أولاهما

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٠.

(٢) المصري، التاريخ العيني، ص ٢٠١.
أحمد الصاوي، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

(٣) علي مبارك، الخطط، ج ١٣، ص ٨٥.
عبد الحميد نافع، ذيل المقريزي، ص ٤٧، ٤٨. مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر، رقم ٦٧٠٣.
عبد الرحمن زكي (دكتور) قلعة مصر، ص ٨٠، ٨١، ١١٤.

(٤) حسن عبد الوهاب، دار الضرب، ص ٥١، مجلة العمارة، العدد ٣، ٤ المجلد ٣، القاهرة ١٩٤١.

(٥) عاصم محمد رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، ج ٥، الطبعة الأولي، ص. ٨٠ – ٨١، مكتبة مدبولي، القاهرة – ٢٠٠٣ م.

رئيسية في الناحية الشمالية الغربي خالية من الزخارف، يتوسطها مدخل رئيسي عبارة عن فتحة باب مستطيلة ذات إطار حجري، بارز يغطيها عقد نصف دائـري تزينه زخارف دالية بارزة يحيط به جفت لاعب ينتهي بميمة دائرية في أعلاه، يلي ذلك منطقة مستطيلة خالية من الزخارف يتوجها كورنيش حجري بارز.

و علي يمين هذا المدخل دخلة مستطيلة يعلو كلا من ضلعيها الشمالي الغربي والجنوبي الغربي مزغلتان صغيرتان تشبههما مزغلة ثالثة في الركن الجنوبي من هذه الواجهة، وعلي يساره فتحة شباك مستحثة إلي الشمال منها جزء بارز عـن سمت الواجهة يرتكز علي جلسة حجرية من ثلاثة مداميك فـي ركنـه الشـمالي كتفان حجريان علي يسارهما دعامة تنتهي برجل عقد ليس له بقايا، وقد توجـت هذه الواجهة بكورنيش حجري شاع استخدامه في العمائر المدنية التي ترجع إلي عصر محمد علي ولا سيما في قصر الجوهرة وسراي العدل.

و ثانية واجهتي هذه الدار فرعية في الناحية الشمالية الشرقية بها دخلة كان يغطيها قبو متقاطع لا زالت بقاياه قائمة حتي اليوم، يتصدرها عقد نصف دائري علي يسارها جزء مستدير مبني بالدقشوم المغطي بطبقة من الاسمنت، في نهايته كتلة معمارية بارزة ترتد الواجهة بعدها لتشتمل علي فتحة بـاب مسـتحدث ذات مصراعين خشبيين خاليين من الزخارف تعلوهما نافـذة مسـتطيلة ذات حجـاب خارجي من المصبعات الحديدية.

أما عمارتها الداخلية [١] فهي – فيما يلي المدخل الرئيسي المشـار إليـه – عبارة عن ردهة مستطيلة يغطيها سقف من عروق خشبية مطبقة بالألواح علـي جانبيها بابان معقودان بعقدين نصف دائريين يفضي الأيمن منهما إلـي حجـرة مستطيلة ذات جدران من الدقشوم المغطي بطبقة ملاطية من الاسمنت، في أعـلا جدارها الجنوبي الغربي فتحة شباك ذات حجاب من السلك، وقـد غطيـت هـذه

(١) عاصم رزق، أطلس العمارة، ج ٥، ص. ٨١ – ٨٢.

الحجرة بسقف من السدايب الخشبية المغطاة بطبقة من الملاط، ويفضي الأيسر إلي حجرة ثانية مستطيلة ذات سقف من عروق خشبية مطبقة بالألواح، وبنهاية هذه الردهة – في مواجهة الباب الرئيسي، فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري تعلوه صورة التجديد الذي قام به محمد علي باشا سنة (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م) يحيط به جفت لاعب ينتهي بميمة دائرية في أعلاه، ويفضي هذا الباب إلي رحبة مستطيلة غير مسقوفة تنتهي إلي صحن أوسط مكشوف عبارة عن مستطيل في ركنه الشرقي غرفة بيضاوية تشتمل علي فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري يغلق عليها مصراع خشبي خال من الزخارف، وفرشت أرضيتها ببلاطات حجرية حديثة، وتضم هذه الغرفة خمسة شبابيك وخمس مضاهيات، وغطي الجزء الجنوبي الشرقي منها بسقف من السدايب الخشبية المغطاة بطبقة الملاط، أما جزؤها الباقي فهو عبارة عن قبو متهدم.

و تطل علي هذا الصحن أربع واجهات حجرية متوجة بكرانيش بارزة، أولاها في الناحية الجنوبية الغربية، وهي واجهة متهدمة، وثانيتها في الناحية الجنوبية الشرقية تنقسم إلي قسمين يبرز أحدهما عن سمت الآخر بمقدار مترين، وبه ثلاثة أبواب أولها ذو عقد نصف دائري وثانيها وثالثها ذواتي عتبتين مستقيمتين، وتفضي هذه الأبواب إلي ممر مستطيل أرضيته حجرية، يحيط به عدد من الغرف والملحقات، أما الجزء الغائر من هذه الواجهة فيشتمل علي ستة أبواب ذات عقود نصف دائرية باستثناء الباب الخامس الذي يغطيه عتب مستقيم، وتعلو هذه الأبواب – فيما عدا الباب الأول – خمسة شبابيك غشي كل منها بحجاب خارجي من المصبعات الحديدية باستثناء الشباك الأول الذي يغشيه حجاب خشبي، وتفضي هذه الأبواب إلي خمس حجرات وسلم يؤدي إلي الطابق العلوي الذي يشتمل علي مجموعة من الغرف.

و ثالث الواجهات المطلة علي هذا الصحن في الناحية الشمالية الغربية،

وتشبه الواجهة الجنوبية الشرقية غير أنها تشتمل علي بابين ذواتي عقدين نصف دائريين يفضي كل منهما إلي غرفة، كما تشتمل علي ثلاثة شبابيك علوية غشي أولها بحجاب خشبي، وغشي كل من ثانيها وثالثها بحجاب حديدي، ورابعتها في الناحية الشمالية الشرقية تشبه الواجهتين الأخيرتين وتشتمل علي ثلاثة أبواب معقودة بعقود نصف دائرية يؤدي كل منها إلي غرفة، كما تشتمل علي أربعة شبابيك ذات أحجبة حديدية.

و قد فرشت أرضيات حجرات هذه الدار ذات المساقط المربعة والمستطيلة ببلاطات مستحدثة باستثناء الحجرة الوسطي في الناحية الشمالية الشرقية للصحن التي فرشت أرضيتها ببلاطات حجرية، وغطيت هذه الحجرات بأنواع مختلفة من السقوف تشتمل علي قباب ضحلة فوق عقود نصف دائرية ترتكز علي دعامات حجرية مستطيلة، نجد منها تسع قباب في الحجرتين المجاورتين للجزء الأيسر من الجدار النوبي الشرقي، بواقع خمس قباب في الحجرة الأولي وأربع قباب في الحجرة الثانية واثنتا عشرة قبة في الحجرات المجاورة للجزء الأيسر من هذا الجدار بواقع ثلاث قباب في الحجرة الأولي وقبتان في كل من الحجرتين الثانية والثالثة وقبة واحدة في الحجرة الرابعة وأربع قباب في الحجرة السادسة وقبتين في الممر الذي يتقدم الحجرات المشار إليها، وسبع قباب في الحجرات المجاورة للجدار الشمالي الشرقي، بواقع قبتين في الحجرة الأولي وأربع قباب في الحجرة الثانية وقبة واحدة في الحجرة الأولي وست قباب في الحجرة الثانية، كما تشتمل سقوف هذه الحجرات علي أقبية متقاطعة تتوسطها طاقات دائرية للتهوية والإنارة تنحصر في ثلاثة أقبية في الحجرة الثالثة المجاورة للجزء الأيسر من الجدار الجنوبي الشرقي، وعلي سقوف مسطحة ذات عروق خشبية مطبقة بالألواح نجدها في الحجرات الأولي والثالثة والرابعة من الحجرات المجاورة للجزء الأيسر من الجدار الجنوبي الشرقي، والحجرتين الأولي والثالثة المجاورتين للجزء الأيمن

من الجدار الجنوبي الشرقي المشار إليه، والحجرة الأولي المجاورة للجدار الشمالي الغربي.

قصر يكن باشا [١]

كان آخر المنشآت العثمانية بالحوش السلطاني قصر يكن باشا، الذي بناه بالقرب من مدخل الحوش، وما زالت بعض أساساته باقية، وقد نشر كازانوفا نص تأسيسه [٢] ونصه:

- الوزير هو عظيم (الفلك) الدوار واصف الثاني وهو من صدور العصر، جليل القدر والشأن
- سمي النبي صلي الله عليه وسلم أعني السيد يكن باشا أفخم ولاة مصر، وأعظم ناظم لديوانها.
- في زمن حكمه بنيت استحكامات المدينة ومقره هو ركن العمران.
- فليكتب تاريخ أثره (يا حافظ)
- لقد بني باب التفرج جديرا بالسراي [٣]. ١٢٠٠ هـ

بالرغم من عدم ذكر المؤرخين لعمارة يكن باشا لديوان القلعة إلا أنه ينسب إليه سراي بناها بجوار باب الجبل وكذلك تجديده لهذا الباب، ومن المرجح أنه جدد برج المقطم ومن المحتمل أن أعماله قد تكون شملت باب مستحفظان.

الديوان:

حظي الديوان باهتمام محمد علي لكونه مقر الحكم في القلعة، وهو في ذلك

---

(١) الجبرتي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣١.

(٢) كازانوفا، مرجع سابق، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٧.

يتبع ما سارت عليه الأمور في إدارة دفة الحكم من الحوش السلطاني بدءا من العصر المملوكي الجركسي مرورا بالعصر العثماني، وتعددت تجديدات محمد علي بهذه المنطقة من القلعة، وهذا يعكس مدي أهميتها.

بدأت أعمال محمد علي في هذا النطاق في العام ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م . وذكر الجبرتي هذه الحادثة قائلا (هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الأماكن، فهدم قاعة البحرة والمجالس التي كانت بها الدواوين وديوان قايتباي، وهو المقعد المواجه للداخل إلي الحوش علو الكلار الذي به الأعمدة وديوان الغوري الكبير وما أشتمل علية من المجالس التي كانت تجلس بها الأفندية والقلفاوات أيام الدواوين وشرع في بنائها علي وضع آخر واصطلاح رومي وأقاموا أكثر الأبنية من الأخشاب ويبنون الأعالي قبل الاسفل وأشيع أنهم وجدوا مخبآت بها ذخائر لملوك مصر الأقدمين) [١].

وتسلسل هذة المنشآت المجددة بدءا من الدخول من باب الجبل هي:

دار الضرب:

وقد سبق الحديث عنها (صورة رقم ٨٠).

سراي العدل:

ما زالت هذه السراي باقية إلي اليوم بجوار دار الضرب، وفي جنوب حوش الديوان، وشهدت هذه السراي اجتماعات الدواوين التي كانت تدير حكم مصر، إلي أن نقلت منها في عام ١٢٣٥ هـ / ١٨١٩ م إثر حريق وقع في القلعة [٢] . ومن الأحداث الهامة التي شهدتها هذه السراي، تولية إبراهيم باشا حكم مصر

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٨٠.

(٢) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٠٩.

خلفا لمحمد علي [1]، الذي كان يعاني مرض الموت. كان محمد علي قد أعلي أرضية الديوان، وهو ما أدي إلي اختفاء أجزاء من منشآت سابقيه، ومنها ديوان الغوري الشهير الذي شيدت فوقه سراي العدل، والتي يبدو أنه قد انتهي منها العام ١٢٢٩ هـ / ١٨١٣ م، طبقا لنص مسجل عليها نصه (من آمن بالقدر آمن الكدر سنة ١٢٢٩ هـ).

تطل السراي علي الحوش بواجهتها الشمالية (صورة رقم ٨١) وهي واجهتها الرئيسية، تتكون هذه الواجهة من مستويين، المستوي الأول هو واجهة الطابق الأرضي منها، وهو عبارة عن سلم مزدوج أسفله ثلاثة عقود نصف دائرية ترتكز علي دعامتين حجريتين مريعتين، أكبر هذه العقود أوسطها تؤدي، الثلاثة عقود إلي دخلة تفضي إلي باب يؤدي إلي الطابق الأرضي من السراي. أما المستوي العلوي من الواجهة فهو يمثل الطابق الأول، ويتم الوصول إليه بسلم مزدوج يتكون من ٣١ درجة في كل جانب وبسطة كبيرة ترتفع عن أرضية الحوش بحوالي ٦ متر، ويعلو البسطة جوسق له ثلاثة عقود نصف دائرية الأمامي منها يطل علي الحوش ويعلوه كورنيش معقود، والجانبيان يطلان علي السلم المزدوج.وعلي يمين ويسار الواجهة ثلاث نوافذ في كل جانب معقودة ومغشاة بالحديد وعلي جانبي كل نافذة دعامة بارزة من في الحجر، يعلوها كورنيش حجري بارز من عقود متتالية. ويعلو هذه الواجهة كورنيش من الحجر بارز منحني من جانبيه، ويعلوه بناء من الطوب المغشي بالملاط. والطابق الأرضي للسراي عبارة عن صالة مستطيلة قسمت إلي سبع مساحات غير متساوية.أما الطابق الأول فيدخل إليه من فتحة باب كبيرة، تؤدي إلي صالة مستطيلة بصدرها حنية عميقة لها جلسة ترتفع عن أرضية الصالة وهي ذات سقف مقبي (شكل رقم ٥٢).

---

(١) أمين سامي، تقويم النيل، ج ٢، ص ٦١٨.

سراي الجوهرة:

أنشأها محمد علي سنة ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م [١]. وذكرها الجبرتي تحت اسم " ديوان السراية " و" سراية الديوان " وكانت هذه السراي مخصصة للإستقبالات الرسمية. وتبين النصوص الكتابية بها أن مبانيها انتهت سنة ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤ م. ووقع حريق بها في سنة ١٢٣٥ هـ / ١٨٢٠ م [٢]. وذكر الجبرتي سبب هذا الحريق ويعزوه إلي المواد المستخدمة في البناء حيث يقول " أن أبنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والصخور والعقود وليس بها إلا القليل من الأخشاب، فهدموا ذلك جميعه وبنوا مكانه الأبنية الرقيقة وأكثرها من الحجنة والأخشاب علي طريق بناء اسلامبول والإفرنج، وزخرفوها وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش، وكله سريع الاشتعال، حتي أن الباشا لما بلغه هذا الحريق وكان مقيما بشبرا تذكر بناء القلعة القديم، وما كان فيه من المتانة ويلوم علي تغيير الوضع السابق ويقول: أنا كنت غائبا بالحجاز والمهندسون وضعوا هذا البناء، وبعد هذا الحريق انتقلت إلي بيت طاهر باشا بالأزبكية " [٣].

والمدخل الرئيسي لهذه السراية عبارة عن مظلة محمولة علي أعمدة رخامية. ومكتوب أعلي الباب " يا مفتح الأبواب افتح لنا خير الباب " (سنة ١٢٢٨). وهذا الباب يؤدي إلي طرقة كبيرة بها عقود حجرية تنتهي إلي سلم فباب كبير مكتوب علية " الله ولي التوفيق " [٤] وتتكون هذه السراية من قسمين

---

(١) حسن عبد الوهاب، قصر الجوهرة، ص ٢٨، مجلة العمارة العدد ٣، ٤، المجلد الثالث ١٩٤١ م.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٠.

(٣) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٠٩

(٤) حسن عبد الوهاب، سراي الجوهرة، ص ٣٠، مجلة العمارة، العدد ٣، ٤، ١٩٤١ م.

رئيسيين حاليا هما (شكل رقم ٥٣)

سراي الاستقبال:

يدخل إلي سراي الاستقبال من المدخل السابق ذكره (صورة رقم ٨٢)، وتتكون من قسمين: الأول بهو الاستقبال الرئيسي، ويعلوه الطابق الثاني المتمثل في سراي الضيافة، والثاني هو جناح الاستقبال البحري بشقيه الشرقي والغربي. استخدم المعمار في القسم الأول وحدة تصميم تعتمد علي صالة كبيرة (بهو) تتوزع منها وحدات صغيرة عبارة عن حجرات متداخلة (قاعة الكوشة وقاعة الكسوة) وأخري أكبر حجما، وتمثل قاعة رئيسية في هذا البهو (قاعة العرش السفلية) بالإضافة إلي إيوان يفتح علي هذه الصالة، فضلا عن أبوب تؤدي إلي ملحقات، تمتاز جدران هذا البهو بوجود حنايا (دخلات) كانت تستخدم في وضع المصابيح والتحف. ووحدة التصميم هذه كانت شائعة في المنازل العثمانية بتركيا في القرنين ١٧، ١٨ م. في فترة عرفت باسم فترة الباروك التركي. ويري البعض أن هذا التصميم استمد مباشرة من تصميم بيوت استانبول، والذي استمر حتي عصر متأخر، وهو يعتمد علي صالة مستعرضة يفتح عليها إيوان وتجاوره حجرتان، بالإضافة إلي ملاحق تخدم هذه الوحدة السكنية [١]. ويفصل بين كشك الجوهرة وجامع محمد علي حديقة يتوسطها فسقية [٢].

سراي الإقامة (قصر الضيافة):

هذه السراي (لوحة رقم٨٣) تتكون من وحدة رئيسية تتمثل فيما يعرف بقاعة العرش العلوية، حيث تتكون هذه القاعة من صالة يفتح عليها إيوانان في الجهة

---

(١) مختار الكسباني (دكتور) تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي الباقية بمدينة القاهرة، ص ٢٤٦: ٢٤٨، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٣.

(٢) انظر الوصف التفصيلي لهذه السراي في: مختار الكسباني، مرجع سابق، ص ١٠٨: ١٤٥.

الشمالية والجهة الجنوبية بالإضافة إلي هذه الوحدة الرئيسية هناك وحدات أخري بعضها مستقل عنها مثل (غرفة النوم) وبعضها يتفرع من الإيوان الجنوبي للوحدة الرئيسية: مثل قاعة الاستقبال العلوية وجناح الهدايا [(١)]. وعرفت سراي الاستقبال بالكشك أو كشك الجوهرة، وتبقي من ملحقات الكشك حمام مفروش بالرخام وبه حوض من قطعة واحدة مجلوب من محاجر بني سويف [(٢)].

تعتبر عمارة سراي الجوهرة مشتقة من الأسلوب العثماني لتقسيم المساكن وخاصة الراقية منها، إلي سلاملك وحرملك، مع محاولة تطويع ذلك المخطط لنظام القصور الأوربية في القرن ١٨ م. والذي نتج عنه عناصر معمارية مثل باحة الشرف [(٣)]. وبهو للإستقبلات وأجنحة خاصة بالباشا وحريمه. وفيما عدا ذلك فإن القصر قليل الأهمية علي الصعيد المعماري، لكن زخرفة أسطحة المنقولة عن النماذج الأوربية تدل دلالة مباشرة علي دور تلك الطرز في صياغة أذواق الطبقة الحاكمة في مصر آنذاك.

استقبل محمد علي في هذه السراي كبار زائريه من الأجانب منهم الأديب الفرنسي شاتو بريان والكونت دي فوربان الذي وصف في كتابه مدينة القاهرة حفلة استقبال في السراي (١٨١٧ ـ ١٨١٨ م) [(٤)]. كانت هذه السراي هي المكان المفضل لسعيد باشا لإدارة حكم مصر لذا أعيد فرشها علي يد الاسطى يعقوب وابنه كلش [(٥)]. كما زودت سراي الاستقبال بمرايات كبيرة[(١)]. ولما زار

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) محمد حسام الدين إسماعيل، مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلي إسماعيل، ص ٧٦- ٧٧، دار الأفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩ م، الطبعة الثانية.

(٣) احترقت منشآت الباحة التي كانت تشكل جزءا من السلاملك عام ١٩٧٤، ناصر الرباط، تاريخ قلعة القاهرة، ص ٢٩.

(٤) عبد الرحمن زكي (دكتور) قلعة مصر، ص ٨٢.

(٥) ديوان الأشغال عربي، م/١/١، صادر قلم الهندسة، ص ١٠، صفر ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م.

السلطان العثماني عبد العزيز مصر عام ١٨٦٢ م أقام بهذه السراي، واستقبل فيها المرحبين به من كبار رجال.

النطاق العسكري الشمالي: (شكل رقم ١٨)

اكتسب هذا النطاق طابعا عسكريا أكثر منه سلطويا، إذ كانت به طباق المماليك واختص قسم منه بالعديد من المنشآت السلطوية، وهو القسم المحصور بين الباب المدرج وباب القلة، والذي يمتد الآن من قصور الحريم إلي باب القلة حاليا.

كان الباب المدرج يؤدي إلي ساحة مستطيلة ينتهي منها إلي دركاة جليلة يجلس بها الأمراء قبل الإذن لهم بالدخول إلي النطاق السلطاني، وفي جنوب الدركاة كانت تقع دار النيابة، والتي كان يجلس بها نائب السلطنة في العصر المملوكي البحري، وقاعة الصاحب، وهي التي كان يجلس بها الوزير وكتاب الدولة، وديوان الإنشاء، وهو الذي كان يجلس فيه كاتب السر وكتاب ديوانه، وديوان الجيش وباقي دواوين السلطنة [٢]. والحد الفاصل بين هذا النطاق والنطاق السلطاني هو سور باب القلة.

سكن الجند منذ العصر الأيوبي في النطاق الشمالي من القلعة، واستمر ذلك إلي نهاية العصر المملوكي، ومن الملاحظ أن إقامة الجند بهذا النطاق خلال العصر المملوكي، ارتبطت بأدائهم وظائفهم العسكرية، وشهدت القلعة أمرا من الظاهر برقوق، عد بداية لانتكاسة للنظم الحربية المملوكية الصارمة، حين سمح للجند بالسكن في المدينة والزواج من أهل القاهرة فأخلدوا إلي الراحة [٣] فضلا

---

(١) ديوان الأشغال عربي، م/١ / ١، صادر قلم الهندسة، ص ٦٥، صفر ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشي، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٣) عبد الرحمن زكي (دكتور) قلعة صلاح الدين، ص ٣٦.

عن اتجاه السلاطين لجلب المماليك كبار السن وهو ما أدي إلي العديد من المشاكل والنزاعات لعدم تربيتهم وفق الأصول الحربية، وتلاشي بذلك دور طباق القلعة تدريجيا. يدخل الآن إلي هذا النطاق من باب القلة.

باب القلة:

أرتبط تجديد باب القلة بإنشاء محمد علي الباب الوسطاني الذي يرتبط مع باب القلة بسور واحد، وفي إطار ما قام به من تجديد لأبواب القلعة جدد باب القلة الذي يعد في عصره المدخل الرئيسي للنطاق الشمالي للقلعة بعدما ألغي الباب المدرج بإنشائه الباب الجديد فوقه وسد هذا الباب دركاة الباب المدرج فضلا عن أن المنشآت التي تعود لعصر محمد علي وخلفائه بالنطاق الشمالي ألغت نهائيا استخدام الباب المدرج. ذلك أنها سدت مدخله من داخل النطاق وكذلك السور المكمل له. ومنها قصور الحريم والمبني القديم لدار الوثائق [١].

تتوسط الواجهة الجنوبية لباب القلة السور الممتد من البرج المنصوري الكبير الذي عرف علي خريطة الحملة الفرنسية ببرج الطبالين أو برج الطبلخانه إلي برج المقطم الذي يرجح أنه برج القلة هذا البرج جدد في العصر العثماني (صورة رقم ٨٤)، وهذه الواجهة من باب القلة عبارة عن فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري ذي طيات يعلوه نص تجديد الباب وهو باللغة التركية وترجمته كما يلي:

- فلتغلق عين العدو السيىء النية كلما فتح باب الزغرة [٢]

---

(١) كريزويل، وصف قلعة الجبل، ص ٨٩، ٩٠، ٩٣.

(٢) الزغرة عرفها كازانوفا بأنها مأخوذة من الزغار وهو كلب الصيد وكان في الإنكشارية ضباط لرعاية كلاب الصيد وكان كبيرهم يعرف بزغارجي باشي.

كازانوفا، مرجع، سابق، ص ١٩٨.

- وليبارك الله بانياه بحق سورة طه وياسين.

١٢٤٢ هـ

ومن الملاحظ أن تاريخ تجديد هذا الباب يوازي تاريخ أنشأ الباب الجديد والباب الوسطاني، ويبرز فوق النص السابق حجرة مراقبة علي سبعة كوابيل حجرية، وسقف هذه الحجرية جمالوني. ويكتنف المدخل برجان مضلعان، بهما فتحات مزاغل، تعلوهما دروة أضافها محمد علي، فتح بها فتحات مستطيلة يعلوها عقد موتور، ويعود هذان البرجان إلي العصر العثماني. أما ردهة المدخل فهي مقسمة إلي ثلاث مساحات، الأولي والثالثة مسقفتان بقبو نصف دائري. أما الوسطي فمسقفة بقبة ضحلة، وتؤدي فتحتي باب كل منهما معقودتين بعقد نصف دائري إلي البرجين داخل البرجين اللذين يكتنفان الواجهة الجنوبية وهما من الداخل كل منهما مسقف في الوسط بقبة ضحلة يكتنفها من ثلاث جهات ثلاث سدلات مسقفة بأقبية نصف دائرية، والجانب الرابع يفتح علي الواجهة الجنوبية للبرج بثلاث فتحات مزغلية (شكل رقم ٥٤).

أما الواجهة الشمالية للباب (شكل رقم ٥٥) فتتوسطها كتلة مدخل وهي ذات عقد نصف دائري ذي طيات. تكتنفه علي الجانبين دعامتان بارزتان في الحجر، وتعلوه حجرة مراقبة تبرز علي ثمانية كوابيل حجرية، وهي ذات سقف جمالوني. ويصعد إلي حجرة المراقبة بالطابق الذي يعلو البرج بواسطة سلم يوجد علي يسار الواجهة الشمالية (شكل رقم ٥٦).

سراي الحرم:

كانت أصلا بيتا لإسماعيل أفندي أمين عيار الضربخانه، ثم أخذها محمد علي لحريمه عند انتقاله للسكن في القلعة لأنها كانت دارا عظيمة، ويبدو أن هذا القرار جاء نتيجة لتهدم قاعات الحريم بالقلعة والتي كانت تقع بجوار سراي الباشا أو ما يعرف حاليا بسراي الجوهرة، واستخدم محمد علي هذه الدار في يوم مذبحة

المماليك، وذلك بعد، بدأ موكب ابنه طوسون، إذ انتقل إليها حيث كان حريمه يقيمون [١]، وأسقط محمد علي ثمنها من الغرامة التي قررها على إسماعيل أفندي، الذي سكن في دار أخري بحارة الروم [٢]. وجعل إلي الغرب منها ديوان المالية وديوان الجهادية وديوان المدارس [٣].

تتكون سراي الحريم من ثلاثة قصور بشكل منفصل عن بعضها البعض، وإن كانت صممت لتكون متصلة علي مستوي الطابق الأرضي (شكل رقم ٥٧)، وكانت مخططاتها متشابهة، والقصر الوسطاني هو الأقدم بناءا، وتلاه القصر الشرقي، ثم القصر الغربي. ومن الخطأ تسمية هذه القصور باسم الحرم أو الحريم، وهو – الاسم الشائع لها الآن – لأنها لم تعمر أساسا لإسكان الحريم فقط.و كانت هذه القصور محاطة في الماضي بجدار، مما فصلها عن بقية النطاق الشمالي للقلعة ولكنه أزيل لاحقا.

القصر الشرقي:

هو أكبر هذه القصور، وقد أقيم أصلا لسكن أيتام عائلة محمد علي وأيتام العوائل المملوكية الذين كانوا يهيئون لكي يصبحوا ضباطا في الجيش المصري الجديد، ويمكن تحديد تاريخ بنائه في عام ١٨٢٦ م، من اللوحة التأسيسية المكتوبة باللغة التركية والمثبتة فوق المدخل (صورة رقم ٨٥) ونصها:

١) إن محمد علي باشا حاكم مصر الذائع الصيت

الذي يجد العالم في باب لطفه وكرمه الزخرف التام.

٢) هو خديو أعظم يطاول السماء في علاها ويحاكيها في ظله

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ١٢٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥١.

(٣) عبد الحميد نافع، ذيل المقريزي، ص ٥٢، ٥٣.

وصاحب السيف والقلم وهو آصف غلامه بمنزل بهرام.

٣) سيفه يشتت شمل زمرة الطغاة

وقلمه كسحاب الربيع وورد حديقته الكرام.

٤) قد أنشأ ذلك الحاكم العالي الشأن قصرا جديدا كتحفة

يجد ربه إذا كان بهرام بوابه.

٥) هو قصر كالجنة ياله من قصر بديع مزخرف

لم ينطبع مثله في أديم السماء الصافي كالمرآة.

٦) (إذا شاهدته) شعرت في داخله بانشراح

يفوح من صوره ونقوشه أريج الجنان.

٧) وقد فتن رسمه بهزاد

بخ بخ هكذا يجب أن يكون الرسام في العالم.

٨) لقد كتب التاريخ (عزيز) بيت مجوهر

جعل العلام منشئه سعيدا.

٩) إن هذا الباب الجميل لمحمد علي باشا العادل

ظل مفتوحا بالسعادة إلي يوم القيامة ١٢٤٤ (١).

يؤدي مدخل هذا القصر إلي دركاة تقود إلي فناء بجداره البحري باب يؤدي إلي قاعة كبيرة. في حين يوجد باب آخر بدركاة تشبه السابقة يوصل إلي فناء آخر تطل عليه واجهة القصر علي امتداد القصرين الآخرين. وتحيط بهذا الفناء أبنية مكونة من دورين. وواجهة هذا القصر يتوسطها باب صغير يؤدي إلي سلم

---

(١) حسن عبد الوهاب، مرجع سابق، ص ٣٤، ٣٥.

مختار الكسباني، مرجع سابق، ص ١٤٩، ١٥٠.

مزدوج يوصل من الطابق الأرضي للعلوي وأهم ما يسترعي النظر في الدور الأرضي هي قاعة الفسقية، وبها أربعة ايوانات يتصدرها سلسبيل رخامي تكتنفه عمد رشيقة من الرخام نقشت به زخارف علي هيئة طيور من أفواهها مياه تصب في أحواض متدرجة تنساب في قناة الفسقية التي تقع وسط القاعة. ويوصل السلم المزدوج إلي قاعة علوية كبيرة بها ايوانات تتفرع منها حجرات وطرقات توصل إلي باقي القصر. وتلي هذه القاعة قاعة أخري مستطيلة علي جانبها حجرات جدرانها وأسقفها مزخرفة بنقوش ما زالت باقية حتي الآن.

القصر الوسطاني:

يوجد بالحائط القبلي لهذا القصر باب يؤدي إلي حديقة هذا القصر حيث توجد فسقية يعلوها جوسق، ويتوسط واجهة هذا القصر باب له مصراعان حليت حشواتهما بزخارف نباتية. والدور الأرضي عبارة عن قاعة كبيرة بكل ركن من أركانها حجرتان احتفظت جميعها بنقوش أسقفها التي تتنوع بين مسدسات ومربعات وجدائل انتشرت بها الزهور. ويوجد بهذا الدور الأرضي حمام يتكون من طرقة مستطيلة مغطاة بسقف محلي بزجاج ملون، يليها باب يؤدي إلي قاعة مقسمة إلي إيوانين بينهما درقاعة، وواجهة كل من الإيوانين محمولة عل عمد رخامية رشيقة قواعدها مربعة ومطعمة برخام أحمر. والقسم الداخلي من هذا الحمام هو بيت الحرارة، وهو مقسم إلي أقسام أكبرها هو أوسطها. والحمام مسقوف بسقف مغشي بالجص بداخله تقاسيم زخرفية علي هيئة زهرة ذات أربعة أوراق.

القصر الغربي:

يمتد الحائط الخارجي لهذا القصر مع القصر الوسطاني، ويماثل تصميم هذا القصر القصرين السابقين، ولكن طرأت تغييرات كثيرة وجسيمة منذ مدة علي هذا

القصر أفقدته جميع زخارفه، واستبدلت أسقفه بأسقف حديدية [١].

ومن الملاحظ أن في كل من القصور الثلاثة، في الطابق الأول والثاني توجد قاعات مكونة من أربعة ايوانات حول فراغ مركزي، وكلها كانت تستعمل للاستقبال، وقد تكون مخططاتها نابعة من مخطط القاعات المملوكية، أو أنها مقتبسة من مخطط البهو التركي المتأثر بالعمارة الأوربية. وهو الأرجح [٢]. فالأسلوب الغالب في القصور هو التشكيلات النباتية الملونة المرسومة علي الأسقف أو علي لوحات في زوايا جدران الغرف والأبهاء. وهذه المواضيع الزخرفية استنبولية الطراز أما التنفيذ فهو يخضع لطراز الباروك. وهذه القصور مهيبة باتساعها وليس بعمارتها (صورة رقم ٨٦)، وملفتة للنظر بالتكرار في مواضيع وأشكال زخارف غرفها وليس بالجدة في أسلوبها أو البذخ في تنفيذها. وتعتبر هذه القصور أكبر منشآت محمد علي في النطاق الشمالي، والذي تبقي به أيضا من عصره في النطاق الشمالي:

القصر الأحمر:

تقع هذه المنشأة علي يمين الداخل من باب القلة، وهي في الأصل من تشييد محمد علي حيث استكمل مبان قديمة كانت في هذا الموقع، يري الدكتور محمود الألفي أن هذه المنشأة استغلت كمقر للمهندسخانه التي أمر بأن يلحق بها تلاميذ لتعلم فنون الهندسة، وذكر الجبرتي هذه الواقعة في تاريخه في عام ١٢١٣ هـ / ١٨١٦ م حيث يذكر (فأمر – أي محمد علي – ببناء مكتب بحوش السراية ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير

(١) انظر الوصف التفصيلي لهذه القصور في: مختار الكسباني، مرجع سابق، ص ١٤٦: ٢٠٤.

(٢) ناصر الرباط، مرجع سابق، ص ٣١.

والقياسات والإرتفاعات واستخرج المجهولات مع مشاركة شخص رومي يقال له روح الدين أفندي بل وأشخاصا من الإفرنج. وأحضر لهم آلات هندسية متنوعة من أشغال الإنجليز) [١]. ولم تستمر الدراسة بهذا المبني في رأيه لفترة طويلة إذ شيد محمد علي مدرسة للمهندسخانة في بولاق سنة ١٨٣٤ م، حيث تتركز حركة الصناعة بالبلاد [٢]. غير أن نص الجبرتي صريح فهو حدد موقع المهندسخانة في حوش السراية، ومن المرجح أن موقعها اليوم هو المباني المحصورة بين سراي العدل وسراي الجوهرة. وتري أمل محفوظ أن هذا المبني كان مدرسة حربية في عصر محمد علي، وهي التي نقلها إلي أسوان فيما بعد[٣]، غير أنه من المؤكد أن هذا المبني يعود إلي عصر محمد علي، والمحتمل أنه كان أحد المباني الإدارية ولذا ربما استغل كأحد مقار الدواوين في عهد محمد علي كديوان الجهادية. واستغل هذا المبني كمدرسة للحربية في عهد سعيد باشا الذي أضاف إليه قسما جديدا، وهو الجناح الشمالي الغربي. وذلك في عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م. وكان عدد طلبة هذه المدرسة ٢٥٠ يقيمون بها، وهو ما استدعي توسعتها. إلا أن سعيدا نقل المدرسة من القلعة في سنة ١٢٧٧ هـ / ١٨٦٠ م [٤].

والمسقط الأفقي لهذا المبني غير منتظم، هذا المبني شيد علي جزء من سور القلعة. وهو يتكون من طابقين أرضي وأول، وله مدخلان الأول يطل علي الساحة التي بينه وبين قصر الحرم، والثاني يتوصل إليه من حوش يتقدم المبني، يدخل إليه من باب في الطريق المحصور بين المدرسة وقصر الحرم (الأشكال

---

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج ٤، ص ٣٥٥.

(٢) عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص ٤٠٠، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥١.

محمود الألفي (دكتور) العمارة في مصر في القرن التاسع عشر، ٣١٤، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة جامعة القاهرة، ١٩٨٦ م.

(٣) أمل محفوظ، مرجع سابق، ص ١٣٨، ١٣٩.

(٤) عبد الحميد نافع، ذيل المقريزي، ص ٤٤.

أرقام ٥٨، ٥٩، ٦٠) (صورة رقم ٨٧) [١].

جامع سارية الجبل:

يقع هذا المسجد بالنطاق الشمالي للقلعة، في الجهة الشمالية الشرقية، وهو أحد المساجد الفاطمية التي وجدها قراقوش عند تأسيس القلعة، لم يهدمه وإنما أدخله ضمن نطاقها، ليكون أحد المساجد التي تؤدي بها الصلوات الخمس، شيد هذا المسجد أبو المنصور قسطه، وينزل إلي مدفن قسطه الذي لم يزل قائما بعدة درجات، ويوجد فوق مدخله نص تأسيس مؤرخ بسنة ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠ م [٢].

جاءت إعادة بناء هذا المسجد الذي يبدو أنه في أول الأمر صغيرا في المساحة ومتواضعا، علي يد والي مصر العثماني سليمان باشا، الذي ولي مصر سنة ٩٣١ هـ/ ١٥٢٨ م، واستمر واليا عليها لمدة تزيد علي العشر سنوات، وكانت ولايته بعد فترة عدم الاستقرار في مصر ومحاولات للاستقلال عن الدولة العثمانية من قبل المماليك الجراكسة، وكادت أن تنجح هذه المحاولات [٣]و كان قد ترتب علي الفتح العثماني لمصر أن أسكن خاير بك احدي فرق الجيش العثماني النطاق الشمالي من القلعة لكي يمنع احتكاكها بالجند العزبان وهي طائفة من الجيش العثماني، وسكنت طائفة مستحفظان [٤] في النطاق الشمالي، ولذا كان من

---

(١) انظر الوصف التفصيلي والتحليل المعماري لهذا المبني في:
محمود الألفي، العمارة في مصر خلال القرن التاسع عشر، ص ٣١٣: ٣٥٤.

(٢) علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٥، ص ١٤.

(٣) أحمد فؤاد متولي، قانون نامة مصر، ص ٣: ٧. مكتبة الانجلو. ١٩٨٦ م.

(٤) طائفة مستحفظان: كان أفراد هذه الفرقة يكلفون بحراسة القلاع والحصون والبلاد. أتت هذه الفرقة إلي مصر مع السلطان سليم الأول، وأقامت بالقلعة وعرفت بطائفة السلطان لأنها كانت تمثل بصورة خاصة السلطة العثمانية في الولاية، ومن هنا أتت قوتها في القاهرة، وسيطر أفرادها علي الالتزامات المربحة وعلي دار ضرب النقود ومراكز المكوس مما زاد من نفوذها، وأفراد هذه الطائفة انكشارية مشاه، وهو جيش عثماني =

الطبيعي أن يشيد مسجدهم علي الطراز الذي اعتادوه في الدولة العثمانية، وهناك دافعان لتأسيس هذا المسجد علي طراز عثماني صرف (صورة رقم ٨٨) لم تعرفه مصر من قبل:

أولهما: إثبات السيادة العثمانية علي مصر والتي تعرضت لهزات عنيفة نتيجة للثورات المتتالية من قبل المصريين سواء كانوا جراكسة أو أهالي أو عزبان. ولعل ذلك هو السبب الذي من أجله حملت منشأت سليمان الخادم، الذي جاء واليا في أعقاب هذه الفتن ألقاب السلطان سليمان القانوني [١]. وفي المدرسة السليمانية بالقاهرة التي أنشأها نفس الوالي حملت ألقاب السلطان سليمان ألقابا تدل علي التبعية والخضوع المصري والعربي للسلطان سليمان وهي " مولي ملوك العرب والعجم الأكاسرة قامع أعناق الفراعنة الغازي في سبيل الله"[٢].

ثانيهما: رغبة سليمان باشا في خلق بيئة عثمانية في القلعة لطائفة مستحفظان، والتي أتي عدد منهم قبيل ولايته لتثبيت النفوذ العثماني في مصر[٣].

وهناك جدلية لابد من طرحها، جدلية التصميم العثماني والتنفيذ الدقيق له، وهو ما لم تعهده مصر، ولذا نرجح أن المسجد صمم في ديوان الأبنية في استنبول الذي يرأسه " معمار باشا " وتم تنفيذه في مصر تحت إشراف أحد

= أنشئ في عهد السلطان أورلخان (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) كانت نواته من أهل الفتوة في الأناضول، ثم اعتمد علي أبناء النصاري في البلقان بعد عثمنتهم وإسلامهم

(١) مصطفي بركات (دكتور) مرجع سابق، ص ٥، ٦.
طه عمارة (دكتور) ص ١١٨.

(٢) حسن قاسم، المزارات الإسلامية، ج ٦، ص ٢١.
مصطفي بركات (دكتور) مرجع سابق، ص ٩.

(٣) أحمد فؤاد متولي (دكتور)، مرجع سابق، ص ١٠.

المعماريين العثمانيين [١]. ولوحظ تأثر الزخارف الرخامية في المحراب وأرضية المسجد وجدرانه وبعض الزخارف الكتابية، بالطراز الزخرفي المملوكي [٢]، وهو ما يعني مشاركة صناع مصر مصريين في عمارة هذا المسجد، وأنه ترك لهم حرية نسبية في تنفيذ زخارفه، علما بأن سليمان باشا شيد أيضا مدرسة بالقرب من مسجد قوصون بالقاهرة علي الطراز العثماني، وكذلك جامعا ببولاق علي نفس الطراز[٣] يتكون هذا المسجد (شكل رقم ٦١) من جزئين رئيسيين أحدهما مغطي وهو بيت الصلاة، والآخر رواق حول الصحن المكشوف ويسمي الحرم، ويتكون بيت الصلاة من مساحة مربعة تقريبا يحيط بها من ثلاث جهات – عدا الجهة الشمالية الغربية – ثلاثة ايوانات أعمقها إيوان القبلة، وهو ليس أوسعها، وتغطي المساحة المربعة الوسطي قبة مركزية محمولة علي مثلثات كروية بالأركان، أما الأيوانات الثلاثة الأخري، وهي الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية فتغطيها ثلاثة أنصاف قباب محمولة هي الأخري علي مثلثات كروية حصرت فيما بينها هيئة عقد مدبب شكلت صدر الإيوان وجانبه، هذا وقد اختزل الإيوان الرابع ليكون عقدا وذلك ليكمل هيئة العقود الأربعة التي تحتوي علي المثلثات الكروية التي ترتكز عليها القبة الوسطي المركزية.

والكتلة الثانية من المسجد عبارة عن صحن أوسط تحيط به أربع ظلات تتكون كل منها من بائكة واحدة تحوي رواقا واحدا يشرف علي الصحن من خلال

---

(١) ULKUUBATES, two ottoman decoments architects in egypt, p123, muqarnas vol 3, leiden – e. j. brill – 1985.

(٢) هدايت تيمور، جامع الملكة صفية، ص ٢٠٥، رسالة ماجستير، كلية الآثار، القاهرة – ١٩٧٥ م.

(٣) البكري، محمد أبو السرور الصديقي، المنح الربانية، ص ١٥٧.

المصري، أحمد بن عبد الغني الحنفي، أوضح الإشارات فيمن تولي مصر من الوزراء والباشات، ص ١٠٧، مكتبة الخانجي ١٩٧٨ م.

ثلاثة عقود، وغطيت هذه الظلات الأربع بقباب ضحلة، ويضم المسجد مدفنا يقع في الركن الشمالي من الحرم، ويعترض مسار البلاطة الملتفة بكل من الظلتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية، ويحوي هذا المدفن بداخله مجموعة من التراكيب وشواهد القبور العثمانية، كما أنه يحتوي علي النص التأسيسي لمسجد أبي منصور قسطة.

جاءت مئذنة الجامع منفصلة عن كتلة المبني ويبدأ سلمها من الطابق الأرضي، وهي ملاصقة للمدخل الرئيسي، وهي ذات قاعدة مربعة قليلة الارتفاع تتصل بالبدن المستدير الخالي من الزخارف، ومنطقة الانتقال عبارة عن مثلثات منزلقة لأسفل ويصعد هذا البدن لأعلي بدورتين ترتكز كل منهما علي مجموعة من المقرنصات ذات الشكل الكأسي، ويتوج هذه المئذنة قمة مخروطية الشكل. وكان المنشئ قد ألحق بالمسجد حديقة خلف المحراب، وشذروانا لوضوء المصلين خارج الجامع من الجهة الغربية يماثل طراز المساجد العثمانية المبكرة في بروسة [1].

الإسطبل:

مثلت الخيول مقوما أساسيا من مقومات الجيوش في العصور القديمة، لذا اعتني بها القدماء فقد كانت الفروسية هي مقياس المقاتل خلال العصرين الأيوبي

---

(١) للمزيد عن وصف هذا الجامع وعناصره انظر:

وثيقة وقف مسجد سليمان باشا بالقلعة محررة في سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م، أرشيف وزارة الأوقاف، رقم ١٠٧٤ .

هدايت تيمور، جامع الملكة صفية، ص ٢٠٢: ٢٠٥.

أسس التخطيط الحضري والعمراني لمدينة القاهرة في العصور الإسلامية، جدة- ١٩٩٠.

طه عمارة (دكتور) مرجع سابق، ص ١٠٥ - ١١٨.

والمملوكي [١]. لذا اهتم الأيوبيون والمماليك بتربية الخيل، وجعلوا القسم المخصص للخيول من القلعة جزءا لا يتجزأ منها، ونال هذا القسم رعاية متزايدة في العصر المملوكي حيث أنشأت به العديد من المنشآت السلطانية، كما دارت به أحداث سياسية هامة.

كان موقع الإسطبلات أسفل القصر السلطاني حافزا لكي يقوم السلطان بمراقبة هذه الإسطبلات وما يجري بها، واكتسبت الإسطبلات أهمية متزايدة منذ أن نقل السلطان الكامل مقر الحكم إلي القلعة، واهتم بالميدان المجاور لها ويذكر ابن إياس أن السلطان الناصر بدأت مراسم توليته للمرة الثالثة كسلطان بالمقعد السلطاني بالإسطبل [٢]. وتدل هذه الحادثة علي أن هذا المقعد يعود لفترة سابقة، وربما إلي العصر الأيوبي، حيث كان يجلس به السلطان لاستعراض الخيل عماد جيشه، عرف هذا المقعد في مرحلة لاحقة بالحراقة [٣]. ولعب دورا في الحياة السياسية المملوكية خاصة في العصر الجركسي، وكان أول من جلس به من

---

(١) وضعت العديد من المؤلفات في الخيل والفروسية منها علي سبيل المثال:

- مؤلف مجهول: الفروسية والطعن والضرب والتبطيلات ، مكتبة الفاتح استنبول مخطوط رقم ٣٥٠٩.
- مؤلف مجهول: مجموع في الفروسية والجهاد والصيد والقنص ، مكتبة البلدية بالإسكندرية مخطوط رقم ١٢٠١.
- مؤلف مجهول: كتاب في معرفة الخيل والجهاد وما يتعلق من آلات الفرسان، مكتبة أحمد الثالث استنبول رقم ٢٠٦٦

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٣١.

(٣) الحراقة: نوع من السفن الحربية التي ترمي بالنيران، استعملها المسلمون في العصور الوسطي.

درويش النخيلي (دكتور) السفن الإسلامية علي حروف المعجم، ص ٣٢، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤.

السلاطين للقضاء هو الظاهر برقوق [١]. واكتسب هذا المقعد أهمية أيضا في عصر الأشرف برسباي إذ أدار منه شئون السلطنة وعقد به مجالس القضاء ومن ذلك استقباله سفير شاه رخ [٢]. وكذلك عقدت به اجتماعات للبحث في شئون السلطنة، منها اجتماع استدعي له القضاة وكبار الصيارفة في شهر صفر ٨١٨ هـ / مايو ١٤١٥ م حيث طلب منهم إبطال التعامل بالدنانير الناصرية ولكن اعترض عليه جلال الدين البلقيني قاضي القضاة، ولم ينته الاجتماع إلي قرار بشأن منع الناس من التعامل بالناصري [٣]

أرتبط بالإسطبل وأغلب الظن بالمقعد موكب الإسطبل الذي كان يجري مرتين في الأسبوع خاصة في العصر الجركسي والغرض من هذا الموكب النظر في شئون الأمراء والمماليك والإقطاعات. وفي هذا الموكب يجلس السلطان في صدر المقعد وحوله الأمراء مقدموا الألوف يمينا ويسارا علي مقاعد من الحرير، ولا يحضر القضاة هذا المجلس، وبعد أن يقرأ ناظر الجيش ما يتعلق بالإقطاعات يمضي السلطان منها ما يشاء. ثم يدخل كاتب السر ويقدم العلامة فيعلم السلطان ما أمضاه. أخيرا يدخل الجيش طائفة بعد طائفة لتقديم واجب الولاء وإظهار الطاعة للسلطان، ثم يمد سماط كبير عند انتهاء هذا الموكب [٤].

ومن منشآت الإسطبل ذات الطبيعة السلطانية :

الطبلخاناه :

كانت للطبلخاناه وظيفة هامة توازي ما نعرفه اليوم بموسيقي الحرس

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٢) DORIS, OP CIT P 64.

(٣) رأفت النبراوي، النقود الإسلامية في مصر، ص ٢٤٨.

(٤) سعيد عاشور (دكتور) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٧٩، دار النهضة العربية ١٩٦٢ م.

الجمهوري أو فرق الموسيقي العسكرية، فقد كانت تدق في أوقات معلومة في اليوم وفي مناسبات محدده ومن هنا جاءت أهميتها كرمز من رموز السلطة المملوكية وبطل أمر دق الطباخاناه منذ دخول السلطان سليم مصر ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م فلم تدق لخاير بك الذي تولي أمر مصر نيابة عن العثمانيين، واندثر أمرها منذ ذلك الحين [١] وما زال موقع الطبلخاناه باقيا إلي اليوم.

جامع المؤيد شيخ:

ازدادت أهمية الإسطبلات السلطانية[٢] ومنطقتها منذ العصر المملوكي، وصاحب ذلك إنشاء العديد من المنشآت السلطانية بها، خاصة مع إقامة كبار الأمراء بها.

وكان من الطبيعي إثر ذلك أن يشيد مسجد للصلوات الخمس بها، ويذكر المقريزي في خططه وجود مسجدين بالإسطبل، أحدهما وهو مسجد الإسطبل لم يحدد لنا موقعه، ولا منشأه [٣] وربما كان هو المسجد الخاص بإقامة الصلوات في الإسطبل .

والجامع الثاني شيده السلطان المؤيد شيخ ويعرف بجامع الصوة، ولم يرد ذكر هذا الجامع بوثيقة وقف المؤيد، ويصفه المقريزي بقوله " هذا الجامع فيما بين الطبلخاناه السلطانية وباب القلعة المعروف بالباب المدرج، علي رأس الصوة، أنشأه الأمير الكبير شيخ المحمودي، لما قدم من دمشق بعد مقتل الناصر فرج بن برقوق وإقامة الخليفة المستعين بالله سلطانا " [٤]. وجعل المؤيد شيخ أتابكا

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٢٧٥.

(٢) تقع الإسطبلات السلطانية أسفل النطاق الجنوبي من القلعة وهي منطقة صخرية ترتفع عن ميدان القلعة.

(٣) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٢٧.

(٤) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٣٧.

للعسكر ومدبرا للمملكة [١]. أقام شيخ عند إذ في منطقة الإسطبلات، حيث شيد دارا ليسكنها، ولكنه سرعان ما عزل الخليفة في شعبان العام ٨١٥ هـ/١٤١٢م.

وكانت داره هذه لم تستكمل بعد. فحولها إلي جامع وخانقاه، وأقيم به "صلاة الجمعة" [٢] وعبارة المقريزي السابق ذكرها، تفيد أنه لم يسبق أن أقيمت صلاة جمعة بالإسطبلات. واحتفظ هذا الجامع باسم منشئه إلي وقت الحملة الفرنسية[٣].

ألحق المؤيد شيخ سبيل وصهريج بهذا الجامع، وهو مغطي بقبة ضحلة، وتتقدمه سقيفة في ضلعه الشمالي الغربي حيث المدخل، والأحجار المنحوته به تفيد نسبة البناء إلي العصر المملوكي الجركسي[٤] وقد قام أحمد كتخدا العزب بتجديدات به تمثلت في تجديده للمدخل، وإضافة مئذنة له علي الطراز العثماني.
ويبدو أن مسجد المؤيد، قد صار في حالة يرثي لها. حين جدده أحمد كتخدا إلي جامع تقام به صلاة الجمعة والصلوات لطائفة عزبان. كان ذلك عام ١١٠٩ هـ/١٦٩٨م [٥].

نطاق باب العزب:

حدث تحول هام في وظيفية هذا النطاق من القلعة، إذ تحول من مكان لإقامة

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٥٥.
(٢) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٢٧.
(٣) فهمي عبد العليم (دكتور)، العمارة الإسلامية في عصر المؤيد شيخ، ص ٢٨، ٢٩. رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة. ١٩٨٨ م
(٤) المرجع السابق، ص ٨٠، ٨١.
(٥) عبد الرحمن زكي (دكتور) مرجع سابق، ص ٩٧.
حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن وما حوله، ص ٧٤، ٧٥. سلسلة المكتبة الثقافية (٥٦) دار القلم ١٩٦٢ م.

جند طائفة العزب، (صورة رقم ٨٩) إلي منطقة صناعية حديثة تعكس رغبة محمد علي في إقامة جيش قوي حديث (شكل رقم ٦٢) كان محمد علي بدأ في العام ١٨٠٦ م في تصنيع الأسلحة بالقلعة، وظلت هذه الصناعة تنمو، حيث شهدت في العام ١٨٢٠ م تشييد مصنع جديد لصناعة وسبك المدافع والقنابل والسيوف والرماح وغير ذلك وسمي " الطوبخانة " وعمل تحت إشراف أدهم بك قائد المدفعية، كان بهذا المصنع ٩٠٠ عامل ومعهم عدد من الأجانب للاستفادة بخبراتهم. تراوح إنتاج هذه الطوبخانة من المدافع ما بين ثلاثة وأربعة مدافع في الشهر وكان يصنع بها كل شهر من ٦٠٠ إلي ٦٥٠ بندقية علي الطراز الفرنسي شيد أيضا بهذه المنطقة مصنع لألواح النحاس التي تبطن بها السفن وكان ينتج في اليوم من سبعين إلي مائة لوح من النحاس مختلفة المقاس والسمك وضع هذا المصنع تحت إدارة توماس جالوي الإنجليزي. وجددت هذه المنطقة وشهدت توسعات في عام ١٨٢٠ م [1]. وما زالت أجزاء كبيرة باقية منها إلي اليوم. غير أننا لا نستطيع أن نحدد وظيفة كل المنشآت الباقية. نظرا للتغييرات التي طرأت علي وظائفها. خاصة في ظل سيطرة الجيش الإنجليزي عليها في الفترة من ١٨٨٢ إلي ١٩٤٦ م. ثم سيطرة الجيش المصري عليها من ١٩٤٦ إلي ١٩٨٤ م. في هاتين الفترتين استغلت منشآت النطاق في وظائف متعددة استلزم بعضها تغيير معالم الأبنية من الداخل. تتكون حاليا دار صناعة القلعة من عدة مبان متجاورة عبارة عن أبنية مستطيلة غطيت أسقفها بأسطح متوازية فتح بها إما

---

(١) عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص ٥٩٩، ٦٠٠.
عمر طوسون، الصنائع والمدارس الحربية، ص ٢١، ٣٤، ٣٥، الإسكندرية - ١٩٣٥.
عبد الحمن زكي (دكتور) قلعة مصر، ص ١١١.
أحمد أحمد الحتة (دكتور) تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، ص ١٥٨ .
مطبعة المصري ١٩٦٧ م
حسام إسماعيل، مدينة القاهرة، ص ٩٧.

ملاقف أو مناور خشبية للإضاءة والتهوية أو مناور حجرية تستخدم كمداخن لإخراج الدخان الناتج عن عمليات التصنيع المختلفة.

يعد مصنع المدافع والمسبك الملحق به المنشأة الوحيدة ذات المعالم الواضحة التي يمكن من خلالها تحديد وظيفتها وكان يعلو مدخل هذا المسبك صورة رخامية يشير نصها الذي كتب بالتركية إلي تاريخ تشييد محمد علي له ترجمته بالعربية[١]:

شيد محمد علي باشا والي مصر الشهير

بناء عاليا هنا لصب المدافع

فنظمت أنا خيرت تاريخه الجوهري

صار هذا البناء المتين العالي طوبخانه [٢]

يقع هذا المصنع أسفل القصر الأبلق ويمتد إلي برج الرفرف . والمصنع غير منتظم الأضلاع. به فناء مكشوف مستطيل غطي حديثا بسقف جمالوني من ألواح الأسبستوس. يقع مسبك المدافع في الناحية الغربية من الفناء وقد قسم المسبك إلي ثلاثة مساحات غير متساوية يؤدي كل منها للآخر (شكل رقم ٦٣)، يتصدر القسم الثالث منها جدار حجري يتوسطه فتحة معقودة بعقد نصف دائري كان يوضع فيها الوقود الذي يستخدم في صهر الحديد المستخدم في سبك المدافع. وهذه الفتحة مسدودة حاليا. يعلوها مدخنة تستدق كلما ارتفعت لأعلي. وتخترق المدخنة قبة محمولة علي أربعة عقود نصف دائرية يربط بينها عوارض خشبية تزيد من قوتها من الناحية الإنشائية (شكل رقم ٦٤).

---

(١) قام بنشر هذا النص لأول مرة الدكتور عبد الرحمن زكي في كتابه قلعة مصر حيث نشر النص التركي وترجمته إلي العربية ص ١١١.

(٢) تاريخ النص بحساب الجمل ١٢٣٦ هـ وهو يعادل ١٨٢٠ م.
عبد الرحمن زكي (دكتور) مرجع سابق، ص ١١١.

يقع مصنع صهر المعادن إلي الشرق من مصنع سبك المدافع، ومن الواضح أن المبني أحدثت به تجديدات في عصر الخديو إسماعيل وفي فترة الاحتلال الإنجليزي. وواجهة المصنع تعود إلي عصر محمد علي. يوجد بها مدخلان بارزان بكل منهما فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري. والمصنع من الداخل غير منتظم الأضلاع. وهو مقسم إلي أقسام بواسطة دعامات حجرية تحمل سقفا من الخشب عبارة عن عروق يعلوها ألواح خشبية يتوسط هذا السقف مناور وملاقف للهواء، ومازال باقيا في أرضية المصنع مجاري كان يصب بها الحديد المصهور.

الميدان:

يمثل ميدانا الرميلة وتحت القلعة الحد الفاصل بين القلعة والمدينة، وعدهما المؤرخين من حقوق القلعة أي أنهما جزء لا يتجزأ منهما [(١)]. وشهد هذان الميدانان أحداثا سياسية واجتماعية هامة، وهو ما جعلهما محورا من محاور الحكم في مصر منذ العصر الأيوبي. كانت أرض الميدانين [(٢)]. مجرد أرض فضاء حتي شيد أحمد بن طولون ميدانه بهذه البقعة، وفي العصر الفاطمي صارت سوقا يباع فيه الخيل والدواب، وفي العصر الأيوبي اهتم به السلطان الكامل سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤ م. واستمر هذا الاهتمام بالميدان من قبل ملوك بني أيوب حتي عهد الصالح نجم الدين أيوب الذي جدد له ساقية وغرس حوله الأشجار [(٣)]. وفي

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٥ .

(٢) قام محمد الششتاوي بتحديد أبعاد الميدانين معا في العصر المملوكي حيث يذكر أن طولهما ٧٥٠ مترا في المتوسط وعرضهما ١٠٠ متر، أما حدودهما فهي، الحد الشرقي من أول سكة المحجر فباب العزب فسور القلعة حتي مسجد الغوري بعرب اليسار، والحد الجنوبي من مسجد الغوري حتي جامع السيدة عائشة حتي جامع الرفاعي، والحد الشمالي من جامع الرفاعي إلي أول سكة المحجر.
محمد الششتاوي، مرجع سابق، ص ١٠.

(٣) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٢٨.

العصر المملوكي خرب المعز أيبك سنة ٦٥١ هـ /١٢٥٣ م ميدان الرميلة وظل كذلك حتي اعتني به الناصر محمد بن قلاوون، فأعاد تشييده وزراعته وتسويره، ورتب فيه الناصر لعب الكرة هو وأمرائه يومي الثلاثاء والسبت من كل أسبوع [١]. وظل الاهتمام متواصلا بالميدانين طوال العصرين المملوكي البحري والجركسي. وكانت العمارة الكبري للميدان في عصر السلطان الأشرف قانصوة الغوري. ففي شهر صفر ٩٠٩ هـ /١٥٠٣ م. كان ابتداء العمل بالميدان تحت القلعة فيعهده، فتم تعلية الأسوار، ثم شرع في بناء مقعد ومبيت برسم المحاكمات وأنشأ في الجهة الغربية من الميدان قصرا حافلا ومنظرة وبحرة، وغير ذلك من المباني الفاخرة، ثم شرع في نقل أشجار من سائر الفواكهة وأصناف الأزهار والرياحين وغير ذلك فغرست بالميدان من الجهة الغربية، ثم أنشأ قصرا علي باب الميدان مطلا علي الرميلة، وعمل ممشاة من القلعة إلي الميدان بسلالم متصلة إلي ذلك القصر، وجعل للميدان بابا كبيرا وعليه سلسلة حديد وإلي جانبه باب صغير عليه سلسلة حديد مثل الباب الكبير [٢].

كان لميداني القلعة وظائف عديدة، طغي عليها رسوم الدولة الحاكمة، فقد استخدم كمصلي للعيدين، وفيه كان يجلس الملوك والولاة للنظر في المظالم، وكانت تقام به حفلات زواج خاصة بالسلاطين والأمراء، وعمل المواكب السلطانية، إلي جانب استخدام الميدان في ألعاب الفروسية وخاصة لعب الكرة، وكذلك استخدم في النشاط الدبلوماسي حيث كان السلاطين يستقبلون فيه السفراء والرسل والضيوف، وارتبط ميدان تحت القلعة باحتفال سنوي، وهو احتفال الدوران وخروج المحمل.

---

(١) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٢٩.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٧٩.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ص ٥٦، ٦٠، ١٠٢.

قلعة صلاح الدين ووسائل التواصل معها :

لم تكن قلعة صلاح الدين مجرد بناية حربية كبري اتخذت لجلوس سلاطين وحكام مصر، بل كانت مقر للحكم لإقليم كبير هو مصر في عصور انحسار الدولة المصرية، ومقرا لحكم منطقة شاسعة خاصة في عصر المماليك، لذا فان حكام مصر حرصوا علي إيجاد وسائل متعددة للتواصل مع المدن الواقعة تحت سيطرتها ومن هذه الوسائل الطرق البريدية والحمام الزاجل.

الطرق البريدية :

الطرق البريدية وإن كانت من الطرق البرية التي تسير في داخل المعمور المصري وخارجه إلا أنها ذات مواصفات خاصة تجعلها من الطرق التي تحظي بعناية ورعاية الدولة وذلك نظرا لما تحققه من أهداف سياسية وإدارية للدولة علي وجه السرعة.

ولا تقتصر أهمية الطرق البريدية علي الأهداف السياسية والإدارية وإنما تتعدي نفعيتها فتحقق مصالح أخري في المجالات الحربية والتجارية وذلك من خلال كونها وسيلة سريعة وفعالة ومأمونة.

إما عن شبكة الطرق البريدية في مصر خاصة زمن سلاطين المماليك باعتباره ازهي عصور مصر الوسيطة فسوف نجد مدي تشعب الطرق التي تربط قلعة الجبل بأطراف الدولة حتي أقصي امتداداتها عند نهر الفرات. وكذلك تربط هذه الشبكة من الطرق البريدية العاصمة بمداخل مصر الرئيسة وثغورها ورابطتها الساحلية والبرية مما يحقق الغاية من إحكام الدولة لسيطرتها علي كافة أرجاء البلاد وسرعة تبليغ أوامرها والإطلاع علي أحوال النواحي، وفوق ذلك مراقبة الولاة وحكام الأقاليم وغير ذلك مما يدخل في مجال مهام رجل البريد.

نظرا لما سبق عن طبيعة الطرق البريدية وأهدافها السياسية والإدارية والحربية والاقتصادية قد أصبحت نوعا من الطرق السريعة التي تتغلب أكثر من

غيرها علي عامل المسافة. وقد اتخذت من قبل الدولة عدة إجراءات لتحقيق هذه الكفاءة العالية للطرق البريدية. وقد تمثلت هذه الإجراءات فيما يلي:

١) وجود جهاز من عمال الدولة المختصين بهذا المرفق وهم عمـــال البريـــد ولهم ديوانهم المنظم لمهامهم ويتولى الأنفاق علي متطلباتهم.

٢) توافر الدواب اللازمة لخدمة الأغراض البريدية، والعناية بها علي طـــول مراكز البريد بما يسهل مهام رجال البريد، حيث يتم تبديل الخيول والهجـــن في هذه المراكز. وقد تطلب هذا الجانب وجود " إسطبل البريد " مـــن بـــين الإسطبلات الشريفة حيث خيل البريد التي كانت تسمي بالخيول الســـلطانية تمييزا لها عن خيول كثيرة في المناطق التي تعبر فيها الطـــرق البريديـــة بوادي الأعراب. ومن ثم يوكل لهؤلاء الأعراب مهمة تزويد مراكز البريـــد بخيول يتم تغييرها في كل شهر ومن ثم سميت خيول الشهارة [(١)].

---

(١) فيما يتعلق بخيول الشهارة علي الدرب السلطاني يذكر الدواداري أن والده كـــان عليـــه الكشف علي عربان الشرقية وهو " ثعلبة وجذام والعابد " وانه كان يستعرض " بصُـــوه *العباسية " هؤلاء العربان الأمراء الذين لهم اخباز من جهة السلطنة وهم عـــدد ١٧٠٠ فارس، وهؤلاء العربان عليهم أقامة ١٥ منزلة بمنازل الرمل بالطرق الشـــامية (الـــدرب السلطاني) اولها من جهة مصر منزل السعيدية وأخرها من جهة الشام كـــان فـــي ذلـــك الوقت منزلة رفح، ويقيم في هذه الخمسة عشرة منزلة مائة وخمسون فرسا، فـــي كـــل منزلة عشرة رؤوس برسم البريد المنصور. وهذا يختص بقبيلتي جذام وثعلبة، وعلـــيهم خفر سائر الطرقات التي تمتد من دار الضيافة تحت القلعة من جبل المقطـــم كمـــا كـــان مقررا عليهم خفر ذلك من تقادم السنين. وقد خففت عن هـــؤلاء العربـــان مـــن منـــازل الطريق منزلتان وهما رفح والزعقة، وصار أخر إدراكهم منزلة تعرف بالخروبـــة...... انظر كنز الدرر وجامع الغرر الجزء التاسع وهو " الدر الفاخر في سيرة الملك الناصـــر " ص ١٤٤. وانظر القلقشندي: صبح الاعشي في صناعة النشا جـــ ١٤، ص ٣٧٧. وهو يتناول الطرق البريدية فيذكر انه فيما بين منزلة السعيدية والخروبة تسمي هذه المنازل=

٣) أقامة مراكز أو محطات بريدية علي امتداد الطرق البريدية حيث يتم من خلال هذه المراكز استبدال دواب الحمل. وقد زودت تلك المحطات بجملة من المرافق الهامة لخدمة المسافرين كالخانات والسواقي المسبلة لرفع المياه حيث يحتفظ بالماء العذب في الأحواض والصهاريج، وهناك المحلات التجارية المزودة بكل ما يلزم المسافر علي نحو ما سنري تفصيلا.

٤) العمل علي حسن توزيع مواقع هذه المراكز البريدية علي الطرق وذلك علي مسافات متقاربة في أطوالها بما يحقق الراحة لعمال البريد ويقلل من المشاق لطول المسافة، ومن ثم كان من الضروري استحداث مراكز بريدية جديدة، أو نقل مراكز بريدية من مواضعها إلي مواضع أفضل.

٥) تزويد المراكز البريدية الرئيسة بأبراج الحمام الرسائلي كأسلوب سريع

= بالشهارة وخيل البريد بها مقررة علي عُربان ذوي أقطاعات وعليهم خيول موظفة يحضر بها أربابها عند هلال كل شهر إلي المراكز وتستعيدها في آخر الشهر، ويأتي بغيرها. ومن هنا سميت بالشهارة.

وحين نراجع كتب الجغرافية الادارية المصرية القائمة علي الروك الناصري كالانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق، والتحفة السنية لابن الجيعان، نجد أن النواحي الهامشية لشرق الدلتا في الأعمال الشرقية فيما بين السعيدية والصالحية مقطعة للعربان الذين يقومون بتقديم خيول الشهارة. ومل هذه النواحي كانت في معظمها خارج إطار المعمور من الأراضي الزراعية للمحاصيل أي أنها كانت تتضمن إطار المراعي التي تسمي بالخفوج علي نحو ما نجد في هذه المؤلفات من ذكر للخفوج الفاقوسية وهي تشمل ١٦ ناحية، وغيرها من النواحي المقطعة للعربان.

* الصُوّة: ما غلظ وارتفع من الأرض. والصوة ما نصب من الحجارة ليستدل بع علي الطريق. والجمع صوي، فصوي الطريق: نصبها واصوي القوم نزلوا الصوي وهي الأرض الغليظة المرتفعة. عبد العال عبد المنعم محمد الشامي، الطرق والمسالك الشرقية لمصر في العصر الوسيط، سلسة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة قسم الجغرافيا بجامعة الكويت – الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت – ١٩٩٩، ص ١١٥ – ١١٦.

معاون للأغراض البريدية في المجالات السياسية والإدارية والحربية مما يزيد من فاعلية هذه الطرق.

و من ابرز مراكز البريد علي الدرب السلطاني:

المركز الأول:

يقع علي مقربة من بلدة سرياقوس فينسب إليها، وكان قبل ذلك بالعش مكان طويل المدي (أي ما بين قلعة الجبل والعش) وفي مكان منقطع (عن العمران) وكانت البريدية تتشكي منه فصلح بنقله، وحصل به الرفق في أمور لو لم يكن منها إلا قربه من الأسواق المجاورة للخانقاه الناصرية وما يوجد فيها، وانسه بما حوله لكفي ذلك [١].

وقد أضاف القلقشندي توضيحا مفيدا بشأن نقل المركز الأول من العش فقال: أن هذا المركز البريدي المنسوب لسرياقوس ليس بهذه البلدة بل بالقرية المستجدة بجوار الخانقاه الناصرية التي أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون علي القرب من سرياقوس [٢].

ويري الدكتور عبد العال الشامي أن المركز البريدي الأول القديم " العش " إنما كان إلي الغرب مباشرة من الخليج الكبير المار علي مقربة من الخانقاه

(١) ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٩ ؛ عبد العال الشامي، الطرق والمسالك، ص ١١٧.

(٢) القلقشندي: صبح الاعشي جـ ١٤ ص ٣٧٦ والخانقاه الناصرية من إنشاء الناصر محمد بن قلاوون في الربع الأول من القرن الثامن الهجري، وقد ظهرت كضاحية سلطانية ثم ما لبثت أن تحولت إلي قرية فبلدة فمدينة عامرة بفضا عناية السلاطين بها وما أقامه الأمراء فيها، وما تمتعت به من مزايا حتي أصبحت سوقا تجاريا علي الطريق...... لمزيد من التفاصيل انظر عبد العال الشامي مدن الدلتا في العصر العربي ص ٣٦٨ / ٣٩٩ ؛ عبد العال الشامي، الطرق والمسالك، ص ١١٨.

السرياقوسية، ومثل هذا الموضع المقترح يقع شمالي الخانقاه بنحو ١٠ كم، وعليه يكون علي بعد يبلغ ٣٥ كم من قلعة الجبل وعلي ذلك جاءت الشكوى بطول هذه المرحلة عما يلي فجاء الاختيار الامثل عند الخانقاه [١].

المركز الثاني «بئر البيضا»:

وقد عرف القلقشندي بقوله: وهي مركز بريد منفرد وليس حوله ساكنون، ومعني ذلك أنها مجرد منزل أو محطة متوسطة بين الخانقاه السرياقوسية وبين مدينة بلبيس " المركز البريدي الثالث " وقد حقق محمد رمزي الموضع مستدلا باسم حوض البيضا الزراعي حوض البيضا رقم ٣ بأراض ناحية الزوامل حيث توجد عزبة أبو حبيب علي مقربة من الزوامل [٢].

المركز الثالث: مدينة بلبيس

قاعدة الأعمال الشرقية وهي من مدن الهامش في شرق الدلتا، بل هي ترقد في مفيض وادي الجعفرا. وكانت أخر المراكز البريدية التي تستفيد من الخيول السلطانية - أي الخيول التي تشتري بمال السلطان ويقام لها السواس والعلوفات - ثم تكون الشهارة هي المستخدمة بعد ذلك في المراكز البريدية التالية وهي الخيول المقررة علي العربان ذووي الإقطاعات، ومثل هذه الخيول يتم دوغمه بالداغ السلطاني[٣]. في نهاية كل شهر حتي تستبعد من خيول الشهر التالي عند

---

(١) عبد العال الشامي، الطرق والمسالك، ص ١١٩.

(٢) محمد رمزي: البلاد المندرسة ص ١٨٤ / ١٨٥ حيث يذكر أن هذه العزبة واقعة علي البحر الشبيني الذي يمثل بحر أبي النجا الذي يمثل أهم المجاري المائية المستجدة في عام ٥٠٦ هـ اواخر حكم الفاطميين لمصر بعد أن شرقت أراضي شرق الدلتا. وهذا المركز البريدي يقع علي أطراف المعمور واقرب القري منه سلمنت الواقعة غربة. عبد العال الشامي، الطرق والمسالك، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) العمري: مرجع سابق ص١٨٩/ ١٩٠ عبدالله الشامي، الطرق والمسالك، ص١٢٣-١٢٤.

تقديم الخيول البديلة.

المركز الرابع: السعيدية

وهو أول مركز خيول الشهارة " السعيدية " وهي التي نسبت إلي السعيد محمد بركة خان، بعد إن عُمرت في عصر والده الملك الظاهر بيبرس وقد حققها محمد رمزي بأنها موضع عزبة السعيدية المعروفة بعزبة الشيخ مطر حنفي الواقعة بقرب فم أي بداية ترعة السعيدية المنسوبة لهذه البلدة بأراضي ناحية العباسة – مركز أبو حماد – شرقية. انظر الخريطة المرفقة.

المركز الخامس: الخطارة

ما زالت تحمل نفس الاسم وهي من قري فاقوس وغير بعيدة عن مجري ترعة السعيدية وعلي أطراف المعمور والهامش الصحراوي لشرق الدلتا في الوقت نفسه.

المركز السادس: «قبر الوايلي»

وكان قد استجد به أبنية وسواق وبساتين حتي صار قرية [1] ومثل هذا القول يعكس اثر عناية الدولة بمراكز البريد مما يخلق نواة عمرانية لها ظهيرها الزراعي [2] المستغل بما يناسب المنطقة الهامشية من حيث غرس الأشجار المثمرة في مثل هذه التربة الرملية المختلطة بطمي النيل في الهوامش الصحراوية لشرق الدلتا المسماة بعزبة النخيل. وهذا المركز البريدي قد اندثر

---

(١) العمري: المرجع السابق، ص ١٨٩ عبد الله الشامي، مرجع سابق، ص ١٢٤

(٢) وردت قبر الوايلي وسلمون كفرها عند ابن الجيعان في التحفة السنية وحدد العبرة ١٧٠٠ دينار منها ١٥٠٠ لقبر الوايلي ولسلمون ٢٠٠ دينار ولم يحدد المساحة وذكر أنها للعربان. وعند ابن دقماق في الانتصار جـ ٥، ص ٦٥ دون تحديد للعبرة أو المساحة. عبد الله الشامي، ص ١٢٤

مكانه القديم وفي موضعه عزبة عياد الواقعة علي ترعة السعيدية بأرض أكياد وهي تابعة لمركز فاقوس – شرقية.

المركز السابع: المنزلة الصالحية

وهي أخر المعمور المصري في شمال شرق الدلتا، وقد سبق ذكر نشأتها الحربية علي يد الصالح نجم الدين أيوب وأنها كانت من أماكن السحات السلطانية علي الدرب السلطاني وقد نالت عناية السلاطين، ومن ثم قال عنها القلقشندي [(١)] هي قرية " لطيفة " ومعني ذلك أنها طرأ عليها نمو عمراني بحكم مزايا موقعها وعند ابن الجيعان [(٢)] تحديد العبرة – ٢٥٠ دينار ولم يعين لها مساحة وذكر أن العبرة خراجا عن أراضي الملك وما هو منسوب لبحيرة تنيس.

وبعد الصالحية يترك الدرب السلطاني المعمور المصري ويدخل الطرق في النطاق الرملي غير المعمور، وهو نطاق من التكوينات الرملية والسياحات جنوب بحيرة تنيس (كان هذا القسم الجنوبي الشرقي منها يسمي ببحيرة الزار) ثم يعبر الطريق برزخ السويس وصولا إلي نطاق رمل الغرابي حتي قطيا ومن بعده يخترق الطريق رمل الجفار جنوبي بحيرة البردويل وصولا إلي مدينة العريش. وفي هذا النطاق من شمال سيناء سوف يستفيد الطريق من واحات الكثبان الرملية بما فيها من موارد مياه فضلا عن القري التي توجد ما بين العريش ورفح حيث تزاد إمكانيات المياه العذبة والزراعات.

المركز الثامن: «بئر غزي»

وقد وصفه العمري بقوله " ماؤه مجلوب من بئر وراءه وواضح كيف أن هذا المركز ليس بالموضع العامر أو المسكون وإنما مجرد منزل. حتي أن الاسم

---

(١) القلقشندي: مرجع سابق جـ ١٤، ص ٣٧٦، عبد الله الشامي، مرجع سابق، ص ١٢٤

(٢) ابن الجيعان: مرجع سابق، ص ١٩، عبد الله الشامي: مرجع سابق، ص ١٢٥

موضع اختلاف في المصادر، فعند القلقشندي بئر عفري، وعند الظاهري بئر غوزي. وقد توقف محمد رمزي عن تحديد الموضع فلم يستدل عليه، ومثل هذه المواضع المجهول يمكن تحديد مكانها في موضع متوسط بين الصالحية (المركز السابع) والقصير (المركز التاسع) مع مراعاة الملامح الطبوغرافية وطول المسافة المقررة في مثل هذا الطريق وذلك في شرقي مدينة الحسينية وغرب مدينة القنطرة غرب [1] مع الاستفادة بما في المنطقة من دروب ومدقات مطروقة.

المركز التاسع: «القُصير»

وقد كان عامرا بفضل ما أقامه فيه كريم الدين وكيل الخاص الناصري فقد بني به خانا ومسجدا ومئذنة وعمل ساقية، فتهدم ذلك كله، ولم يبقي له ما يجدده، وبقيت مئذنة، وقد رتب لها زيتا للتنوير، وهذا القصير - كما يقول العمري أيضا - يقارب المركز القديم (أي مركز البريد) المعروف بالعاقولة المقارب لقنطرة الجسر الجاري تحتها فواضل ماء النيل أوان زيادته إذا خرج إلي

---

(١) لعل من المفيد في تحديد مثل هذا الموضع الرجوع إلي عبد الغني النابلسي في رحلته إلي مصر فانه يذكر بعد خروجه من بئر الدويدار في طريقه للصالحية قوله: ثم نزلنا في ذلك الرمل (رمل الغرابي) سائرين إلي أن مررنا علي المكان المسمي باللواوين وهي لواوي كثيرة مثل الصفة الكبيرة كل واحدة منها ويجانبها بركة من الملح فقطعنا اللواين ثم بتنا هناك في البرية ثم ركبنا في نصف الليل فأشرفنا في الصباح علي قرية الصالحية. وهو بهذا يذكر المركزين الثامن والتاسع من المراكز البريدية علي الدرب انظر الحقيقة والمجاز في الرحلة إلي الشام ومصر والحجاز ص ١٧٥.
وتسمية المكان باللواوين في الراجح من اللوي: ما التوي من الرمل أو منقطع الرمل ولوي الرمل وغيره - لوي: ما التوي من الرمل أو منقطع الرمل ولوي الرمل وغيره - لوي: اعوج، والتوي الرمل: اعوج. ولوي الرَمل: منقطعة وهو الجدد ولعل المقصود بئر الوإلي الذي سبق ذكره في أحداث عام ٨٣٦ هـ. زمن الأشرف برسباي كما ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني فيما سبق. عبد الله الشامي: مرجع سابق، ص ١٢٥ - ١٢٦.

الرمل.

وموضع القصير هذا ذكر في الأحداث التاريخية أوائل حكم سلاطين المماليك لمصر فقد كان منازل الدرب وشهد عام ٦٥٨ هـ عودة الملك المظفر قطز من الشام إلي مصر فلما وصل القصير، ولم يكن بينه وبين الصالحية إلا مرحلة (بئر غزي) رحلت العساكر إلي جهة الصالحية وضرب الدهليز السلطاني بها وقتل المظفر قطز في القصير [(١)].

وأما العاقولة – المركز القديم السابق للقصير – فهو كما ذكر العمري قرب قنطرة الجسر الجاري تحتها فواضل ماء النيل أوان زيادته إذا خرج إلي الرمل. والمعروف في ظل نظام الري الحوضي أن مياه الفيضان إذا زادت عن حاجة الأراضي الزراعية شمال شرق الدلتا فأنها تتجه مع الانحدار العام في اتجاه شمالي شرقي إلي الجنوب من بحيرة المنزلة أي في نفس الاتجاه الذي كان يسلكه من قبل الفرع البيلوزي في سيره نحو خليج الطينة. ومثل هذه النواي ما زالت عبارة عن سياحات حتي بعد شق قناة السويس.

ويمكن من خلال مراجعة الخريطة الطبوغرافية بالقنطرة غرب أن نحدد موضع قنطر الجسر (العاقولة) في غربي مدينة القنطرة غرب باعتبار هذه المنطقة هي موضع الثغرة التي يمكن أن يمر من خلالها ماء الفيضان الزائد عن

(١) المقريزي في خططه جـ ٢ – طبعة بولاق – ص ٣٠ يذكر مقتل المظفر قطز عام ٦٥٨ هـ فيقول. فلما قربوا في مسيره من القصير بين الصالحية والسعيدية عند القرين، انحرف قطز عن الدرب للصيد.. وتلقب الملك الظاهر وذلك بمنزلة القصير وأما في السلوك جـ ١ ص ٤٣٥ فيذكر القصير، بلد بمصر بطريق الرمل بينه وبين الصالحية مرحلة.

وعند الادفوي يذكر القصير في أحداث عام ٦٣٣ هـ بأنها علي الدرب السلطاني من عمل فاقوس بين الغرابي والصالحية (الطالع السعيد، ص ٦٦٩).

وانظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٨٣.

حاجة الأراضي الزراعية، حيث نجد إلي الجنوب منها مناطق رملية مرتفعة نسبية وإلي الشمال منها أطراف بحيرة المنزلة، ومن ثم فهذا الموضع أشبه بقناة ما بين أطراف المعمور المصري الزراعي عند الصالحية وبين سهل الطينة الذي يمثـل أقصي امتداد للدلتا يوم كان الفرع البيلوزي يجري قبل الفتح العربي لمصـر، أي حتي القرن السادس الميلادي.

ولعل كلمة القنطرة التي ما زالت علما علي الموضع هـي بقايـا التسـمية القديمة لقنطرة كانت مقامة علي ذلك المجري الذي يتم من خـلال صـرف مـاء الفيضان الزائد عن حاجة الأراضي الزراعية، أي أن هذه القنطرة كانت أشبه بما يقام علي الأودية الجافة التي تسيل في تلك الأودية. مع الأخذ فـي الاعتبـار أن الدرب السلطاني في مساره العام كان متجنبا للمعمور الزراعي ومسايرا لحـواف شرق الدلتا، ومن ثم فليست هناك من ضرورة لقيام قنطرة أو جسر إلا في هـذا الموضع المنخفض نسبيا الذي ربما كان يجري فيه الفرع البيلوزي وهـو يعبـر برزخ السويس متجها إلي خليج الطينة.

ويمكن أن نجد في وصف مصر زمن الحملة الفرنسية ما يؤيد ذلك، فقد جاء فيه عن القنطرة أنها تقع علي طريق الصالحية قطيا، وعن طريقها يمتـد ميـاه بحيرة المنزلة جنوبا وتتشكل المياه ألسنة غير صالحة للملاحة... ويجد المرء في ضواحي القنطرة مرتفعات من أنقاض مساكن قديمة [(١)].

وفي ضوء ما سبق يكون الراجح للمركز البريدي التاسع القصير كـان فـي الظهير الزراعي غربي مدينة القنطرة غرب، حتي يمكـن تصـور اختيـار هـذا الموضع كبديلة للعاقولة، حيث يتميز هذا الموضع بإمكانية إقامة الخان والمسجد

---

(١) زهير الشايب: وصف مصر، المجلد الثالث، ص ١٢٣ حيث يذكر بحيرة الـبلاح وأنهـا تستمد مياهها عن طريق القنطرة التي تفصل بين البلاح والمنزلة علي الطريق القائم من الصالحية نحو شمال سيناء. عبد الله الشامي: مرجع سابق، ص ١٢٨ – ١٢٩

والساقية لرفع مياه البئر لسد احتياجات المسافرين. ومثل هذا الموضع مرتفع نسبيا عما حوله من سياحات.

أما تحديد المسار بين الصالحية وهذا الموضع فيمكن رسمه من خلال النظر إلي الدروب والمدقات التي تمثل الطرق الطبيعية، كما يمكن التماس هذا المسار من خلال فحص الآثار الباقية التي يمكن أن تكون شواهد دالة علي المسار المندرس في هذه المنطقة.

الحمام الزاجل:

المتواتر في كتب المؤرخين المسلمين أن السلطان نور الدين أول من اعتني بالحمام الزاجل في الدولة الإسلامية واستخدمه في نقل المكاتبات بين مصر والبلاد الشامية، وانه نقل إلي تلك البلاد سنة ٥٦٥ هـ / ١١٨٩ م حماما من مدينة الموصل، وشيد له – ولا سيما في مصر بعد أن مد نفوذه عليها بفضل رجاله من بني أيوب – أبراجا أقام بها الحراس يرقبون وصول الحمام ليل نهار. علي أن الباحث في تاريخ الشرق الإسلامي في العصور الوسطي يلمس بين طيات الكتب شذرات تشير إلي أن المعرفة بالحمام الزاجل، واستخدمه في نقل المكاتبات، ترجع إلي ما قبل عهد نور الدين بكثير في الدولة الإسلامية. بل أن اهتمام بعض الدول القديمة بالحمام الزاجل ينقض القول بسبق المسلمين علي غيرهم من الدول في استخدم الحمام لأغراض البريد، فقد ورد في القرآن الكريم استخدام النبي " سليمان " لطائر الهدهد في نقل رسالته إلي ملكة سبأ " بلقيس "، كما استخدم الإغريق الحمام كرمز للسلام الاولمبي أثناء عقد الدورات الاولمبية ومنهم اخذ الرومان استخدام الحمام في نقل الرسائل واستخدموه أثناء الحروب وأطلقوا عليه اسم " حمام البطاق "، ولعل أول شاهد تاريخي علي استخدام الحمام في الدولة الإسلامية لنقل الأخبار في العصور الوسطي يقع سنة ٢١٢ هـ / ٨٣٧ م إبان عهد المعتصم العباسي، حين نقل الحمام إلي الخليفة نبأ القبض علي الثائر بابك

الخرمي. وحوالي ذلك الوقت أي خلال القرن الثالث الهجري استخدمت احدي الفرق السياسية في الدولة الإسلامية الحمام الزاجل لأغراض الدعاية، إذ نظم رئيس فرقة القرامطة بالعراق الحمام الزاجل، واستخدمه علي نطاق واسع لنقل الأخبار من جميع النواحي بالعراق قبل إذاعتها بين الناس، وهكذا استعان هذا الرئيس القرمطي بالشعوذة وإيهام الناس بعلم الغيب وتقدير المقادير. وتفيض كتب الأدب المعاصرة لتلك الفترة بذكر الحمام الزاجل وأوصاف وتدريبه، مما يحمل علي الاعتقاد أن نقل الأخبار بالحمام في القرن الثالث الهجري سبقته دلالات عديدة علي استخدامه في الدولة الإسلامية الأولي، ومما يحمل علي ترجيح ذلك الظن أن الجاحظ احد العلماء المعاصرين للمعتصم وضع كتابا عن الحيوان، أسهب فيه الحديث عن الحمام وتدريبه، وبين مبلغ اهتمام الناس في العراق به وما وصل إليه فن تدريبه من رقي. (١)

ويرجع استخدام الحمام في مصر كذلك إلي ما قبل نور الدين، إذ يقول ابن الأثير أن استخدام الحمام في نقل المراسلات بلغ درجة كبيرة من التقدم والرقي في عهد الفاطميين الذين استخدموا الحمام في نقل الأخبار من سفن الاستطلاع التي كان يوكل إليها مراقبة حركات الأساطيل النورمانية التي دأبت علي الإغارة علي شواطئ افريقية في أواخر العهد الفاطمي. ففي سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م وقعت احدي هذه السفن الفاطمية التابعة لأسطول المهدية في يد المدعو جرجي أمير البحر علي الأسطول النورماني الصقلي عند جزيرة قوصرة (بانتلاريا الآن، وتقع بين المهدية وصقلية) وباستجواب بحارة هذه السفينة وجد جرجي في حوزة احدهم قفصا به حمام. وبعد أن تأكد أمير البحر النورماني من بحارة المهدية أنهم لم يطلقوا إيه حمامة من القفص، أمر البحار صاحب القفص أن يكتب رسالة يخبر

(١) إبراهيم احمد العدوي، الحمام الزاجل في العصور الوسطي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني – العدد الأول، القاهرة – مايو ١٩٤٩ م، ص. ١٣١ – ١٣٦.

فيها حاكم المهدية انه لقي عند جزيرة قوصرة بعض مراكب للنورمان، وانه سال عن حركة أسطولهم، فعلم انه في طريقه إلي القسطنطينية. ثم أطلق أمير البحر حمامة بتلك الرسالة إلي المهدية، وأراد من وراء ذلك القيام بهجوم مفاجئ علي العاصمة التونسية وقت السحر. ونجحت تلك الحيلة إذا اطمأن حاكم المهدية، ولم يتخذ أية احتياطيات لدرء الهجوم النورماني، لكن رياحا مضادة أفسدت تدبير أمير الأسطول النورماني الذي وصل إلي مياه المهدية في وضح النهار.

وإذا كانت الرواية السابقة تكشف عن مبلغ ما وصلت إليه البحرية الفاطمية من تقدم في استخدام الحمام، لربط الأسطول بقواعده البرية، والحصول علي معلومات من اجل الدفاع واتخاذ الاحتياطيات، فان تلك الحقيقة تبين أن استخدام الحمام في الحركات البحرية ليست إلا نتيجة تطور في أساليب تدريب الحمام في نقل المراسلات البحرية. وما يتطلبه ذلك من محاولات ترجع منطقيا إلي فترة سابقة لأخر عهد الفاطميين، ولقد أتضح من إشارة سابقة أن أهالي العراق كانوا يدربون الحمام برا وبحرا علي نقل المراسلات، قبل زمن الفاطميين بفترة.

وتوجد إشارات دالة علي استخدام الفاطميين للحمام في نقل الأخبار بين أجزاء إمبراطوريتهم. فيقول القلقشندي أن اليازوري وزير الخليفة المستنصر الفاطمي أرسل حماما إلي مصر. كذلك كان يوجد خط بريد يربط بين الشام ومصر بواسطة الحمام. ويدل علي ذلك أن الخليفة العزيز الفاطمي ذكر لوزيره ابن كلس انه لم ير القراصية البعلبكية منذ أمد طويل، فأرسل الوزير حمام دمشق الذي إذ كان ذلك موجودا بالقاهرة إلي حاكم العاصمة الشامية يأمره بان يطلق في حمام القاهرة الموجود بمدينة دمشق حبات قراصية ؛ وقبل أفول شمس ذلك اليوم كان الحمام القاهري قد وصل حاملا القراصية.(١)

تفرس العلماء والاقدمون وذوو الفراسات في اختيار الحمام المراد زجله،

(١) إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص. ١٣٦ – ١٣٨.

وشانهم في ذلك شأن تفرسهم في الخيل والناس والجواهر، وذلك لان الطير كغيرها تختلف في طباعها اختلافا شديدا، (فمنها القوي، ومنها الضعيف، ومنها البطئ، ومنها السريع، ومنها الذهول، ومنها الذكور، ومنها القليل الصبر علي العطش ومنها الصبور، وذلك لا يخفي فيهن عند التعليم والتوطين في سرعة الإجابة والإبطاء.

وكان أن اتفقوا علي أن جميع الفراسة التي لا تخطئ في حمام الأمصار لا تخرج عن أربعة وجوه:

الوجه الأولي: التقطيع، والثاني: المجسّة.

والثالث: الشمائل، والرابع: الحركة.

فأما التقطيع، فانتصاب العنق والخلقة، واستدارة الرأس من غير عظم ولا صغر، وعظم القرطمتين ونقاؤهما، واتساع المنخرين، وانهرات الشدقين، وسعة الجوف، ثم حسن خلقة العينين مع توقدهما، وقصر المنقار في غير دقة ثم اتساع الصدر، وامتلاء الجؤجؤ، وطول العنق، واشراف المنكبين، وانكماش الجناحين، وطول القوادم في غير إفراط، ولحوق بعض الخوافي ببعض، وصلابة القصب في غير انتفاخ ولا يبس، واجتماع الخلق في غير الجعودة والكزازة، وعظم الفخذين، وقصر الساقين والوظيفين، وافتراق الأصابع، وقصر الذنب، وخفته من غير تفنين وتفريق، ثم توقد الحقتين، وصفاء اللون. فهذه علامة الرفاسة في التقطيع.

وأما علامة المجسة، فوثاقة الخلق، وشدة اللحم، ومتانة العصب، وصلابة القصب، ولين الريش في غير رقة، وصلابة المنقار في غير دقة.

وأما علامة الشمائل، فقلة الاختيال، وصفاء البصر، وثبات النظر، وشدة الحذر، وحسن التلفت، وقلة الرعدة عند الفزع، وخفة النهوض إذا طار، وترك المبادرة إذا لقط.

وأما علامة الحركة، فالطيران في علو، ومد العنق في سمو، وقلة

الاضطراب في جو السماء، وضم الجناحين في الهواء، وتتابع الركض في غير اختلاط، وحسن القصد في غير دوران، وشدة المد في الطيران. فإذا أصبته جامعا لهذه الصفات فهو الطائر الكامل، وإلا فبقدر ما فيه من المحاسن تكون هدايته وفراهيته.

كذلك تفرسوا في ألوان الحمام وشياته، بل وفي تعداد (الرياش المعتبرة فيها، وهي رياش أجنحتها وأذنابها، وبين الفرق بين الذكر والانثي....... والزمان والمكان اللائقين بالأفراخ).

ففيما يختص باللون والشياث اجمع العلماء علي أن أحسن الحمام الهداء ما كان لونه ابيض أو اخضر أو كان منمرا. (١)

طريقة زجل الحمام:

تتضح الإشارة أولا إلي أن القاعدة العامة في الزجل إلا يزجل الزجال من الحمام (ما كان منشوؤه في بلاد الحر في بلاد البرد، ولا كان منشوؤه ما كان منشوؤه في بلاد البرد في بلاد الحر، إلا ما كان بعد الاعتياد، ولا يصبر علي طول الطيران في غير هو انه واجوانه طائر إلا بطول الإقامة في ذلك المكان).

يبدأ زجل الحمام بعد فطامه عن أبويه مباشرة فيشرع الزجال أولا في إطعام الأفراخ من يده، وفي سقيها من فمه، حتي إذا علم أنها قد شبعت وارتوت اخذ في مداعبتها والسير أمامها لتتبعه، يفعل ذلك في نهاره مرتين أو أكثر، وذلك كله بقصد تعويدها الألفة والائتناس.

فإذا لاحظ أن الأفراخ قد اشتدت وقويت علي الطيران قليلا، وضع مع كل فرخ

---

(١) نبيل محمد عبد العزيز، الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرون، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة – ١٩٧٥، ص ٥٣ – ٥٥

الجنس المخالف له وذلك ليألف كل صاحبه.

فإذا أراد أن يمرن الأفراخ علي الطيران أخرجها وهي جائعة مع قبيلة من الحمام الفاره، حتي إذا القي إليها الحب أسرعت في النزول للقطها.

وينصح " الجاحظ " الزجال في هذا الشأن بقوله: (ولا تخرج والريح عاصف، فتخرج قبل المغرب وانتصاف النهار، وحذاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام، فان الذكورة يعتريها النشاط والطيران والتباعد ومجاوزة القبيلة، فان طارت الفراخ معها سقطت علي دور الناس، فرياضتها شديدة، وتحتاج إلي معرفة وعناية، وإلي صبر ومطاولة).

فإذا كملت تلك المرحلة خرج الزجال بالحمام إلي ظهر سطح عال ونصب علما ذا لون واضح، ثم اخذ في تطيير الحمام، شريطة إلا يجاوز الحمام، ذلك المحل، وأن يكون علف الحمام بالغداة والعشي، ثم يلقي لها ذلك العلف بعد تتطيرها (قريبا من علمه المنصوب له حتي يألف المكان ويتعود الرجوع إليه).

ولا ينبغي للزجال أن يطير الذكر وأنثاه، بل يجعل (أحدهما محتبسا إذا أرسل صاحبه، ليتذكره فيرجع إليه، فان خيف عليه أن يكون قد مل زوجته عرضت عليه زوجة أخري قبل الزجل).

وله أن يقص أو ينتف الانثي ويطير الذكر، فانه يتوق إلي زوجته وينزع إليها مسرعا.

فإذا اهتدي الذكر إلي المكان ونبت ريش الانثي صنع بها كذلك فان اهتدت بدورها إلي المكان، طيرا جميعا ومنعا من الاستقرار، إلا أن يظن بهما الإعياء والكلل.

فإذا أكملت تلك المرحلة وطن لهما الزجال سائر المزاجل في البر والبحَر بحيث إذا ارتفعا في الجو من أي مكان عاينا السطح والعلم، فان رجعا من المكان الذي طيرهما منه مرات ومرات، زجلا إلي مكان ابعد منه، وهكذا حتي يبلغ بهما

الغاية.

أما إذا ذعر الحمام في أثناء طيرانه من طلب جارح له، فالواجب علي الزجال أن يضمه ويستفرخه، وذلك لان الذعر يظل به (لا يفارقه ولا يسكن حتي تستأنف به التوطين).

كذلك يجب علي كل زجال أن يعلم الحمام ورود العيون والغدران والأنهار، فقد يحتاج الحمام إلي الشرب أثناء رحلته، فإذا لم يكن قد تعود نظر المسطحات والشرب منها اضطرب وغرق.

يبدأ ذلك الأسلوب بان يكف الزجال بصر الحمامة بأصابعه، (وليكن معطشا، فانه أجدر أن يشرب. تفعل ذك مرارا ثم تفسح له المنظر أولا حتي تنكر ما هو فيه، فلا تزال به حتي يعتاد الشرب بغير سترة).

فإذا حذق الزوجان كل ما سبق، وضعا في قفص يسمح لهما بمشاهدة طريق الرحلة، وأرسلا إلي المحل المراد مراسلته، فالقاعدة إذن هي تبادل الحمام بين المدن، فقد كان – علي سبيل المثال – (بدمشق حمام من مصر، وبمصر حمام من دمشق).

فإذا وصلا، حسبما البراج أكثر من شهر، واخذ في اطعامهما من يده يوميا مع مداعبتهما، وذلك حتي يعتادا المكان ويألفا البراج، فانه إذا تعجل في تسريحهما ربما رجعا إلي مكانهما الأول، ولم يعودا [1].

تسريح الحمام:

القاعدة العامة في التسريح هو ما سبقت الإشارة إليها من ضرورة حبس الانثي وإرسال الذكر أو العكس، وأن لا ترسل الحمائم إلا بعد إطعامها الطعام الكافي.

---

(١) نبيل محمد عبد العزيز، المرجع السابق، ص ٥٥ – ٥٧

وكانت العادة المتبعة في الممالك الإسلامية أن يتوخي الإبعاد في التسريح عند مستقر الحمام ؛ (والقصد بذلك أنها ترجع إلي أبراجها من قريب).

والواجب انه إذا أطلق الطائر من مصر فلا يطلق إلا من أمكنة معلومة، فإذا سرح من قلعة الجبل إلي الإسكندرية فلا يسرح من أول المراكز وهي منية عقبة بالجيزة، وإذا سرح إلي جهة الشرقية فلا يسرح إلا من مسجد تبر خارج القاهرة. أما إذا سرح إلي دمياط فلا يسرح إلا من ناحية بيسوس بشط بحر منجي، (وكان يسير مع البراجين من يوصلهم إلي هذه الأماكن من الجاندارية) لحمايتهم وحفظ مكنون الحمام.

فإذا كانت الحمامة غير فارهة وجب علي البراج أن يتبعها بالملاحظة قليلا مقدار ربع ساعة حتي لا تتوقف في احدي الأشجار عن التسريح، فان توقفت وجب عليه أن يحثها علي الطيران.

ولضمان تعويد الحمام غير الفاره علي الرواح والرجوع- دون ما عناء كان بعض البراجين يقومون بحبس الانثي، وإرسال الذكر مع الانثي لمكان مراسلته، وحين بلوغهما ذلك المكان، تحس الانثي ويسرح الذكر بالجواب إلي المكان الذي أتي منه.

ولزيادة الاطمئنان في توصيل البطاقات إلي المراسلين، كانت القاعدة الغالبة أن تسرح احدي الطيور أولا، ثم بعد ساعتين من إطلاق الأولي تسرح الثانية، ولذلك كان (ولابد وأن يكتب: " سرح الطائر ورفيقه " حتي إذا تأخر الواحد ترقب حضوره أو تطلب) أو أن يطلق الثاني لئلا يكون الأول قد وقع في احد أبراج المدينة.

كما اقتضت العادة أن يعمل في الطيور السلطانية علائم ليسهل تمييزها عن غيرها، (وهي داغات في أرجلها، أو علي مناقيرها، ويسميها أرباب اللعوب " الاصطلاح ").

وكان إذا سقط الطائر بالبطاقة لا يجرؤ احد أن يقطع البطاقة منه إلا السلطان، بيده من غير واسطة، فقد كان لهم (عناية شديدة بالطائر، حتي أن السلطان إذا كان يأكل الطائر وسقط الطائر لا يمهل حتي يفرغ من الأكل، بل يحمل البطاقة ويترك الأكل، وهكذا إذا كان نائما لا يمهل بل ينبه).

وكذلك أن كان في موكب، أو يلعب بالاكرة، وذلك كله (لأنه بلمحة يفوت ولا يستدرك المهم العظيم، إما من واصل، أو هارب، وإما من متجدد في الثغور). (١)

نسخ البطائق وطريقة تعليقها بالطائر:

١- نسخ البطائق:

تكتب بطائق الحمام – فضلا عن الملطفات، وما في معناها – بقلم يعرف " بالغبار " وهو قلم ضئيل، (سمي بذلك لدقته.... وبعضهم يسميه " قلم الجناح " هذا وقد استخدم في نسخ البطائق ورق صغير خفيف عرف باسم " البطائق ").

والجدير بالذكر أن نسخ البطائق كان علي ضربين:

الضرب الأول: أن تكون البطاقة " بعلامة شريف ".

وتكون نحو ثلثي وصل من ورق البطائق.

ويذكر كل من " السيوطي والمقريزي" نقلا عن كتاب " تمائم الحمائم " لابن عبد الظاهر، أن " ابن عبد الظاهر " رأي الأوائل لا يكتبون في أولها بسملة، وإنما تكون صورتها علي ما حسب ما ذكره " القلقشندي "، (أن يكتب في راس الورق المذكور في الوسط سواء: " الاسم الشريف " وتحته ملصقا بع من غير بياض سطر واحد كامل من يمين الورق بغير هامش بما يأتي ذكره.

ثم يخلي بيت العلامة تقدير أربعة أصابع مطبوقة، ثم تكتب تتمة الكلام اسطرا

---

(١) نبيل عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٥٧ – ٥٩

متلاصقة بنسبة الأول، بغير هامش أصلا إلي أخره، والذي يكتب من يمين الورق: " الله الهادي، سرح الطائر الميمون ورفيقه، هداهما الله تعالي في الساعة الفلانية، من اليوم الفلاني، من الشهر الفلاني، من سنة كذا وكذا، إلي المجلس الكريم، أو السماي، الأمير فلان وإلي فلانة، أو نحو ذلك، يعلمه أن الأمر كذا وكذا، ومرسومنا إليه أن يتقدم بكذا وكذا، فليعلم ذلك ويعتمده، والله الموفق بمنه وكرمه أن شاء الله تعالي، حسبنا الله ونعم الوكيل. والمستند لها: " حسب المرسوم الشريف ".

كذلك أورد كل من " المقريزي والسيوطي " ملاحظات " ابن عبد الظاهر " علي مواد البطائق والتي شارك في كتابة بعضها، انه (لا يكثر في نعوت المخاطب فيها، ولا يذكر حشو في الألفاظ، ولا يكتب إلا لب الكلام وزبدته..... ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجمل)، (وجرت العادة بان يكتب في أخرها: " وحسبنا الله ونعم الوكيل "، وذلك حفظا لها).

الضرب الثاني: أن تكون بغير علامة.

(وصورتها أن يكتب في راس الورقة، في الوسط موضع الاسم: " الله الهادي بكرمه "، والأسطر متلاصقة بغير هامش، ولا يخلي فيها بيت علامة. وصورة ما يكتب فيها: " المرسوم بالأمر الشريف العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الفلاني، الفلاني، أعلاه الله تعالي وصرفه، أن يسرح هذا الطائر الميمون ورفيقه، هداهما الله تعالي في وقت كذا وكذا ؛ ويكمل علي حسب ما تقدم، " والله الموفق حسب المرسوم الشريف، أن شاء الله تعالي ").

أما إذا تطلب الحال نقل البطاقة من مكان بعيد عن السلطان، فيجب أن تعنون البطاقة، (فيكتب لها عنوان لطيف حتي لا يفتحها احد، وكل وال تصل إليه يكتب في ظهرها أنها وصلت إليه ونقلها، حتي تصل مختومة).

أما إذا كانت مرسلة إلي غير ذات السلطان، مثل أن تنقل من بلبيس إلي قطيا

(فيكتب عد ذكر المرسوم بها: " ويتقدم بنقل البطاقة إلي فلان الفلاني، ليعتمد مضمونها ويعمل بحسبها "، فان كانت إلي مكان ثالث كتب بعد ذلك: " ثم ينقلها إلي فلان، ليعتد مضمونها أيضا ويعمل بمقتضاها، فيعلم ذلك ويعتمده "، والتتمة حسب ما تقدم).

هذا في أوقات السلم، أما في أوقات الحروب فكانت البطائق تحمل علي (أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الأمور).

تعليق البطاقة بالطائر:

جرت العادة أولا إلا تحمل البطاقة إلا تحت جناح الطائر، مغروزة ومثبتة به بخيط رفيع (لأمور منها: حفظ البطاقة من المطر، وقوة الجناح).

ولكنهم عدلوا عن ذلك ووضعوها في ذنب الطائر، ويرجع ذلك إلي أنها إذا وضعت تحت ذنب الطائر (صارت خوافي وراء الخوافي، وغطت سرها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الضوافي) (١).

مراكز الحمام:

كان للحمام مراكز (أبراج) شأنه في ذلك شان محطات البريد، وكانت المسافة بين المركز والأخر تعادل (ثلاثة مراكز من مراكز البريد، فلا يتعدى الحمام ذلك المركز، وينقل عند نزوله المركز ما علي جناحه إلي طائر أخر، حتي يسقط بقلعة الجبل، فيحضره البراج، ويقرا كاتب السر البطاقة) علي السلطان.

ويذكر " المقريزي " انه كان بقلعة الجبل عدة أبراج برسم الحمام الزاجل، وانه بلغت عدتها – علي حسب ما ذكر في كتاب " تمائم الحمائم " إلي أخر سنة سبع وثمانين وستمائة – ألف وتسعمائة طائر، وانه بها عدة من المقدمين لكل واحد منهم جزء معلوم، وأن الطيور المذكورة ما كانت تبرح أبراج القلعة إلا

---

(١) نبيل عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٥٩ – ٦١

للتسريح، عدا طائفة منها، فأنها كانت في برج بالبرقية، يعرف ببرج الفيوم، وهو برج رتبه الأمير " فخر الدين عثمان بن قزل "، استادار " الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب " الذي شمل إقطاعه جميع أراضي الفيوم).

كما كان في كل مركز من المراكز التي بين مصر والشام – ما بين أسوان إلي الفرات – والثغور حمائم لا تحصي، (وجميعها تدرج وتنقل من القلعة إلي سائر الجهات. وكان لها بغال الحمل من الاصطبلات السلطانية، وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الأهواء السلطانية، فتبلغ النفقة عليها من الأموال ما لا يحصي كثرة. وكانت ضريبة العلف لكل مائة طائر ربع ويبة فول كل يوم)[١].

خطوط المسارح في عهد سلاطين المماليك:

أ) الخط بين قلعة الجبل والوجه القبلي.

ويقر المؤرخون أن تدريج الحمام بالوجه القبلي قد انقطع، وانه (كان متصلا إلي قوص وأسوان وعيذاب).

ويرجع " ابن شاهين " هذا الانقطاع إلي خراب قوص، إذ يقول ما نصه: (فأما ما كان في قلعة الجبل إلي قوص، فله مدة مديدة بطال لكثرة خراب قوص).

والمعروف انه لنقل احدي البطاقات علي خط واحد من خطوط الحمام الزاجل، أن الرسالة لابد وأن تمر علي جميع المراكز الواقعة علي هذا الخط، وأن خراب أي مركز يقضي علي ما يتبعه من مراكز.

ب) الخط من قلعة الجبل إلي ثغر الإسكندرية ويضم مركزين هما: منوف العليا، ودمنهور الوحش.

ج) الخط من قلعة الجبل إلي ثغر دمياط، وبه مركزان: بني عبيد واشمون

---

(١) نبيل عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٦٢

الرمان.

د) الخط من قلعة الجبل إلي السويس، من طريق الحاج.

هـ) الخط من قلعة الجبل إلي بلبيس، متصلا بالشام.

و يقرر " القلقشندي " أن (أهل هذه الأبراج كلها برج قلعة الجبل المحروسة، ومنها التدريج إلي سائر الجهات).

هذا وينفرد " ابن شاهين " بذكر مسارح للحمام آخذة من قلعة الجبل إلي الفرات، وتمر أولا ببلبيس، ثم الصالحية، ثم قطيا، ثم الواردة، ثم غزة، ومنها تتفرع المسارح إلي جهة دمشق، وإلي غير جهتها [1].

خزائن السلاح:

المعروف عن الدولة الأيوبية أنها حلت محل الدولة الفاطمية في الديار المصرية خالفتها في كثير من النظم والتقاليد والمراسيم، وغيرت غالب معالمها ومسمياتها، (وجرت علي ما كانت عليه الدولة الاتابكية عماد الدين زنكي بالموصل، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه).

فلما قامت الدولة المملوكية وجدت كثيرا من النظم وقد استقرت دعائمها، وتحددت معالمها. ودأبت سلطنة المماليك في مصر علي أن تنقل عن كل مملكة سبقتها أحسن ما فيها (فسلكت سبيله، ونسجت علي منواله، حتي تهذبت وترتبت أحسن ترتيب، وفاقت سائر الممالك، وفخر ملكها علي سائر الممالك).

ومن مرافق الدولة الأساسية في العصر الفاطمي ما عرف باسم " خزائن السلاح، وقد ابقي الأيوبيون ثم المماليك علي ها المرفق، وأن كانوا قد أطلقوا عليه اسم " السلاح خانه " أو " الزرد خاناه ".

والمعروف أن " خاناه " لفظة فارسية تعني البيت، فيكون المعني " بيت

---

(١) نبيل عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٦٣ – ٦٤

السلاح " أو " بيت الزرد " ؛ لما فيه من أنواع الزرد، وأن ذلك البيت كان من ضمن الحواصل المعبر عنها بالبيوت الشريفة التي كانت بقلعة الجبل. هذا بالإضافة إلي ما كان بالثغور والقلاع المصرية وغيرها من قاعات وقصور وزرد خانات، إذ كان (كل أمير من أمراء المئتين أو الطبلخانات سلطان مختصر في غالب أحواله، ولكل منهم بيوت كبيوت خدمة السلطان).

والمعروف أن السلاح خاناه كانت تشتمل علي أنواع عديدة من الأسلحة والجنن وغيرها، فمن آلة السلاح: السيوف بأنواعها وأجناسها، والرماح، وقسي اليد والرجل، والنشاب، والمزاريق، والسكاكين، والنمجاوات، والجروخ، والعمد واللت، والدبابيس، والاطبار، والبلط، والمقاليع، وغير ذلك من آلة السلاح.

ومن الجنن: البيض (الخوذ)، والتراس بأنواعها، والحوائص وسائر اللبوس الحربية، والنفوط والبارود، وغير ذلك مما تمارس به الحصون، فضلا عن العصي، وعصي الجوكان، والكرابيج، والاكر، والقبة والطير – وهما من شعار الملك – وكلها أمور كانت تسجل بمسمياتها ونعوتها وأوصافها في كتاب خزائن السلاح (١).

اهتمام الحكام بالسلاح خانات:

تكثير السلاح وتجديده:

اهتم السلاطين في ذلك العصر بالإكثار من السلاح في خزائنهم، وأن يتفقدوه بين الحين والآخر.

فالملك الظاهر بيبرس – مثلا – حرص علي (تجديد السلاح في كل قليل).

---

(١) نبيل عبد العزيز، خزائن السلاح ومحتوياتها –علي عصر الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والعشرون، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة – ١٩٧٦، ص ١٠٧ – ١٠٨

وعرف عن السلطان برقوق انه في سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) (جدد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية).

أما السلطان الغوري فما لبث سنة (٩١٤ هـ / ١٥٠٨) أن (تمشي ودخل إلي الزرد خانه، وعرض الأسلحة التي كانت في الزردخانه من قديم الزمان، فرأي أشياء كثيرة منها تلفت من الصدأ، فطلب عبد الباسط ناظر الزردخاناه ووبخه بالكلام، ثم قصد شنقه في ذلك اليوم علي باب الزردخاناه، فالزم بإصلاح ما فسد من الأسلحة، واستمر في الترسيم بعد ذلك مدة طويلة وهو في الحديد).

وكذلك حكي عن السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢: ٩٠١ هـ / ١٤٦٧: ١٤٩٥ م) انه توقف وقفا علي قاعة السلاح بثغر دمياط، وانه خصص لها زردكاشا يتعاطى صقال الأسلحة التي بقاعة السلاح المذكورة، وتنظيفها، وإصلاحها، وما فيه صلاحها لما أعدت لها من الفلوس، كما خصص لها بوابا (يتعاطى فتحها عند الاحتياج إلي ذلك، وغلقها عند الاستغناء عنها، وإحراز ما بها من الأسلحة، وحفظها وجعلها في الأماكن التي يخشى عليها من الفساد والتصدي، وغير ذلك مما جرت عادة البوابين بقاعات السلاح بعمله في مثل ذلك).

هذا فضلا عما عرف عن سلاطين ذلك العصر من اهتمام بالثور والقلاع، وهو الاهتمام الذي لم يقف عند حد تزويدها بالمقاتلين الشجعان فحسب، وإنما امتد إلي الإكثار لهم (من الدروع والخوذ، والرماح، والسيوف، والدرق، والتراس، وجميع آلات الحرب).

ولضمان حفظ نواب ونقباء القلاع لقلاعهم، كان مما يزاد في تحليفهم (وأنني اجمع رجال هذه القلعة – ويسمي القلعة التي هو فيها – علي طاعة مولانا السلطان فلان، وخدمته في حفظ هذه القلعة وحمايتها وتحصينها....، وأنني احفظ حواصلها وذخائرها، وسلاح خانتها، وعلي اختلاف أنواع ما فيها من الأقوات

والأسلحة، وأنني لا اخرج شيئا منها إلا في أوقات الحاجة والضرورة الداعية المتعين فيها تفريق الأقوات والسلاح علي قدر ما تدعو الحاجة إليه) (١).

موارد الصرف علي السلاح خانات:

المعروف أن ديوان الجيش في عصري الأيوبيين والمماليك كان الأداة الأساسية التي تقوم بتوزيع الإقطاعات، وتتولي الصرف العام علي الأسلحة والمؤن والجيش والتعبئة والحصون والقلاع، حسب النظام السائد.

هذا إلي جانب ما خصص من ضرائب مستقرة لخزائن السلاح ومستخدميها، فقد كان لخزائن السلاح (ضرائب مستقرة في أجرة الصناع وغيرها) (٢).

موظفو خزائن السلاح:

أدي اهتمام السلاطين بدور السلاح أو السلاح خاناه إلي الحرص علي توفير عدد من الموظفين الأكفاء المتعددي الاختصاصات لخدمة تلك الدور والنهوض بمسئولياتها.

ونستطيع أن نقسم هؤلاء الموظفين إلي قسمين كبيرين: يشمل القسم الأول الموظفين أصحاب التواقيع، ويشمل القسم الثاني الموظفين من أرباب السيوف(٣).

أولاً : الموظفون أصحاب التواقيع:

تعددت وظائف هذا الفريق من الموظفين، ونستطيع أن نشير إلي أهمهم فيما يلي:

(أ) موظفو النظر في خزائن السلاح:

وموضوعها في الديار المصرية ودمشق: التحدث علي ما يستعمل ويبتاع من

---

(١) نبيل عبد العزيز، مرجع سابق، ص ١٠٩ – ١١٠

(٢) نبيل عبد العزيز، مرجع سابق، ص ١١٠

(٣) نبيل عبد العزيز، مرجع سابق، ص ١١٢ – ١١٦

أنواع السلاح الذي يحمل للسلاح خاناه السلطانية.

وعادة الناظر فيها أن يجتمع ما يتحصل عليه من السلاح المعمول في كل سنة، ويجهزه ليزفه دفعة واحدة – وقد حمل علي رؤوس الحمالين – في يوم معين إلي قلعة الجبل، فإذا تم ذلك خلع عليه وعلي رفقته من المباشرين.

أما توقيع من تولي هذه الوظيفة السنية، فلا يكون إلا من السلطان.

ويكتب في توقيعه: (توقيع شريف بان يستقر المجلس السامي القضائي الفلاني – أدام الله رفعته – في خزائن السلاح المنصورة، علي عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته) ثم يذكر (في نفس التوقيع بمسئوليته، فيذكر مثلا بان بيده تدابير خواص السلطان الشريفة وجيوشه المؤيدة، وأن عليه أن يكشف عما (بهذه الخزائن من عدة الحرب، والآلات المعدة في الهيجاء للطعن والضرب، ويشمر في تكثيرها عن ساعد اجتهاده.....، وليحفظ ما ينفق علي هذا العدد من الضياع، ويأت بما تأتي به الضياع علي أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع، وليضبط ما يصرف عليها من الموال، ويعتمد في نظرها ما تحمد عاقبة أمره في سائر الأحوال......، ويسترشد بمراشده في أمور باليمن والرشد......، ويسلك بحسن نظره لهذه الخزائن ما ينتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب. ويعلم أن هذا أول إقبالنا عليه... والعلامة الشريفة أعلاه حجة بمقتضاه).

(ب) شاد السلاح خاناه:

" ورتبته أمير عشرة ". وشرط تعيينه أن يكون أمينا ناهضا، صاحب فكر رشيد ورأي سديد، خبيرا بأنواع السلاح واستعمالاته. وعليه كما جاء في توقيع وظيفته أن يباشر (هذه الوظيفة المباركة بعزم اقطع من حسام، وأمانة أقوم من ألف، وصيانة أحصن من لام. معتبرا لأحوالها، ومقررا لمطالب مآلها من مالها، موفرا من أسلحتها التي تتوفر بها من الخير سهامه، منصفا لصنعها الذين يحمد عند استعمالهم صنيعه واهتمامه، مكثرا لخزائنها من ذخائر العدد، مجهزا لجيش

الإسلام من مادة عملها بأنفع مدد).

(ج) مشارفة خزائن السلاح:

وصاحبها صاحب قلم يستخدمه في تدبير الجيوش وتثمير السلاح وضبطه، فهو مطالب – بصفة عامة – (بتحقيق الحواصل، وله الختم عليها).

ومما جاء في نسخة توقيع وظيفته: (رسم بالأمر العالي....، حملا علي حكم النزول الشرعي والطلوع المرعي، وعلما بكفايته التي بلغته أمالا.....، وصيانته......، فليباشر هذه الوظيفة المباركة بعزم النجا والنجاح، ومعمولها ضابطا لواصلها ومحمولها......، والله تعالي يسدد قلمه في وظيفته).

ثانياً : أرباب الوظائف من أرباب السيوف :

(ا) أمرة سلاح:

وموضوعها – فيما يختص بالسلاح خاناه – أن صاحبها يتحدث في السلاح خاناه ومتعلقاتها، ويستعمل لها، ويقدم إليها، ويطلق منها، ولا يكون متوليها إلا واحدا من أمراء المئتين.

(ب) أمرة جاندار:

وموضوعها – فيما يختص بالسلاح خاناه – أن صاحبها المتسلم للسلاح خاناه. وجرت العادة أن يكون فيها أميران: أولهما مقدم علي الثاني، ورتبته مقدم ألف. والثاني أمير طبلخانه. أضف إلي أولئك انه كان بالسلاح خاناه عدة مستكثرة من صناع كل صنف من السلاح مقيمين يعملون لا يبطلون في أصلاح وتجديد المستعمل من السلاح، ويعرف الواحد منهم بالزردكاش.

وتوضح لنا الدراسة أن كبيرهم كان يعرف " بالزردكاش كبير " ولنه كانَ من أرباب الوظائف من أمراء الطبلخانات، وأن رتبته تصل إلي أمرة عشرة ومن حقه عرض خزائن السلاح إذا لزم الأمر، وله تفرقة السلاح علي المماليك السلطانية.

كما يلاحظ أن بعض السلاطين قد عهدوا إليه بمهمة الخروج بالزردخاناه الحربية.

وإلي جانب الزردكاشية، وجدت فئة أخري من المستوفين والمباشرين، (يستدعون ما يحتاج إليه من خشب، وحديد، وعقب، وسلوخ، وأصباغ وآلات. يعملون فيها ما يؤمرون به من آلات السلاح علي اختلاف أوصافها وتباين أصنافها).

يضاف إلي ذلك، فعليه في السلاح خاناه كذلك (حفظ ما يدخل إليها، وضبط ما يخرج منها مما يتسلمه السلاح دارية، والزردكشية، والحراب دارية، والرمح دارية من أنواع السلاح وأصنافه إذا ركب السلطان أو جلس في المجلس العام، واستعادته منهم، وأعادته لهم، والاعتداد لهم بما انعم به السلطان وذهبه مما كان بأيديهم، ويوصل ما يصل إلي السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرها، وما يصل إليه من سيوف الأمراء علي جاري العادة - ويميز ذلك من غيره - وعليه أن ينبه أمير سلاح علي ما عند من العدد التي يخشى عليها التلف بتطاول المدة، ليأمر بكشفها وصلاحها: من مسح ودهان، وصقل، وجلاء، وشحذ، وتثقيف وغير ذلك).

كما يضاف إلي أولئك النفر ما كان بالسلاح خاناه من غلمان وفراشين (بسبب خدمة القماش وافتقاده).

ومن ناحية أخري، تشير المصادر التاريخية إلي أن الزردخانه كانت من ارفع الاعتقالات المؤقتة قدرا، فلا يعتقل بها إلا كبار الأمراء، أو الأسري، وأن من اعتقل بها لا تطول مدة بقاءه فيها، (بل إما يعجل بتخلية سبيله، أو إتلاف نفسه). وبأمر من السلطان علي يد الجاندار.

المصادروالمراجع

- إبراهيم احمد العدوي، الحمام الزاجل في العصور الوسطي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني – العدد الأول، القاهرة – مايو ١٩٤٩ م.
- إبراهيم طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة. القاهرة ١٩٦٦م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، ج ٨، بيروت ١٩٨٢.
- ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد، تاريخ الدولة المملوكية. ج ٩. تحقيق قسطنطين رزيق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٤٢ م.
- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، تحقيق. محمد مصطفي، القاهرة – ١٩٨١ م.
- ابن أيبك الدوادار، صفي الدين أبو بكر، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٢م.
- ابن أيبك الدودار، كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٨ (الدرة الزكية في تاريخ الدولة التركية). تحقيق أولرخ هارلمان، المعهد الألماني للآثار القاهرة ١٩٧١ م.
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٧، دار الكتب المصرية، القاهرة – بدون تاريخ.
- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، الرحلة. تحقيق حسين نصار. دار نهضة مصر. القاهرة ١٩٨٨ م.

- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤.
- ابن دقماق، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار.
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والسلاطين. تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة د.أحمد دراج. مركز إحياء التراث الاسلامي جامعة أم القري، بدون تاريخ.
- ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ٢١١، باريس – ١٨٩٤ م.
- ابن شداد، عز الدين محمد، تاريخ الملك الظاهر. تحقيق أحمد حتاته،
- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق. عبد العزيز خويطر، الرياض – ١٩٧٦ م.
- ابن عبد الظاهر، الروضة البهية في خطط القاهرة المعزية، تحقيق د. ايمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتاب.
- ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٩ ؛ عبد العال الشامي، الطرق والمسالك، ص ١١٧.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجي الافريقي، لسان العرب، المجلد الأول، اعداد يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق. د. جمال الدين الشيال، ج ٣، الإسكندرية – ١٩٥٣ م.
- أبو شامة، الذيل علي الروضتين.
- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسما عيل المقدسي، الروضتين، ج١ ق٢، تحقيق محمد حلمي، القاهرة ١٩٦٢.

- أحمد أحمد الحتة (دكتور) تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، مطبعة المصري ١٩٦٧ م
- أحمد السعيد سليمان (دكتور) تأصيل ما ورد من الدخيل في الجبرتي، دار المعارف، ١٩٧٩ م.
- أحمد الصاوي (دكتور) النقود المتداولة في مصر العثمانية، رسالة دكتوراة، كلية الآ ثار جامعة القاهرة ١٩٩١ م.
- أحمد عيسي، مصطلحات الفن الإسلامي، أرسيكا، استنبول ١٩٩٤.
- أحمد فؤاد متولي (دكتور)، قانون نامة مصر، مكتبة الانجلو، ١٩٨٦ م.
- أسامة طلعت، ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين، بحث ضمن أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة ١٩٩٩م.
- أسامة طلعت عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتي عصر سلاطين المماليك. رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة ١٩٩٢ م.
- أسس التخطيط الحضري والعمراني لمدينة القاهرة في العصور الإسلامية، جدة- ١٩٩٠.
- الإدريسي، الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز، أنوار علوي الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام. تحقيق ألريش هارمان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٩١ م.
- الأصفهاني، محمد بن محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، ورقة ١٨٠، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث استنبول رقم ٣٩٥٩.
- البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة

والحوادث المعاينة بأرض مصر، كتابات مصرية العدد ١٠، القاهرة ١٩٨٨ م.

- البكري، المنح الربانية في الدولة العثمانية، تحقيق. د. ليلي الصباغ، مركز جمعة الماجد، دار البشائر، دمشق – ١٩٩٦ م

- البنداري، الفتح بن علي بن محمد، سنا البرق الشامي، إختصار كتاب سنا البرق الشامي لعماد الدين الكاتب الأصفهاني.

- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الحنفي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج ١، طبعة الأنوار المحمدية، بدون تاريخ.

- الحلبي، تاريخ الأمير يشبك، تحقيق د. عبد القادر طليمات، دار الفكر العربي، ١٩٧٣ م.

- الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، المجلس الاعلي للشئون الاسلامية، القاهرة – ١٣٢٤ م.

- السخاوي، تحفة الأحباب.

- السرخسي، محمد بن أبي سهل : المبسوط، ج ٢. القاهرة، ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٧ م.

- السيد عبد العزيز سالم، وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس، مجلة الجيش، عدد ٨٢، ١٩٥٧ م.

- العماد الأصفهاني، أبو عبد الله محمد، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦٥ م.

- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيي بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق د.أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٥.

- الفرا، علي بن محمد الشاذلي، ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة، تحقيق د. عبد القادر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر ١٩٦٨ م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشي في صناعة الانشا، ج ٣.
- المصري، أحمد بن عبد الغني الحنفي، أوضح الإشارات فيمن تولي مصر من الوزراء والباشات، مكتبة الخانجي ١٩٧٨ م.
- المغربي، علي بن موسي، النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة. تحقيق د.حسين نصار، القاهرة ١٩٧١ م.
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٩م.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٨٥ م، ج ٢.
- الهروي، علي بن أبي بكر (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م) التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق مطيع المرابط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٢م.
- الوقائع المصرية، مجلد ١/٥ حوادث ١٢٢٤ هـ، دار الكتب المصرية.
- أوقطاي آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول – ١٩٨٧ م.
- بدر عبد العزيز محمد بدر، نصوص البردة علي العمائر العثمانية في مصر – دراسة فنية، رسالة ماجستير غير منشورة
- برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة الدكتور سيد رضوان علي، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة ١٩٨٢ م.

- بول كازانوفا، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ترجمة د. احمد دراج – د. مراجعة جمال محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – ١٩٧٤ م.
- بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق. عبد الحميد صالح حمدون، القاهرة – ١٩٧٨ م..
- توفيق الطويل (دكتور) التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج ١، سلسة تاريخ المصريين ٢١، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م.
- جمال حمدان(دكتور) شخصية مصر، دراسة في عبقرية الزمان والمكان، كتاب الهلال، العدد ٥٠٩، مايو ١٩٨٦.
- جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل. ترجمة أيمن فؤاد سيد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨ م.
- حامد زيان (دكتور) محاضرات في تاريخ الأيوبيون والمماليك.القاهرة ١٩٨٦ م.
- حسن الباشا (دكتور) الفنون والوظائف على الآثار العربية، ج ٢، دار النهضة العربية، القاهرة – ١٩٦٥ م.
- حسن الباشا (دكتور) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٧٨ م.
- حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٦ م
- حسن عبد الوهاب، جامع السلطان حسن وما حوله. سلسلة المكتبة الثقافية (٥٦) دار القلم ١٩٦٢ م.
- حسن عبد الوهاب، سراي الجوهر، مجلة العمارة، العدد ٣، ٤، ١٩٤١ م.
- حسن قاسم، المزارات الإسلامية، ج ٦.
- حسني نويصر(دكتور) العمارة الإسلامية في مصر. مكتبة زهراء الشرق

القاهرة ١٩٩٦ م.

- حسين مؤنس، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٧، الكويت – ١٩٨١ م.
- خالد عزب، الفسطاط، النشأة، الإنحسار، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٨
- درويش النخيلي (دكتور) السفن الإسلامية علي حروف المعجم، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤.
- رأفت النبراوي (دكتور) مسكوكات دولة المماليك الجراكسة في مصر، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩١ م.
- زكي حسن (دكتور) أطلس الفنون والتصاوير الإسلامية.
- زكي حسن(دكتور)، فنون الإسلام.
- زهير الشايب، وصف مصر، المجلد الثالث
- سامي عبد الحليم (دكتور) الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة، القاهرة ١٩٨٤ م.
- سامي نوار (دكتور) المنشآت المائية بمصر. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ١٩٩٩ م
- سبط بن الجوزي، يوسف بن محمد، مرآة الزمان في تاريخ الأوان، ج ١، حيدر آباد. ١٩٥١ م.
- سعاد ماهر، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، جـ ٣، المجلس الاعلي للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف – مصر.
- سعد المؤمني، القلاع الإسلامية في الأردن، دار البشير، عمان، ١٩٨٨م.

- سعيد عاشور (دكتور) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية ١٩٦٢ م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) الأيوبيين والمماليك في مصر والشام. دار النهضة العربية، ١٩٧٠ م.
- عاصم رزق (دكتور) المنشآت المائية في مصر الإسلامية. بحث في كتاب النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ١٩٩٧ م.
- عاصم محمد رزق، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، ج ٥، الطبعة الأولي، مكتبة مدبولي، القاهرة – ٢٠٠٣ م.
- عباس العزاوي، الخط ومشاهير الخطاطين في الوطن العربي، مجلة سومر مجلد ٣٨، ج ١ – ٢، بغداد – ١٩٨٢ م.
- عبد الحميد نافع، ذيل المقريزي، مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر، رقم ٦٧٠٣.
- عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥١.
- عبد الرحمن ذكى، العمارة العسكرية فى العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٧، ١٩٥٨م.
- عبد الرحمن ذكي، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٥، ١٩٦٩ م.
- عبد الرحمن زكي (دكتور) قلعة مصر من السلطان صلاح الدين إلي الملك فاروق الأول، المطبعة الأميرية ١٩٥٠ م.
- عبد الرحمن عبد التواب، منشآتنا المائية عبر التاريخ. سلسلة المكتبة الثقافية العدد ٩٦ القاهرة ١٩٦٣ م.

- عبد الرحمن عبد التواب، بئر يوسف، مقال بمجلة المجلة العدد ٦٨ سبتمبر ١٩٦٢ م.
- عبد الرحمن عبد التواب، قايتباي المحمودي، سلسلة أعلام العرب (٢٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م.
- عبد العال عبد المنعم محمد الشامي، الطرق والمسالك الشرقية لمصر في العصر الوسيط، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة قسم الجغرافيا بجامعة الكويت – الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت – ١٩٩٩، ص ١١٥ – ١١٦.
- عبد القادر الريحاوي، قلعة دمشق. دمشق ١٩٧٩ م.
- عبد الله الحداد، مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني صنعاء ٢٠٠٣ م.
- عدنان البني، قلعة دمشق. الحوليات الأثرية السورية مجلد ٤، ٥. ١٩٥٤، ١٩٥٥ م.
- عدنان الحارثي، عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين، زهراء الشرق ١٩٩٩.
- عفاف صبره، بهاء الدين قراقوش، الوزير المفترى عليه، مجلة الدارة العدد الثاني، السنة الثالثة عشر، محرم ١٤٠٨ هـ / أغسطس ١٩٨٢ م
- عفاف مسعد العبد (دكتورة) دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر، سلسلة تاريخ المصريين(١٧٩) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ م.
- علي المليجي، عمائر الناصر محمد الدينية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار – القاهرة، ١٩٧٥ م.
- علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج ٥.

- عمر طوسون، الصنائع والمدارس الحربية، الإسكندرية - ١٩٣٥.
- غزوان ياغي، المقاعد في عمائر القاهرة السكنية في العصر المملوكي والعثماني. رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٩.
- فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ م.
- فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الاول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة - ١٩٩٤ م
- فهمي الأغبري، التحصينات الدفاعية في إليمن القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤م.
- فهمي عبد العليم (دكتور)، العمارة الإسلامية في عصر المؤيد شيخ. رسالة دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة. ١٩٨٨ م
- قاسم عبده قاسم(دكتور) ما هية الحروب الصليبية. عالم المعرفة الكويت، العدد ١٤٩، الكويت ١٩٩٠
- كريزويل، وصف قلعة الجبل، ترجمة د. جمال محرز - مراجعة د. عبد الرحمن زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - ١٩٧٤ م.
- كليفورد أبوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي. ترجمة حسين اللبودي. مراجعة د. سليمان العسكري مؤسسة الشراع العربي، عين للدراسات.القاهرة ١٩٩٤ م.
- ليلي عبد اللطيف (دكتورة) الإدارة في مصر في العصر العثماني. جامعة عين شمس ١٩٧٨ م.
- مؤلف مجهول : كتاب في معرفة الخيل والجهاد وما يتعلق من آلات الفرسان، مكتبة أحمد الثالث استنبول رقم ٢٠٦٦

- مؤلف مجهول : مجموع في الفروسية والجهاد والصيد والقنص . مكتبة البلدية بالإسكندرية مخطوط رقم ١٢٠١.
- مؤلف مجهول :الفروسية والطعن والضرب والتبطيلات . مكتبة الفاتح استنبول مخطوط رقم ٣٥٠٩.
- محمد أمين وليلي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية في القاهرة ١٩٩٠ م.
- محمد أمين وليلي علي إبراهيم (دكتور) المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية.دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٩٠ م.
- محمد حسام الدين إسماعيل، مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩ م، الطبعة الثانية.
- محمد رضوان الداية، البردة، مقالة بمجلة تراث، العدد ٤٨، نوفمبر ٢٠٠٢م.
- محمد علي عبد الحفيظ محمد، دور الجاليات الأجنبية والعربية في الحياة الفنية في مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر – دراسة أثرية حضارية وثائقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار – جامعة القاهرة.
- محمود الألفي (دكتور) العمارة في مصر في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة جامعة القاهرة، ١٩٨٦ م.
- مختار الكسباني (دكتور) تطور نظم العمارة في أعمال محمد علي الباقية بمدينة القاهرة، رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٩٣.
- مصطفي بركات محسن، النقوش الكتابية علي عمائر مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر – دراسة فنية أثرية، رسالة ماجستير غير منشورة،

كلية الآثار – جامعة القاهرة، المجلد الأول – ١٤١٠ / ١٩٩١ م

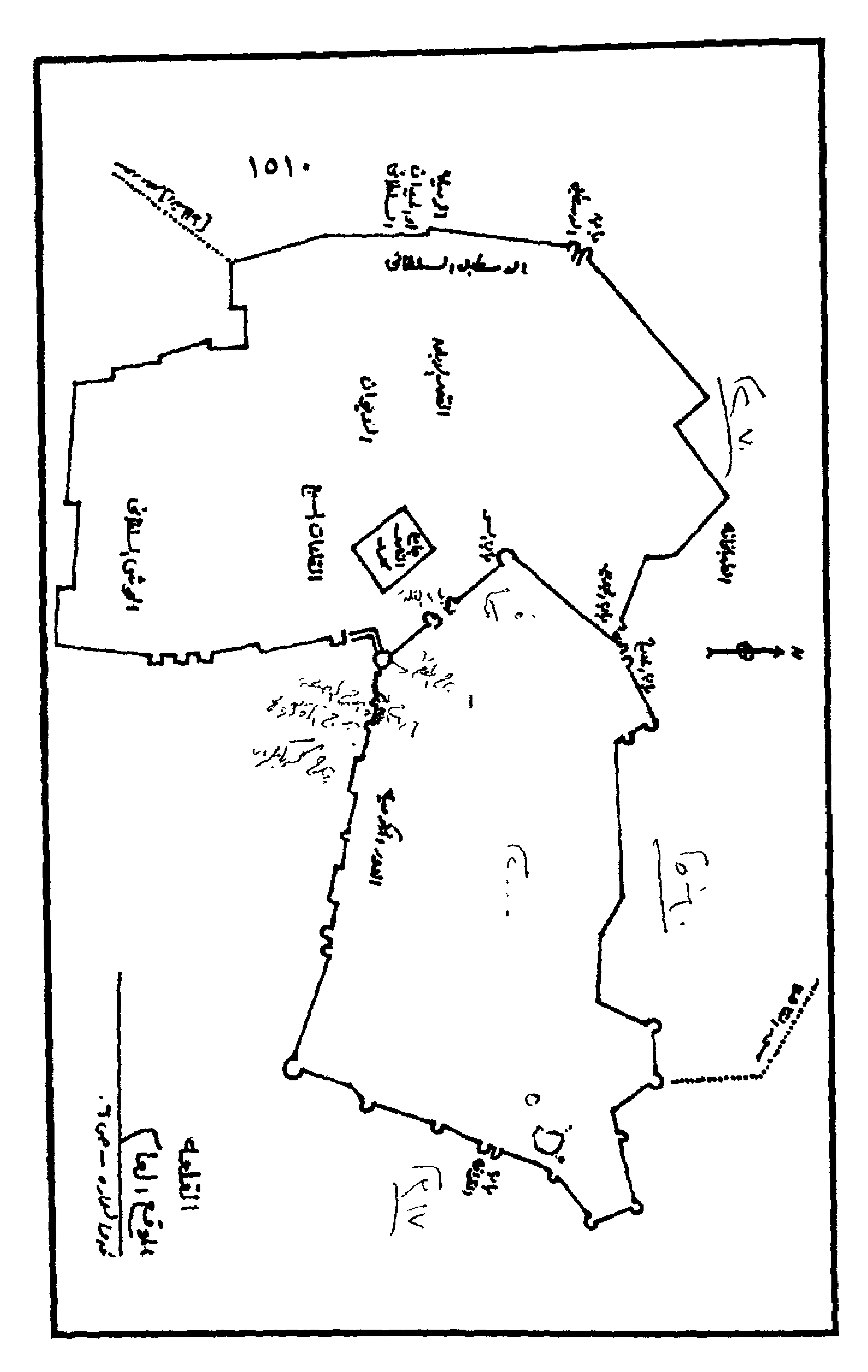
- منى بدر(دكتور) أثر الفن السلجوقي على الحضارة والفن في العصرين الأيوبي والمملوكي في مصر. رسالة دكتوراة، كلية الآثار جامعة القاهرة – ١٩٩١ م.
- ناصر الرباط (دكتور)، دار العدل- قصة منشأة اسلامية قروسطية، مجلة الاجتهاد، ع ٢٢ – السنة السادسة، ١٩٩٤ م.
- ناصر الرباط (دكتور) تاريخ قلعة القاهرة. مؤسسة الأغا خان ١٩٨٩م.
- نبيل محمد عبد العزيز، الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني والعشرون، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة – ١٩٧٥.
- نبيل محمد عبد العزيز، خزائن السلاح ومحتوياتها –على عصر الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والعشرون، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة – ١٩٧٦ م.
- هدايت تيمور، جامع الملكة صفية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، القاهرة – ١٩٧٥ م.
- هزار عمران وجورج دبورة، قلعة دمشق، وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٨ م.
- وثيقة وقف مسجد سليمان باشا بالقلعة محررة في سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م، أرشيف وزارة الأوقاف، رقم ١٠٧٤ .
- يوسف عزت باشا، تاريخ القوقاز، تعريب خوستوقه عبد الحميد بك، القاهرة ١٩٣٣ م.

- Suzan jane staffa, conquest and fusion, the social elevation of Cairo, a.d. 642- 1890, leiden1979.
- Nasser, The Citadel Of Cairo.
- Lila ibrahim and j.mrogers "the hangah of the emir Qawsun.
- Michael meinecke " die mamlukischen faience dekorationen : eine werkstatte aus tabrizin kairo (1330–1335). kunst des orients 11 (1976 –77). doris behrens abousief, the minarets of Cairo. Cairo 1985.
- Jorgen Nielson : " mazalimand dar al adel under the early mamluks " p114 : 11 2 T he muslim world. vol 66, n2. (april 1976).
- the encyclopedia of islam 2 (e 12),art. " Iwan " by olg graber,,vol 1v.
- evliya celebi, seyahat namesi,mumin cevik,.istanbul 1984.
- ulkuubates, two ottoman decoments architects in egypt, muqarnas vol 3, leiden – e. j. brill – 1985.
- Creswell, k. a. c. Muslim architecture of egypte. vol 2. oxford, 1959.
- Jean sauvaget,la citadelle de de damas.syria. 1930.
- Stephen.r.humphreys, from saladin to mangols : the ayyabids of damascus. Albany. New york 1977.

فهرس الأشكال

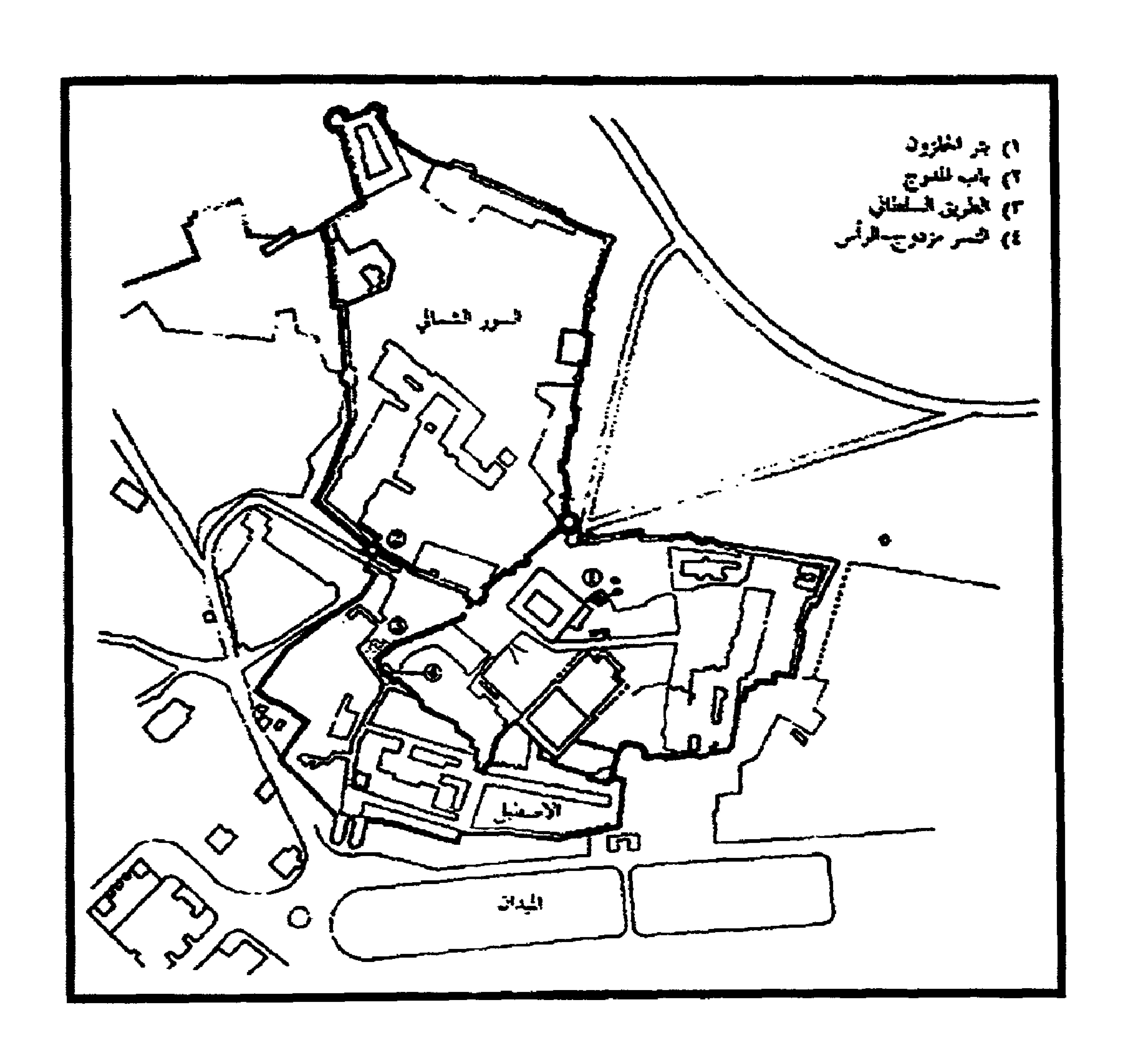
فهرس الصور

فهرس الموضوعات



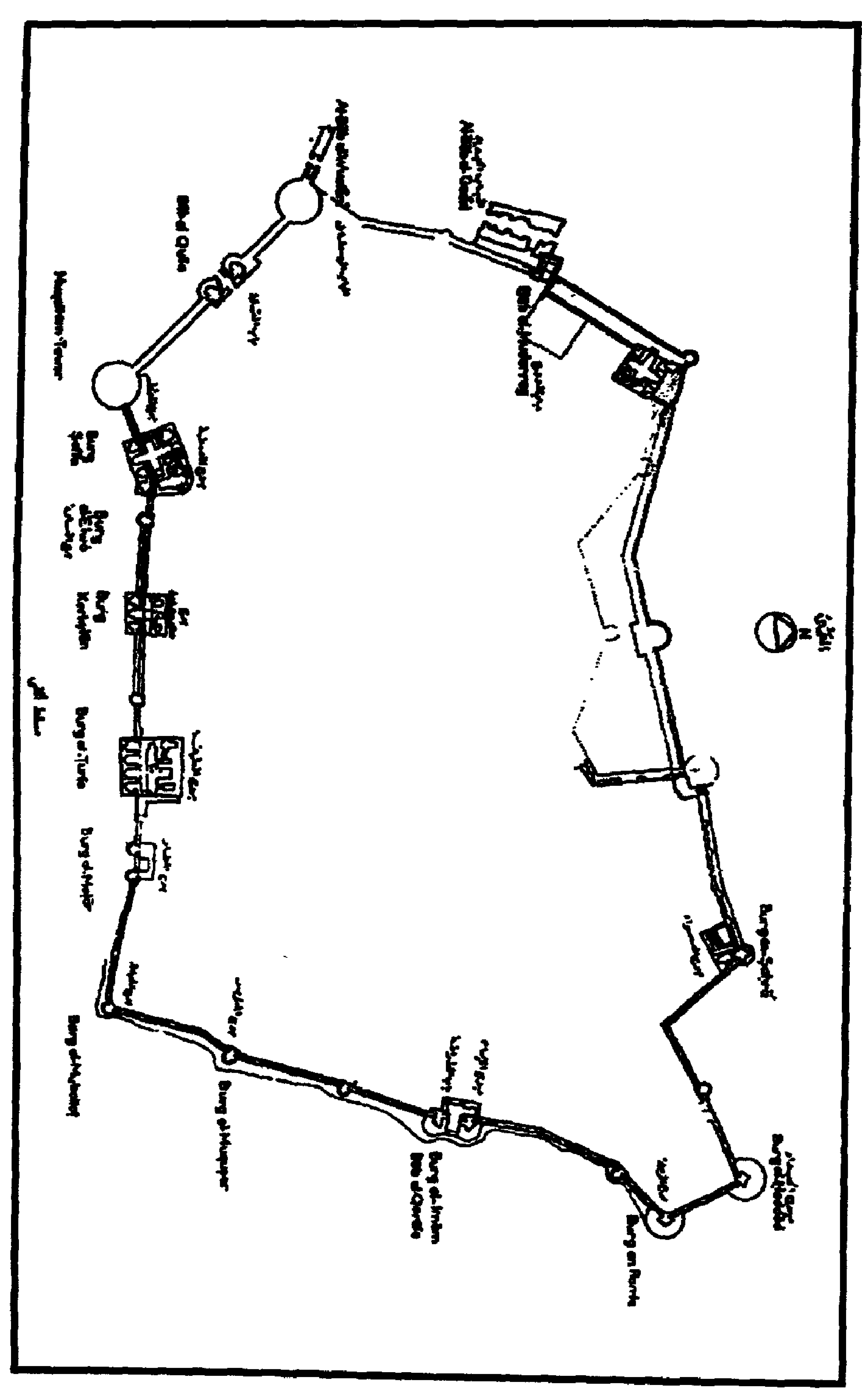
شكل (١٦)

قلعة صلاح الدين. الموقع العام



شكل (١٧)

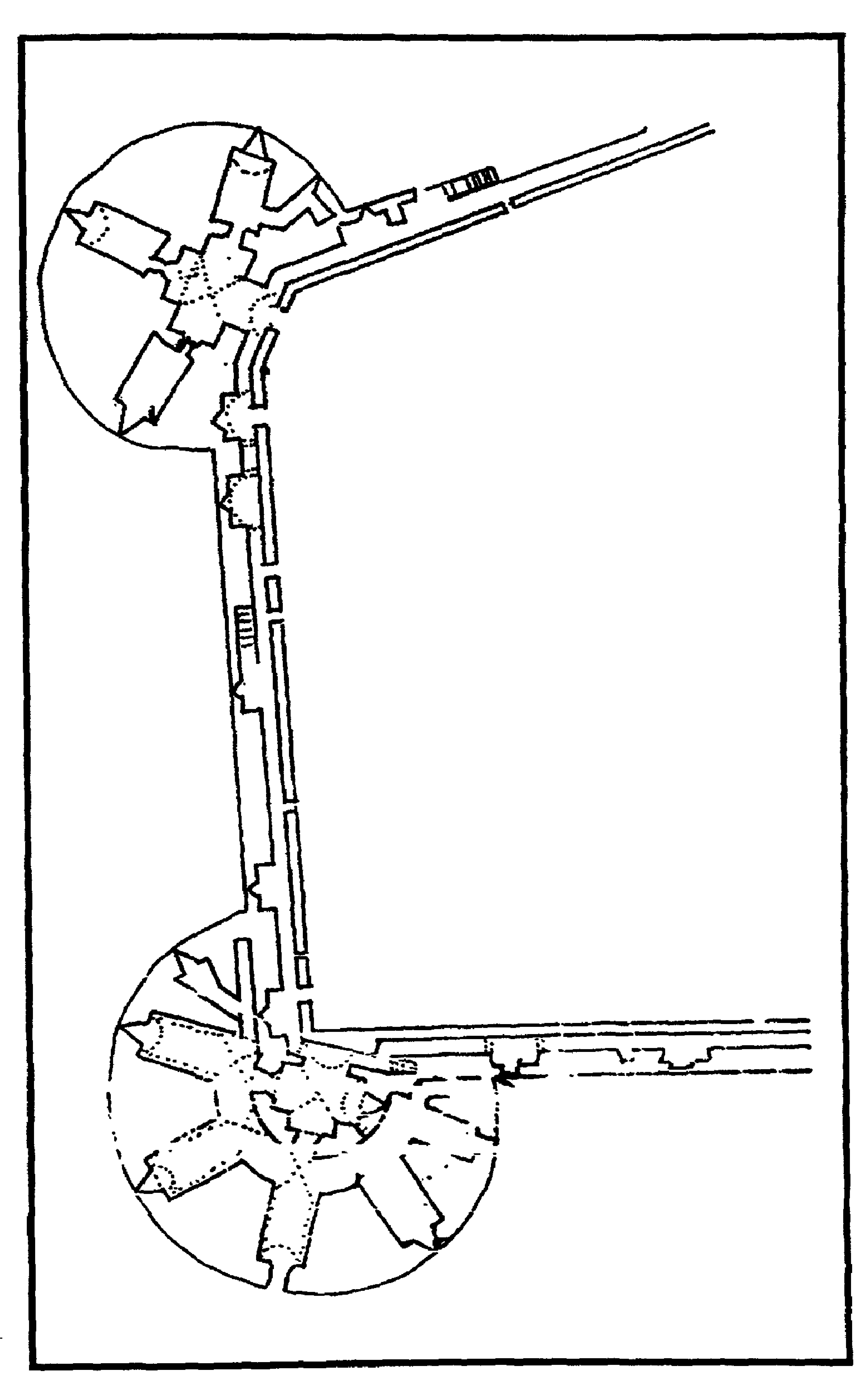
القلعة فى عصر صلاح الدين



شكل (١٨)

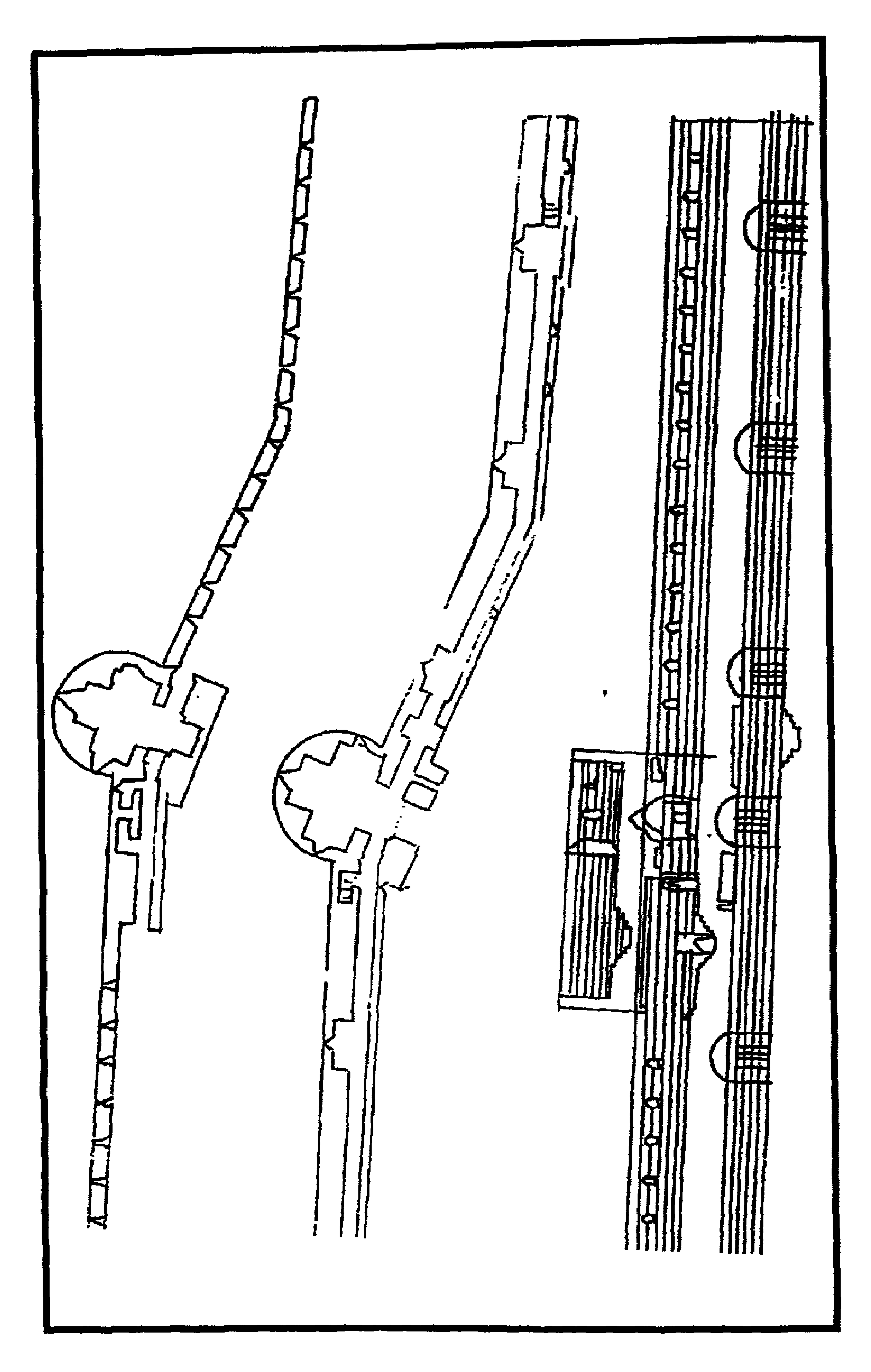
النطاق الشمالى وأسوارة - عن أسس التخطيط

الحضرى والعمرانى لمدينة القاهرة

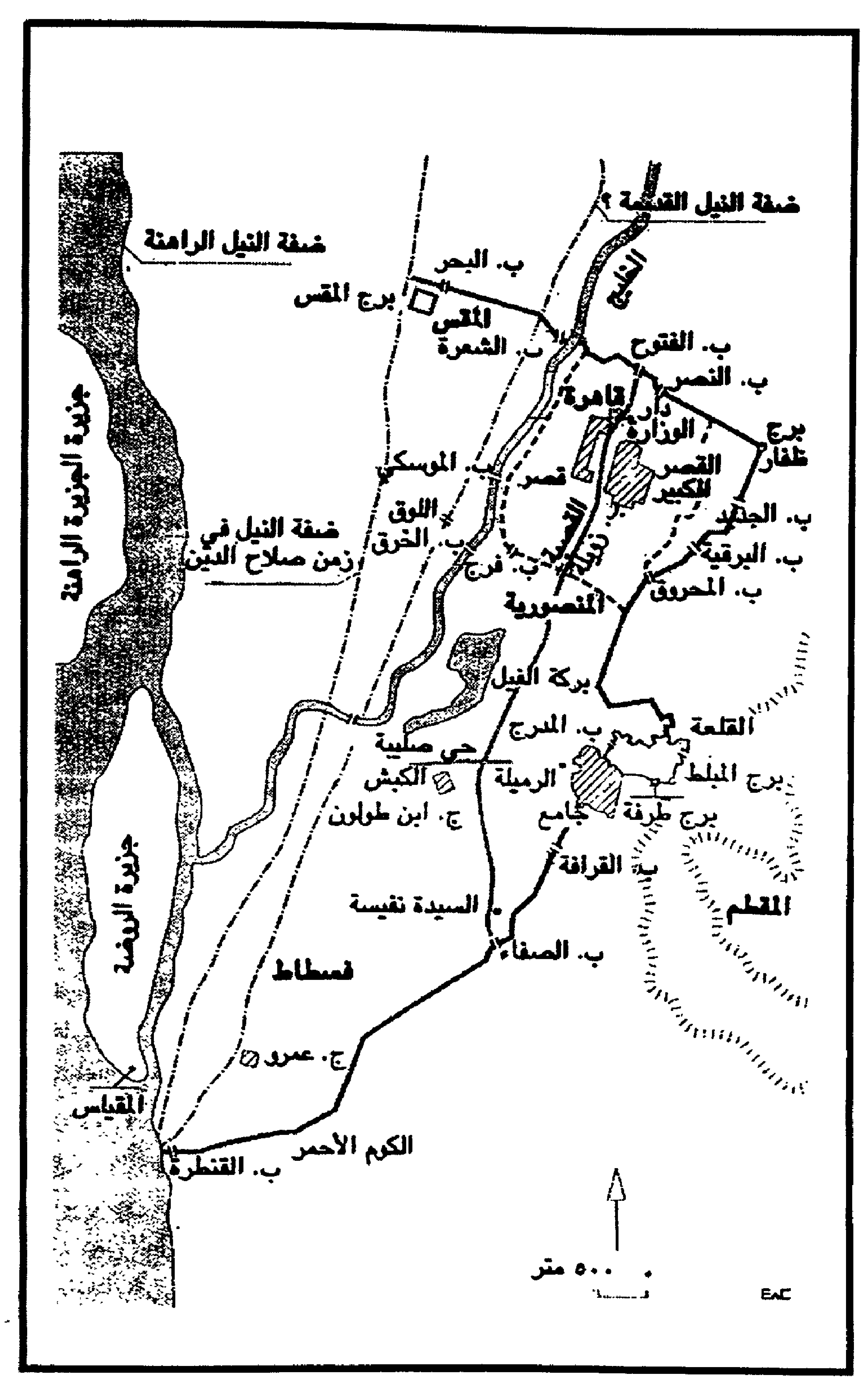


شكل (١٩)

برجى الرملة والحداد - عن مركز تسجيل الآثار

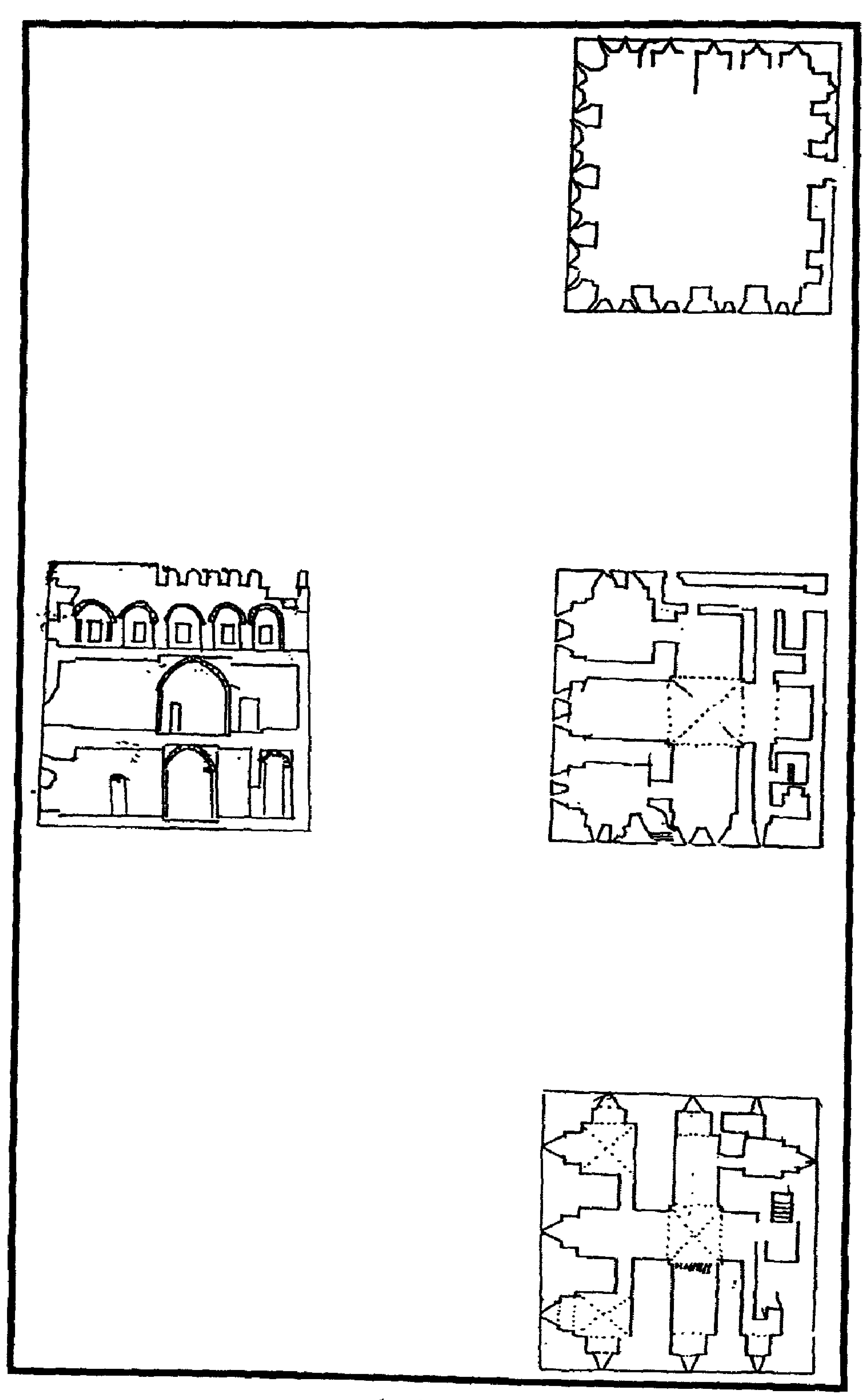


شكل (٢٠)
برجي الرملة والحداد - عن مركز تسجيل الآثار



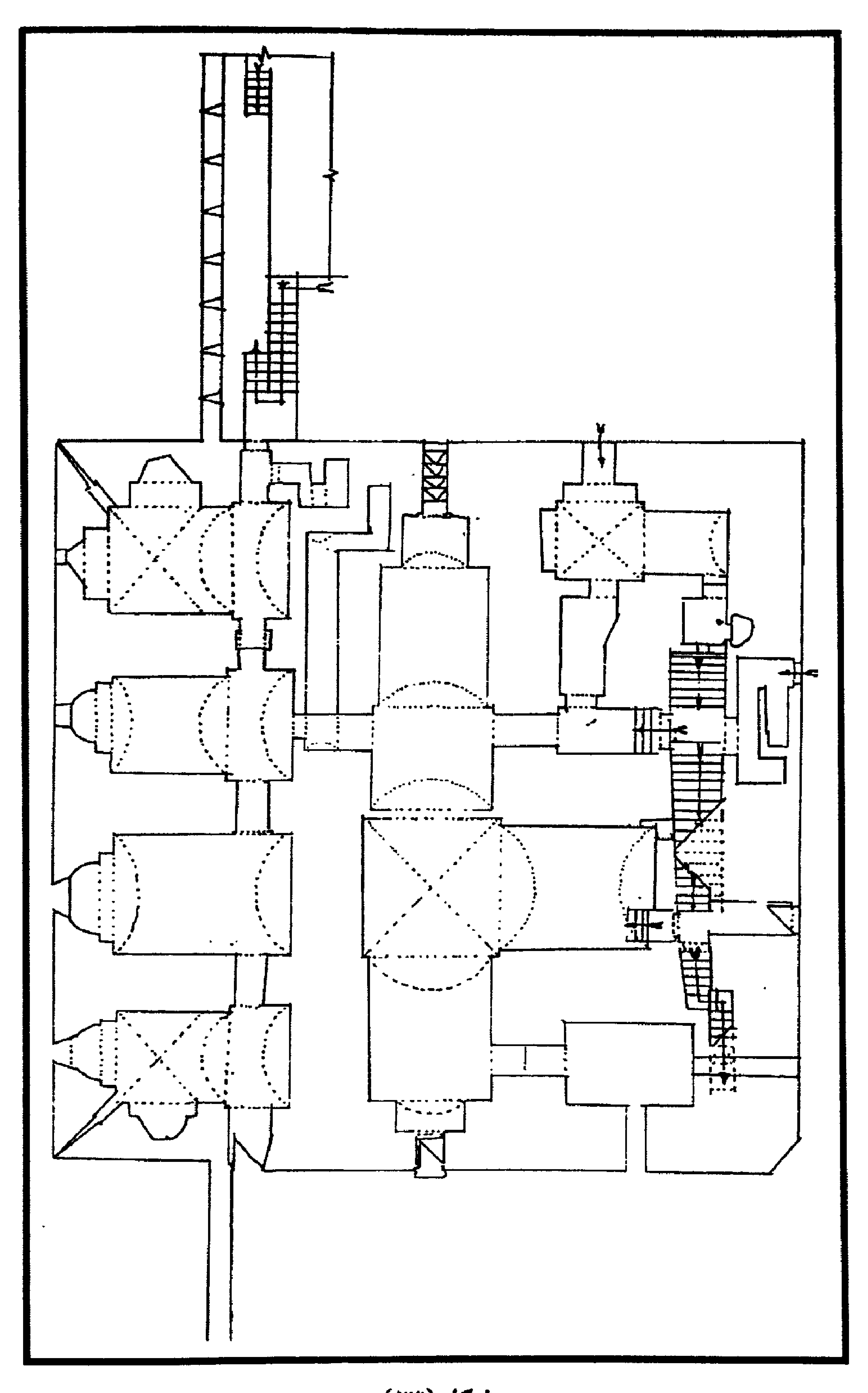
شكل (٢١)

علاقة القلعة بأسوار القاهرة نقلاً عن كازانوفا



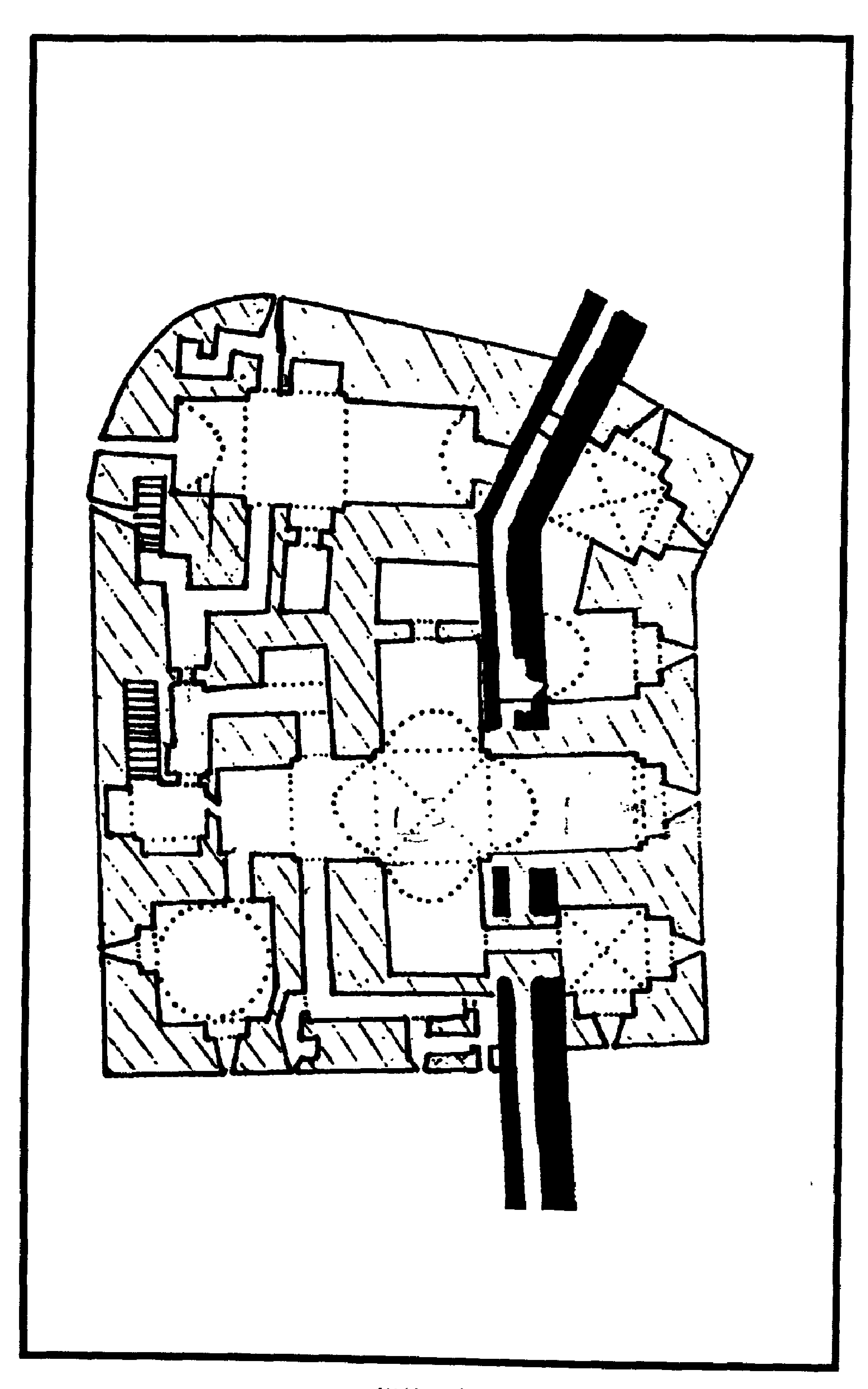
شكل (٢٢)

برج كركليان - مساقط أفقية وقطاع راسى له عن مركز تسجيل الآثار



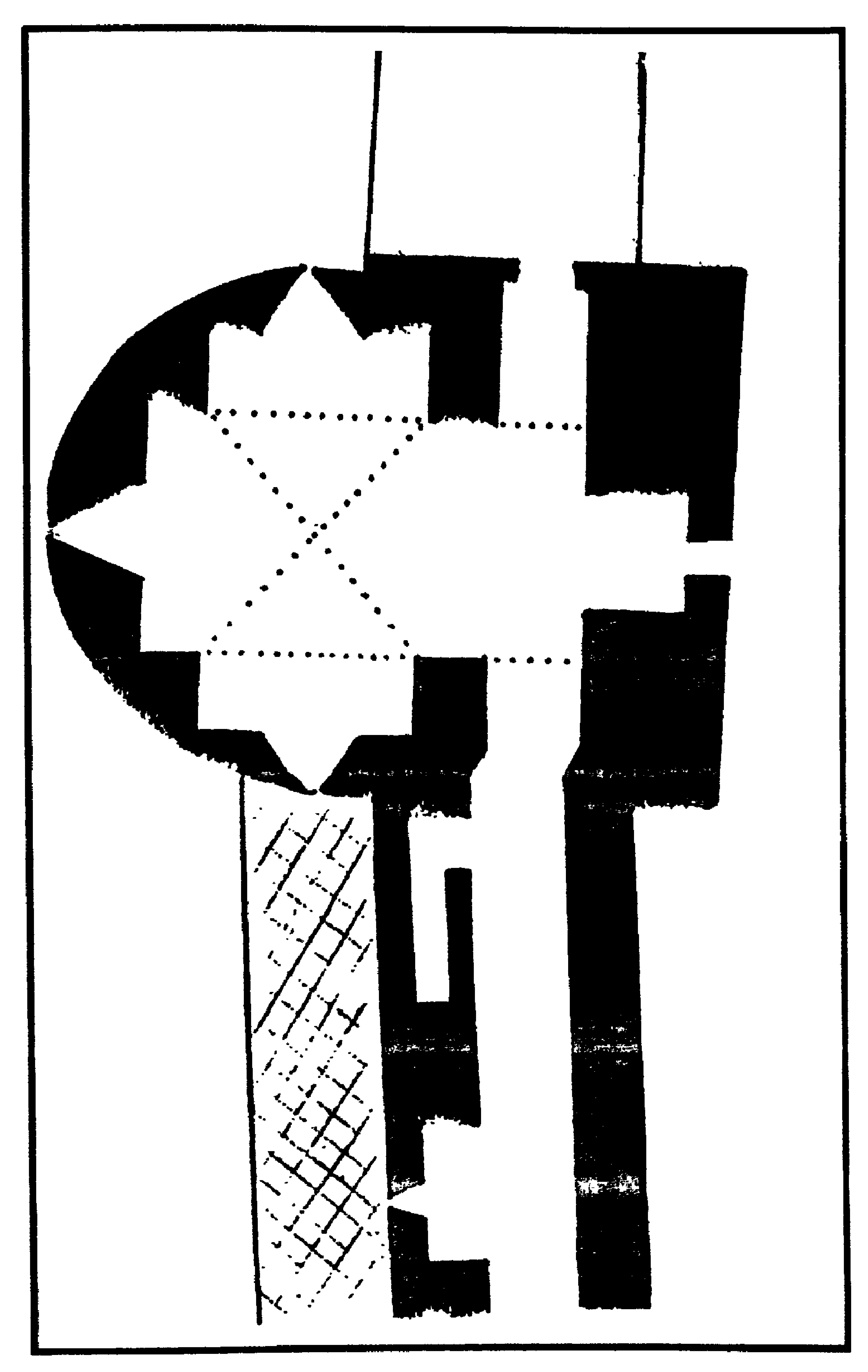
شكل (٢٣)

برج الطرفة مسقط أفقي عن مركز تسجيل الآثار



شكل (٢٤)

برج الصفة - مسقط أفقى

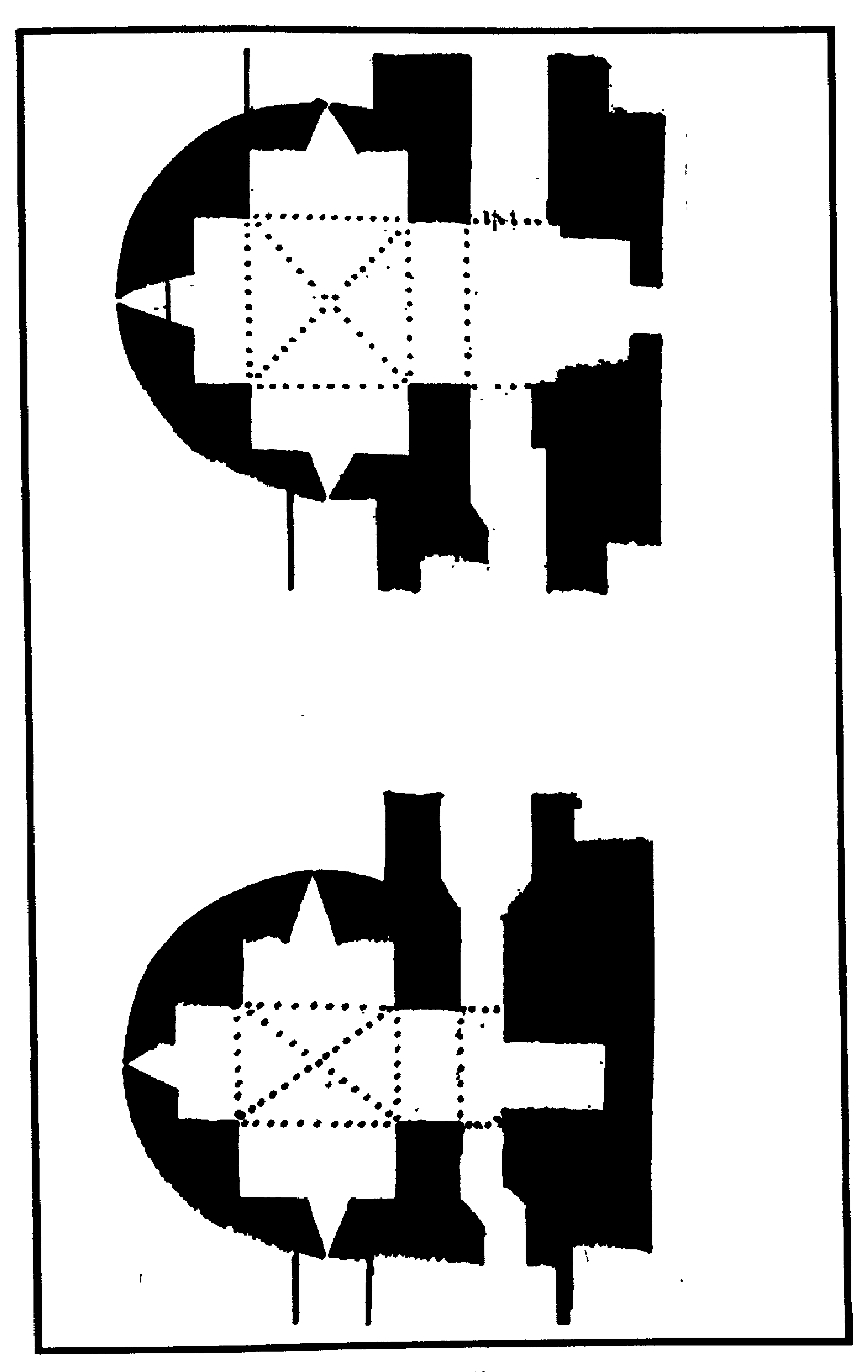


شكل (٢٥)

برج العلوى - مسقط أفقى

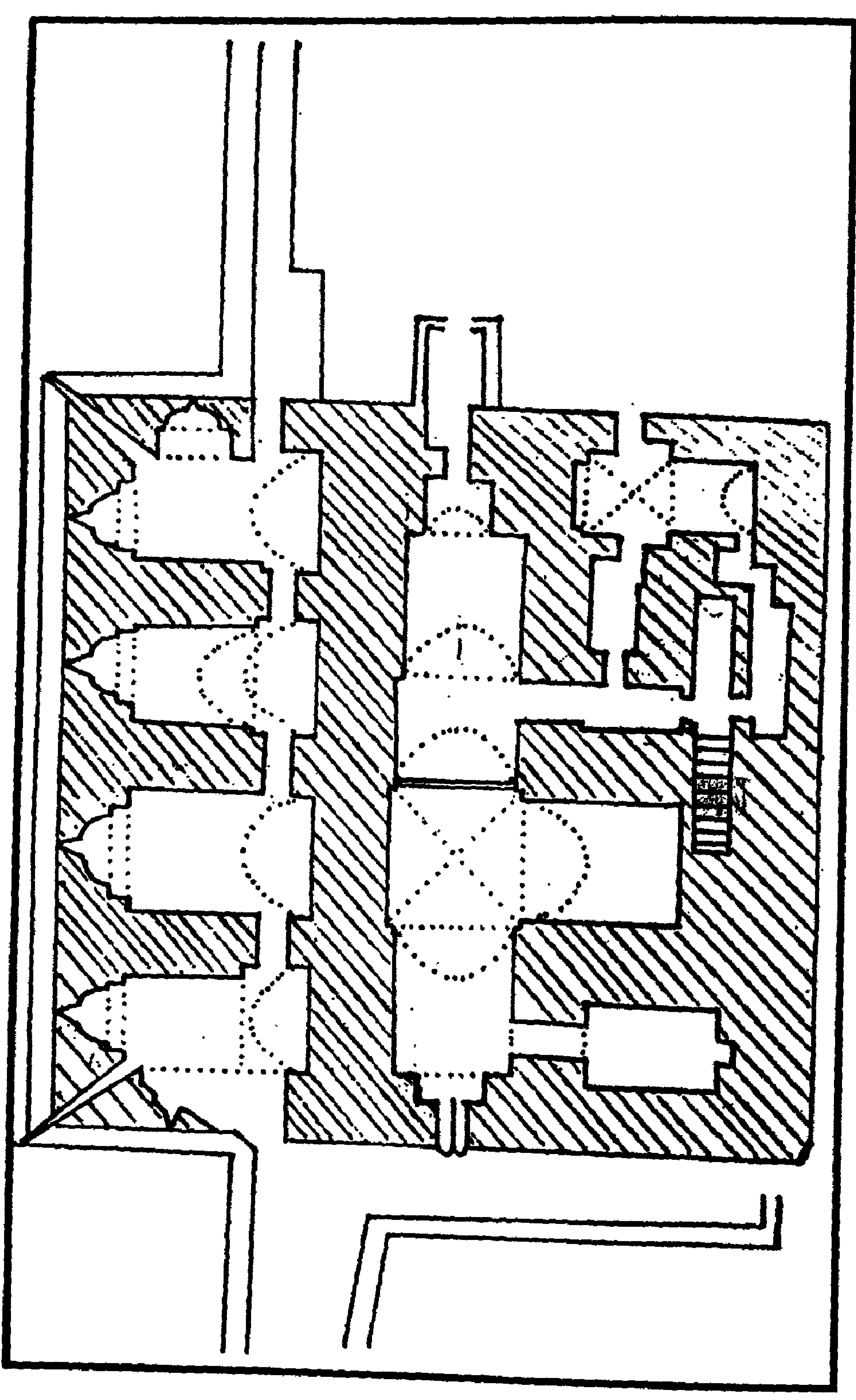
شكل (٢٦)

برج كركليان - طابق سفلى

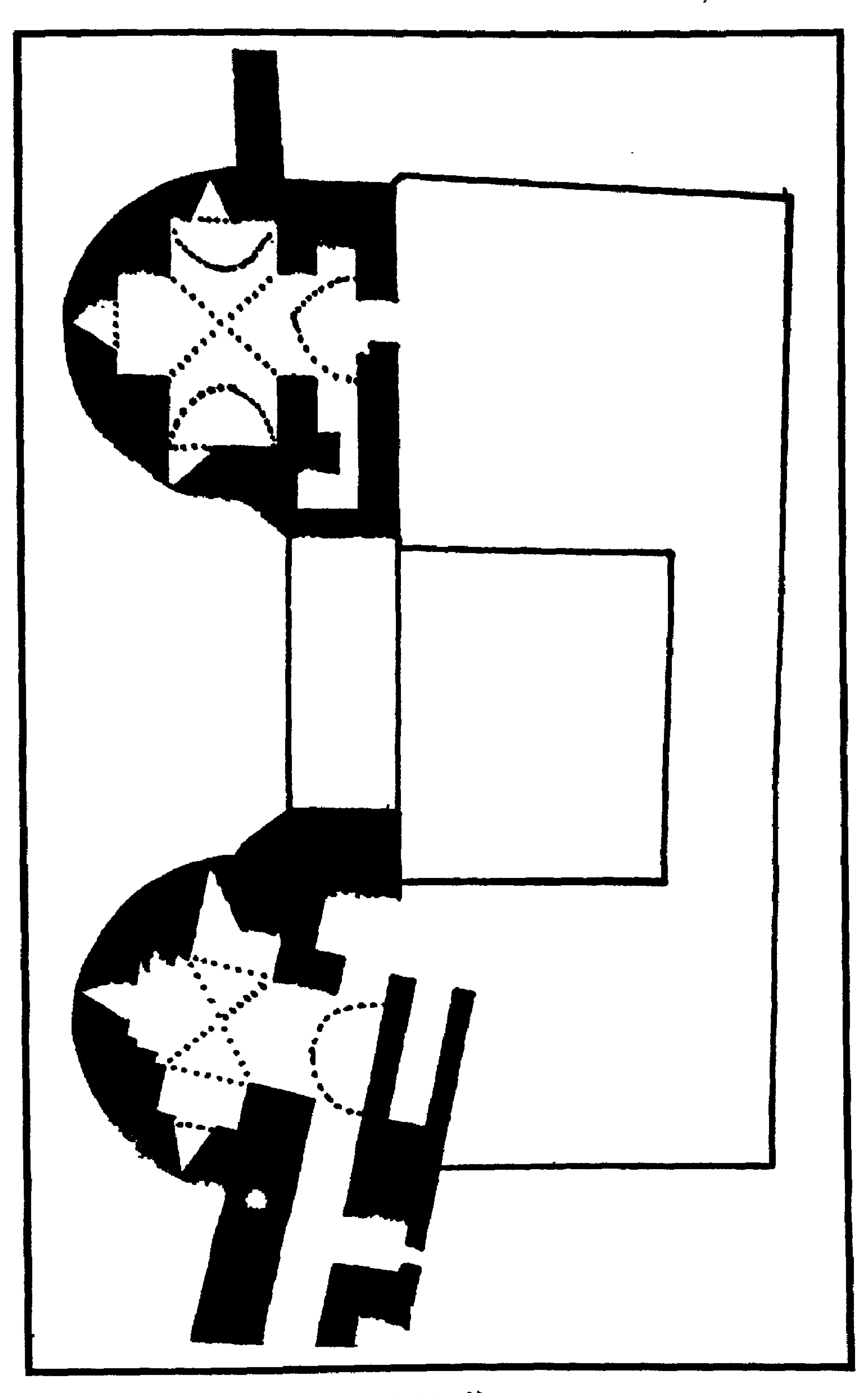


شكل (٢٧)

برج غير مسمى بين كركليان والطرفة

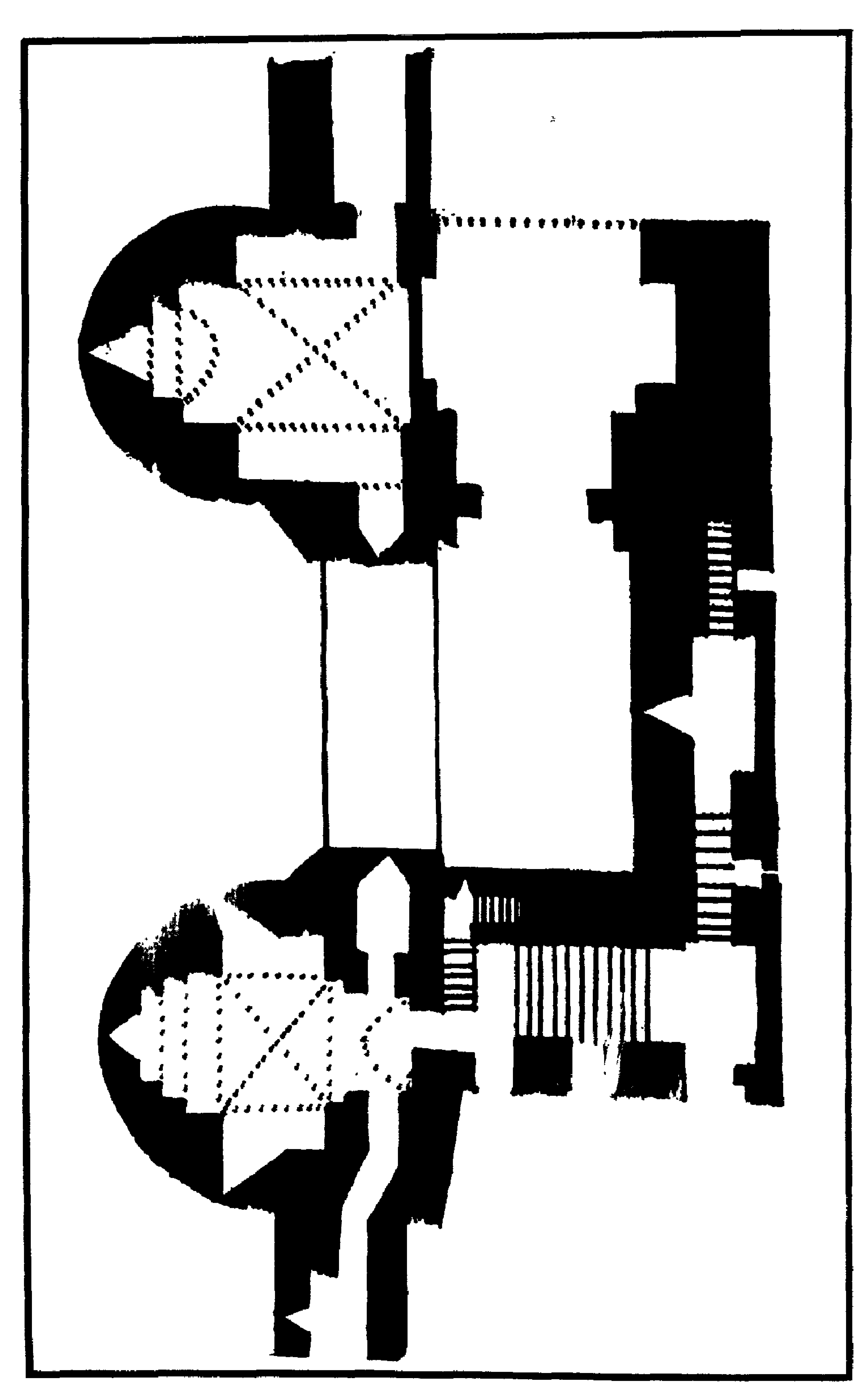


شكل (٢٨)
برج القرافة - مسقط أفقى



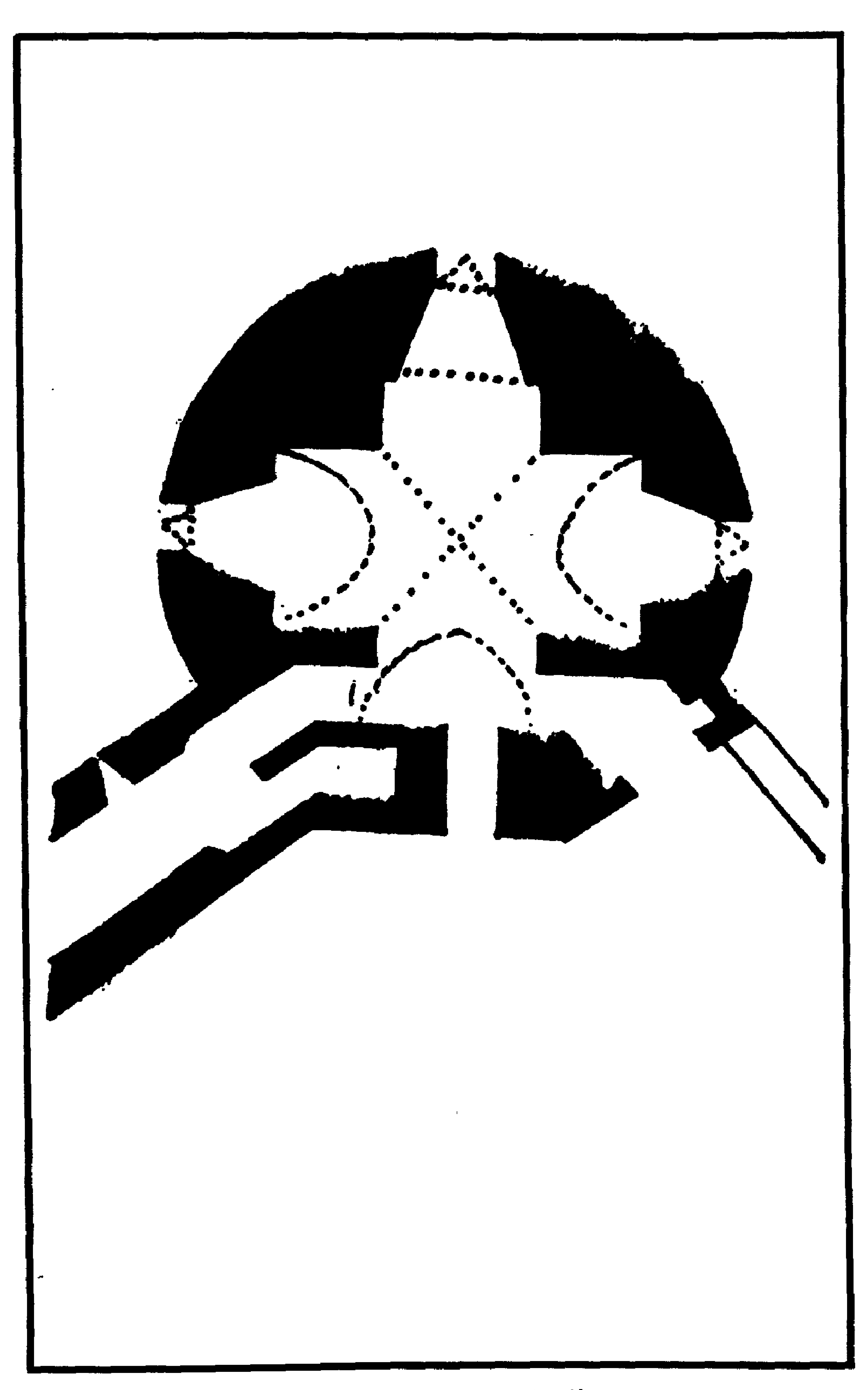
شكل (٢٩)

برج المطار - طابق علوى

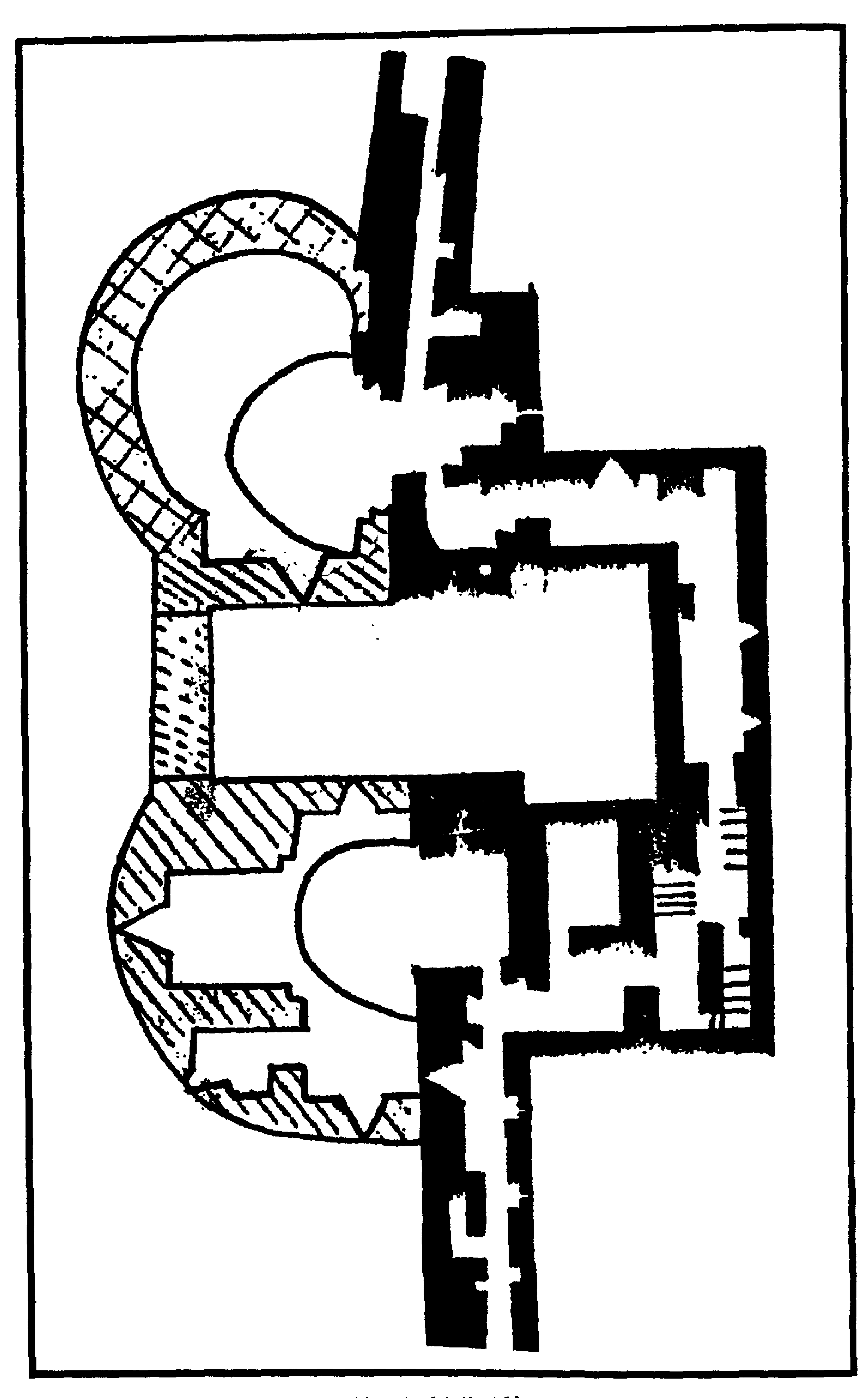


شكل (٣٠)

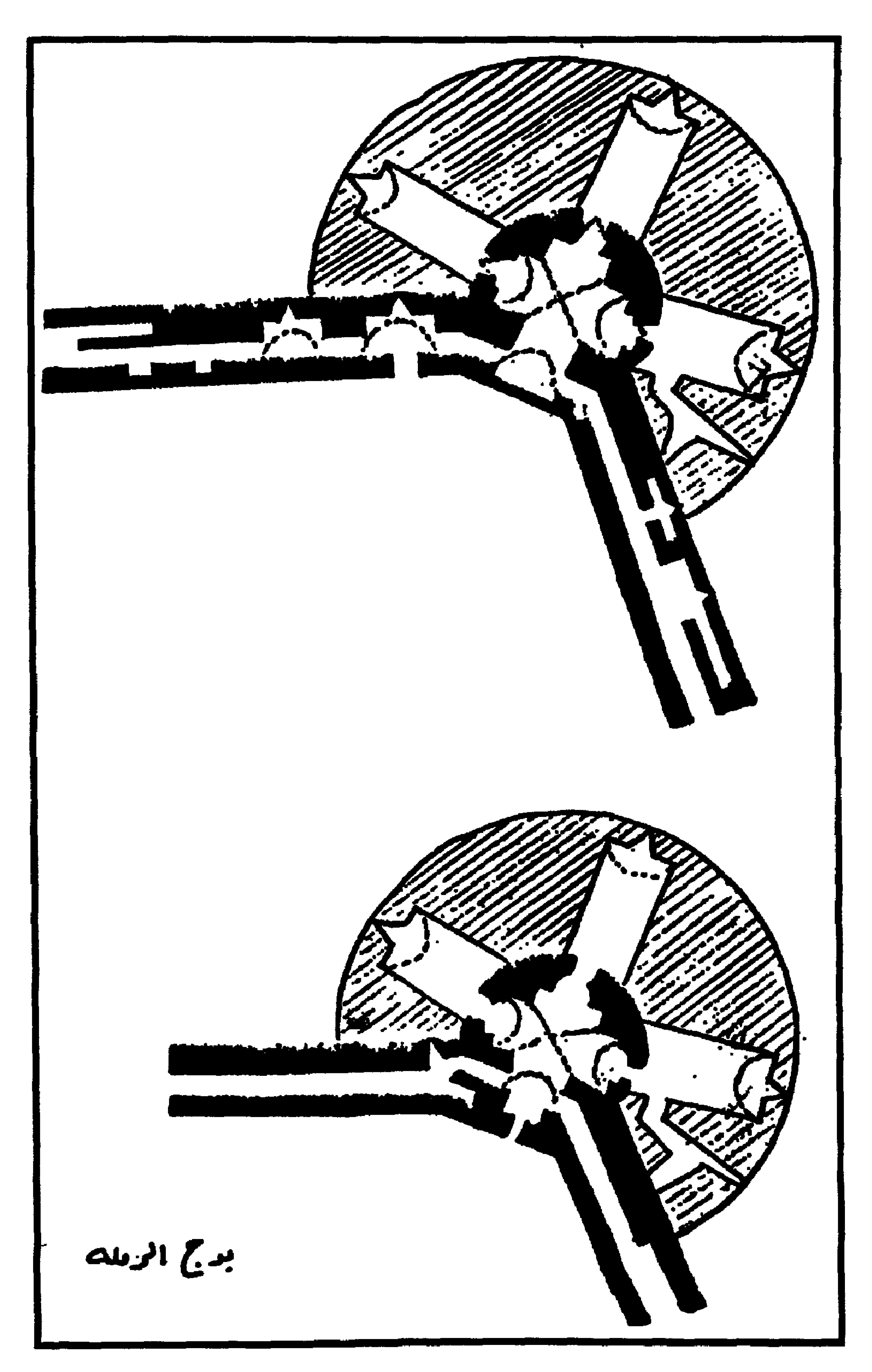
برج المطار - طابق سفلى



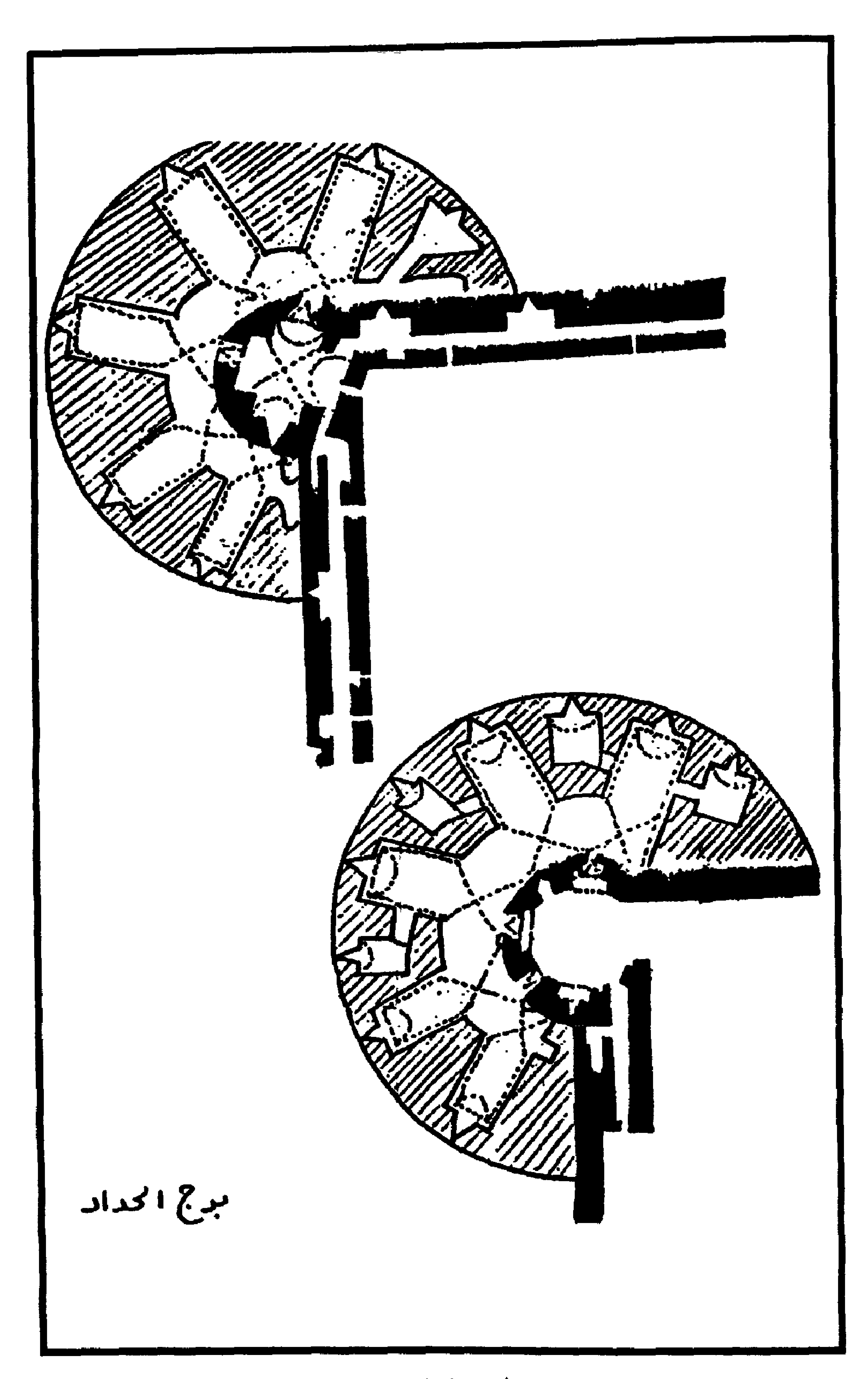
شكل (٣١) برج المبلط - طابق علوى



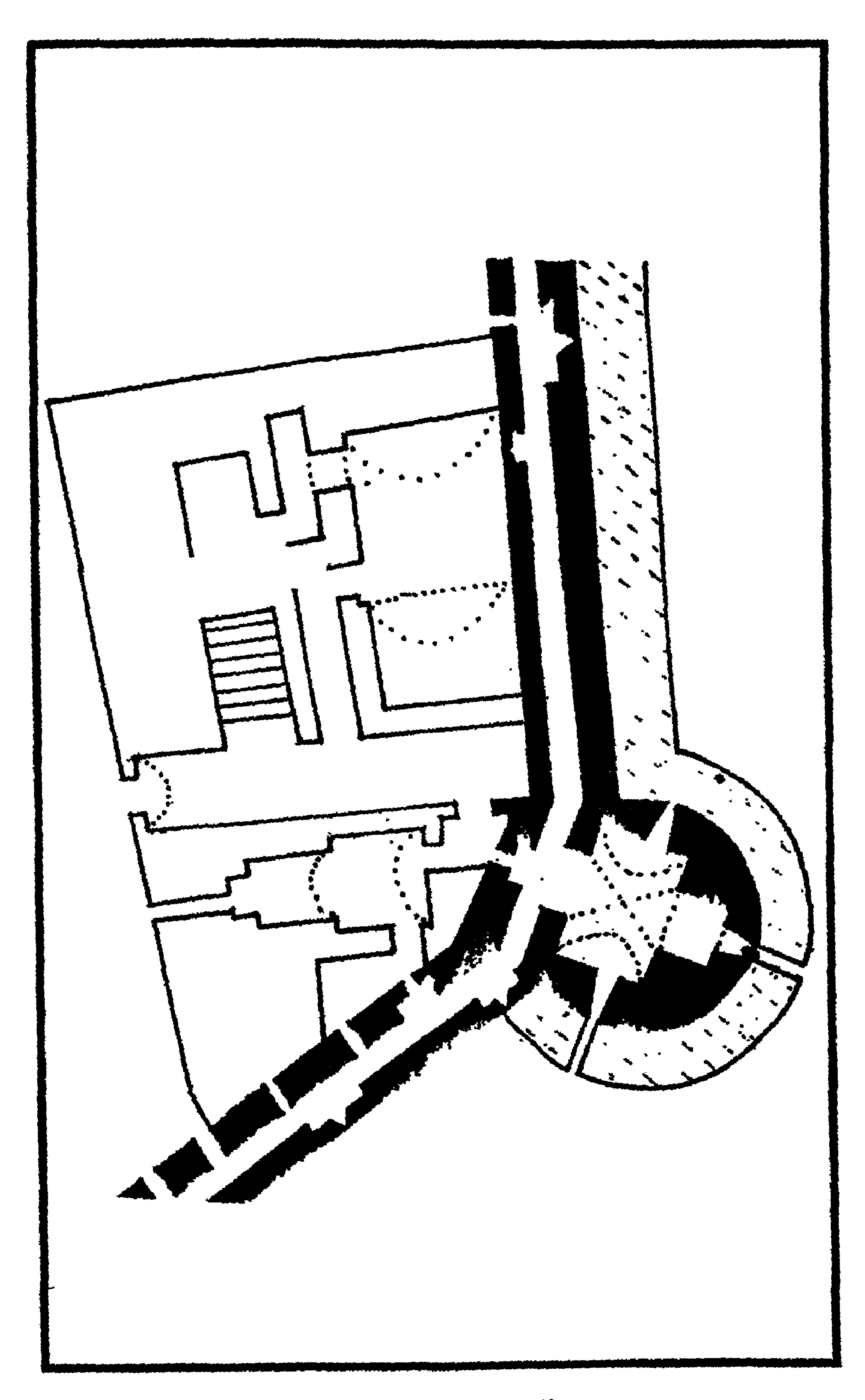
شكل (٣٢) باب الإمام



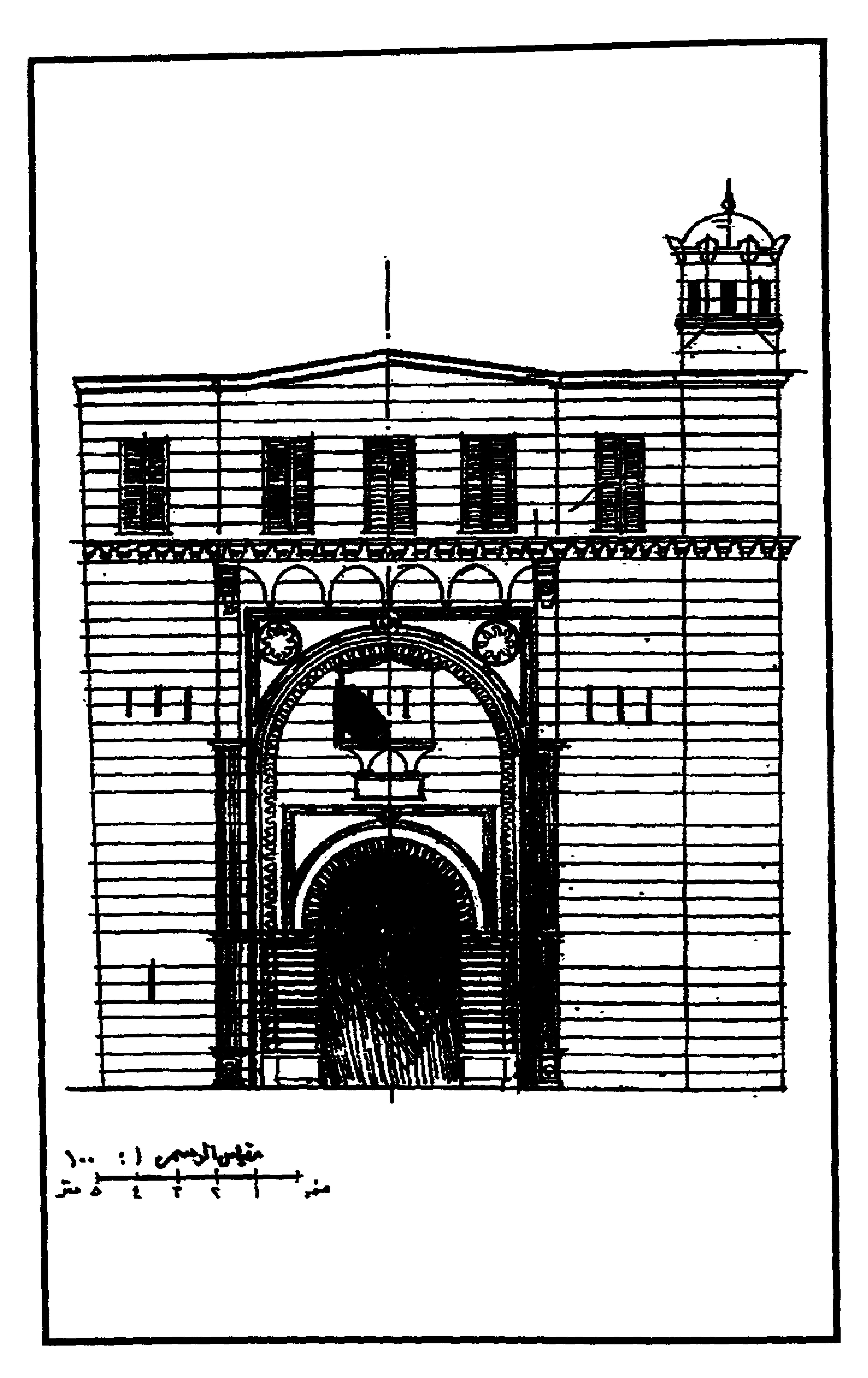
شكل (٣٣) برج الرملة



شكل (٣٤) برج الحداد

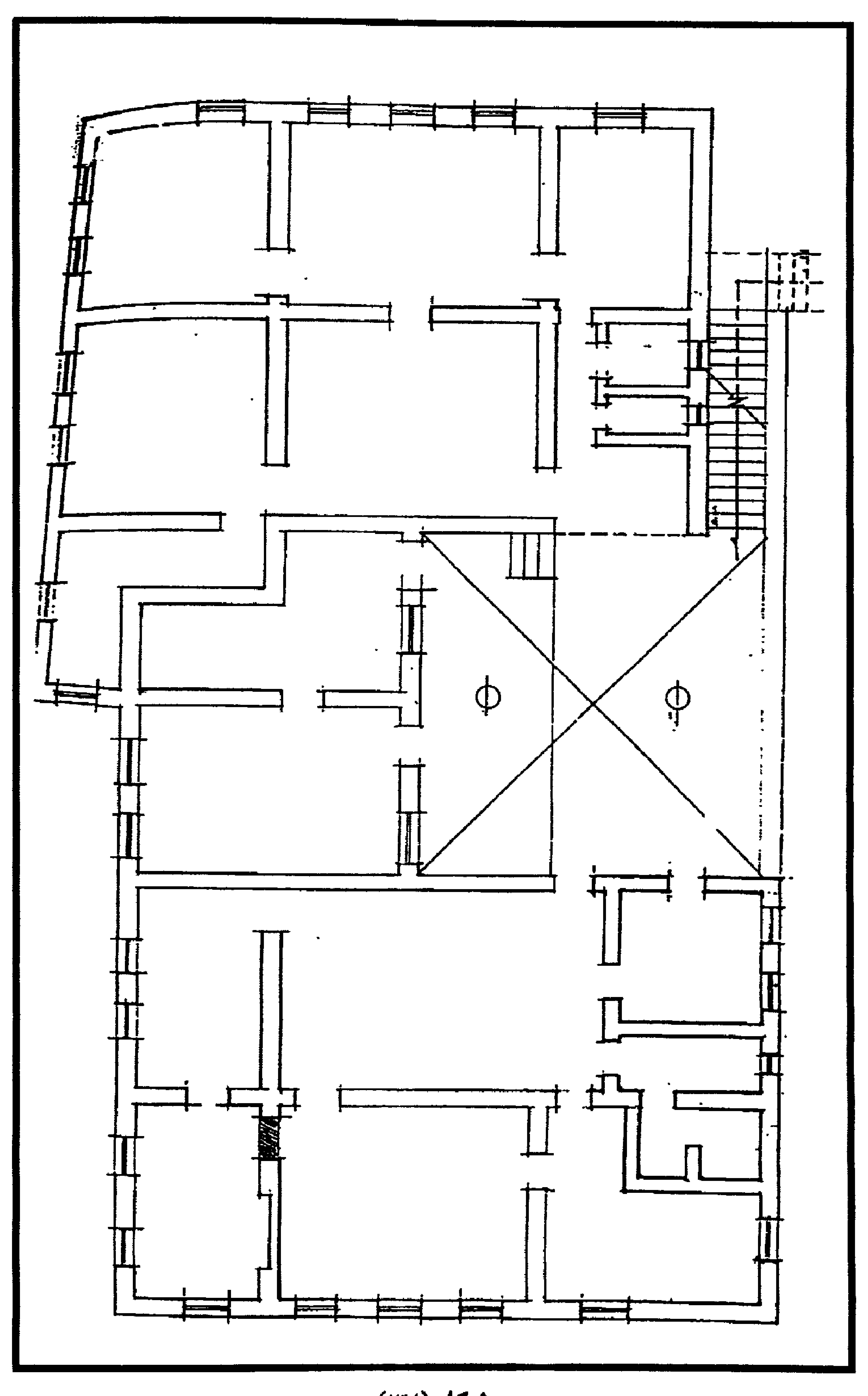


شكل (٣٥) برج الصحراء



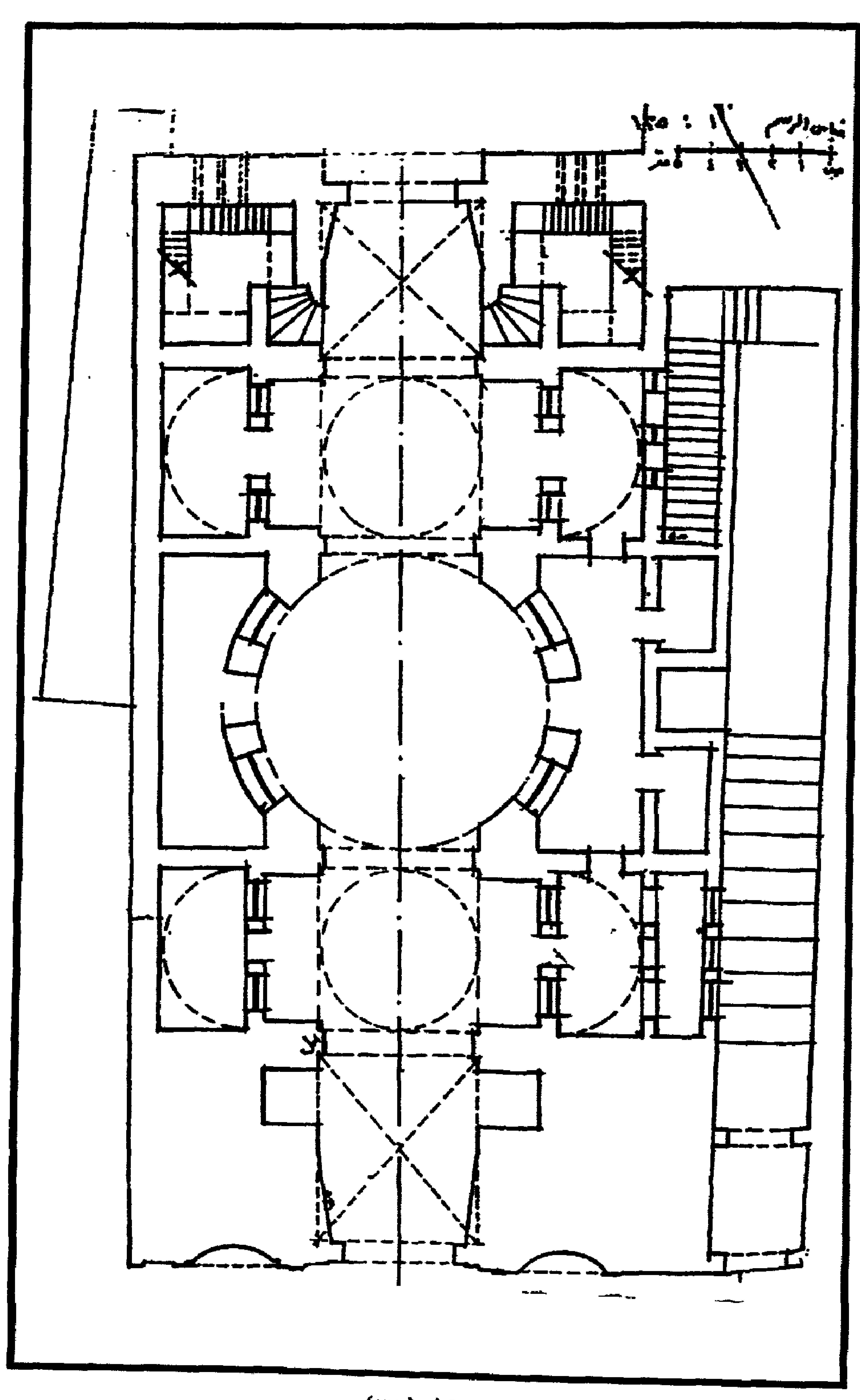
شكل (٣٦)

الواجهة الشمالية للباب الجديد - عن أمل محفوظ



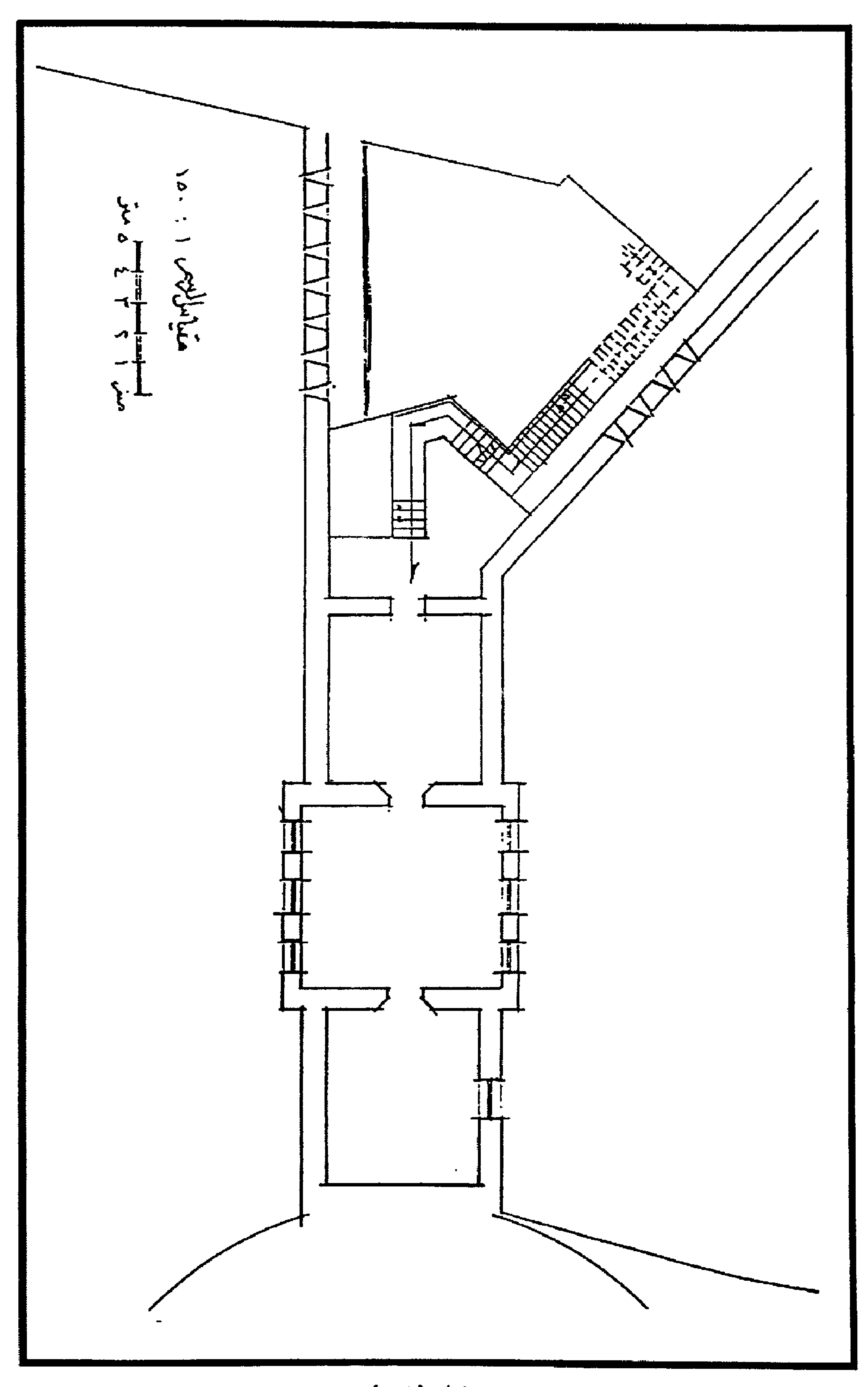
شكل (٣٧)

الدور الأول للباب الجديد - عن مركز تسجيل الآثار



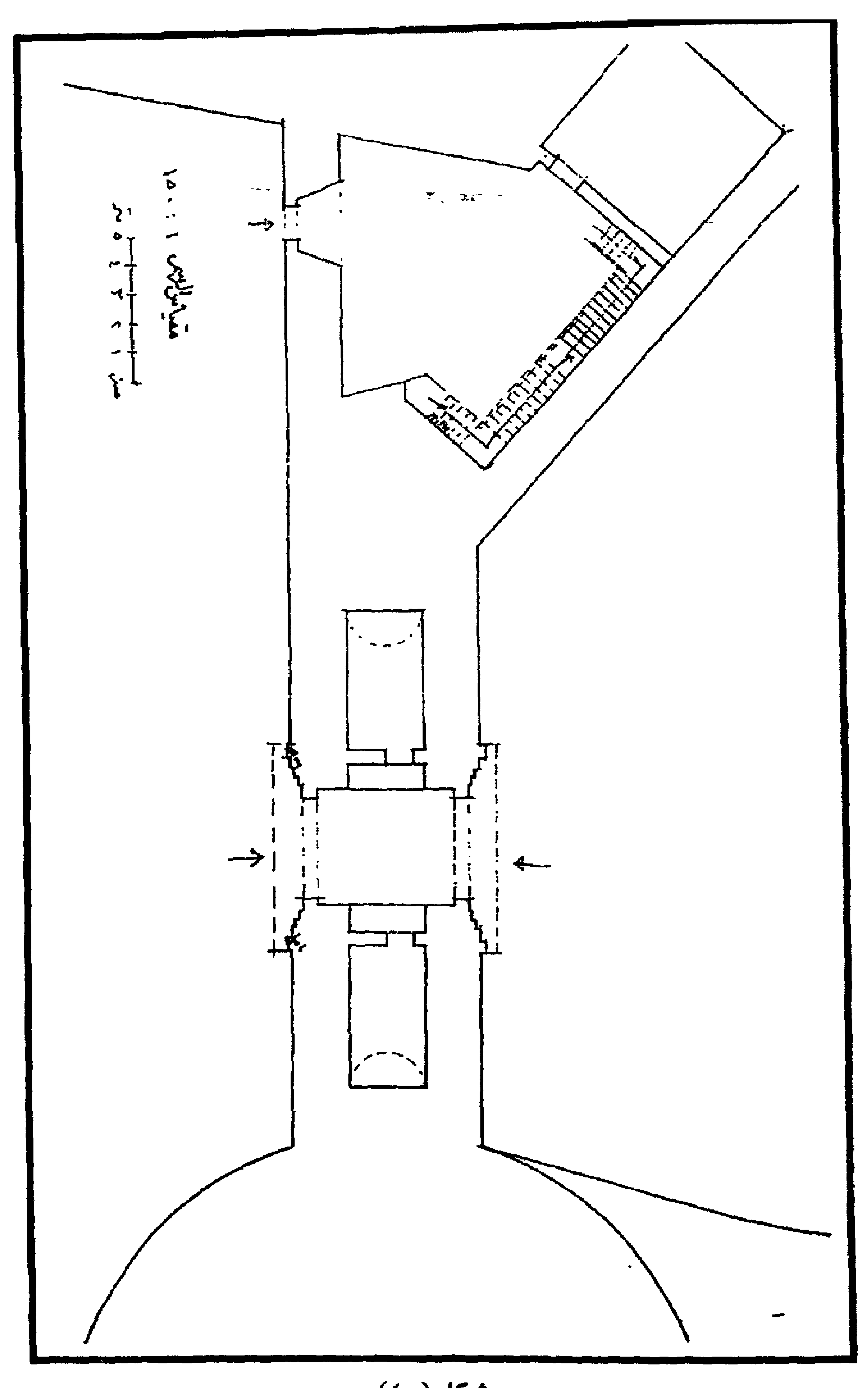
شكل (٣٨)

الدور الأرضى للباب الجديد - عن مركز تسجيل الآثار



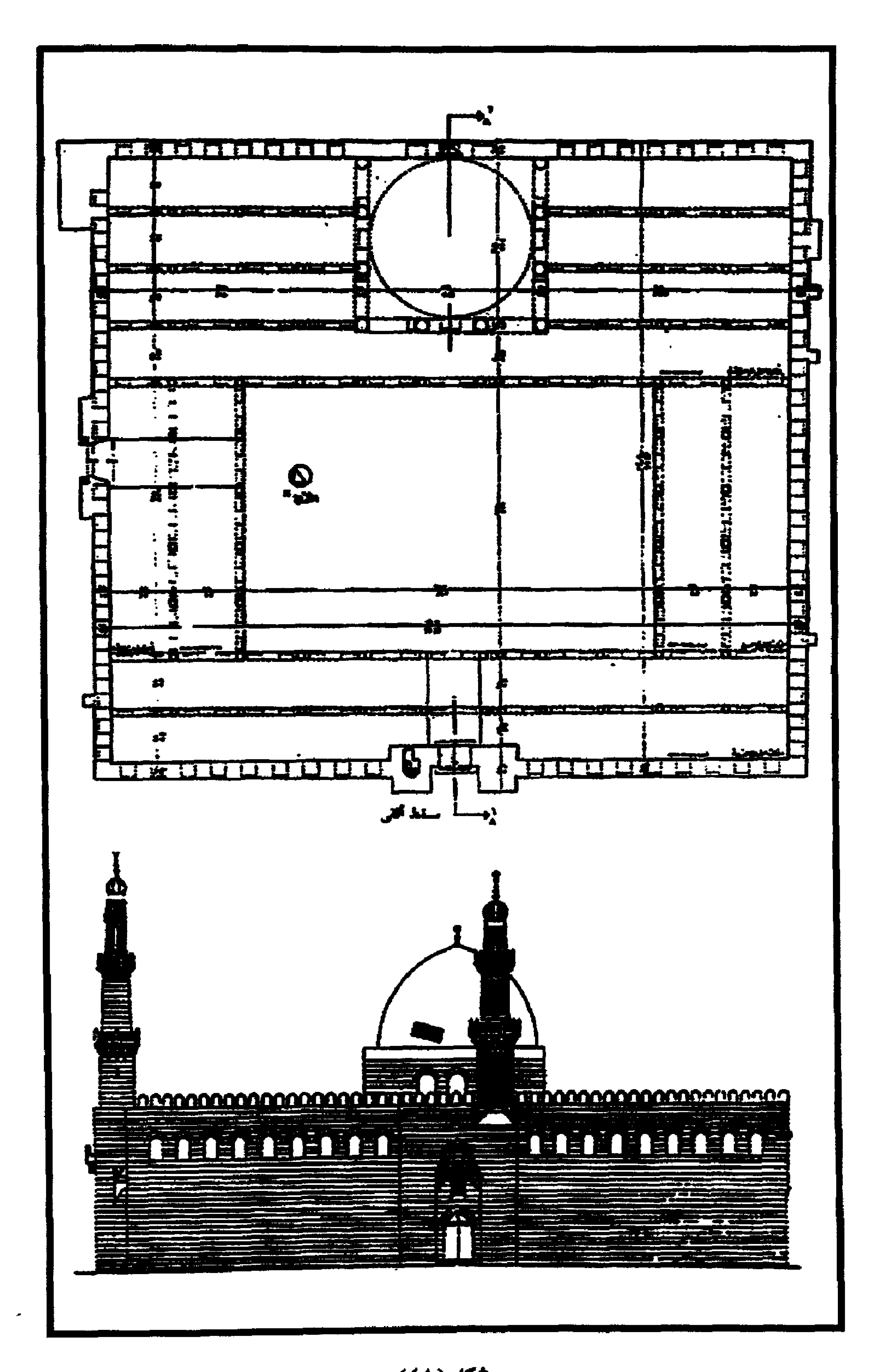
شكل (٣٩)

الدور الأرضى للباب الوسطانى - عن مركز تسجيل الآثار



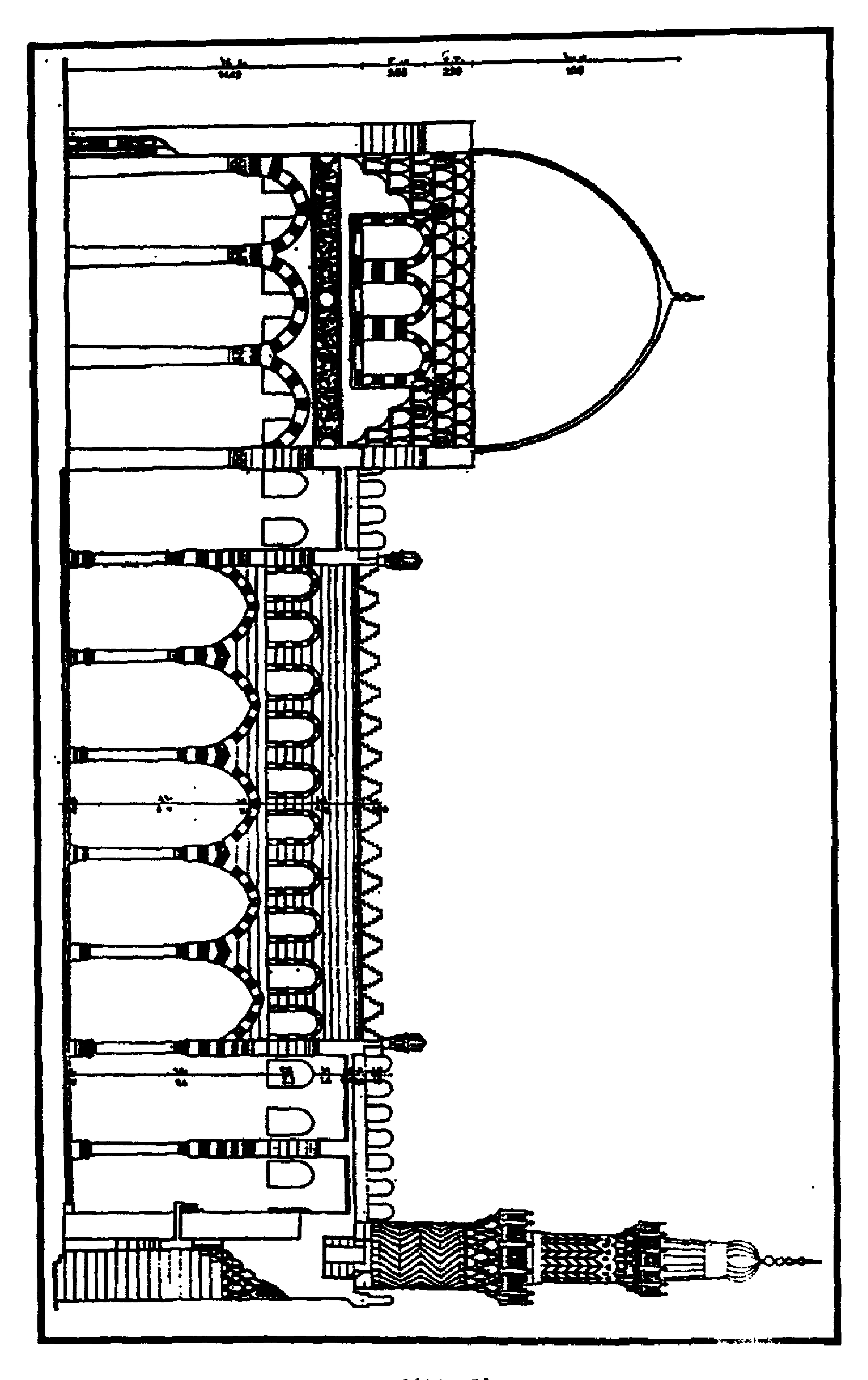
شكل (٤٠)

مسقط أفقى لردهة الباب الوسطانى عن مركز تسجيل الآثار



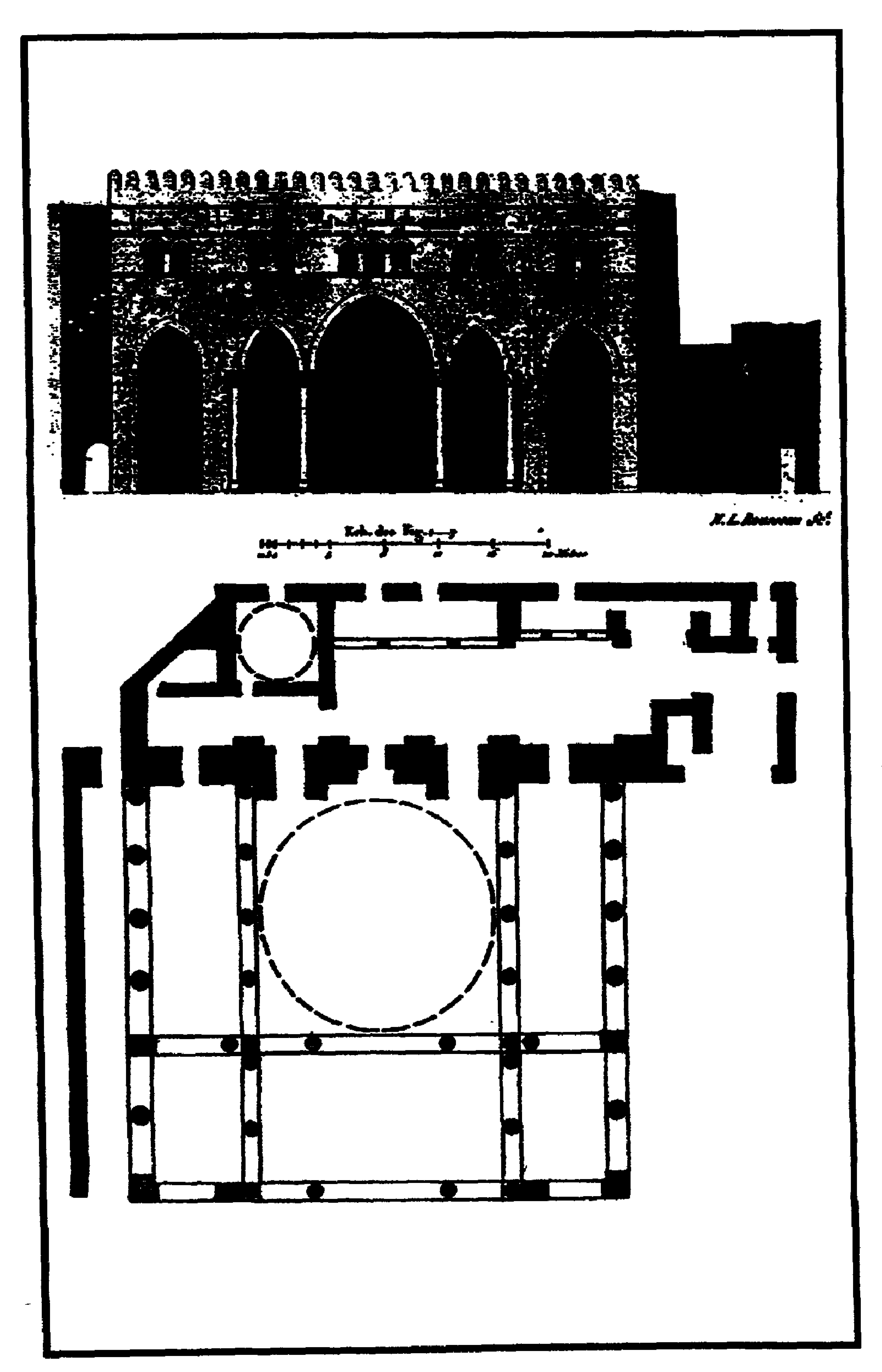
شكل (٤١)

مسجد الناصر محمد بن قلاوون - مسقط أفقى عن مركز تسجيل الآثار



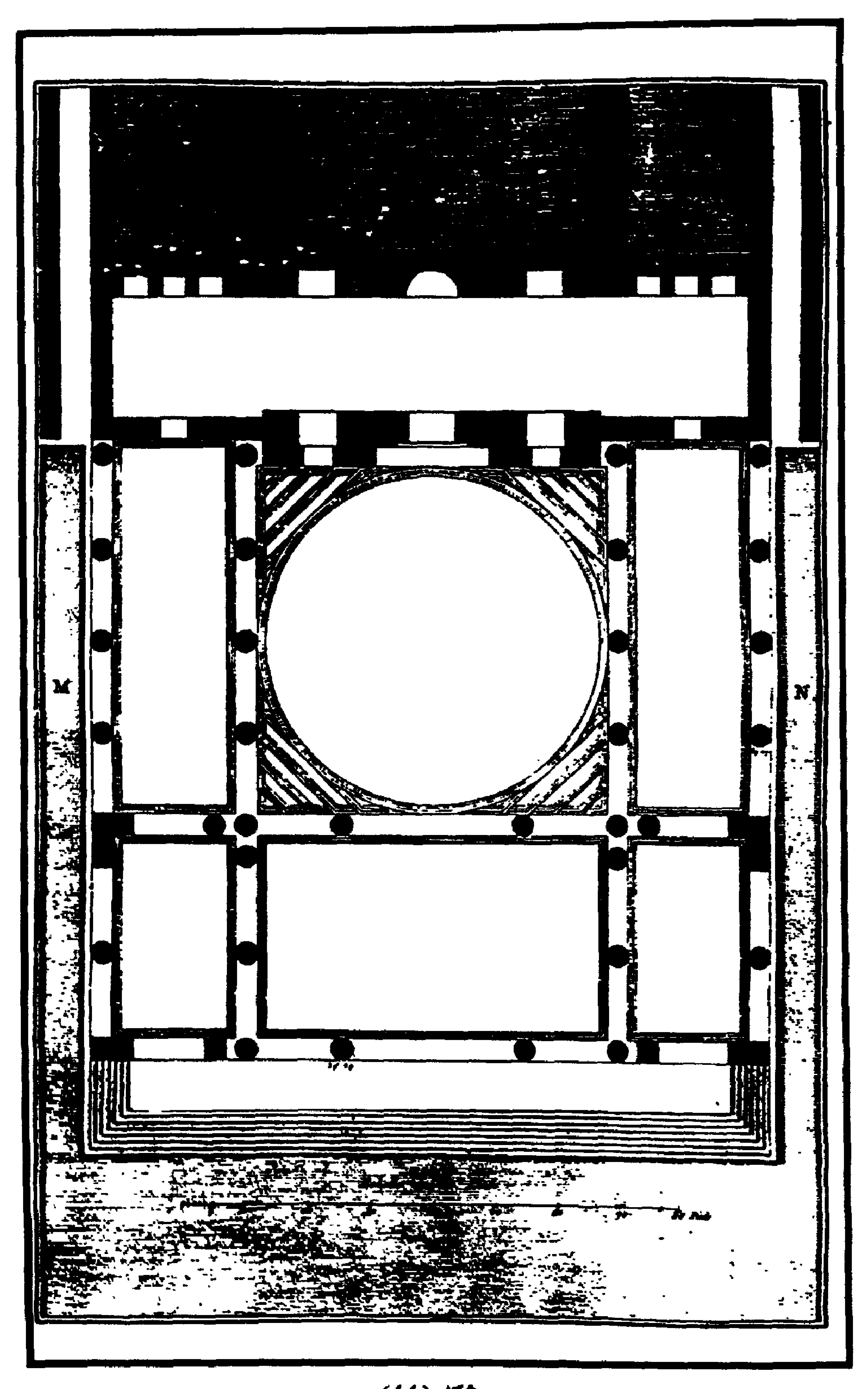
شكل (٤٢)

مسجد الناصر محمد بن قلاوون - قطاع رأسى عن أسس التخطيط الحضرى والعمرانى



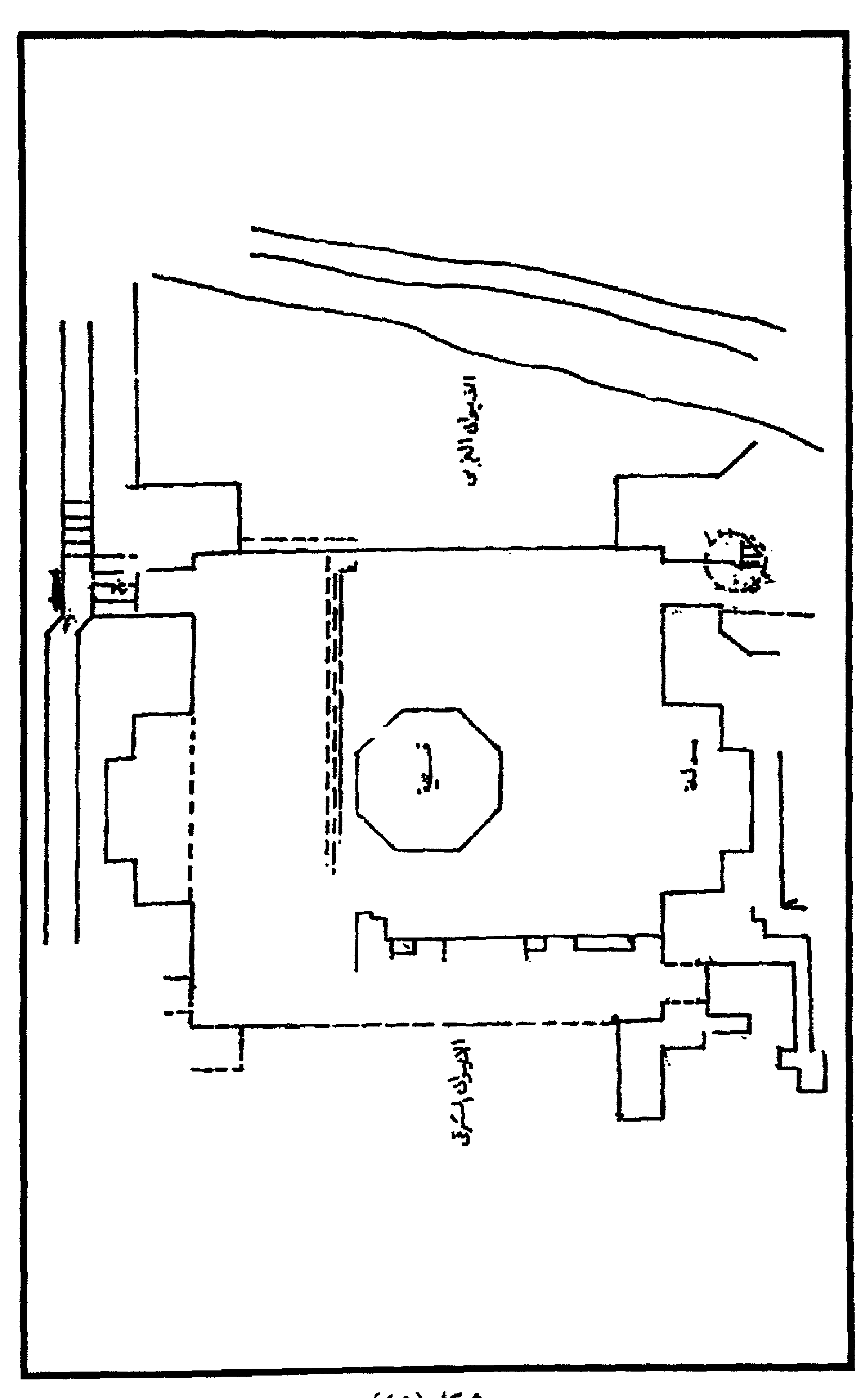
شكل (٤٣)

تخطيط وصف مصر للأيوان الناصرى وواجهته

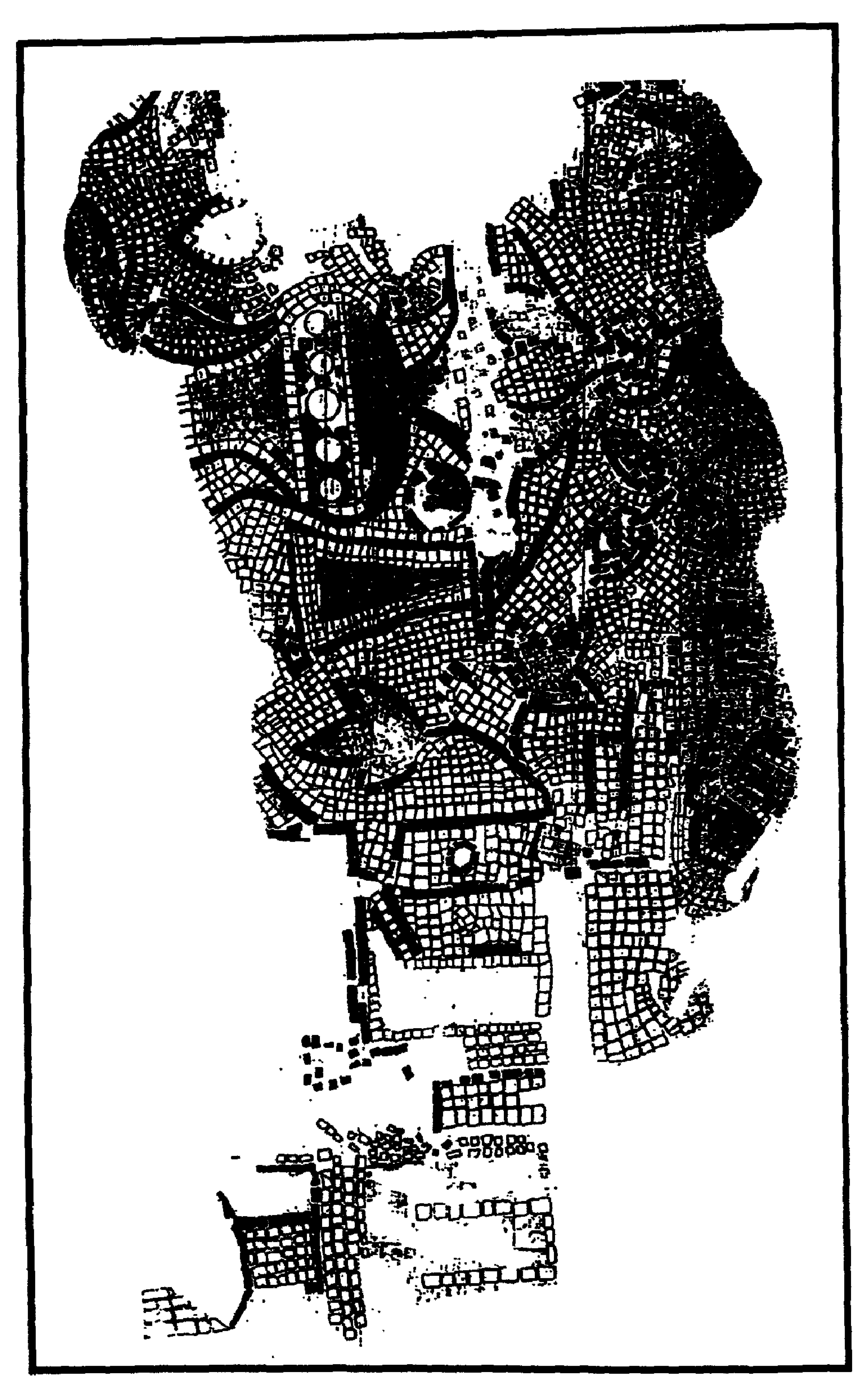


شكل (٤٤)

تخطيط لكرسى للأيوان الناصرى - عن دوريس أبوسيف

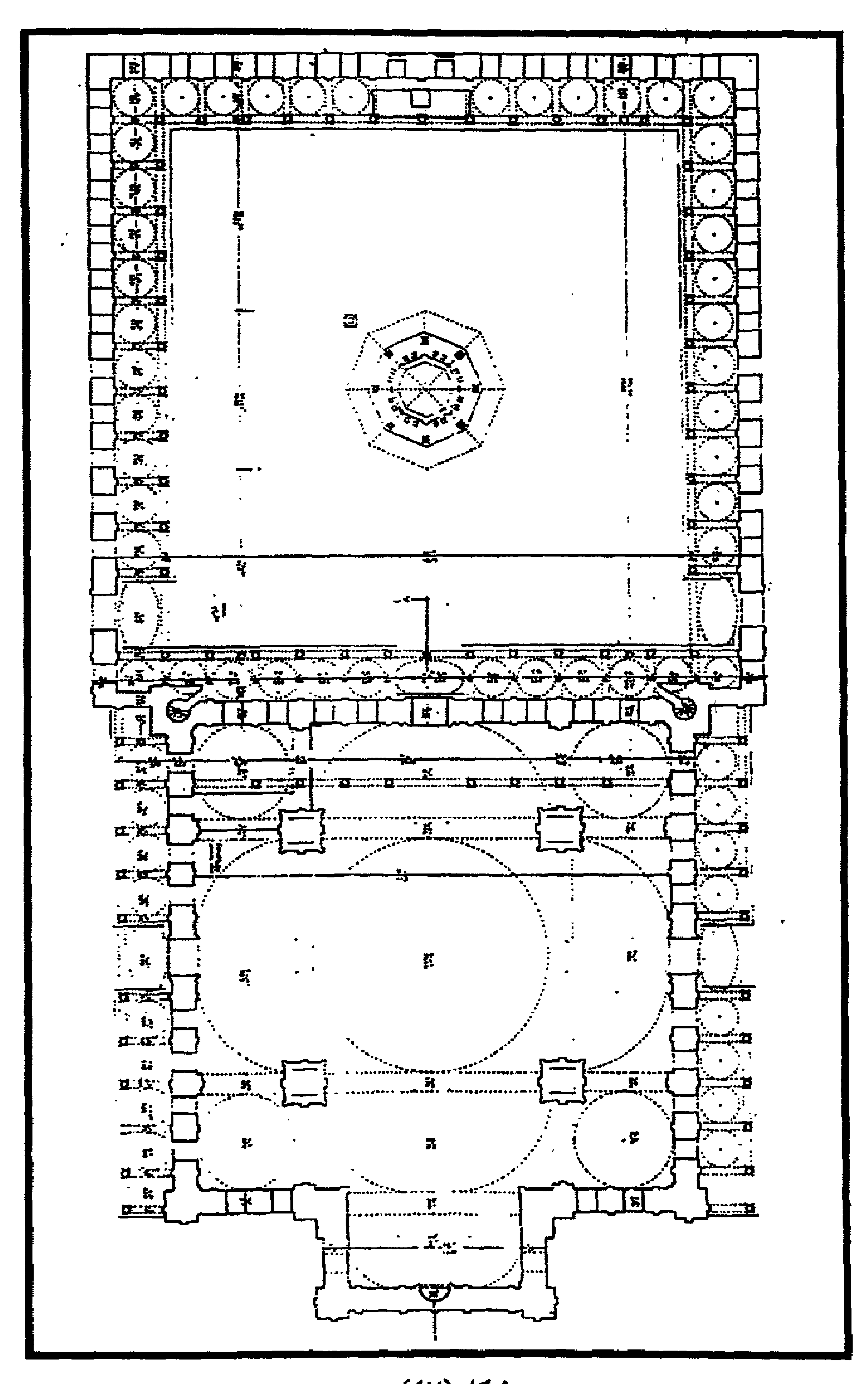


شكل (٤٥)
مسقط أفقى للقاعة الأشرفية - الباحث



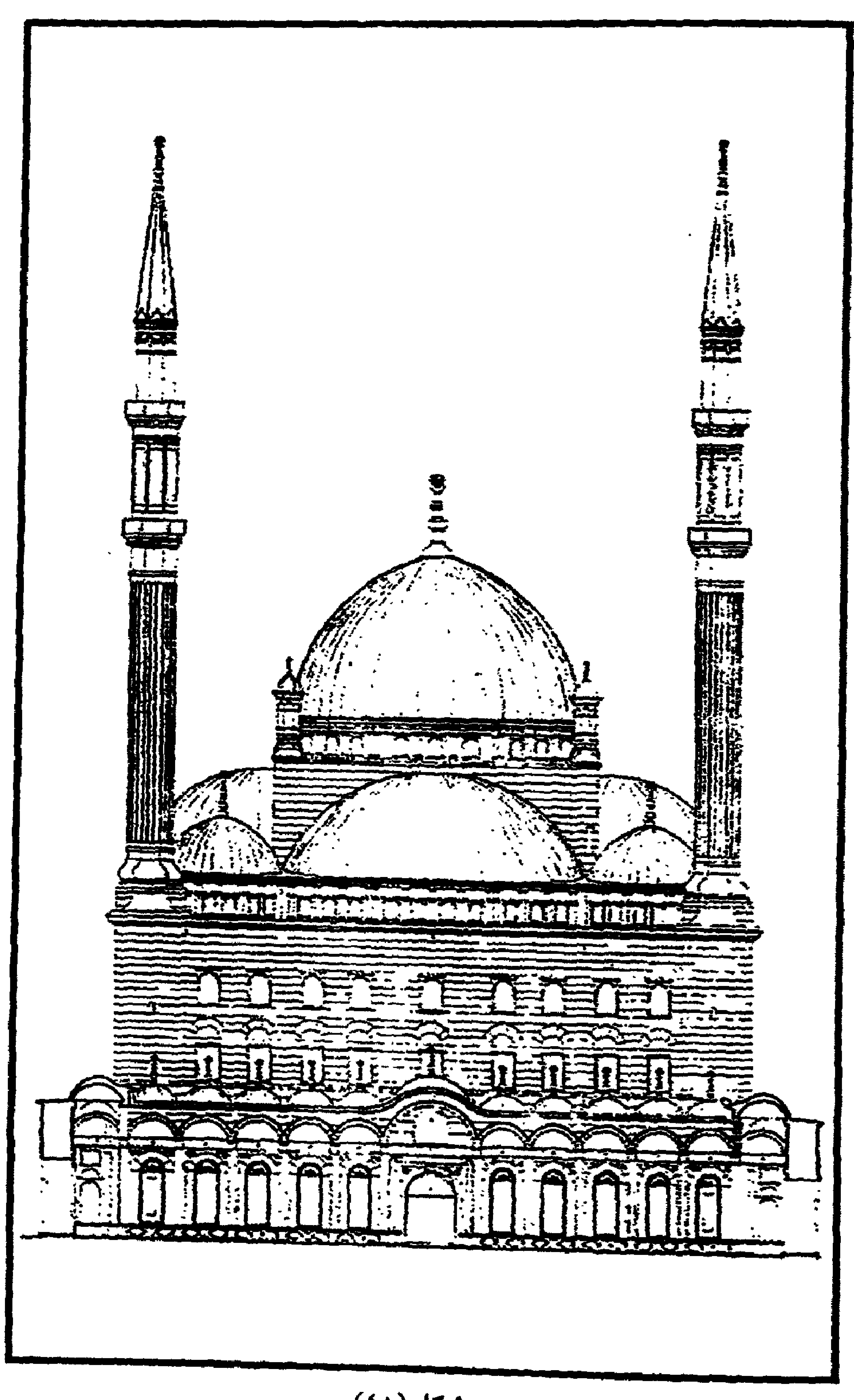
شكل (٤٦)

الفسيفساء المكتشفة بالقاعة الأشرفية - الباحث



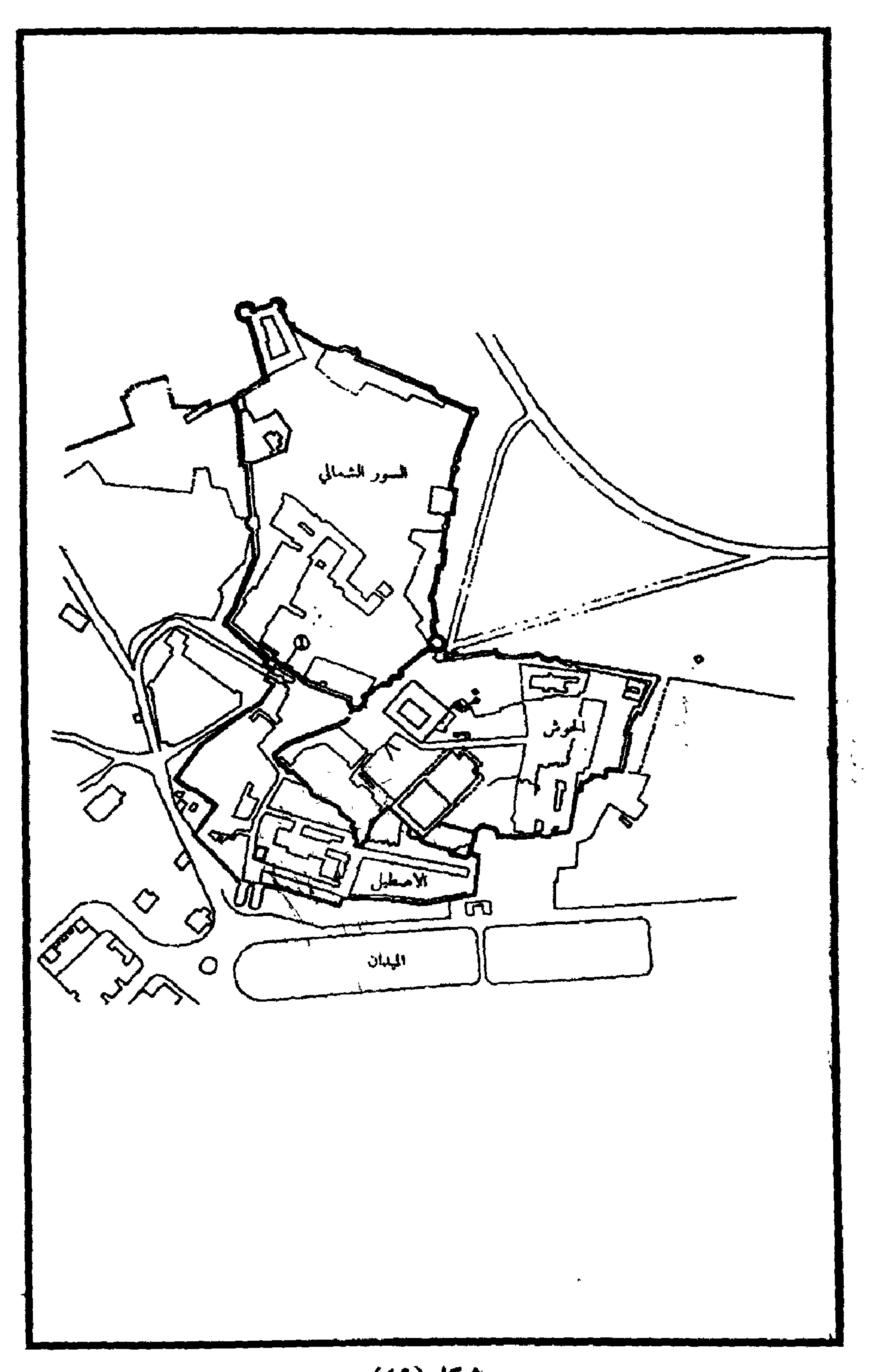
شكل (٤٧)

مسجد محمد على - مسقط أفقى عن مركز تسجيل الآثار



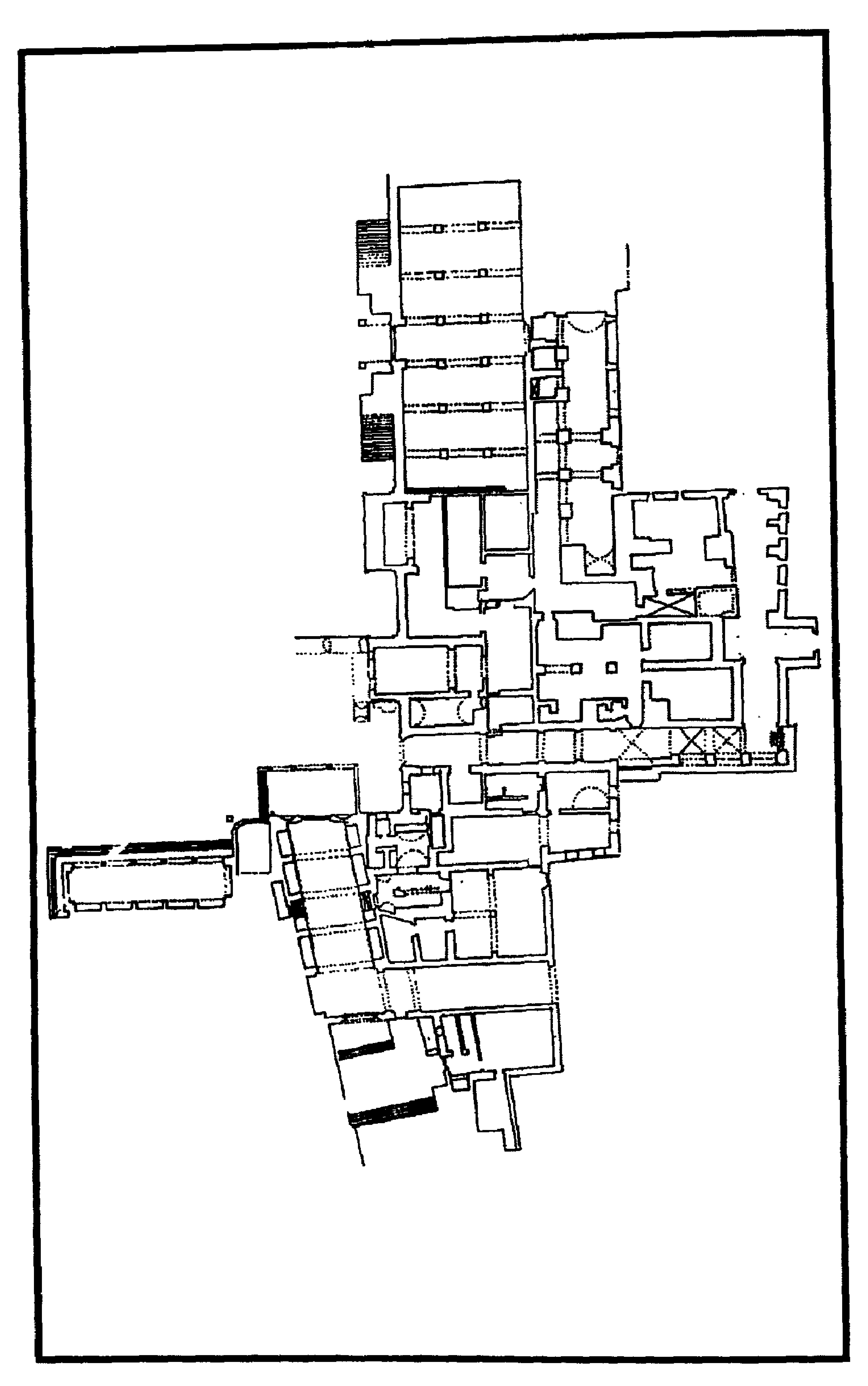
شكل (٤٨)

مسجد محمد على - قطاع رأسى عن مركز تسجيل الآثار



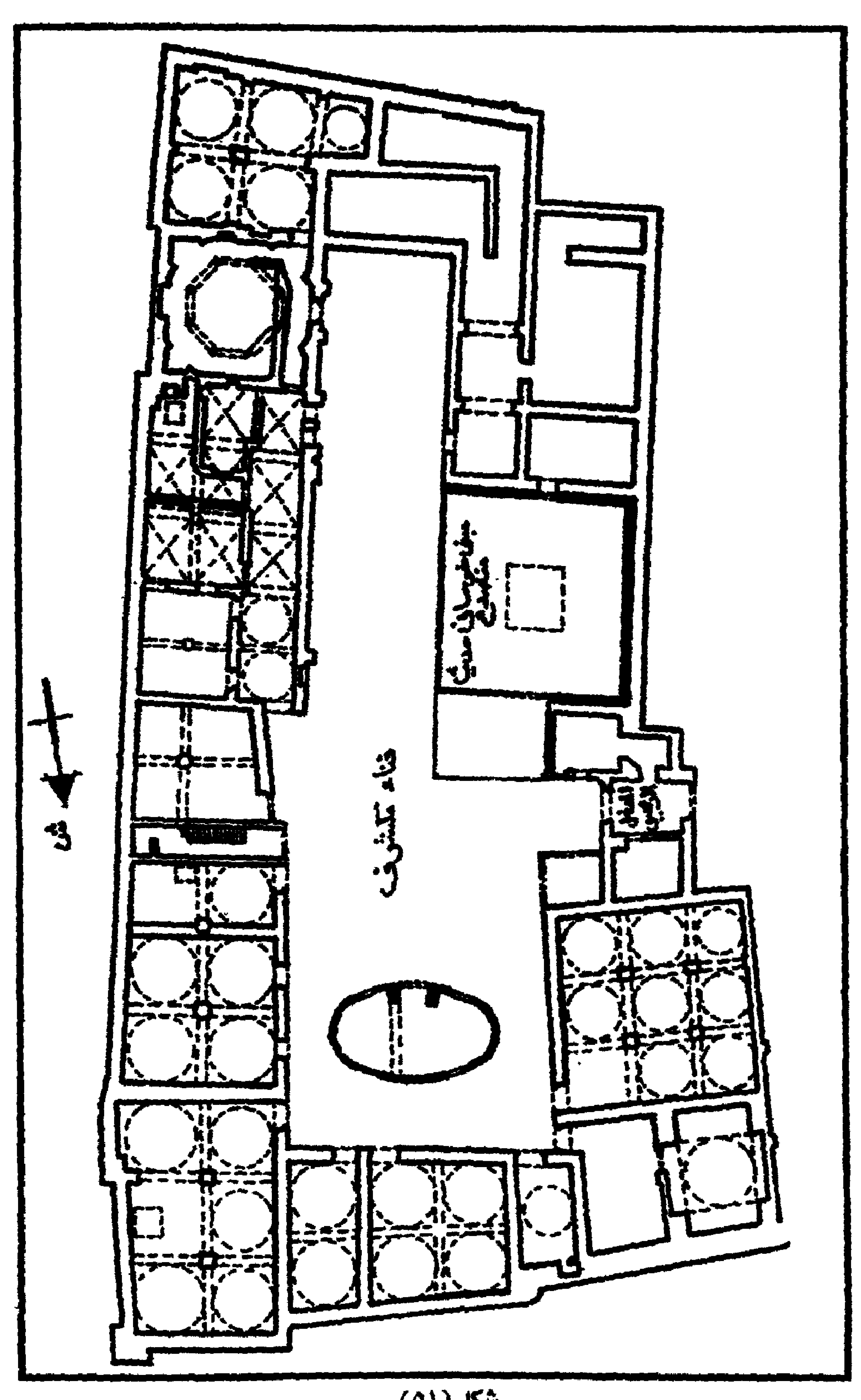
شكل (٤٩)

تخطيط يبين موقع الحوش السلطانى من القلعة - عن ناصر الرباط



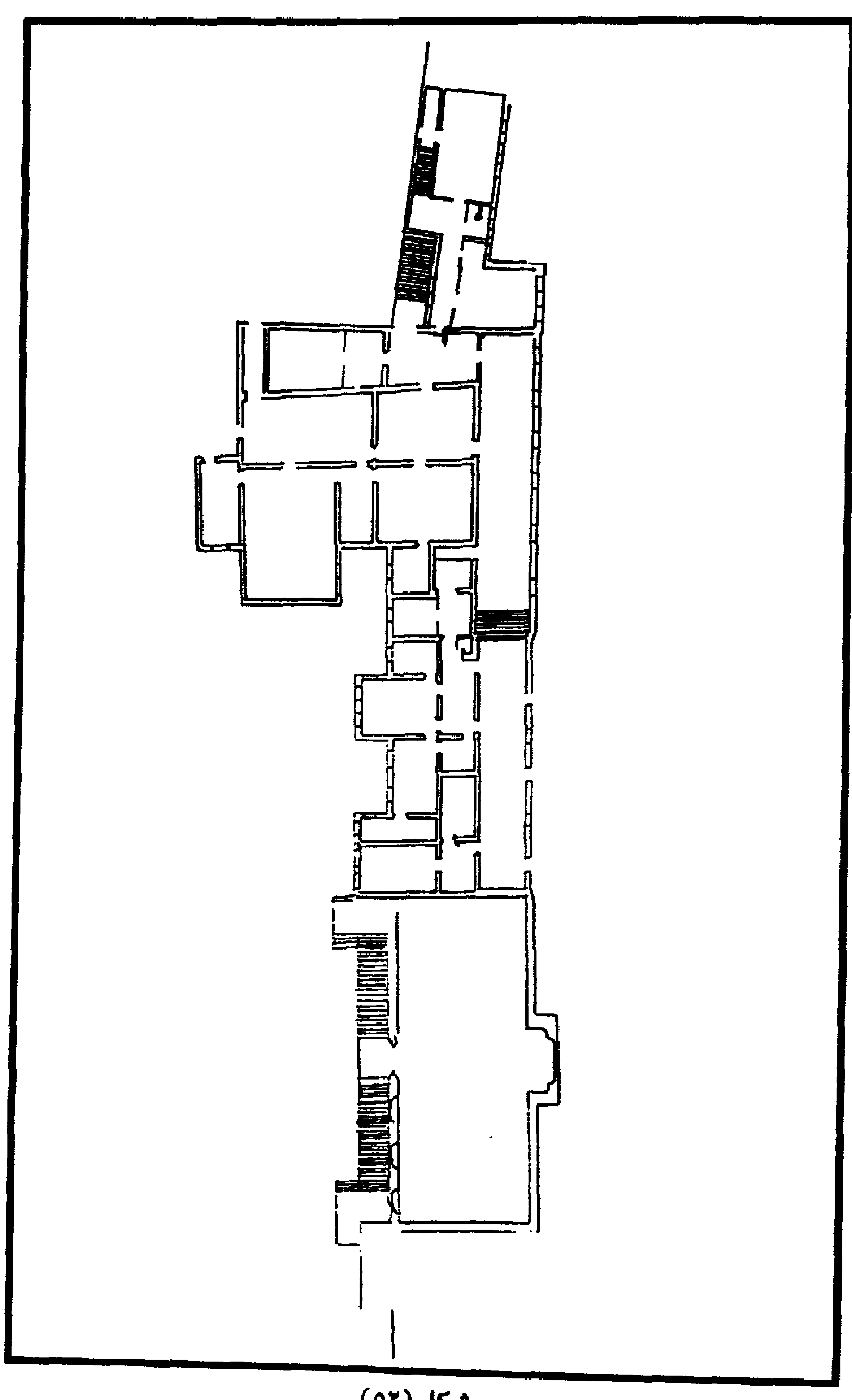
شكل (٥٠)

تخطيط لمنشآت الحوش السلطانى يبين علاقة المبانى ببعضها خاصة مقعد قايتباى ومقعد الغورى - الباحث

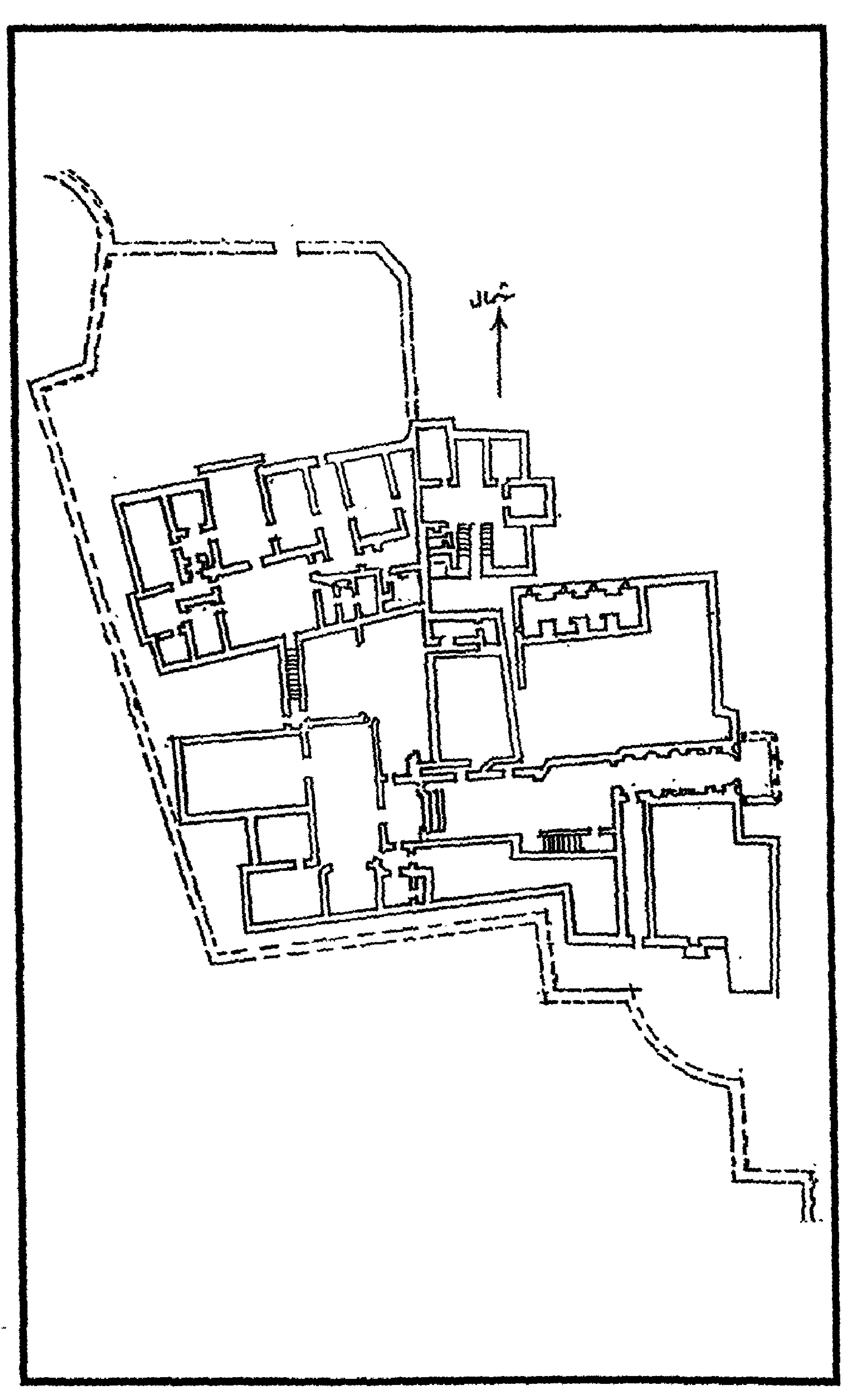


شكل (٥١)

دار الضرب - مسقط أفقي عن مركز تسجيل الآثار

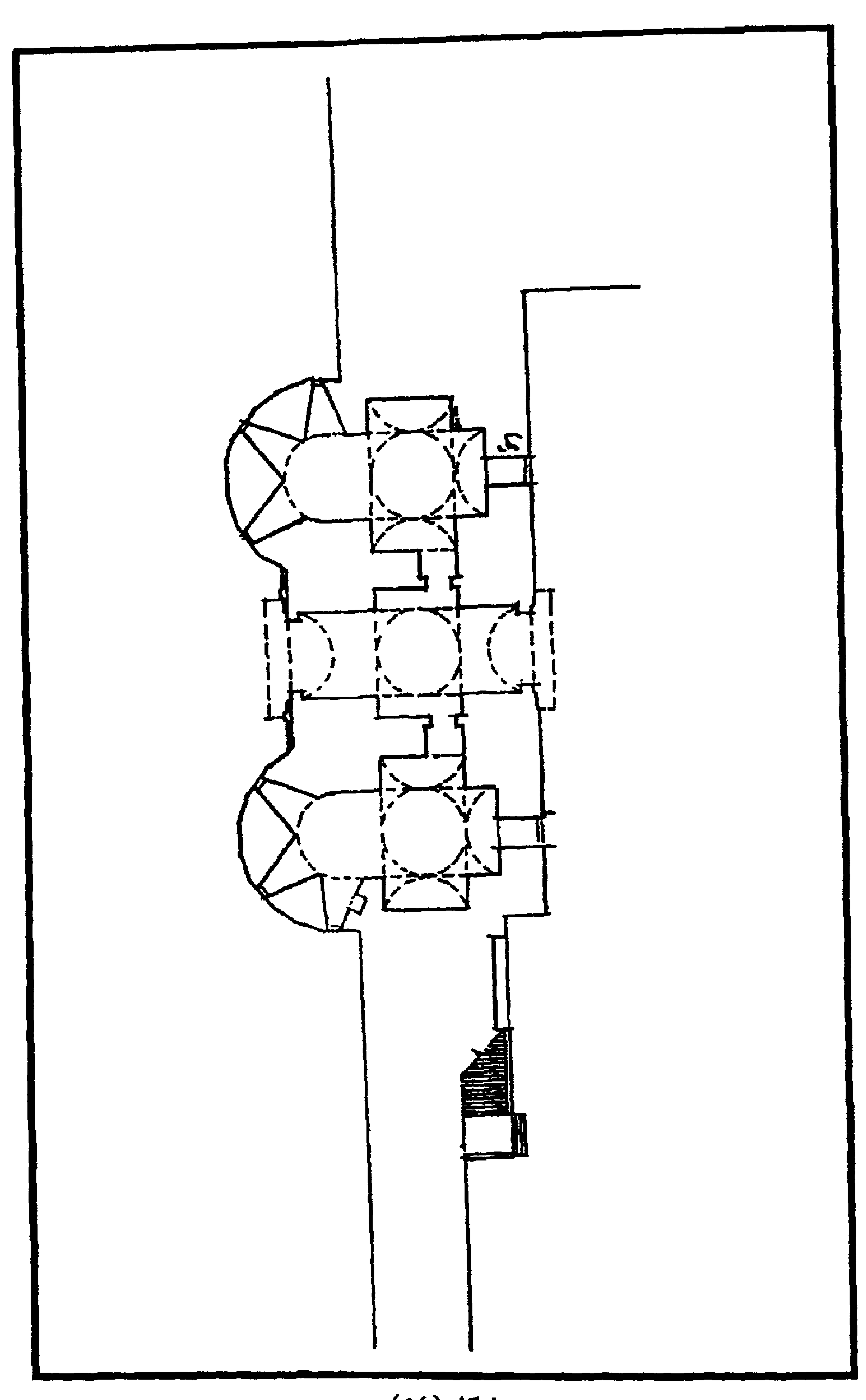


شكل (٥٢)
سراى العدل - مسقط أفقى للدور الأول الباحث



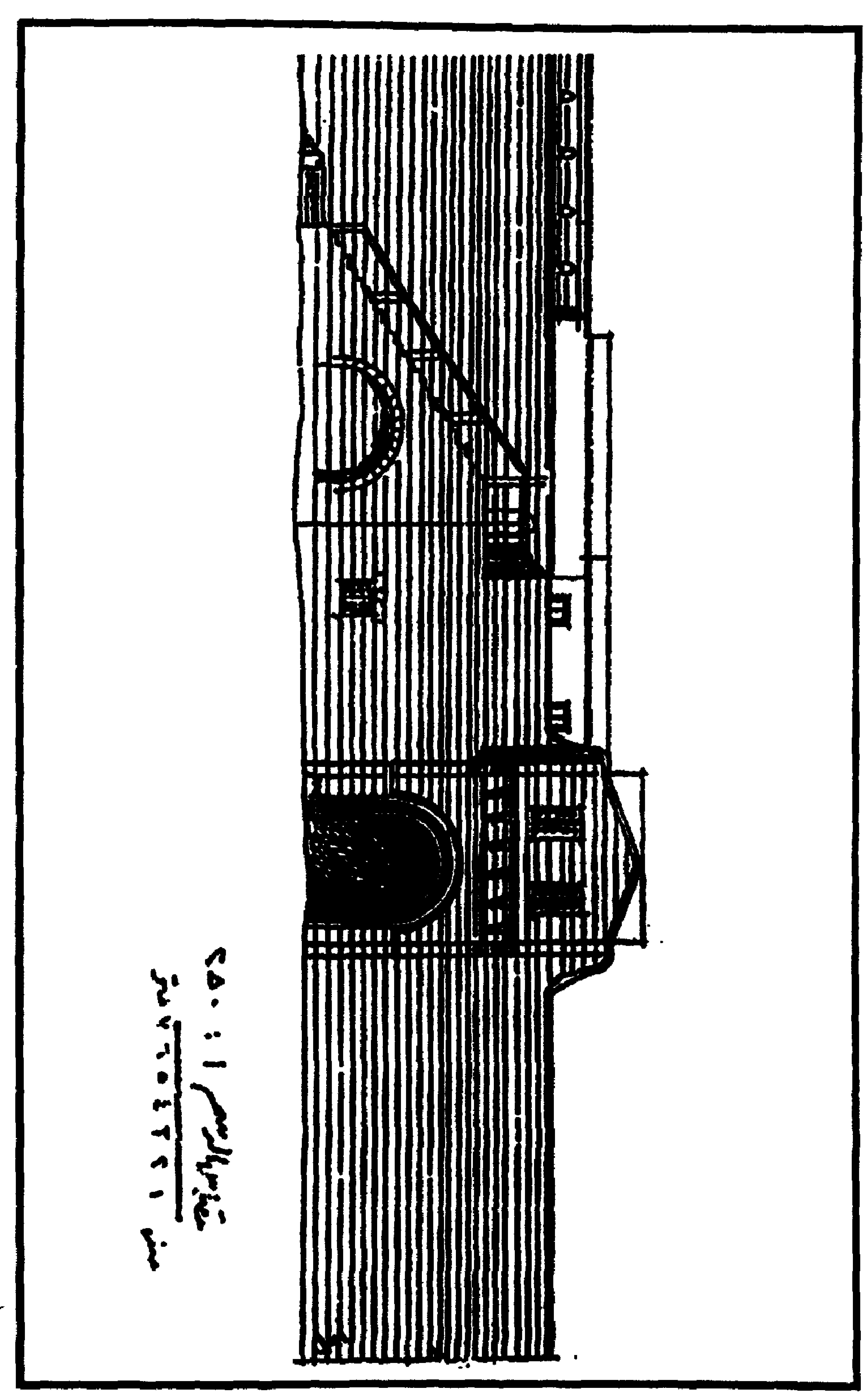
شكل (٥٣)

سراى العدل - مسقط أفقى عن حسن عبدالوهاب



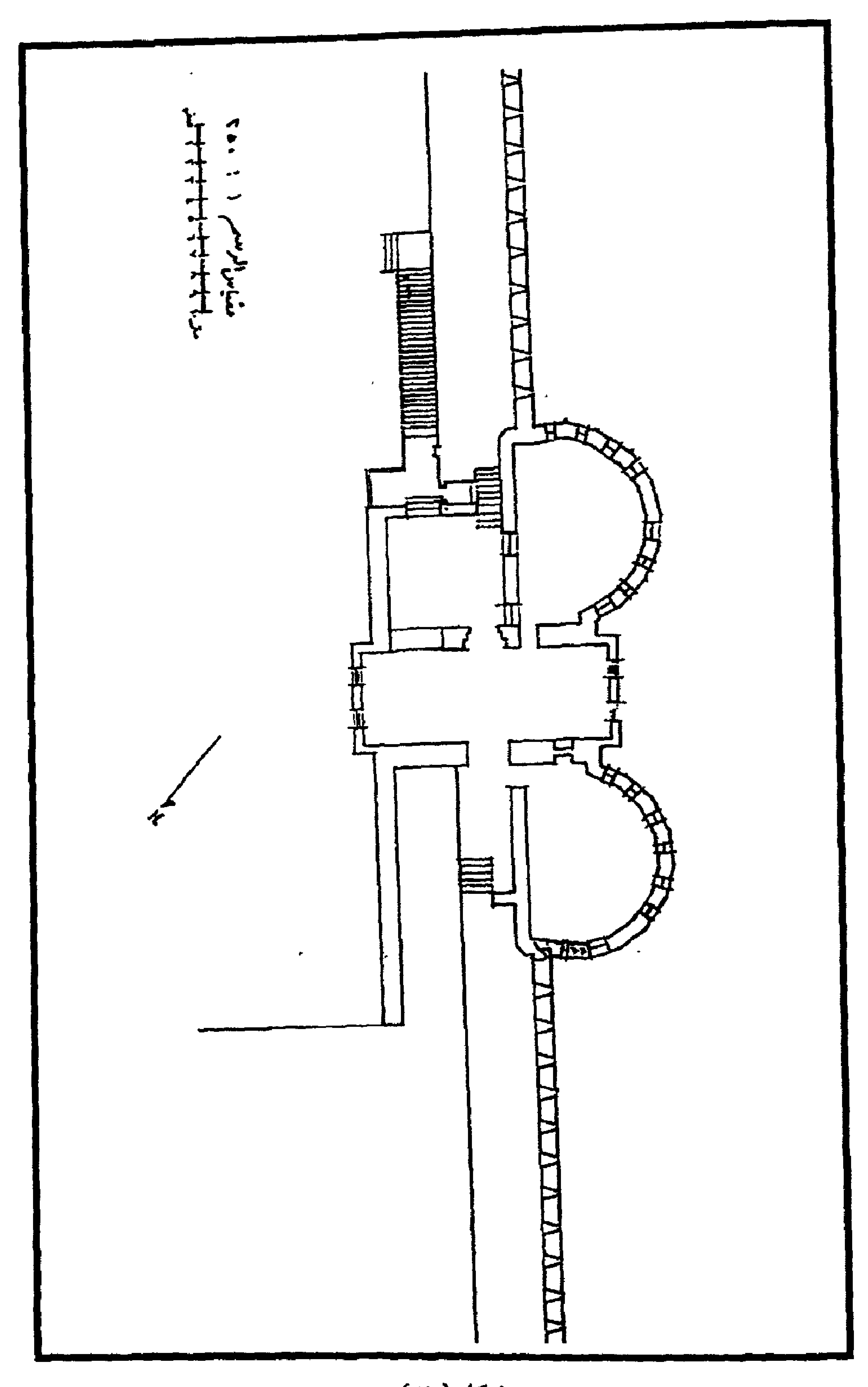
شكل (٥٤)

باب القلة - مسقط أفقى للدور الأرضى عن مركز تسجيل الآثار



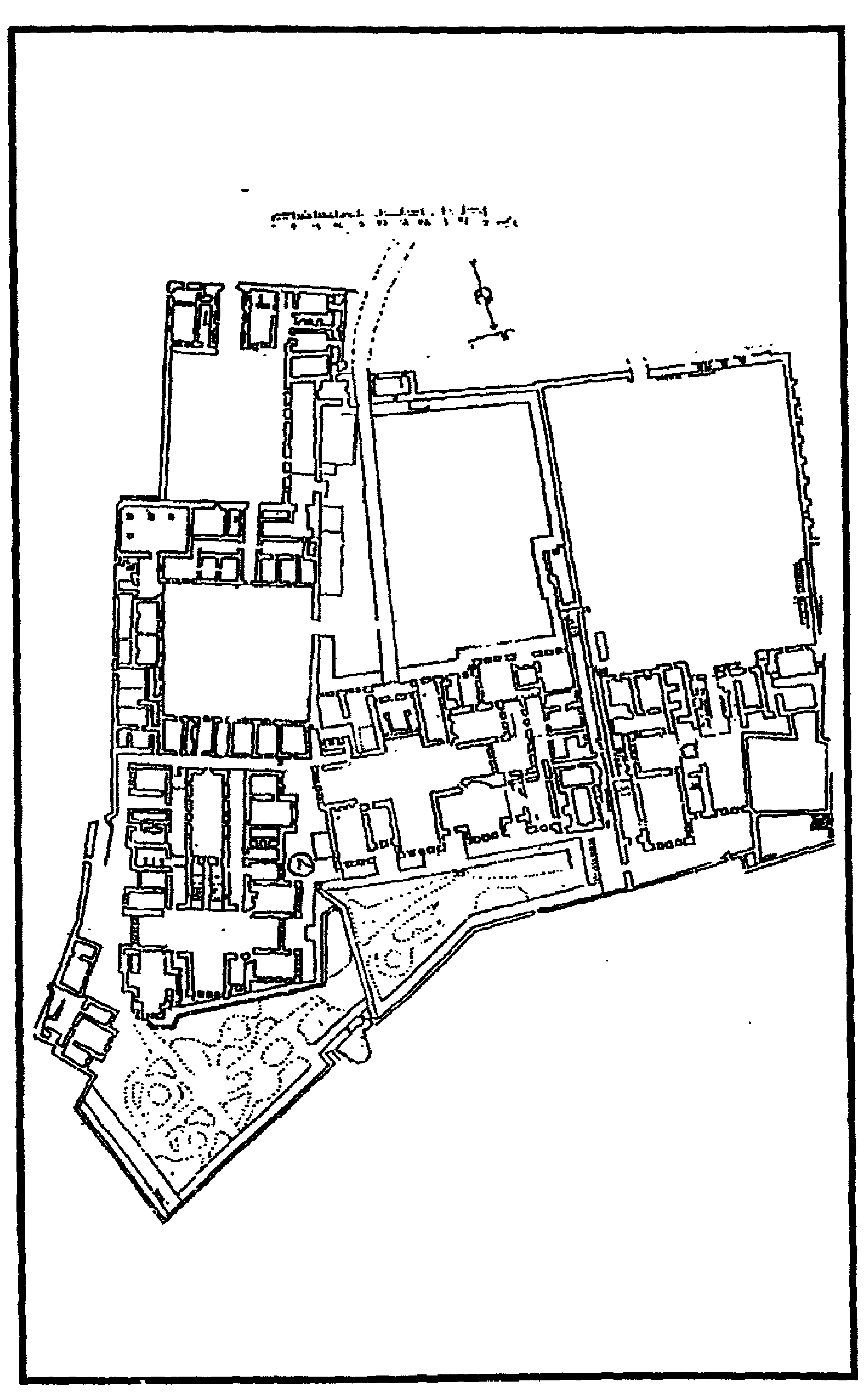
شكل (٥٥)

باب القلة - الواجهة الشمالية عن أمل محفوظ



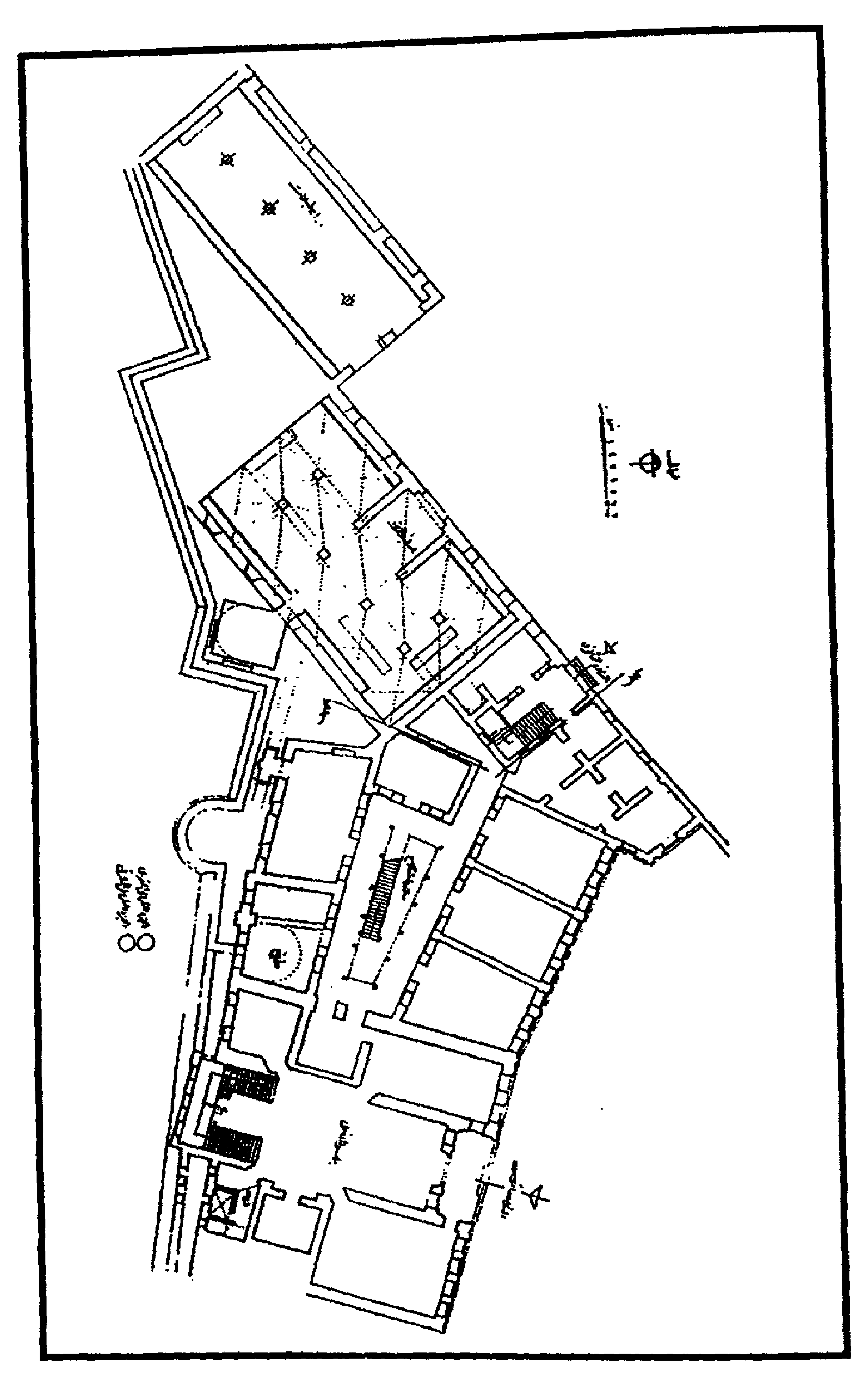
شكل (٥٦)

باب القلة - مسقط أفقى لحجرة الرماية والسلم الصاعد عن مركز تسجيل الآثار



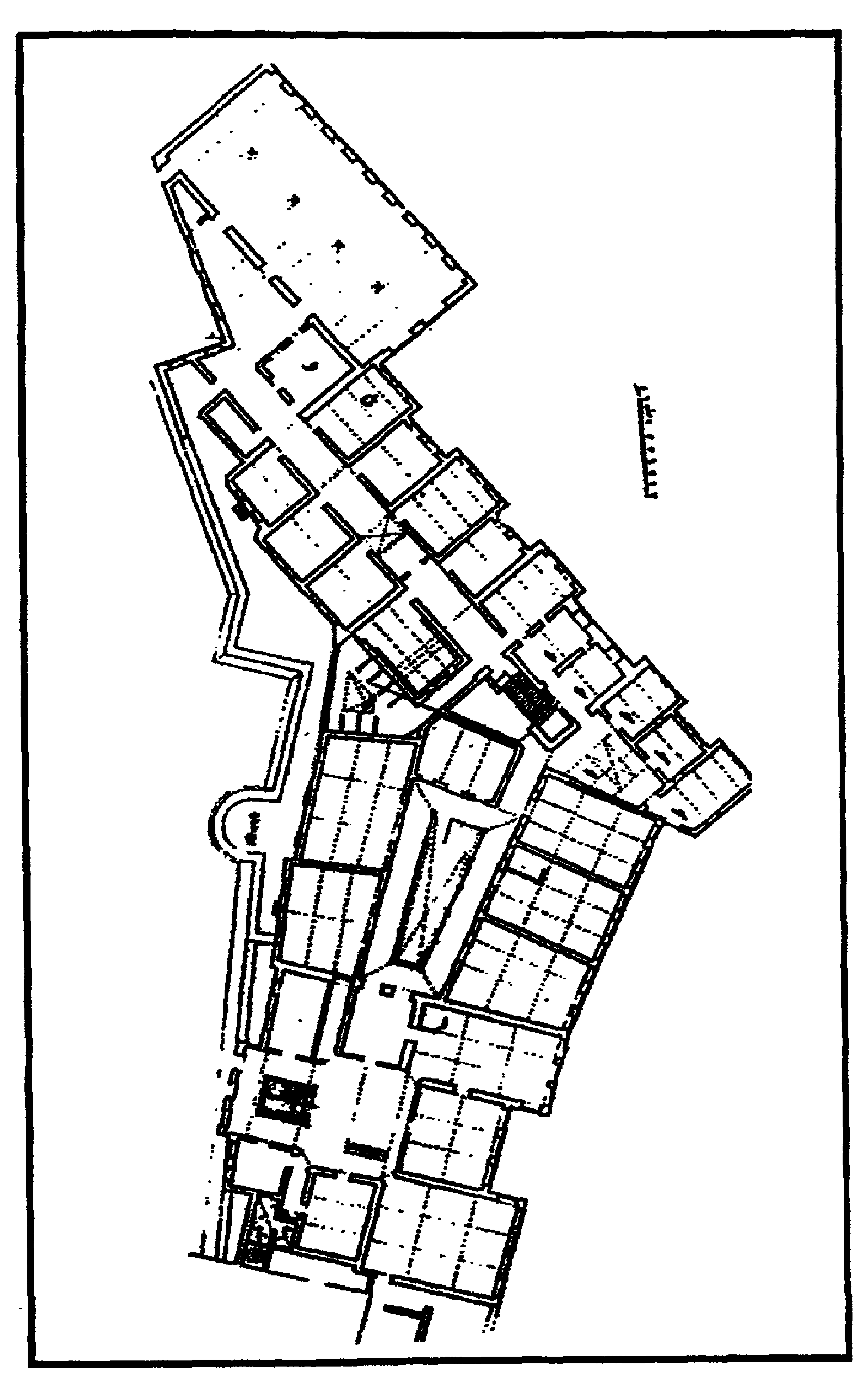
شكل (٥٧)

سراى الحريم - مسقط أفقى للدور الأرضى عن مركز تسجيل الآثار



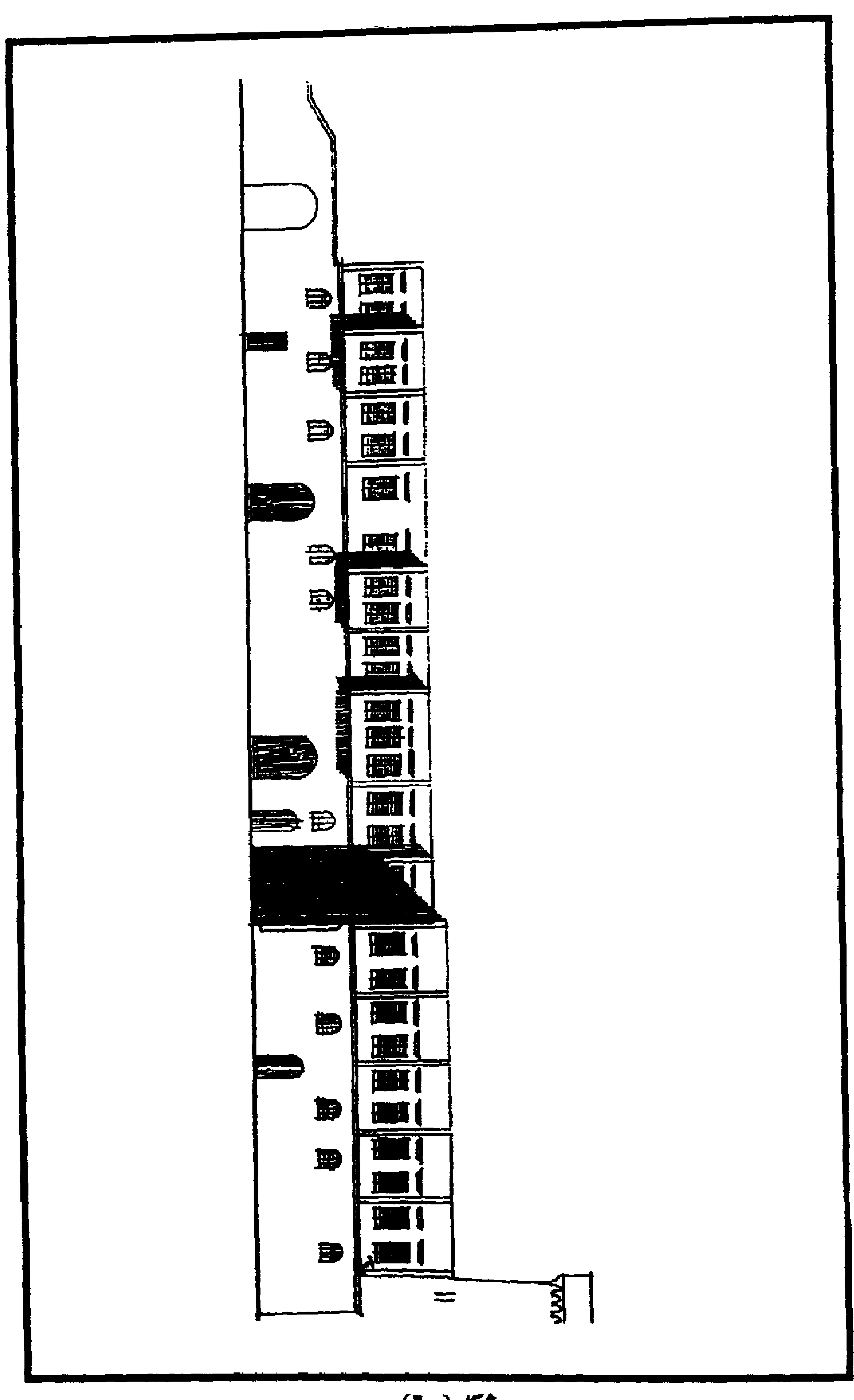
شكل (٥٨)

القصر الأحمر - مسقط أفقى للدور الأرضى عن محمود الألفى



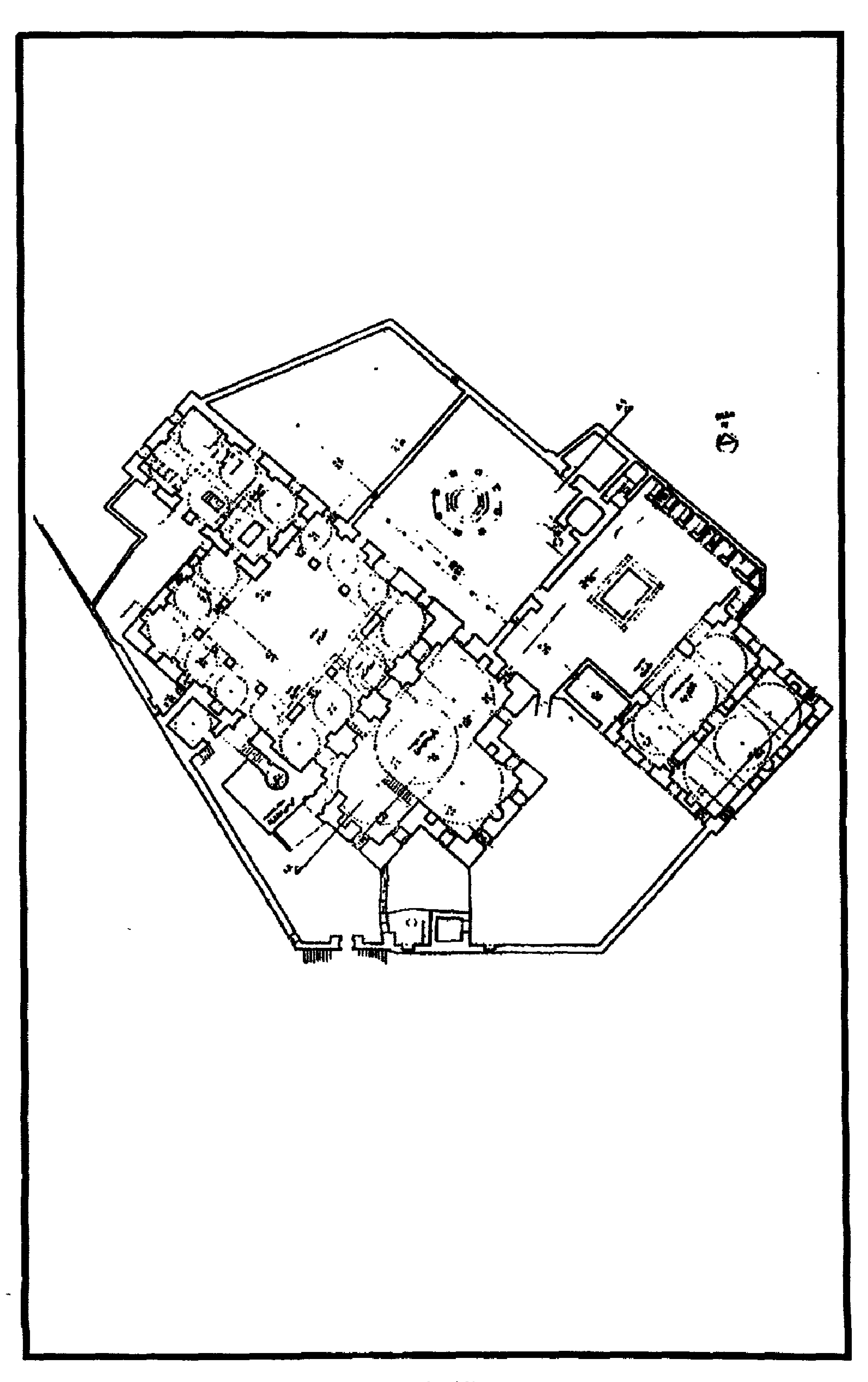
شكل (٥٩)

القصر الأحمر - مسقط أفقي للدور الأرضي عن محمود الألفي

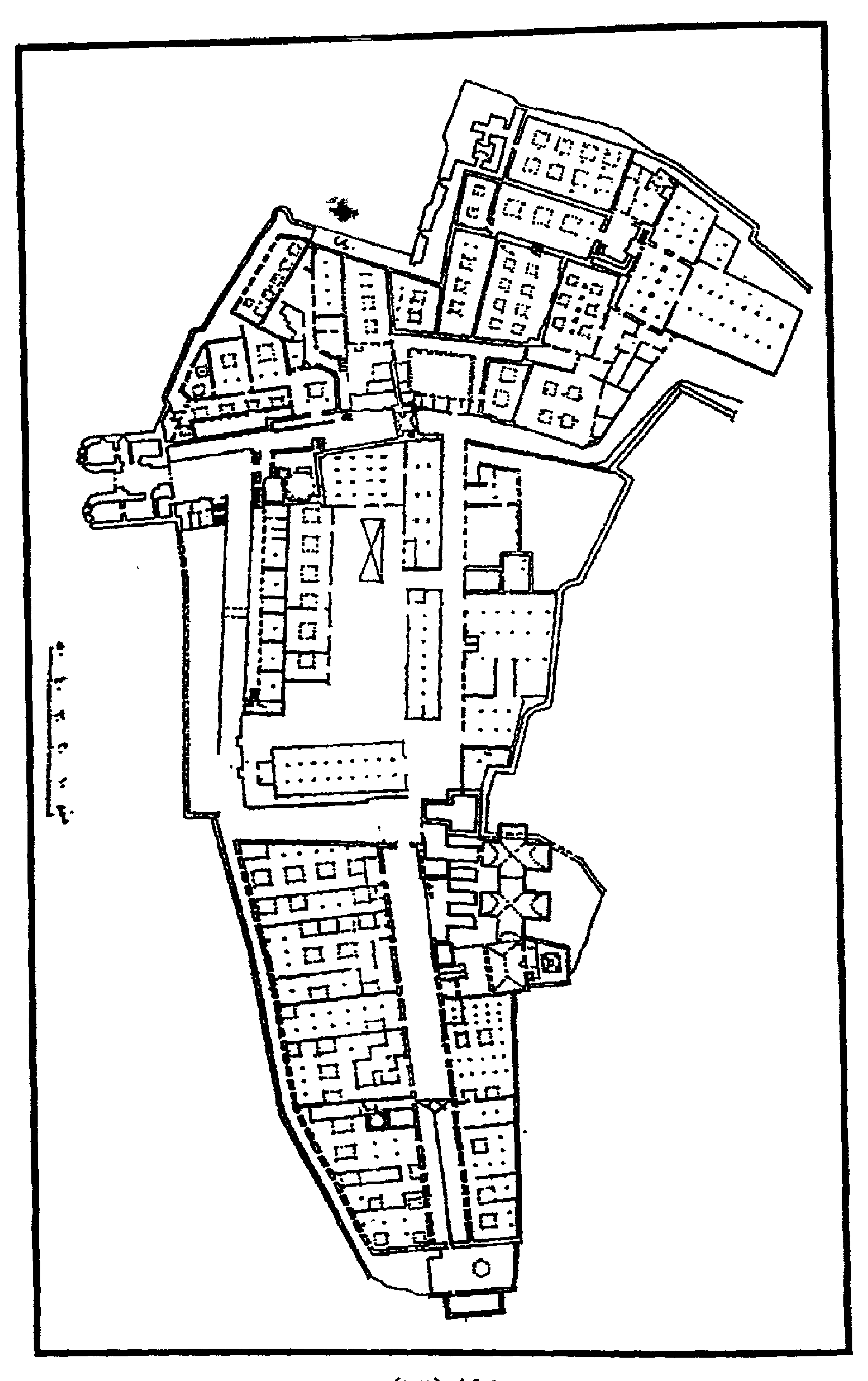


شكل (٦٠)

القصر الأحمر - الواجهة الرئيسية عن محمود الألفى

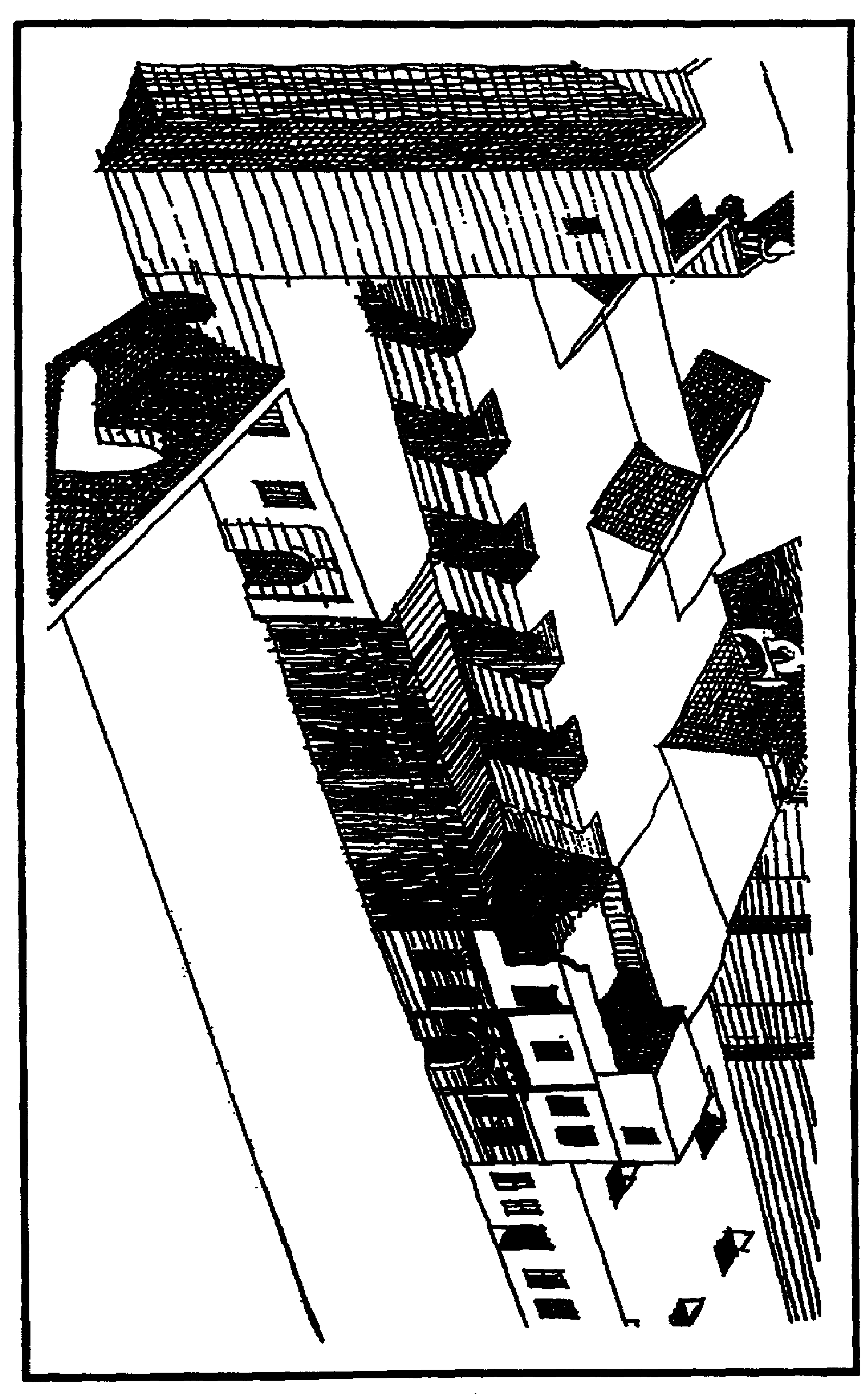


شكل (٦١)
جامع سارية الجبل (سنان باشا) - عن مركز تسجيل الآثار



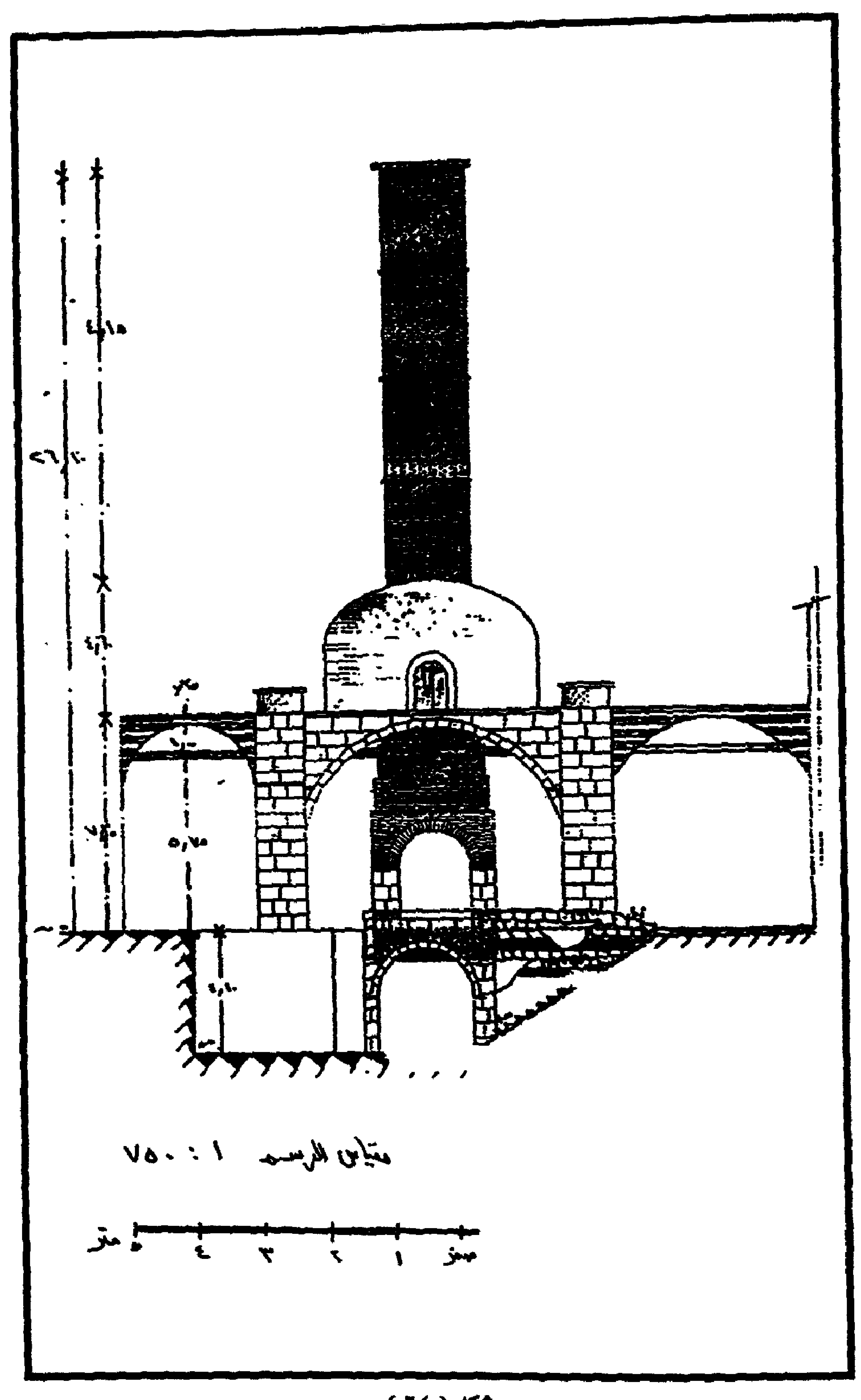
شكل (٦٢)

دار الصناعة - مسقط أفقى عن صادق محمد طه



شكل (٦٣)

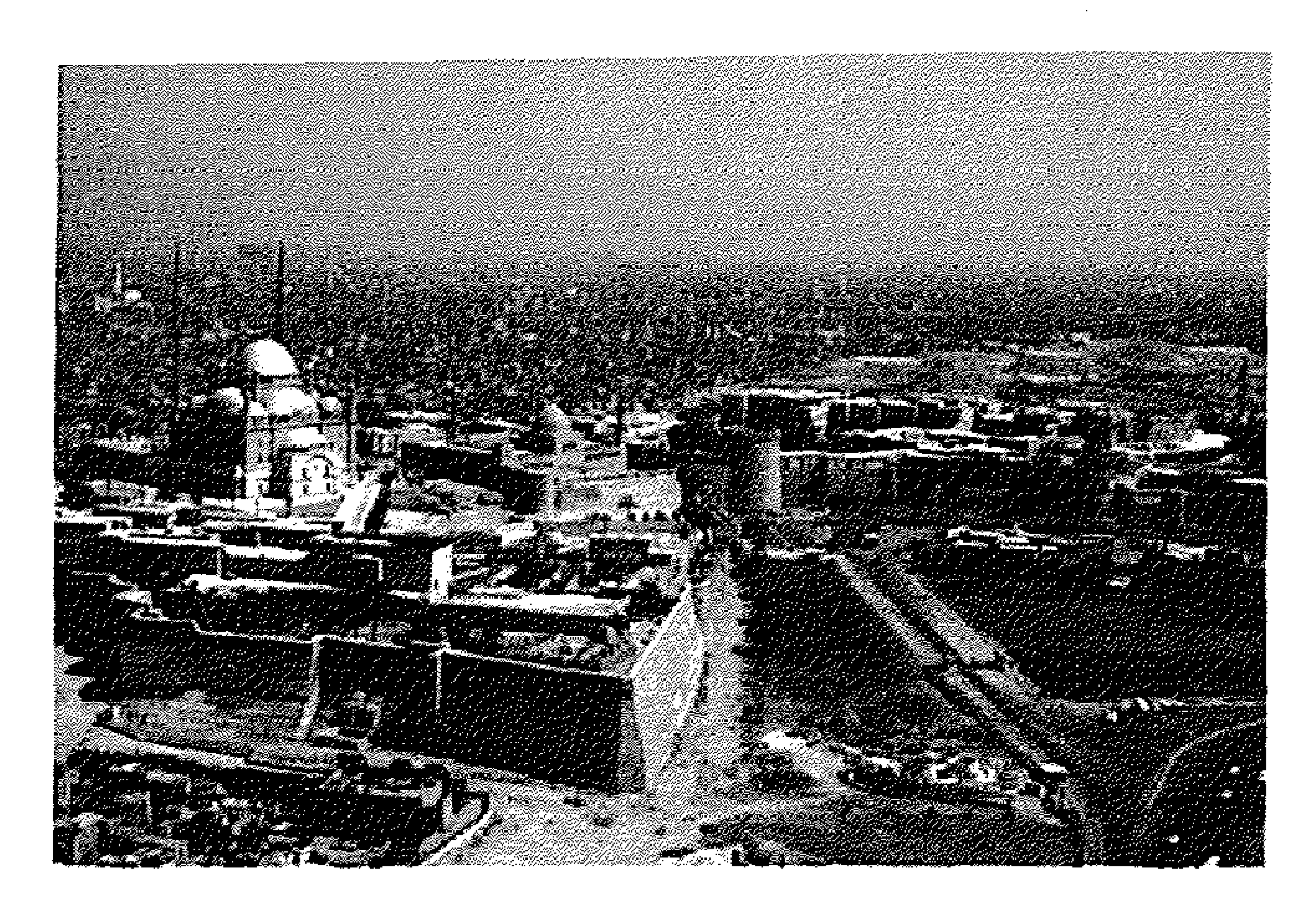
مسبك المدافع بالقلعة - منظور عن أمل محفوظ



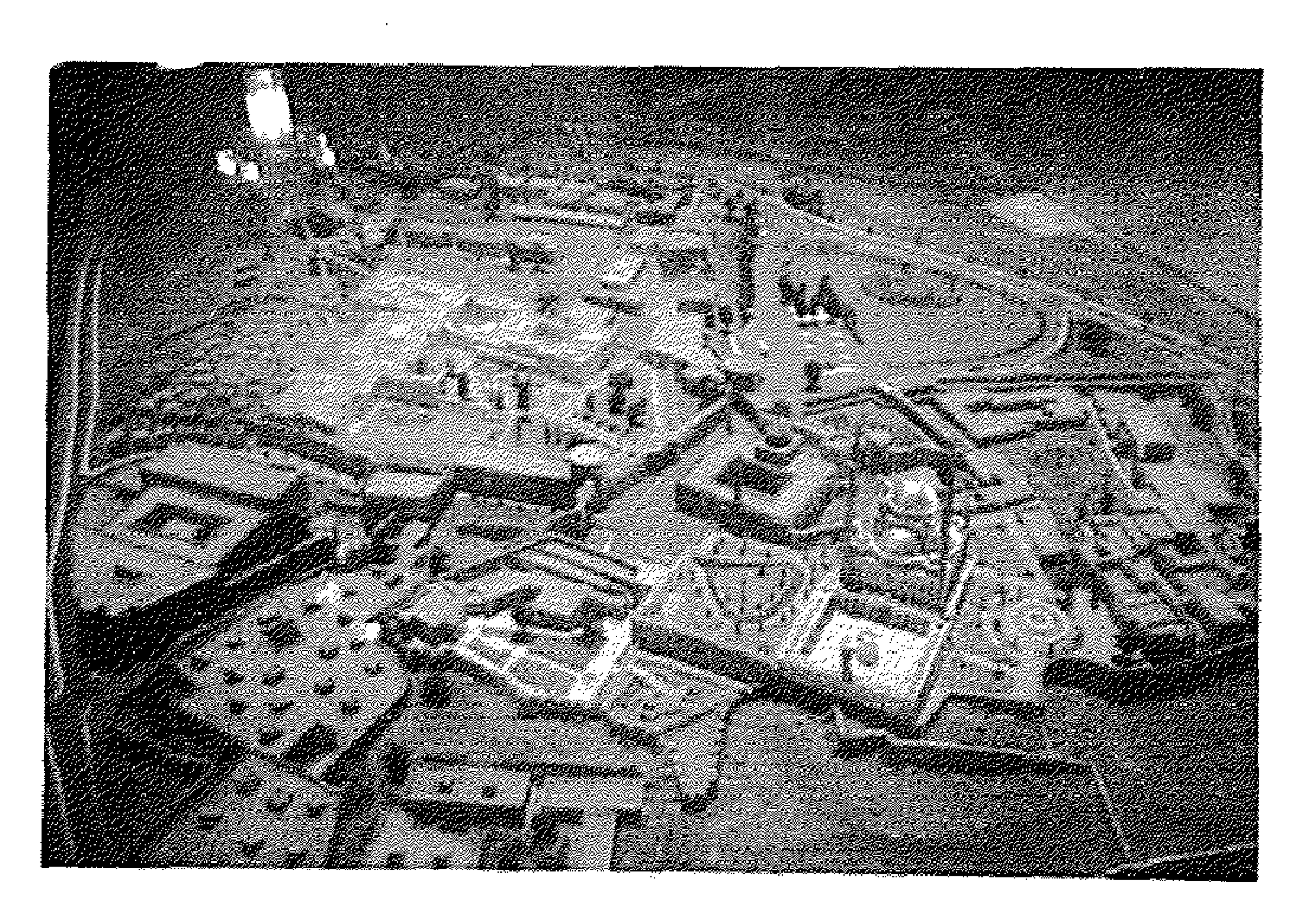
شكل (٦٤)

مدخنة مسبك النحاس - قطاع طولى عن أمل محفوظ

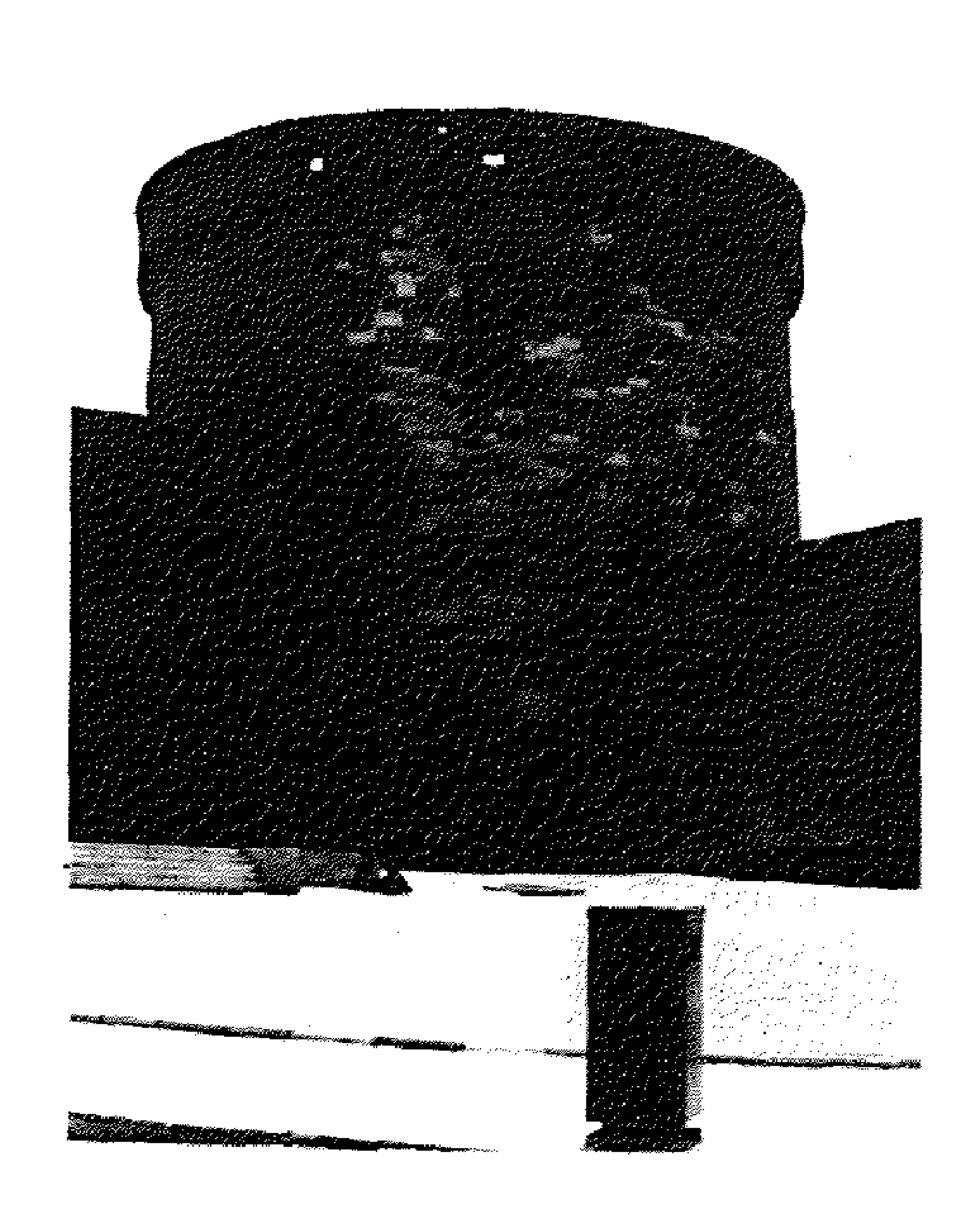
لوح الفصل الثانى



صورة (٣٧) قلعة الجبل - الموقع العام

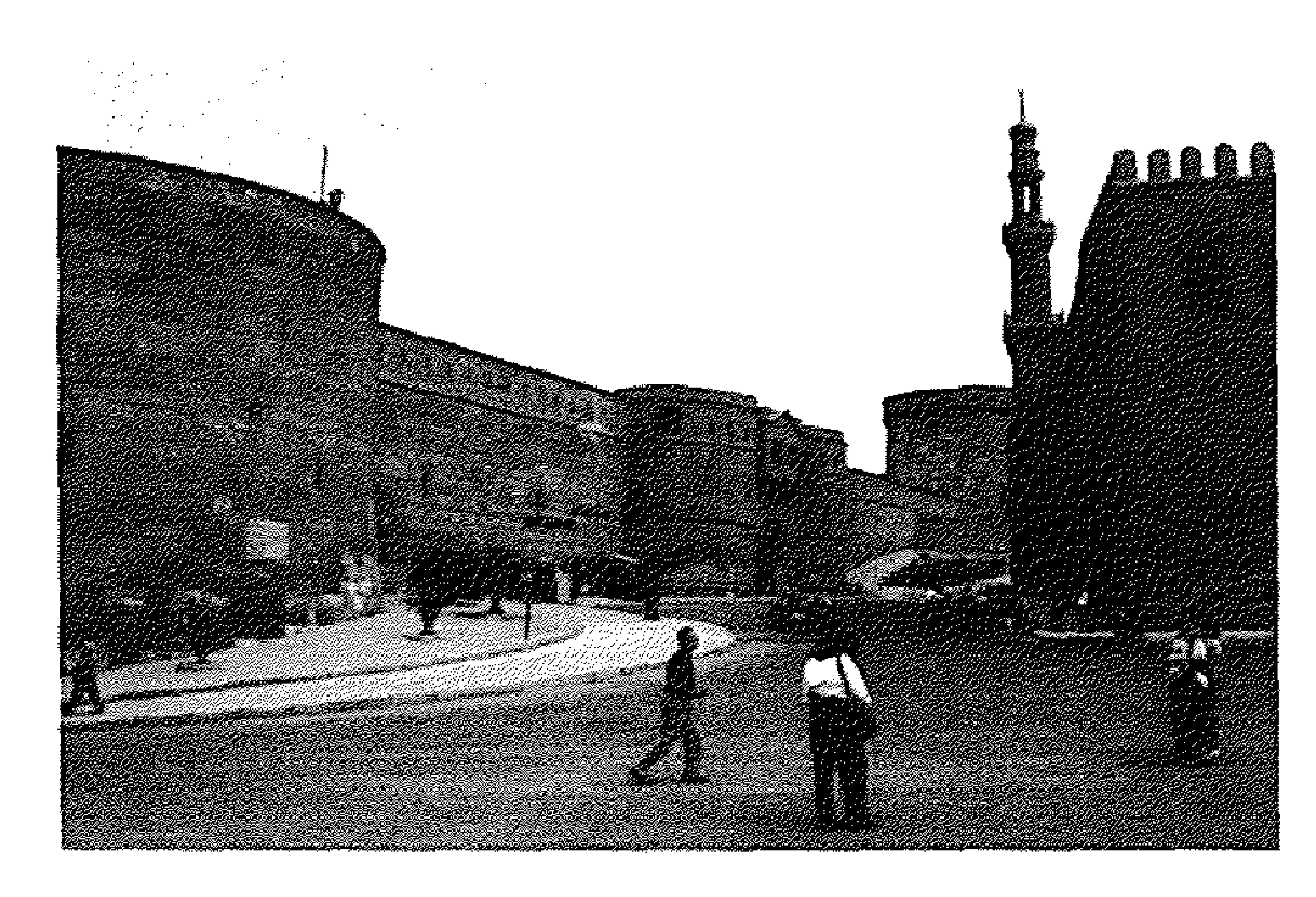


صورة (٣٨)
قلعة الجبل - منظر عام

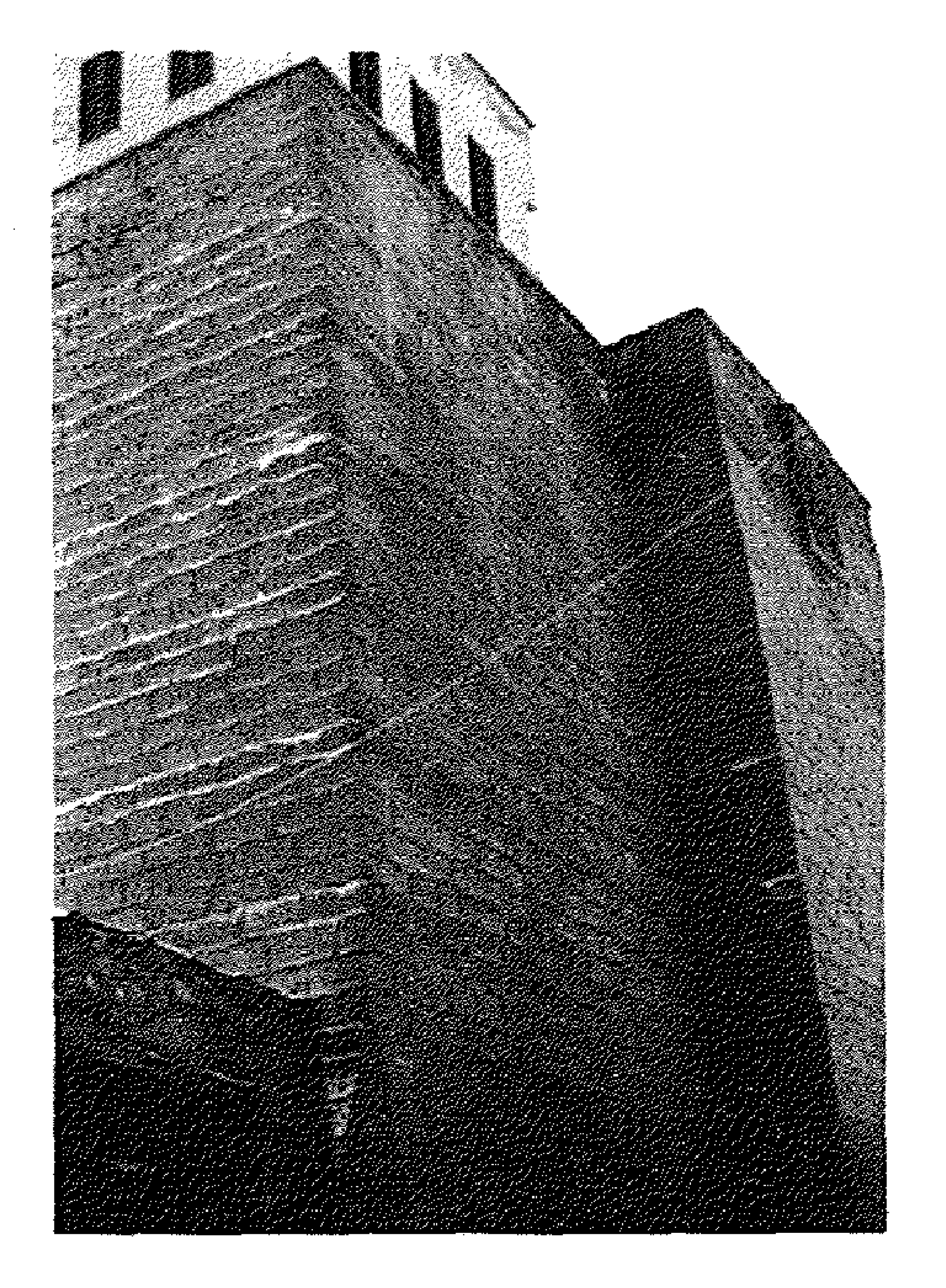




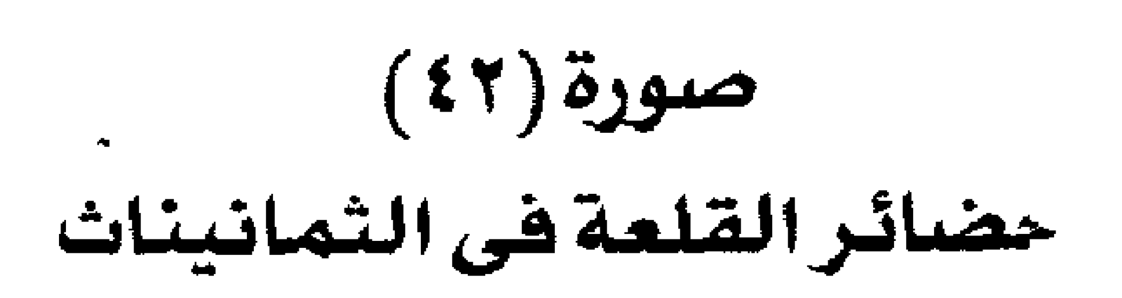
صورة (٣٩) برج المقطم



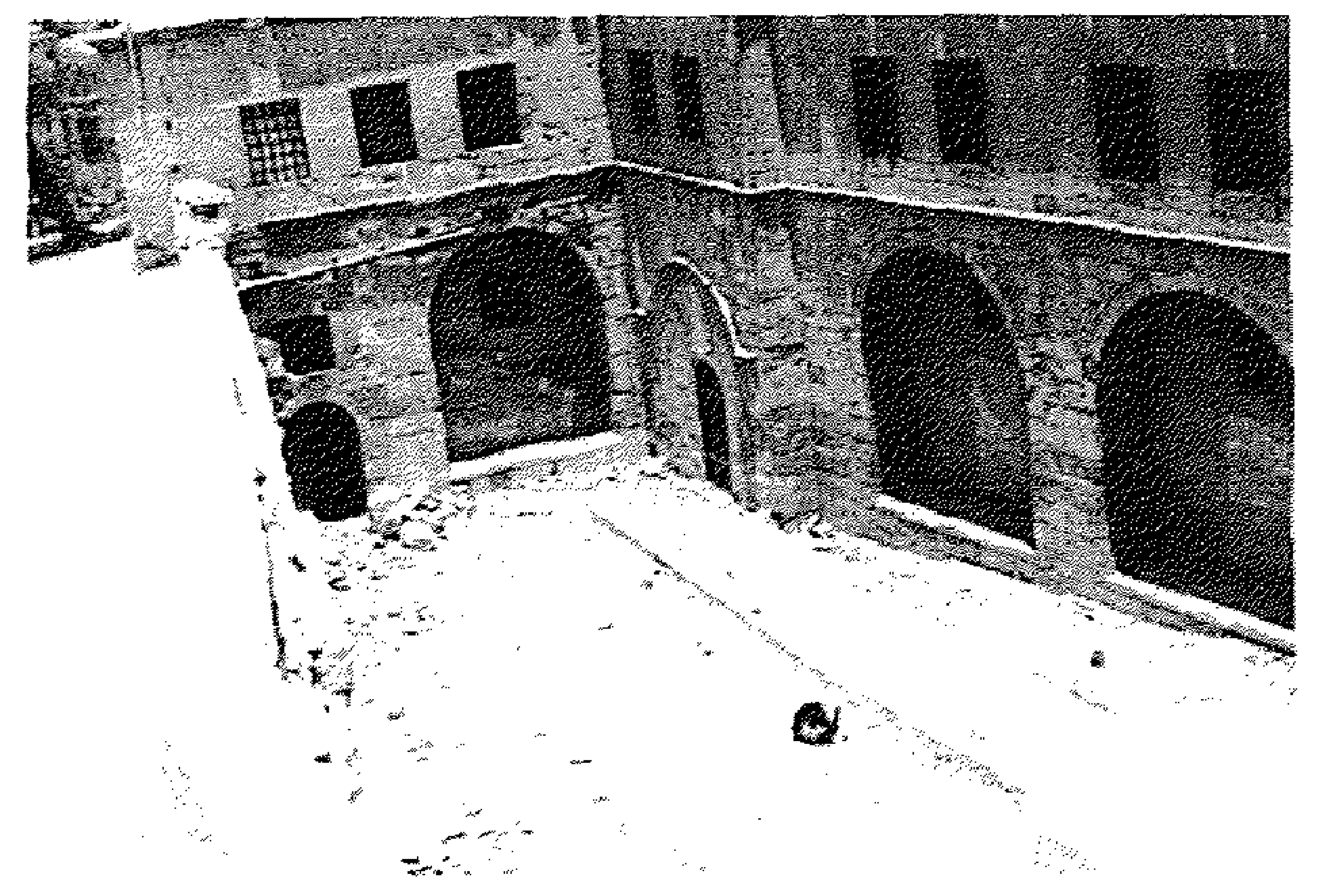
صورة (٤٠)
برج المقطم وباب القلة والبرج الوسطانى

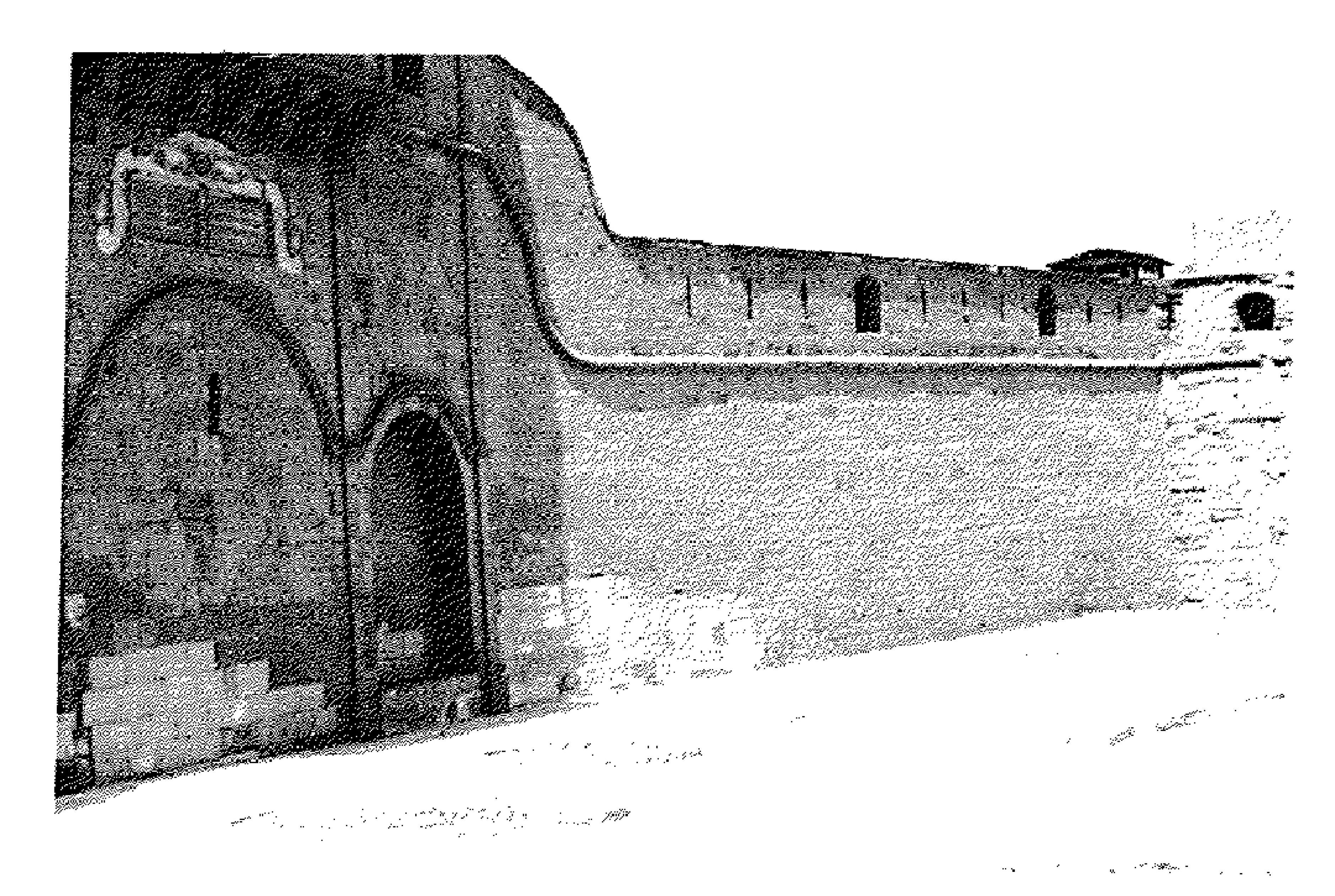


صورة (٤١) برج الشخص



صورة (٤٢)
حضائر القلعة فى الثمانينات

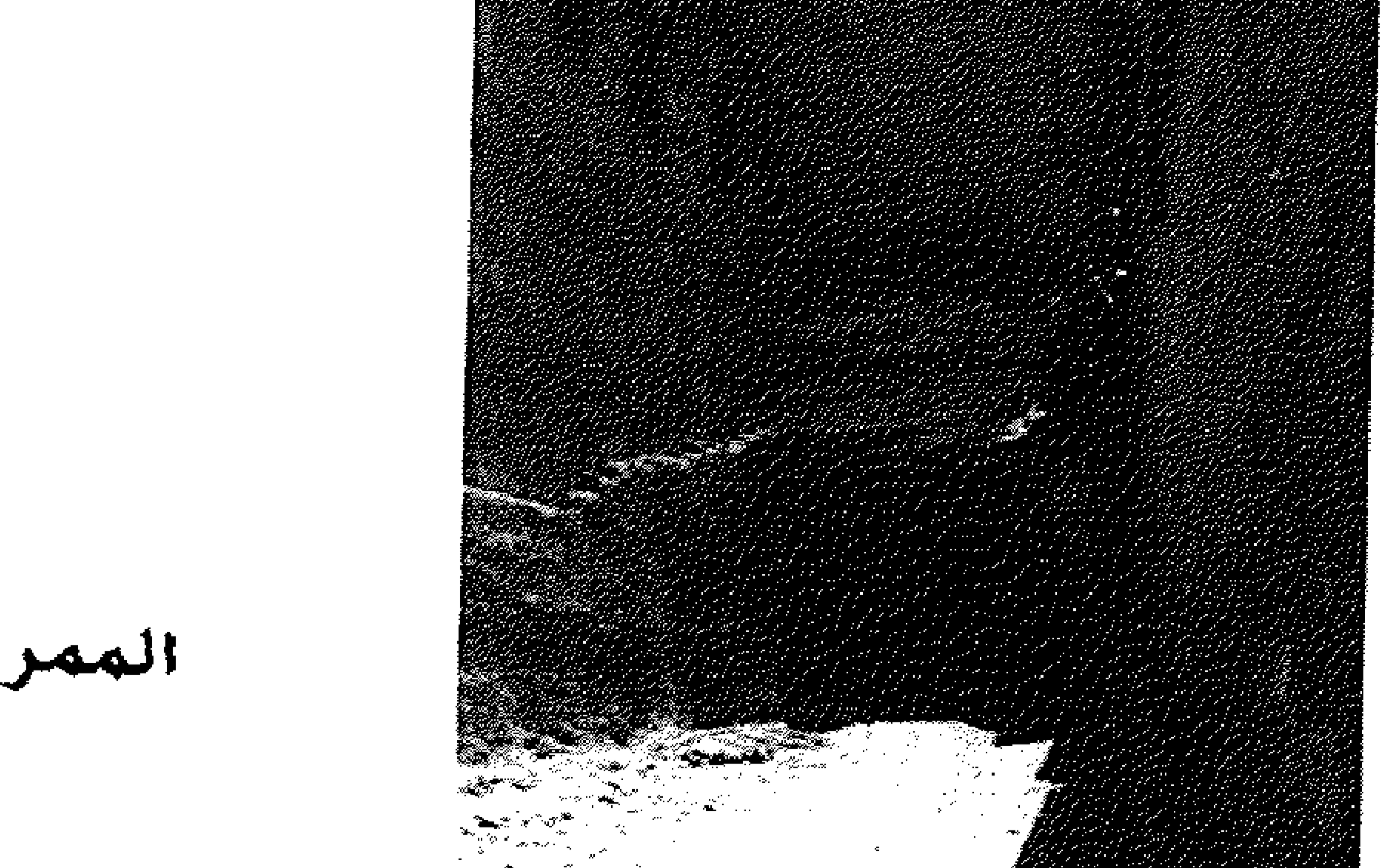




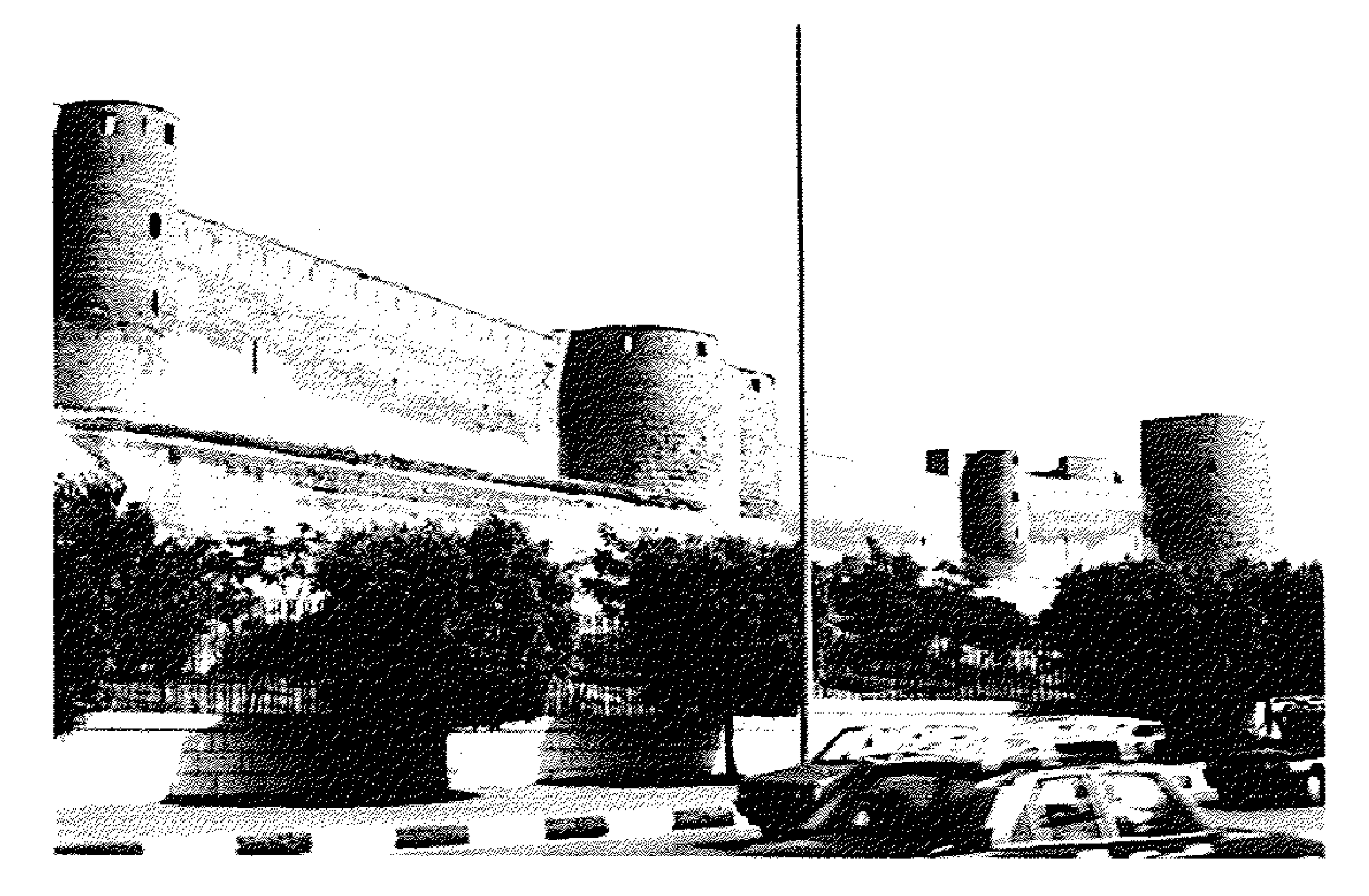
صورة ([illegible])
مدخل الباب المدرج أسفل نص تجديد محمد على



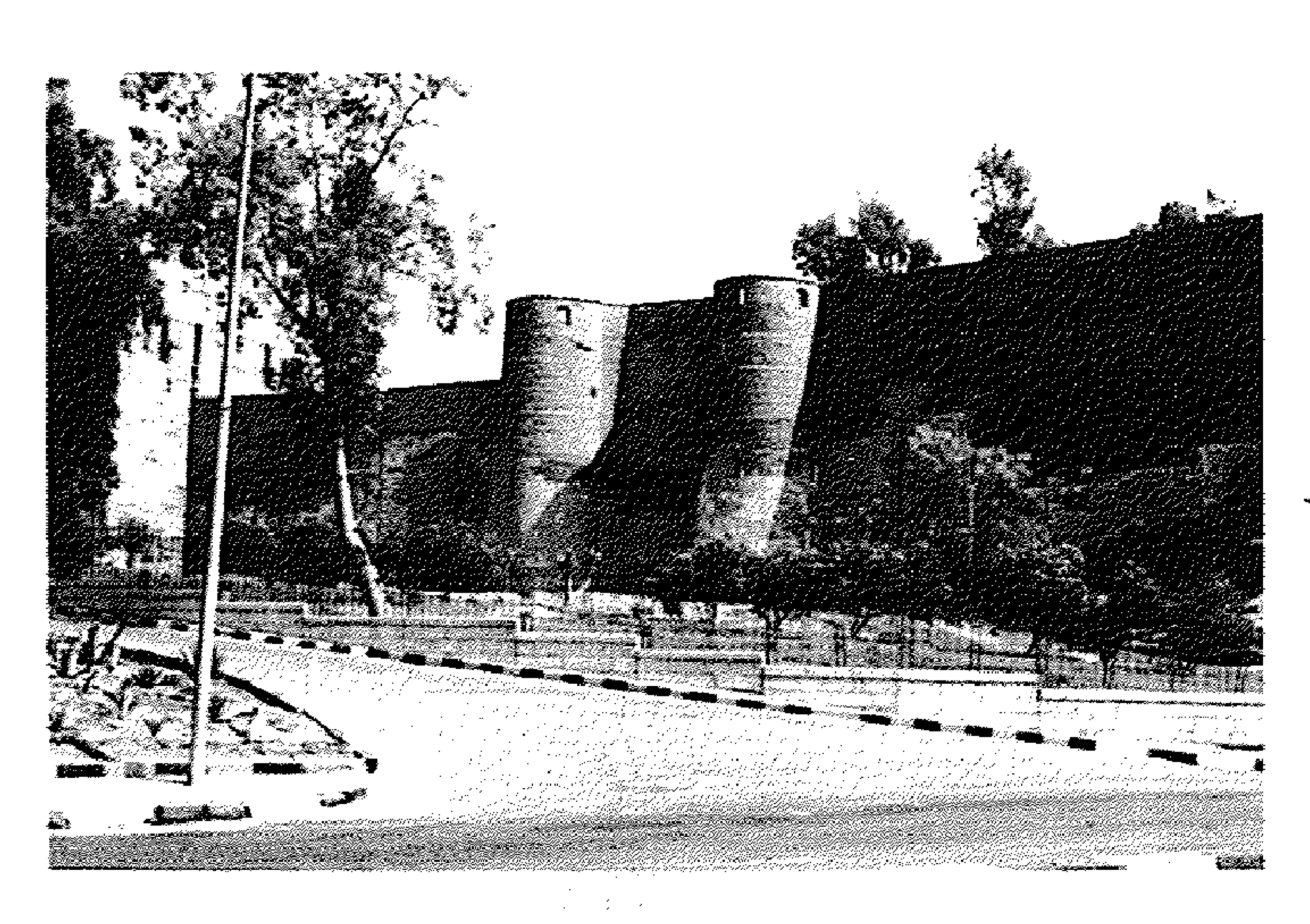
صورة (٤٤)
الممر الصخرى أو الدرب السلطانى



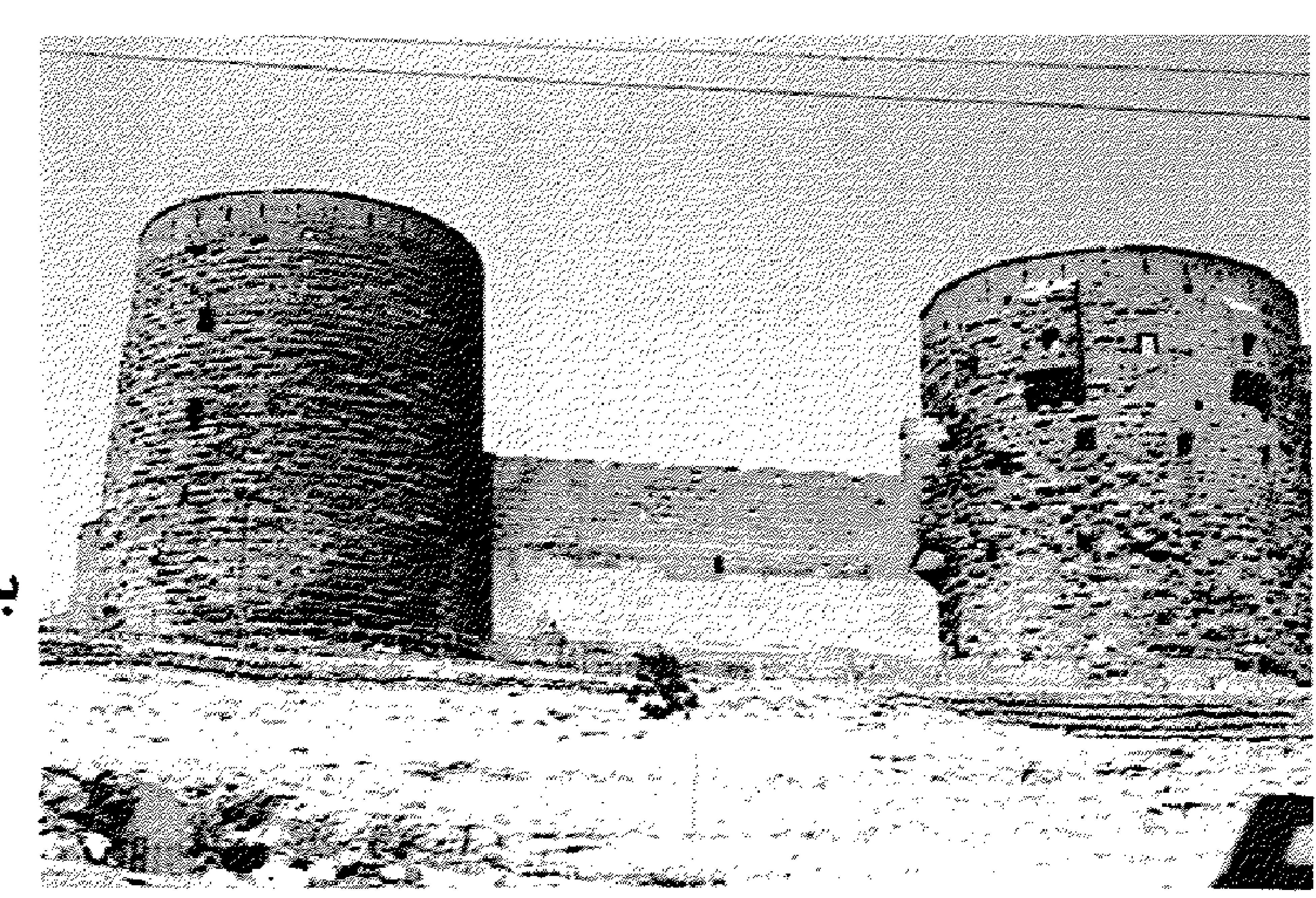
صورة (٤٥)
الممر الصخرى أو الدرب السلطانى



صورة (٤٦)
أبراج المقوصر والقرافة والإمام



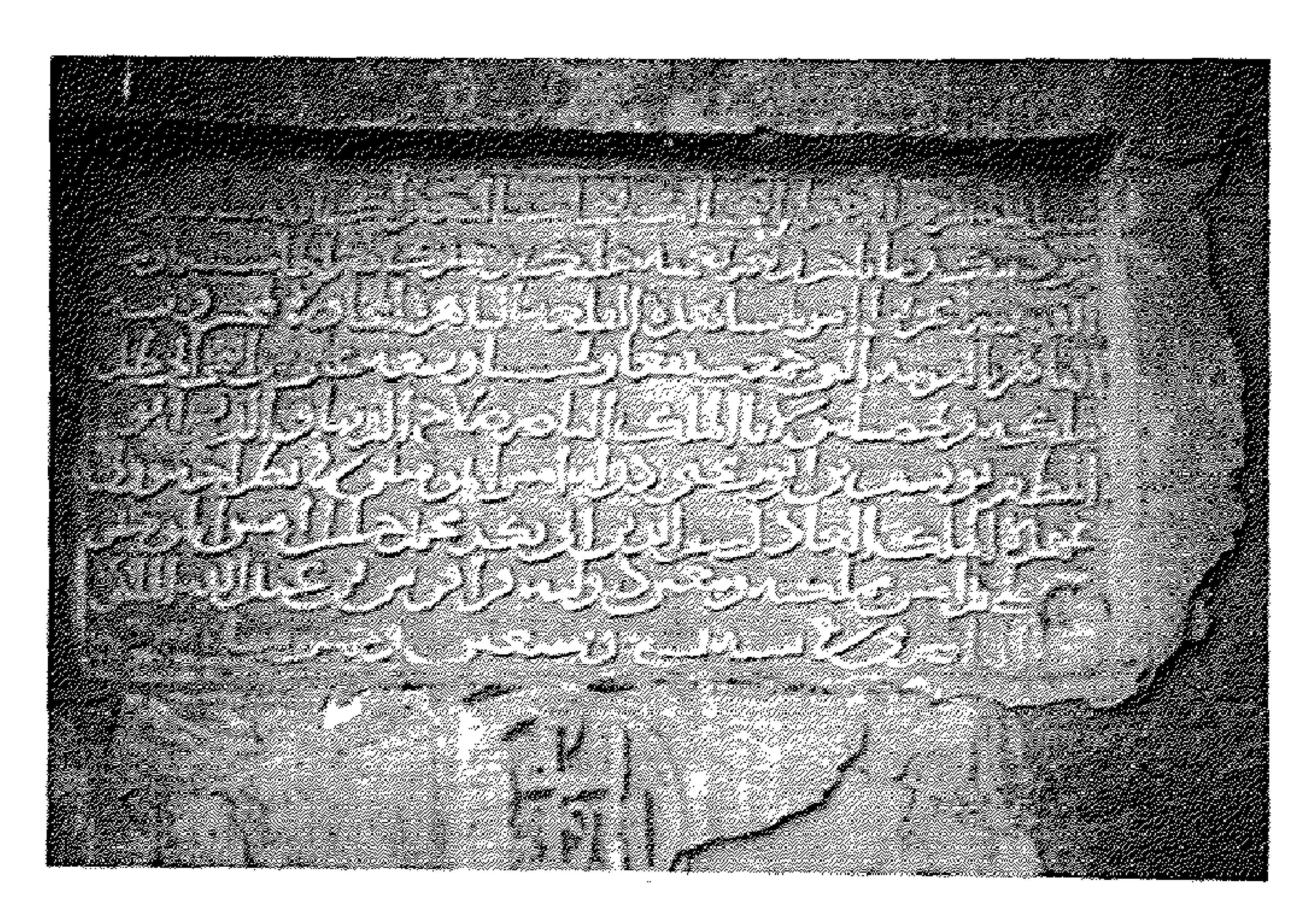
صورة (٤٧) برج المطار



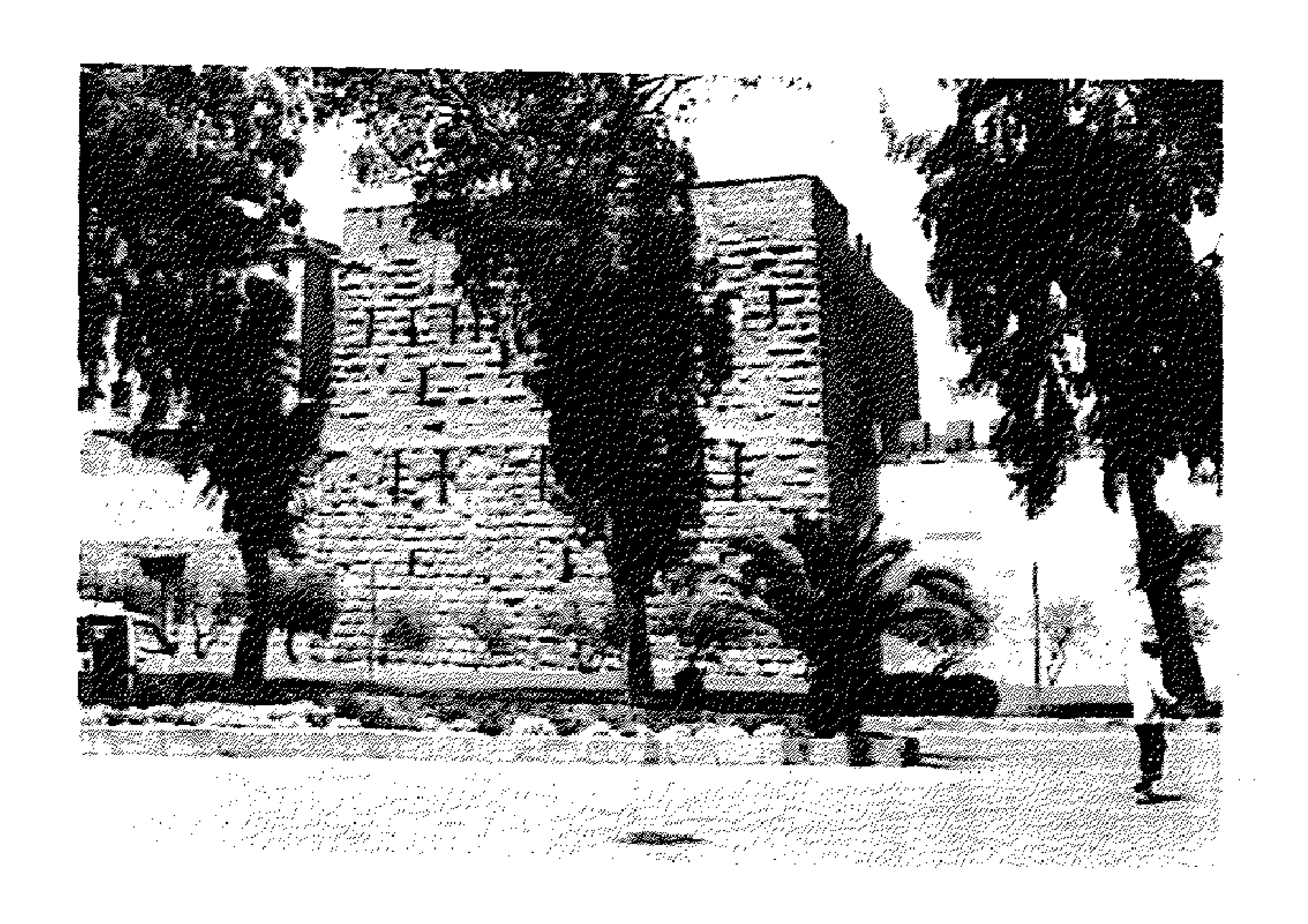
صورة (٤٨)
برجا الرملة والحداد



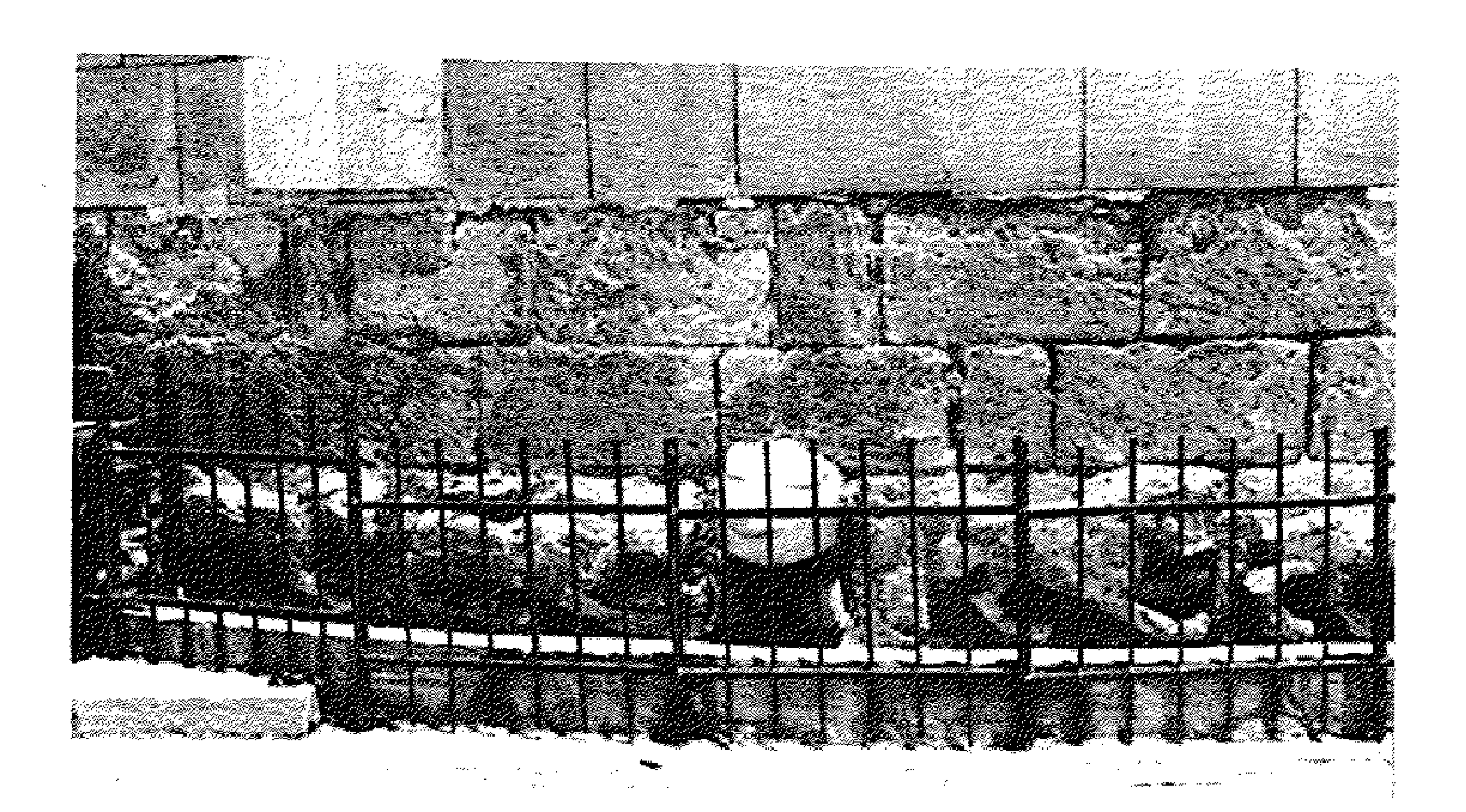
صورة (٤٩) النسر الأيوبى



صورة (٥٠) نص تأسيس القلعة



صورة (٥١) برج كركليان



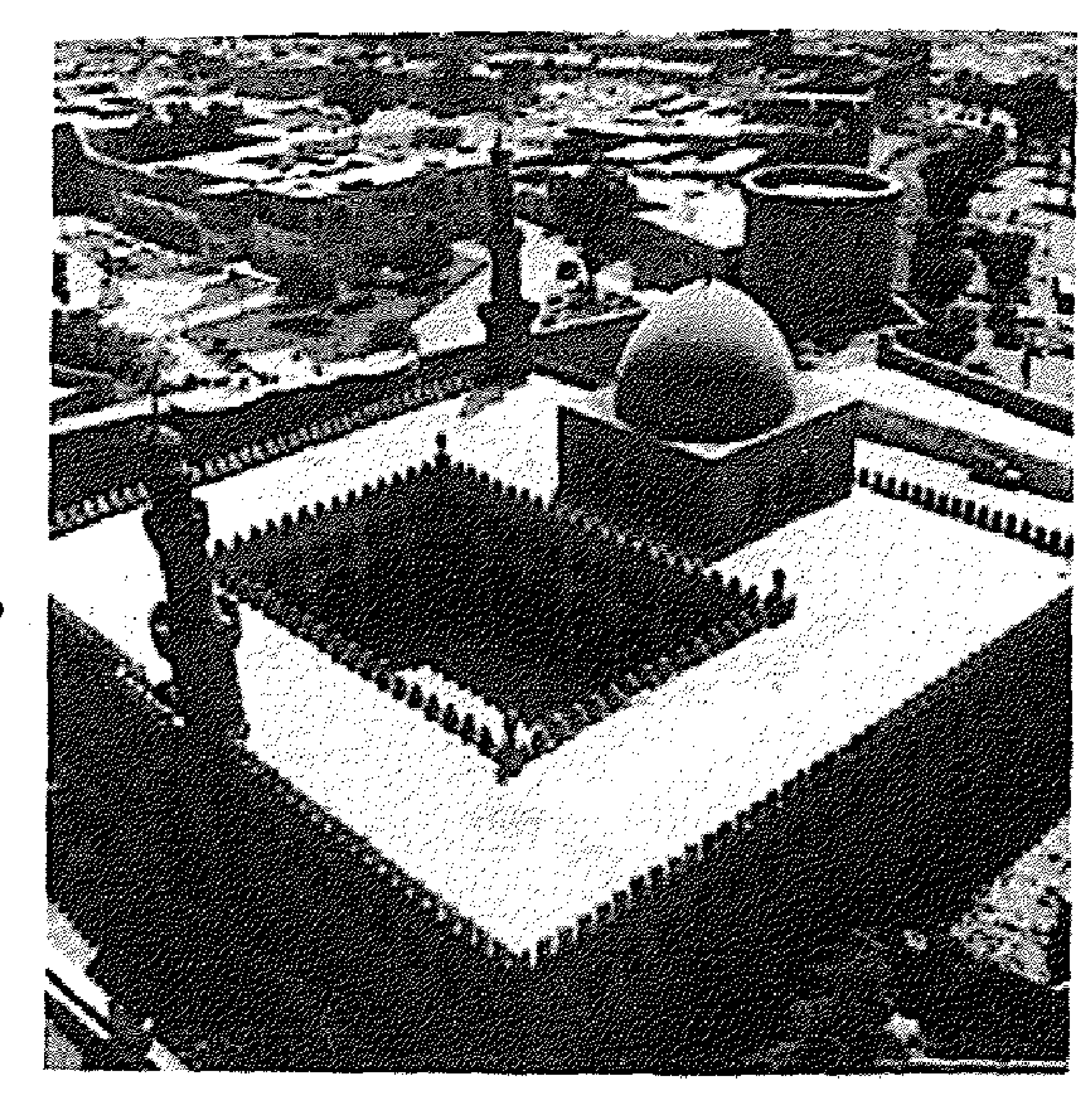
صورة (٥٢) برج السباع



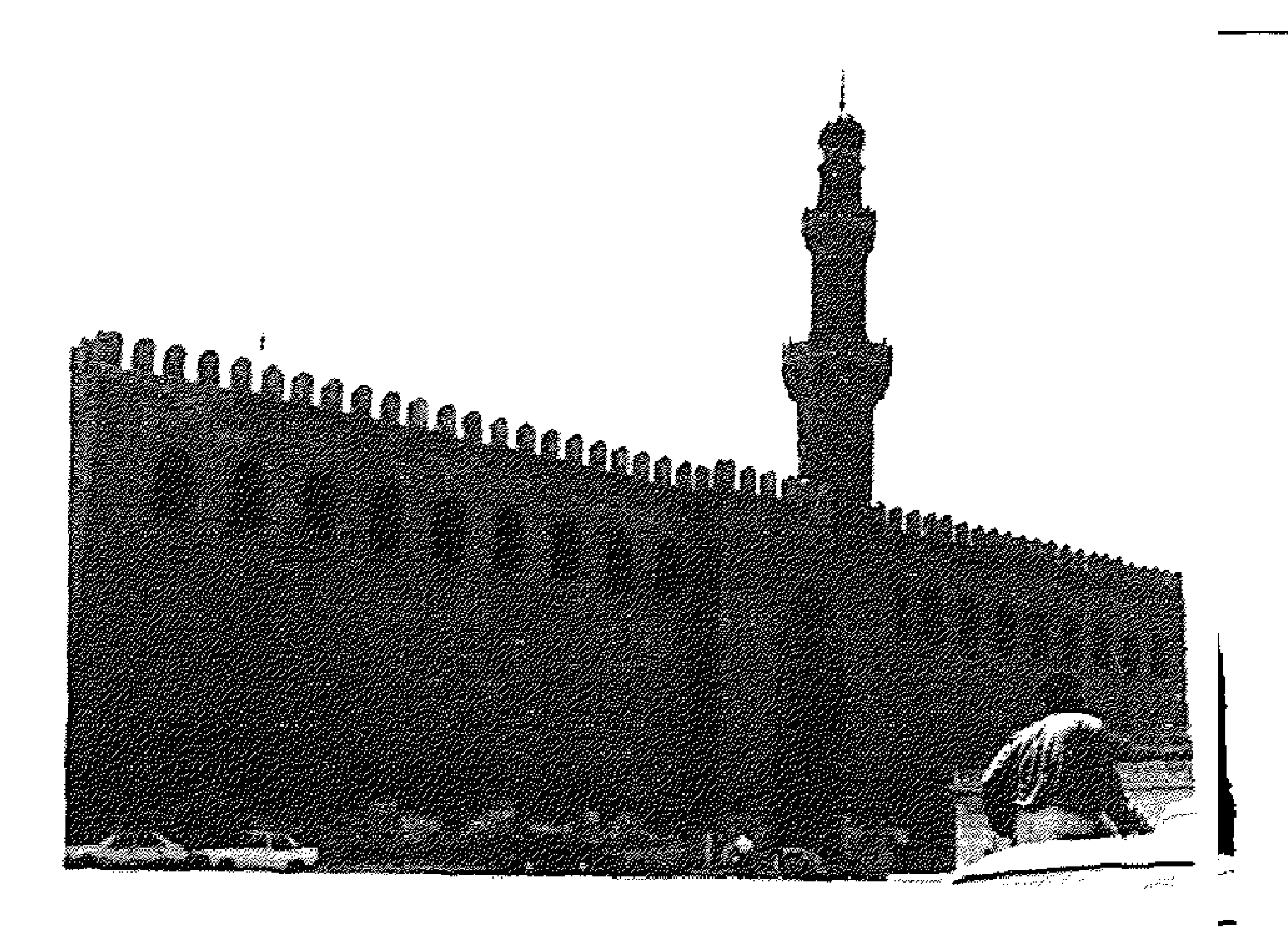
صورة (٥٣) الواجهة الشمالية للباب الجديد



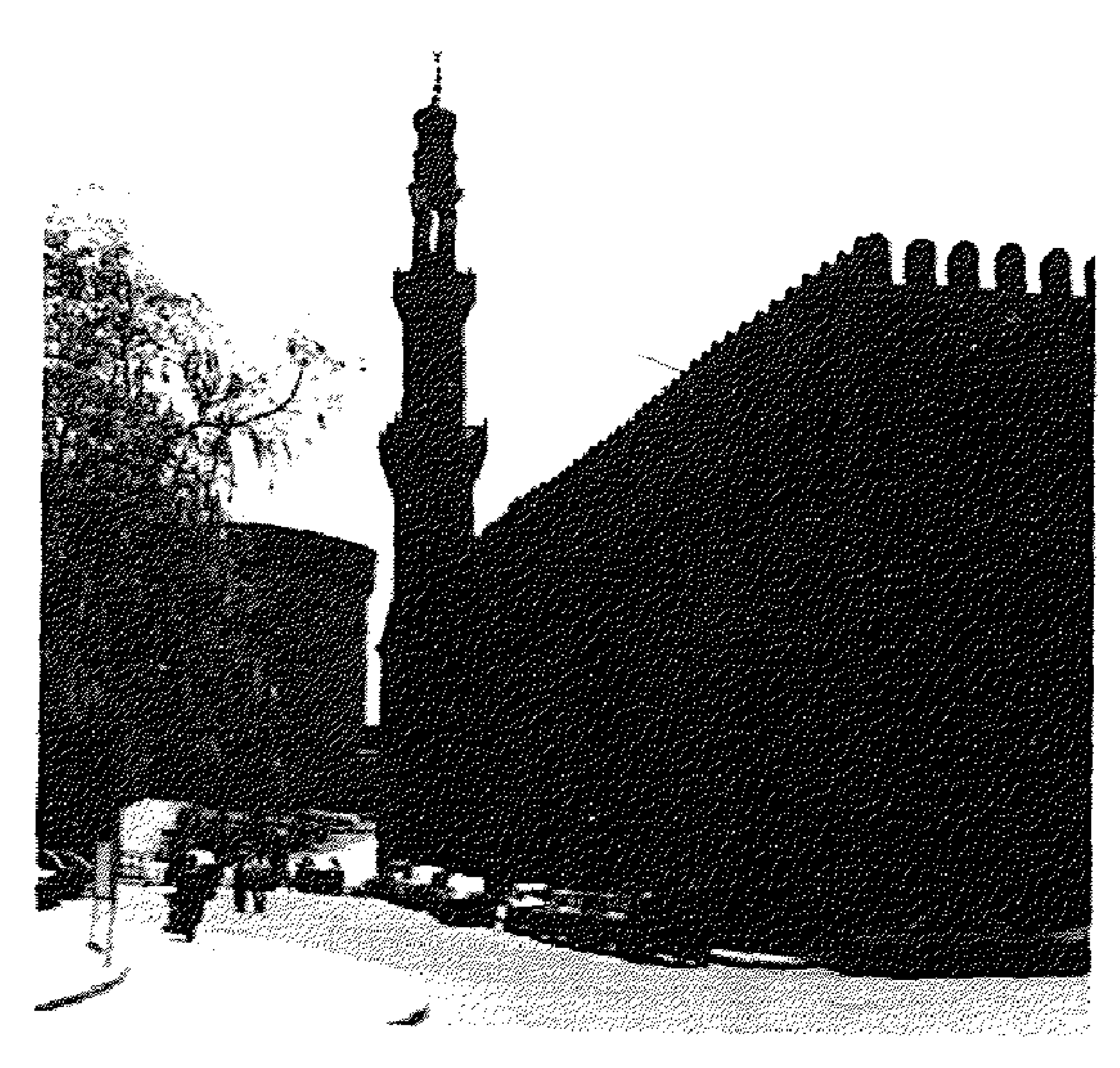
صورة (٥٤) الواجهة الشمالية للباب الوسطانى

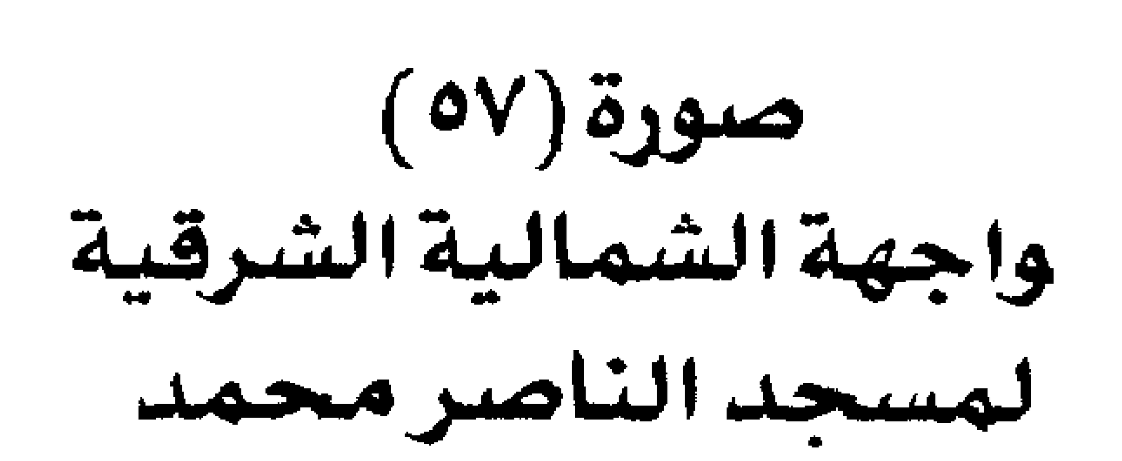


صورة (٥٥) مسجد الناصر محمد

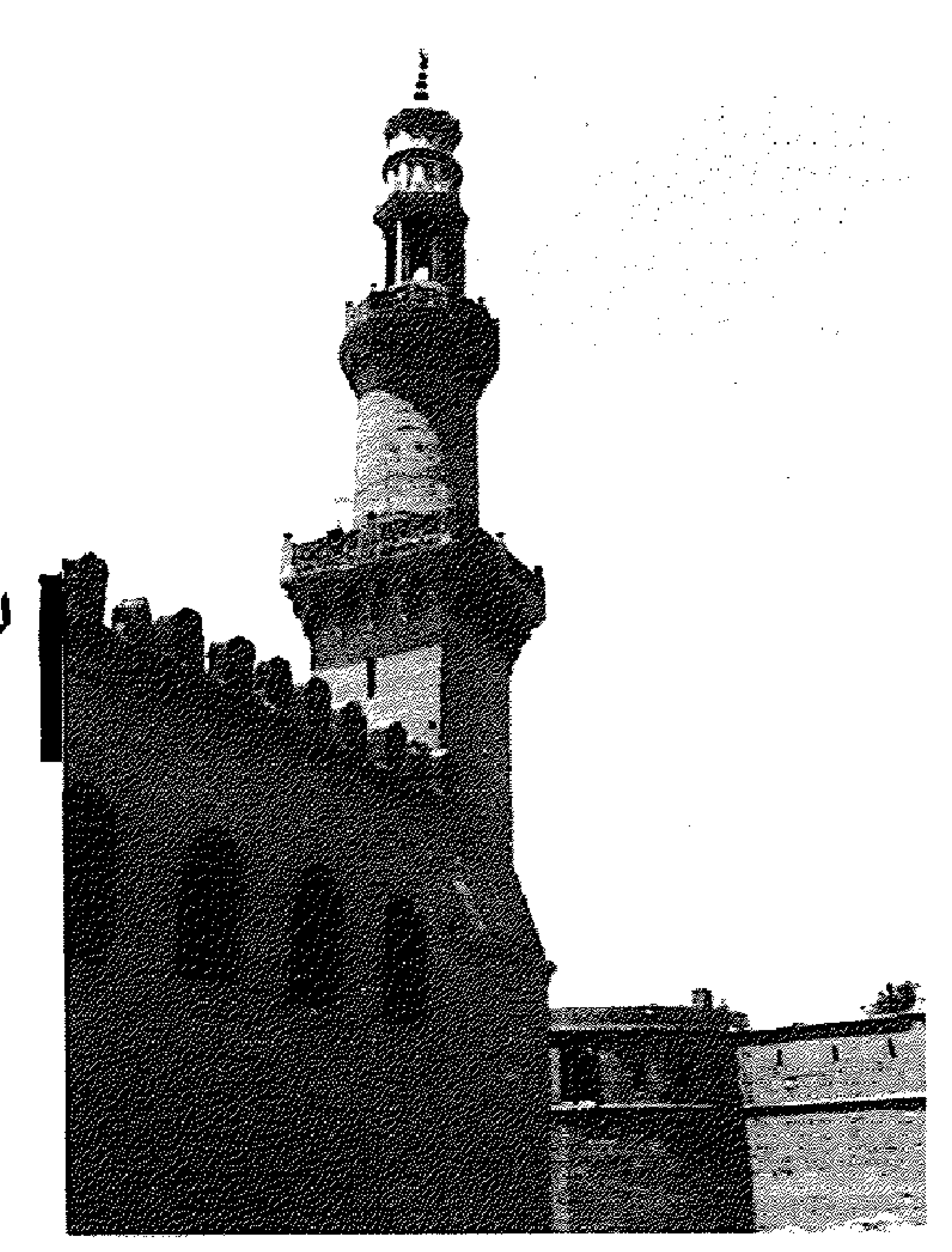


صورة (٥٦)
الواجهة الشمالية الشرقية
لمسجد الناصر محمد



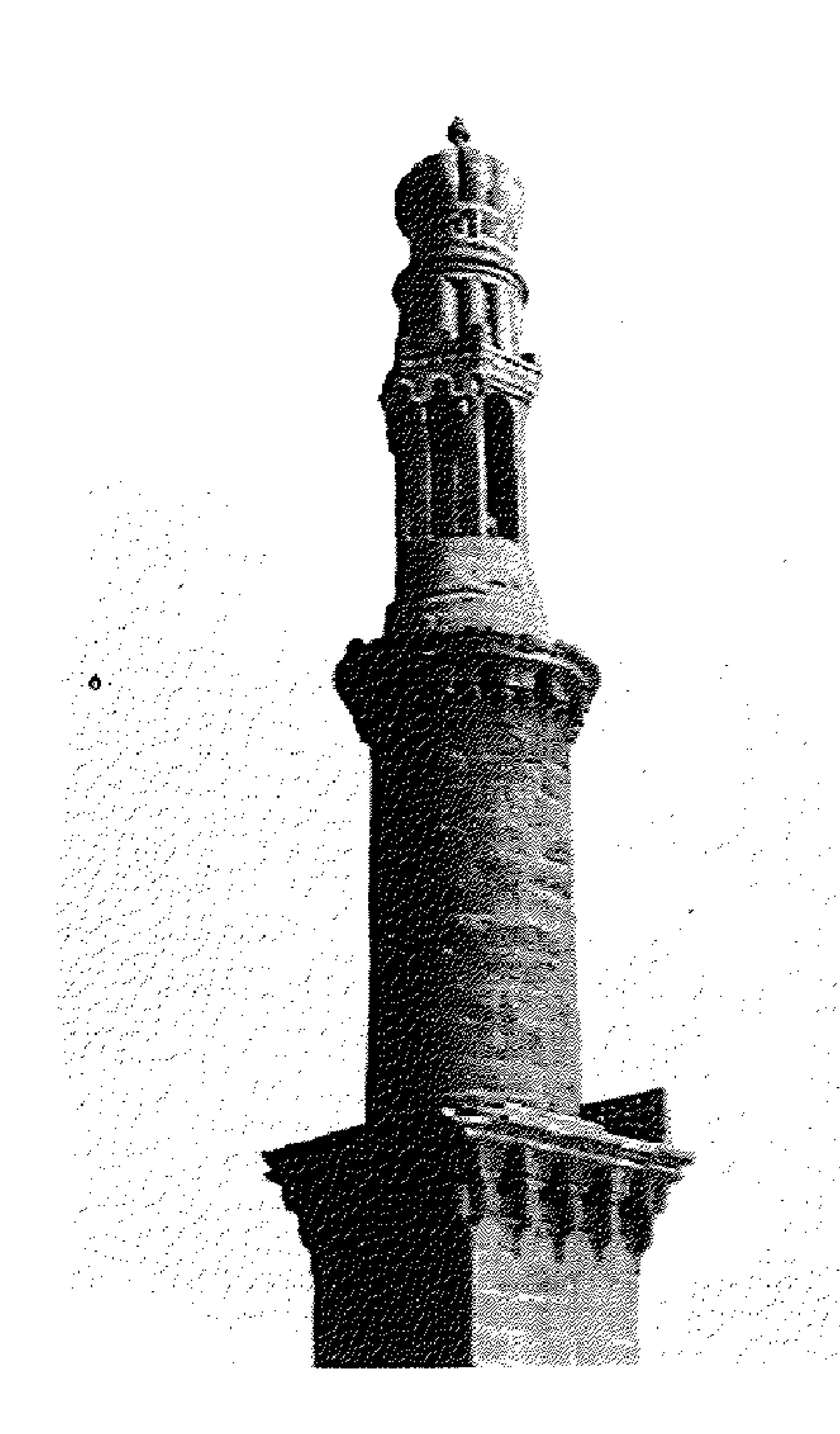


صورة (٥٧)
واجهة الشمالية الشرقية
لمسجد الناصر محمد

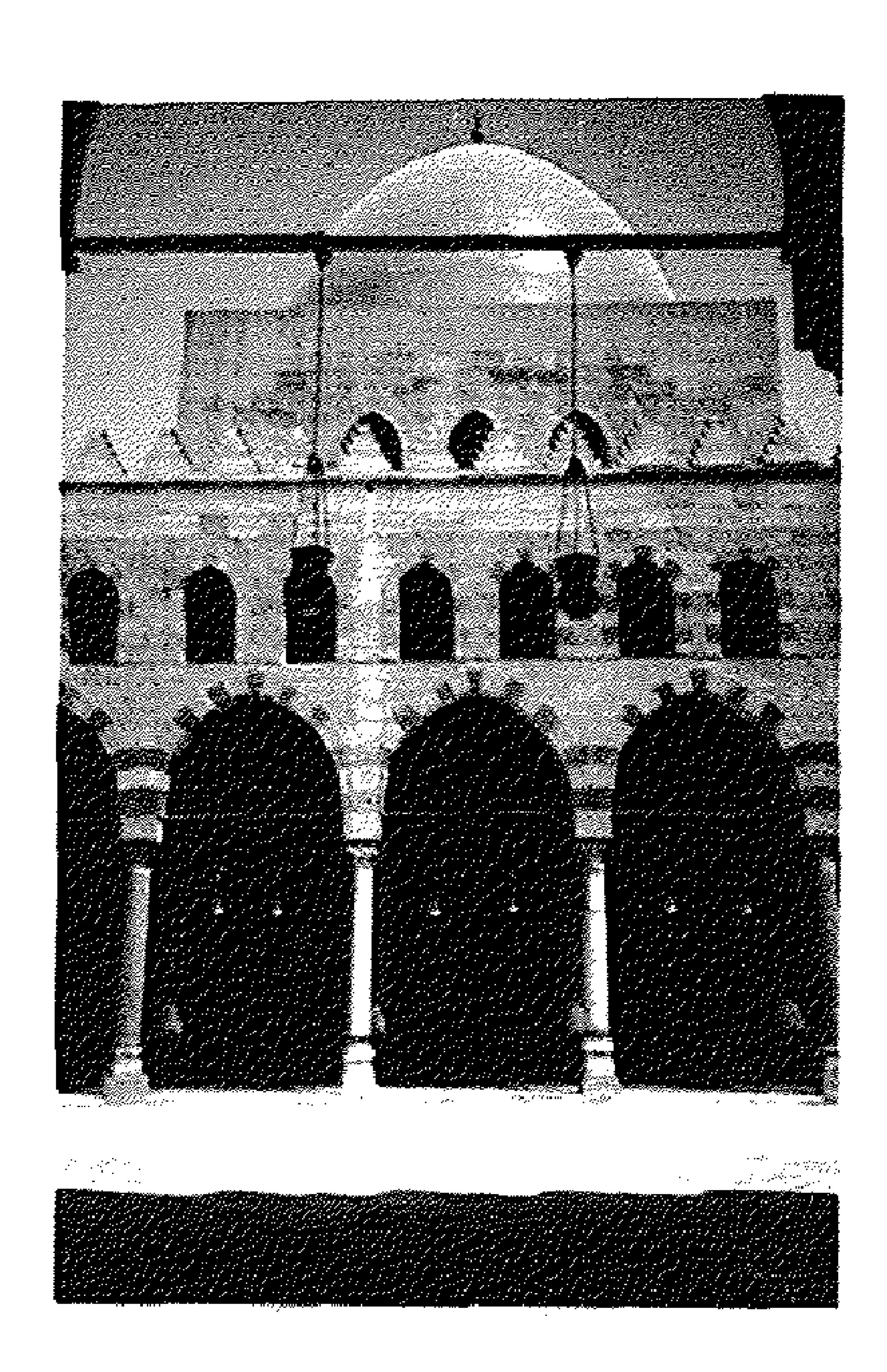


صورة (٥٨)
المئذنة الواقعة عند إلتقاء ا
لحائط الشمالى الشرقى والجنوبى الشرقى
لمسجد الناصر محمد

صورة (٥٩)
تفاصيل من مسجد الناصر
محمد عن وصف مصر



صورة (٦٠)
أحدى مآذن مسجد الناصر محمد

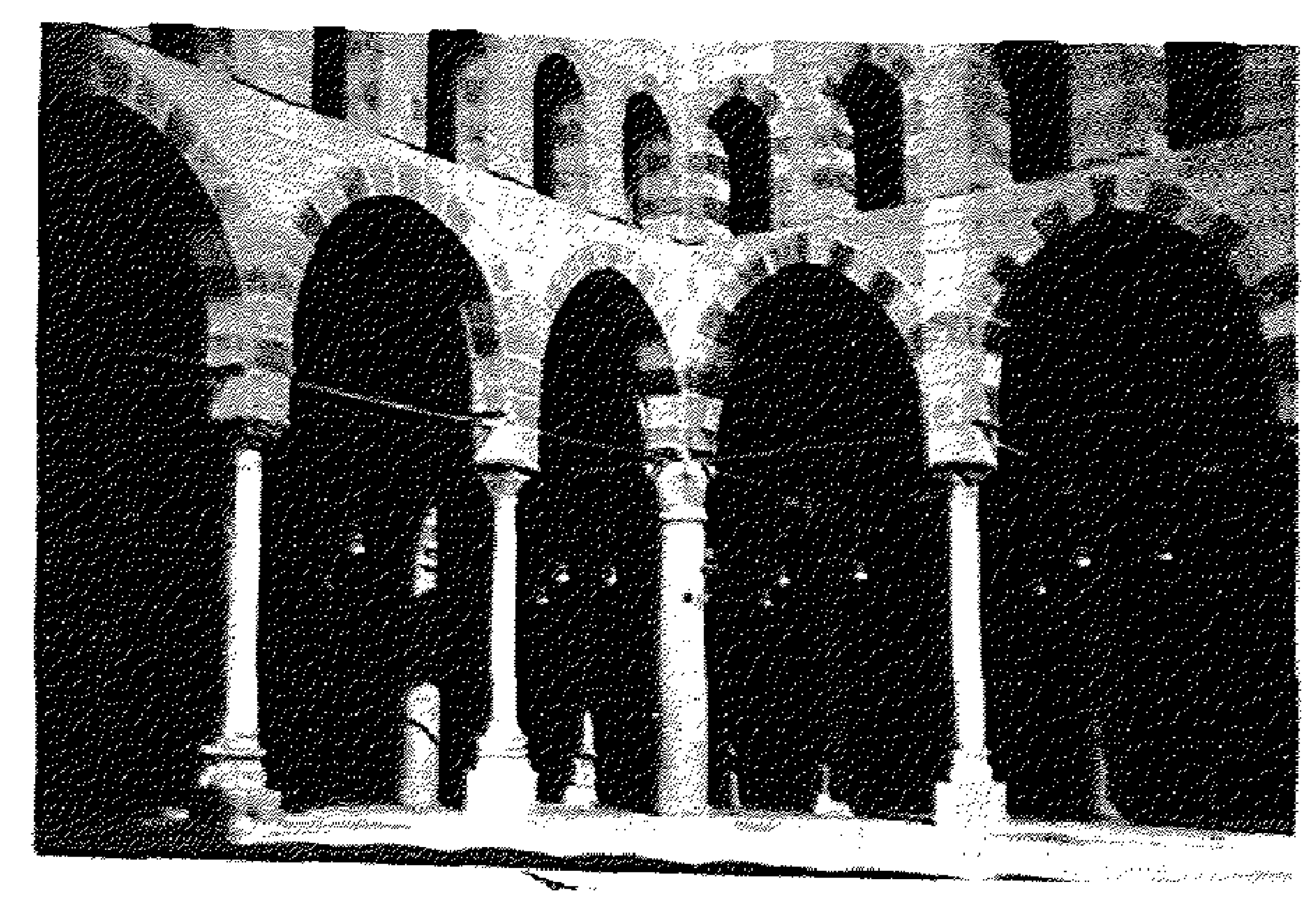


صورة (٦١)

قبة مسجد الناصر محمد

صورة (٦٢)

محراب ومنبر مسجد الناصر محمد

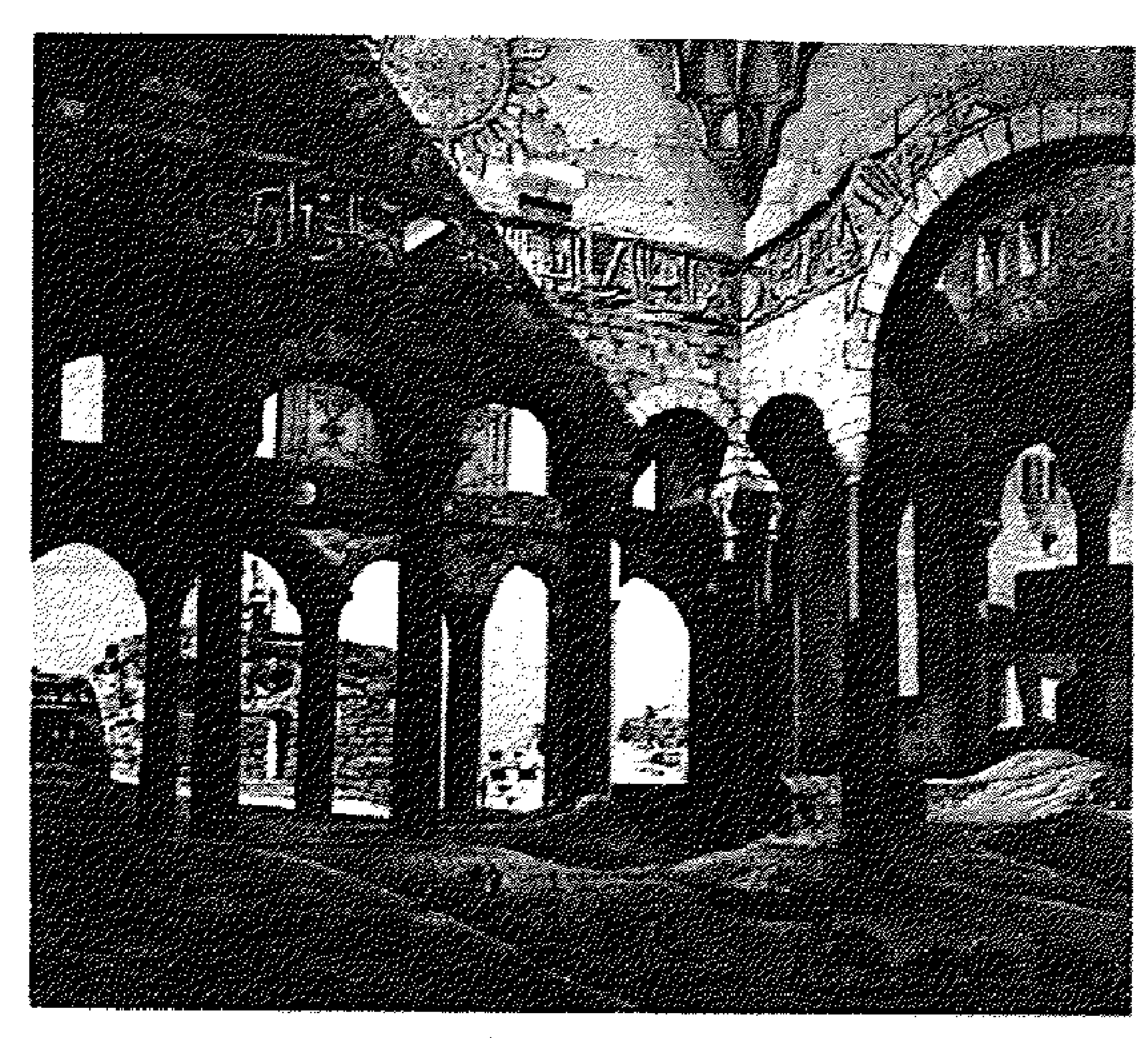


صورة (٦٣)

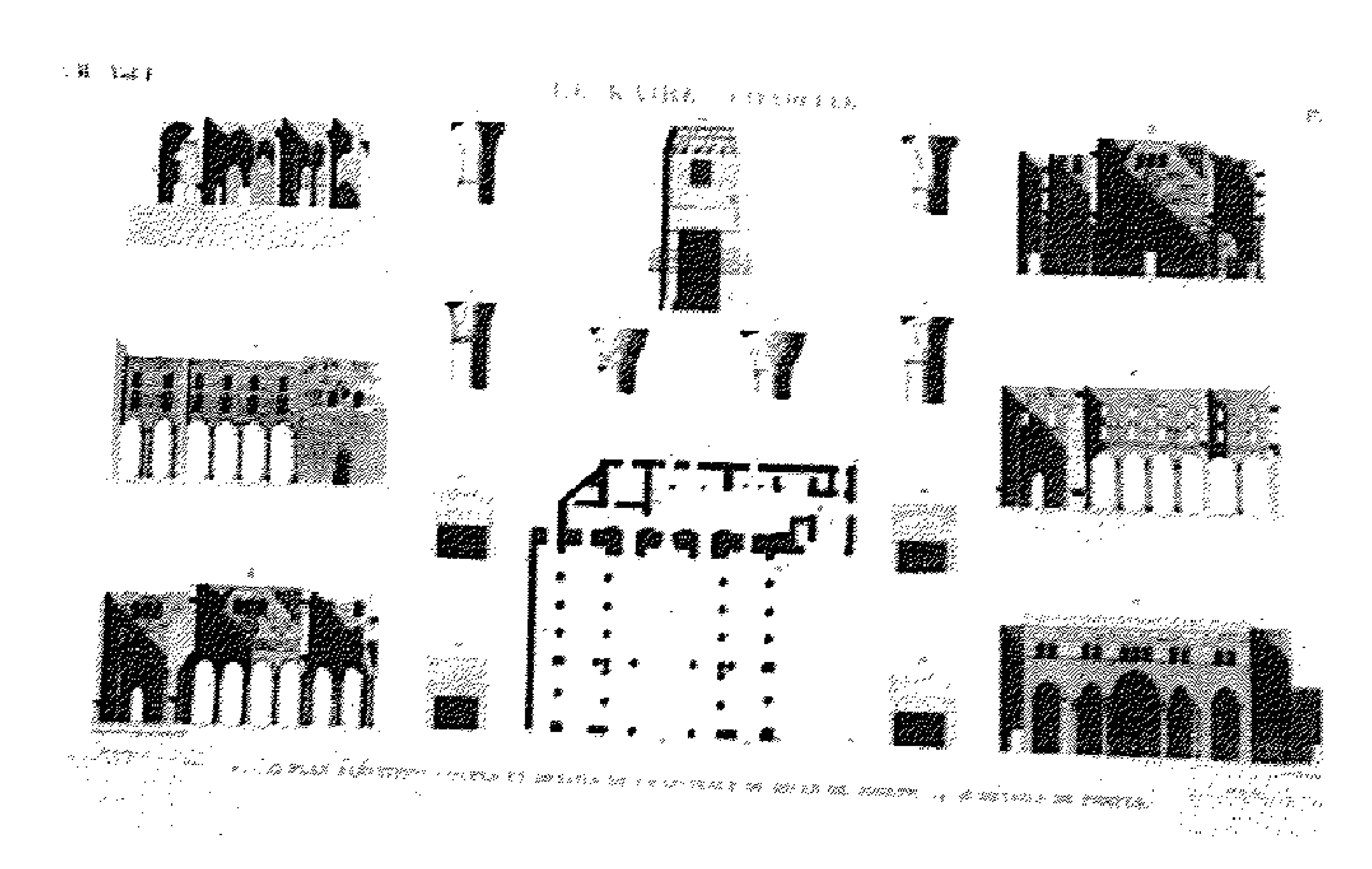
عقود الصحن فى مسجد الناصر محمد



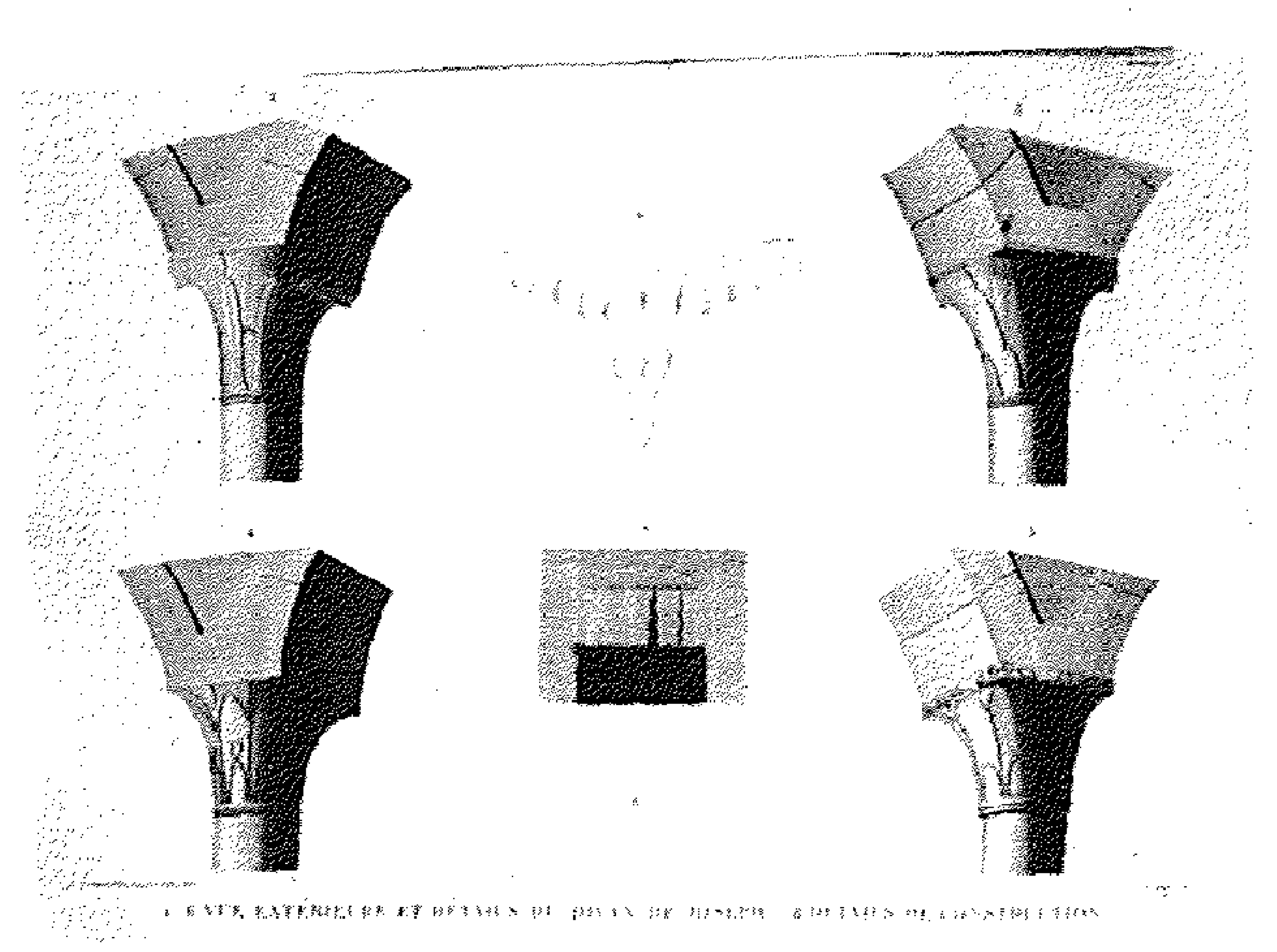
صورة (٦٤) أحدى واجهات مسجد الناصر محمد



صورة (٦٥)
الإيوانى الناصرى من الداخل عن وصف مصر

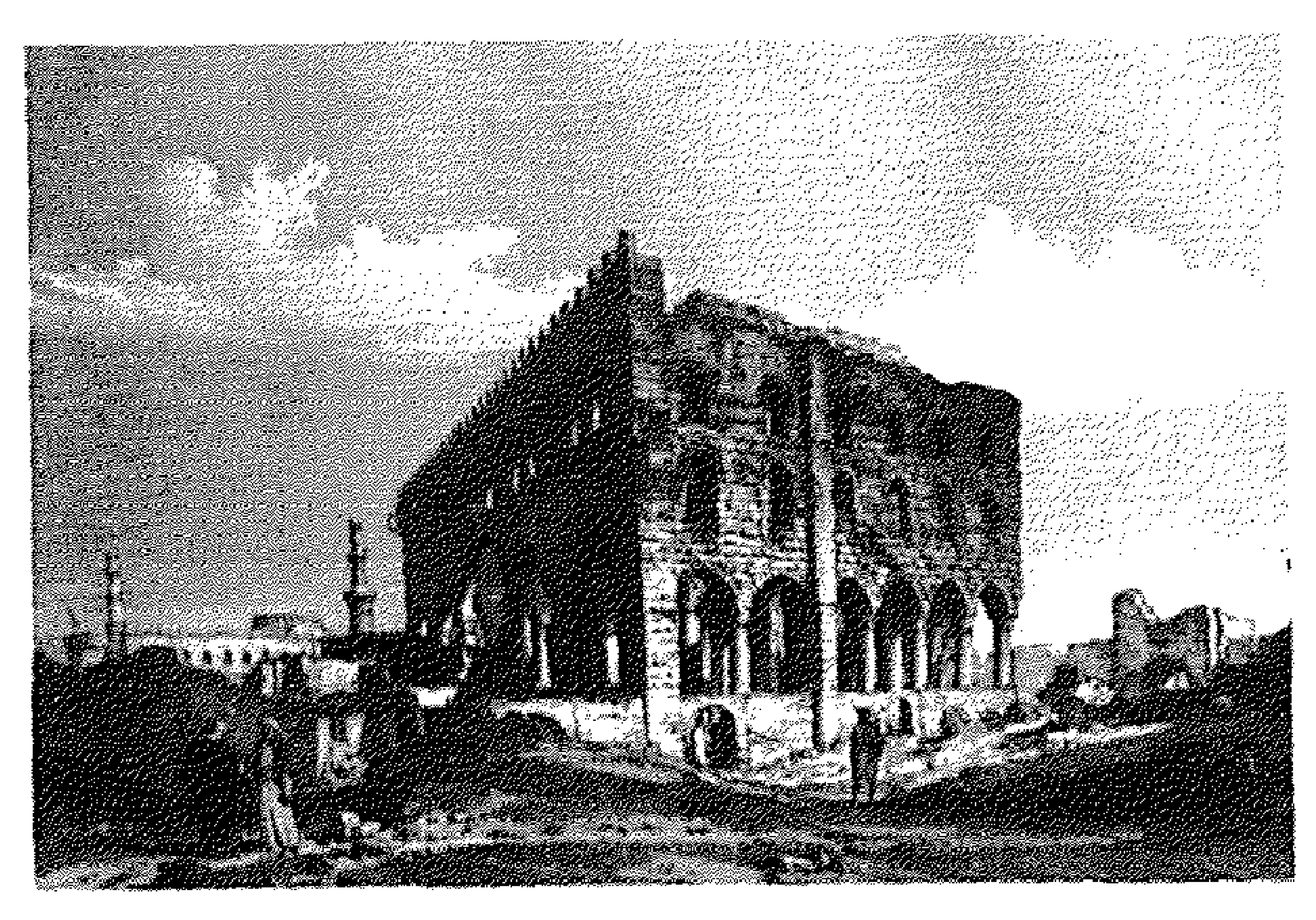


صورة (٦٦)
تفاصيل لأعمدة الإيوان عن وصف مصر



صورة (٦٧)

تفاصيل لأعمدة الإيوان عن وصف مصر

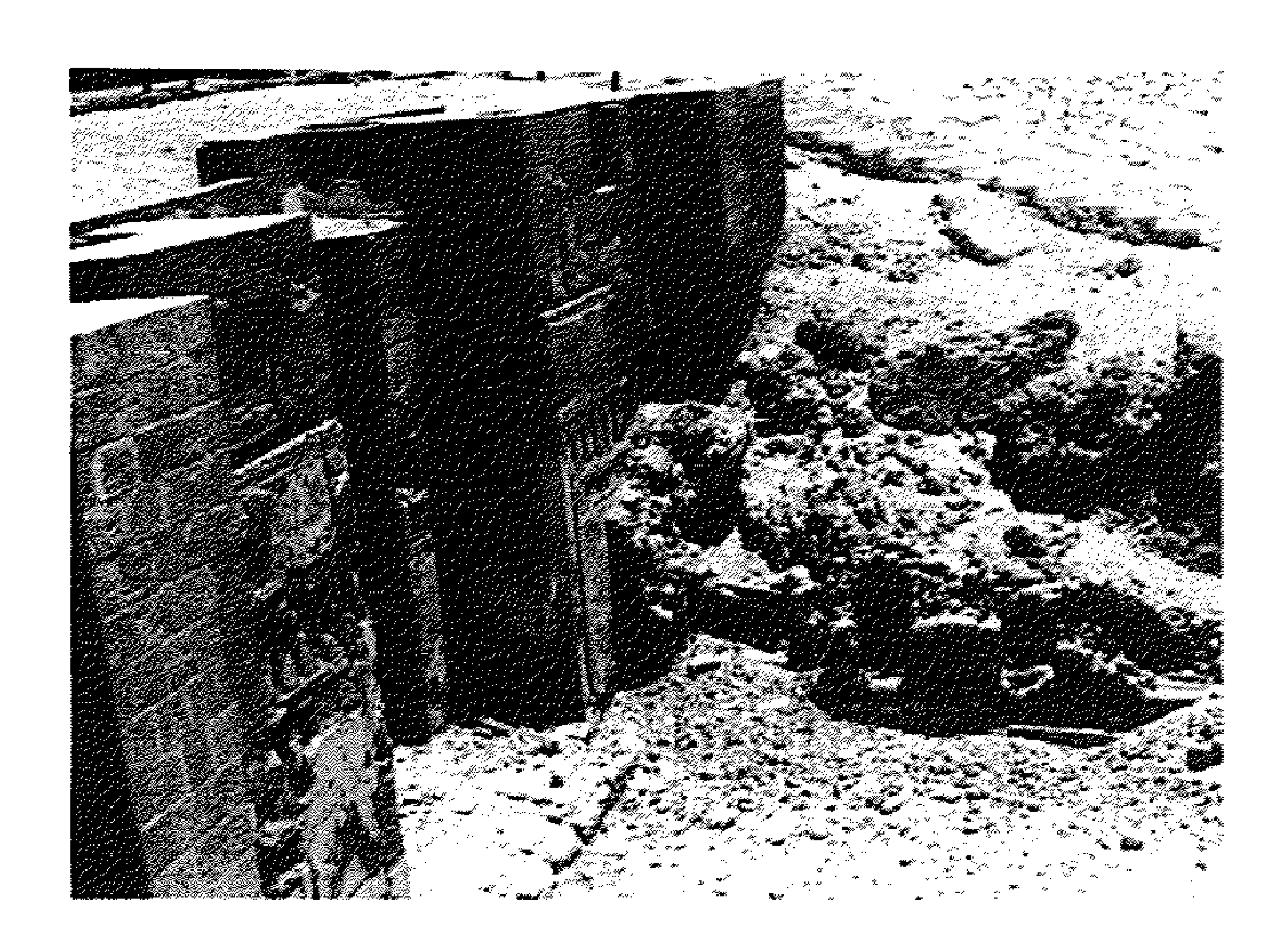


صورة (٦٨)

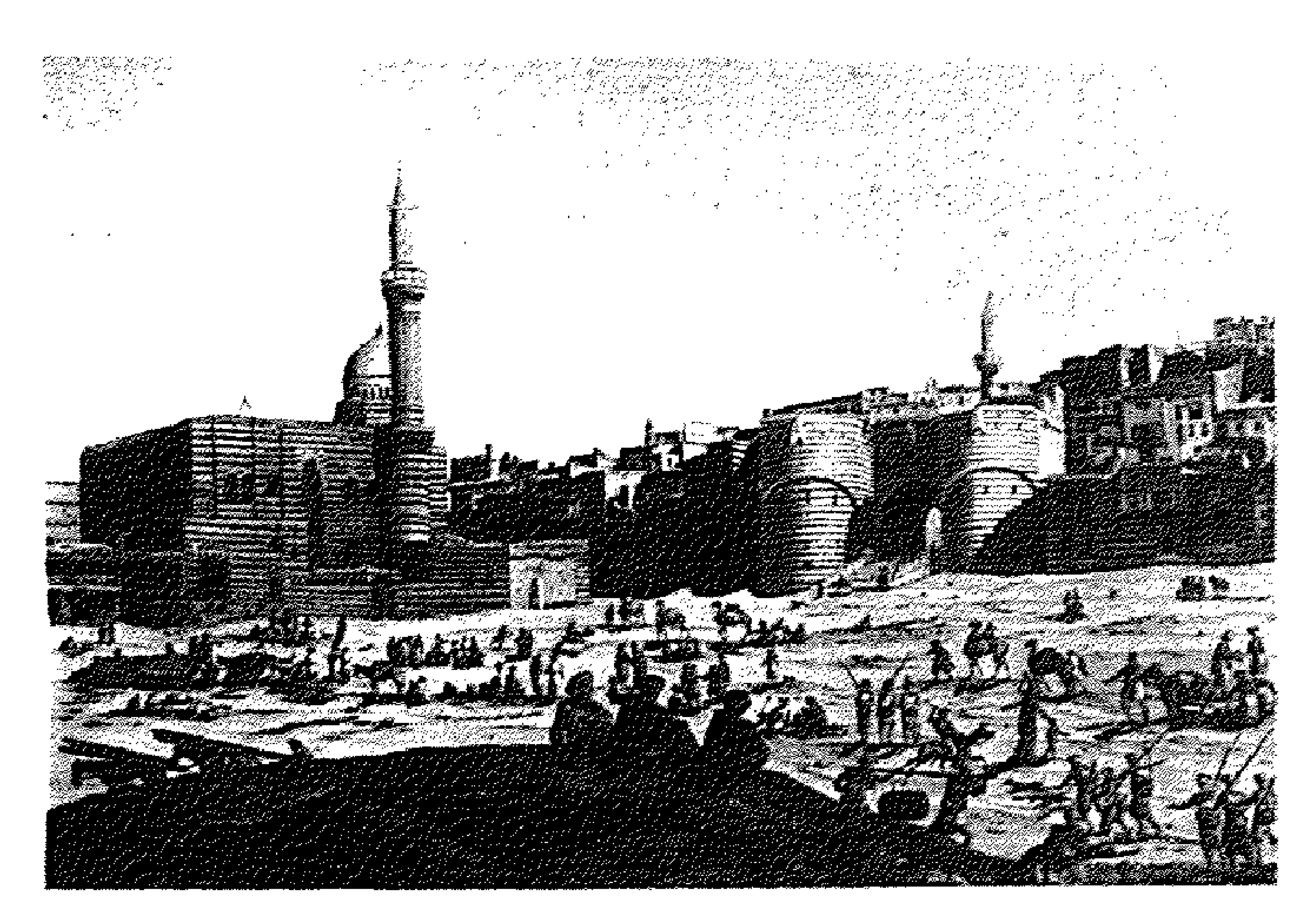
لوحة لأوين كارتر تبين تفاصيل الأيوان الناصرى



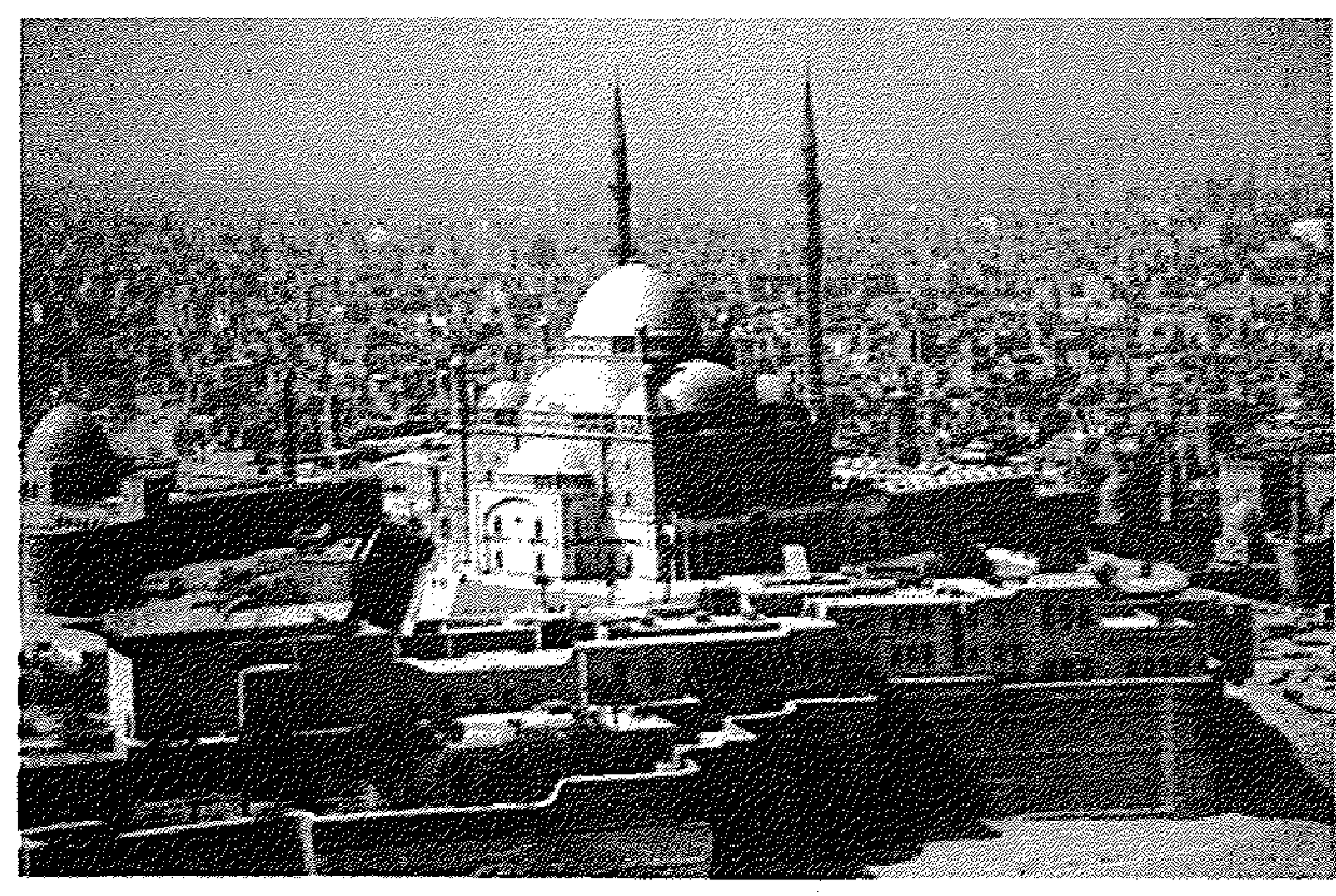
صورة (٦٩) القاعة الأشرفية



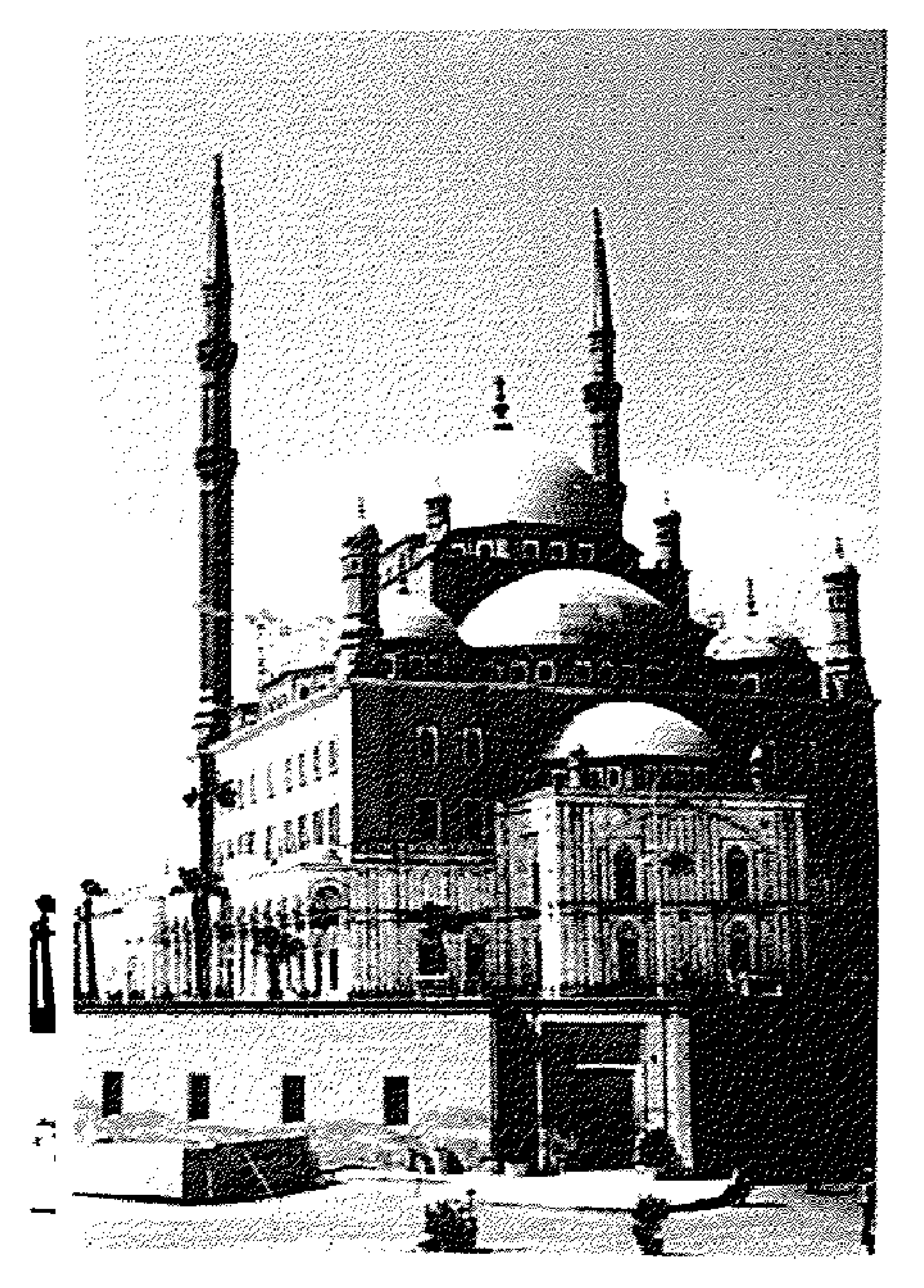
صورة (٧٠) القاعة الأشرفية



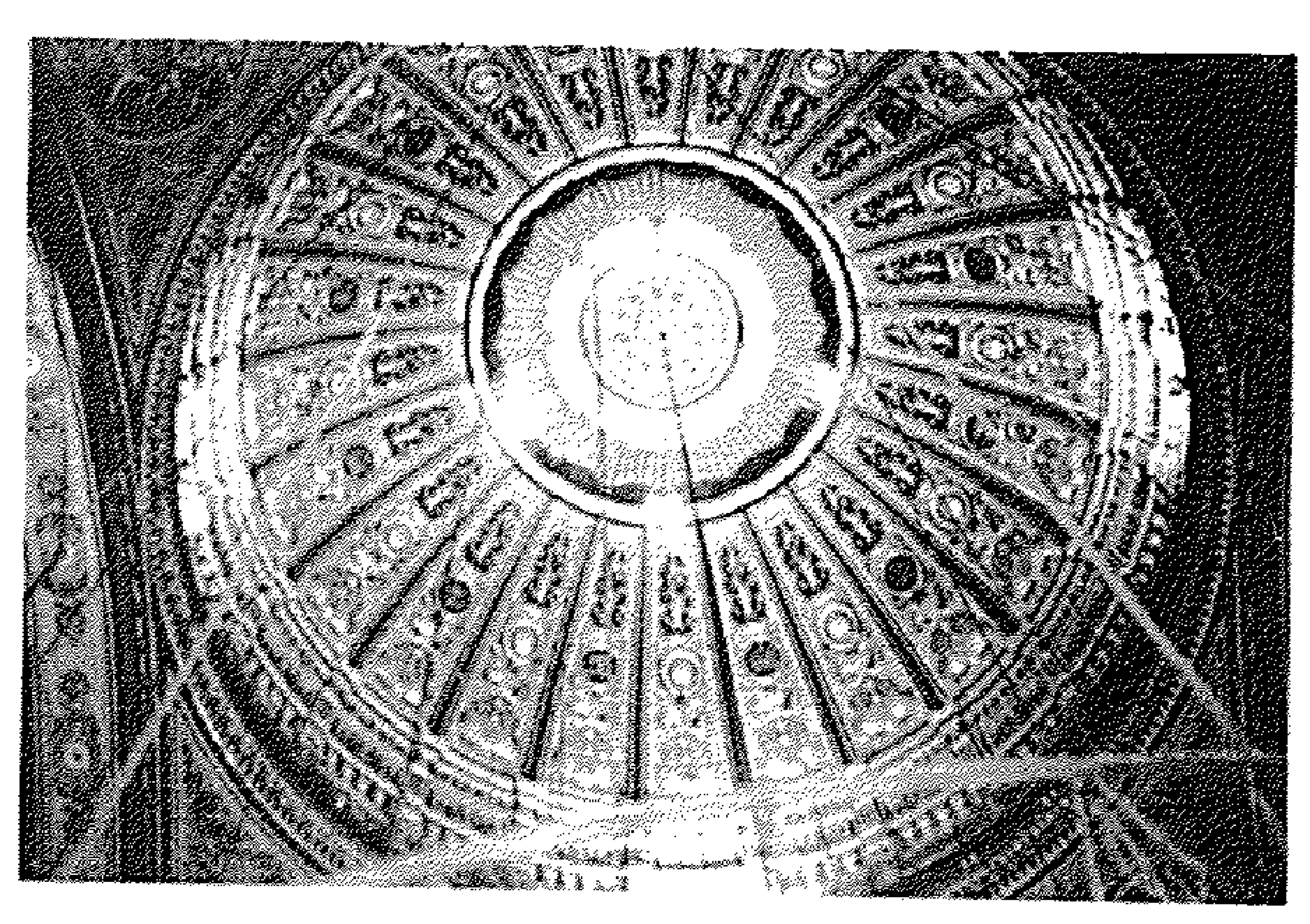
صورة (٧١) ميدان الرميلة عن وصف مصر



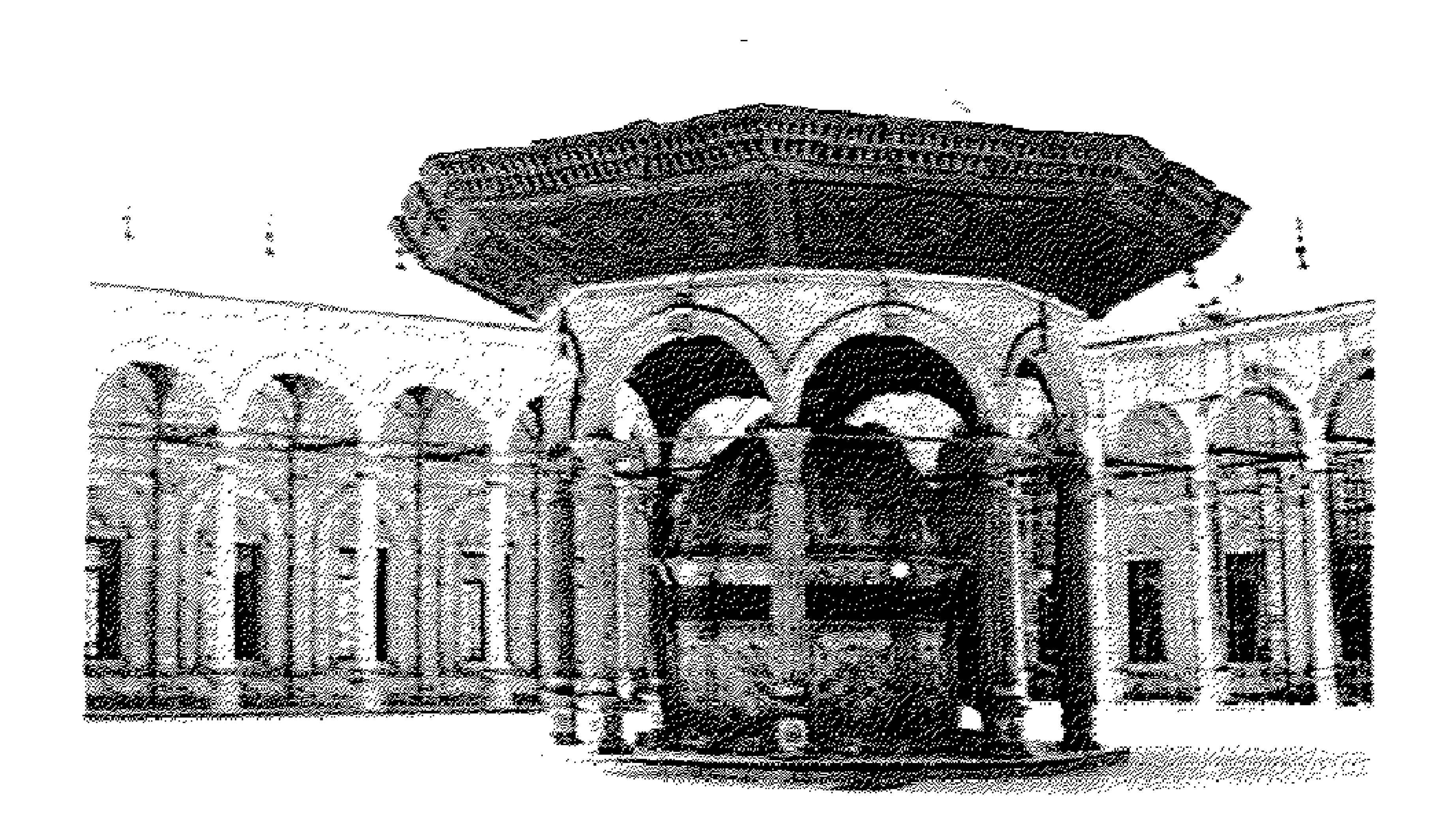
صورة (٧٢) مسجد محمد على



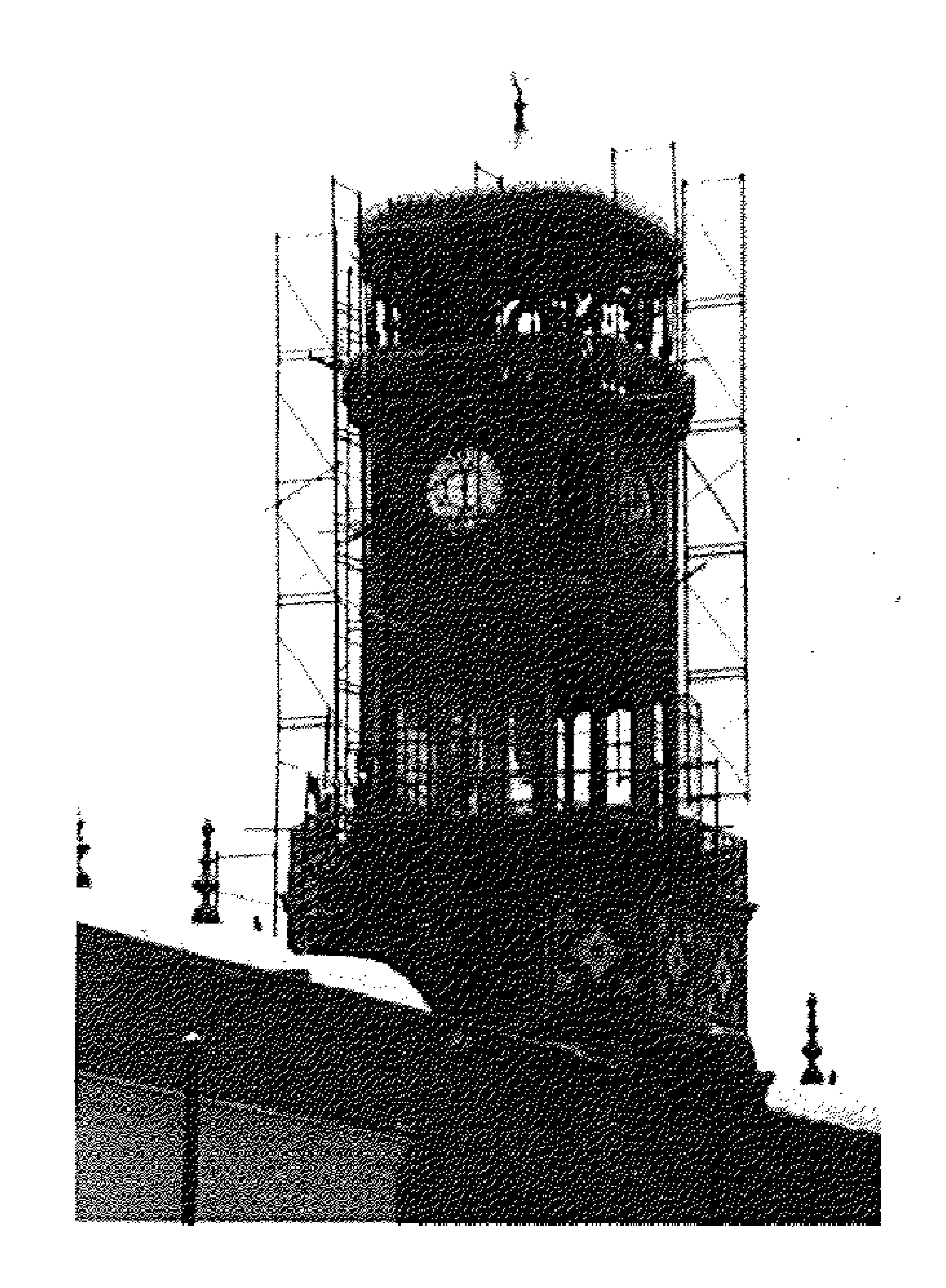
صورة (٧٣) مسجد محمد على



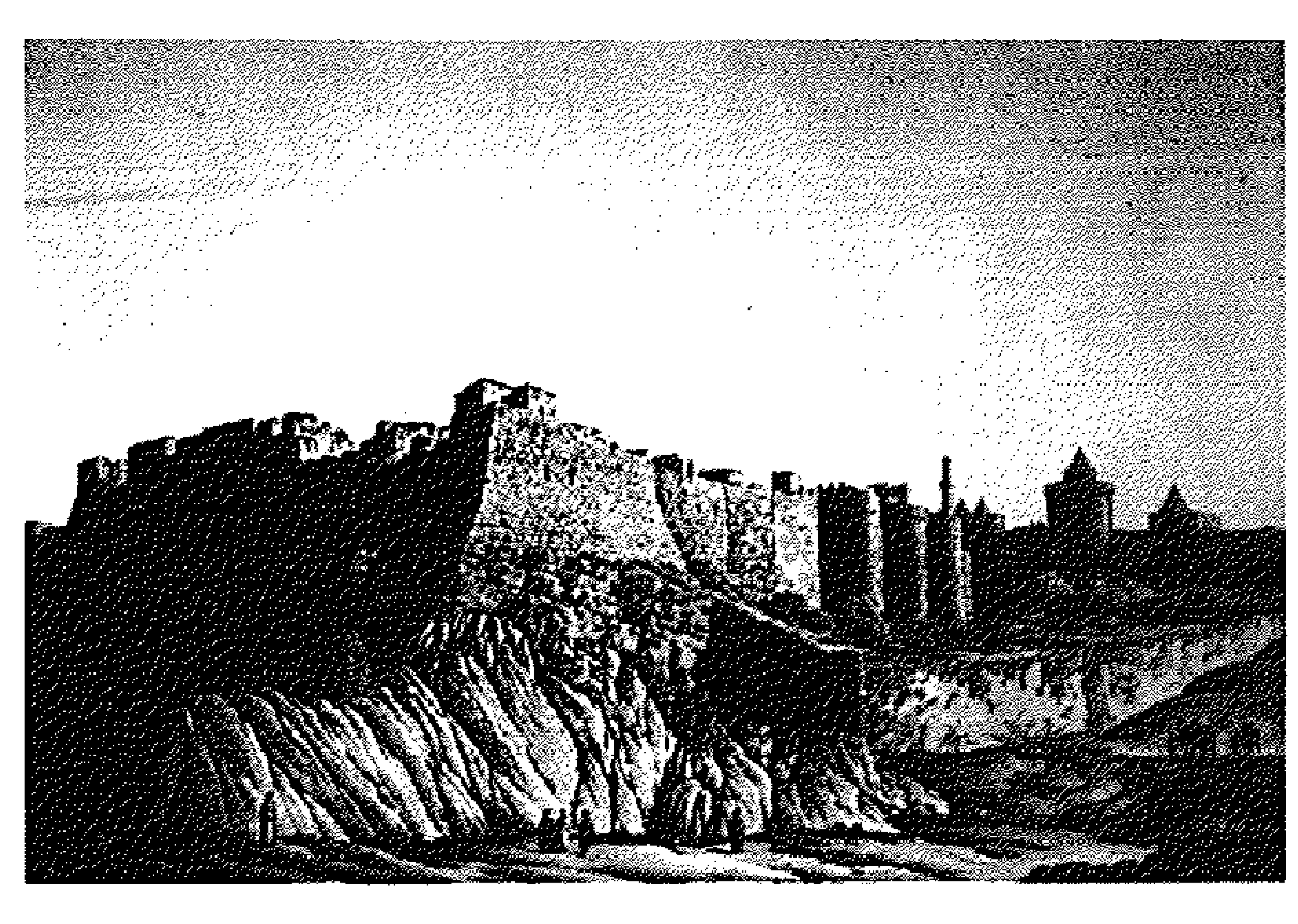
صورة (٧٤)
زخارف قباب
مسجد محمد على من الداخل



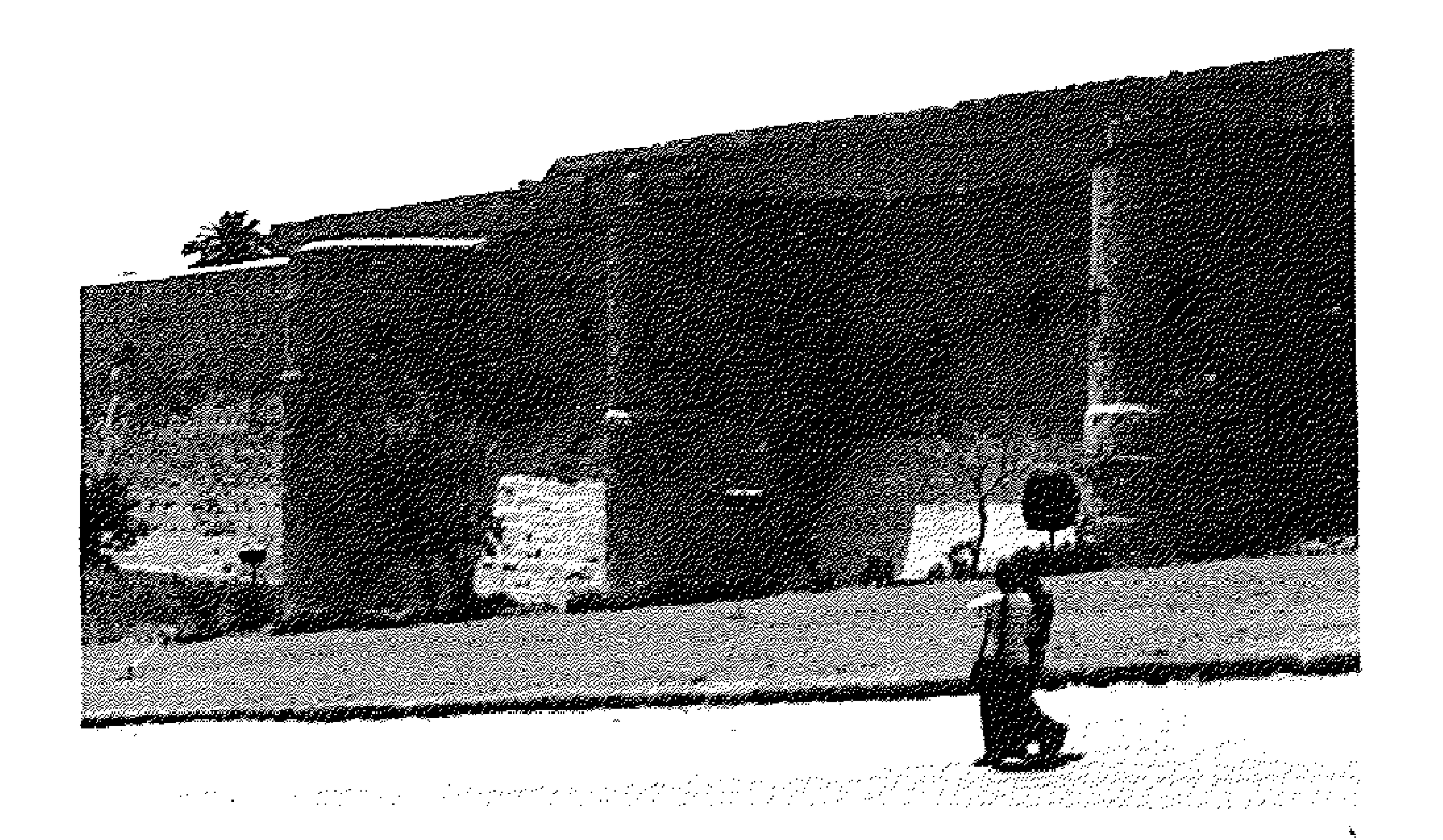
صورة (٧٥)
ميضأة مسجد محمد على

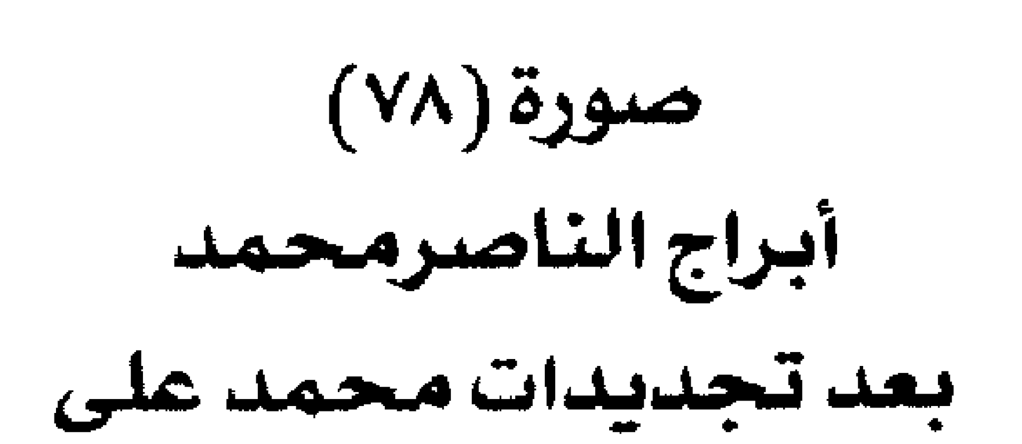


صورة (٧٦)
برج الساعات بمسجد محمد على

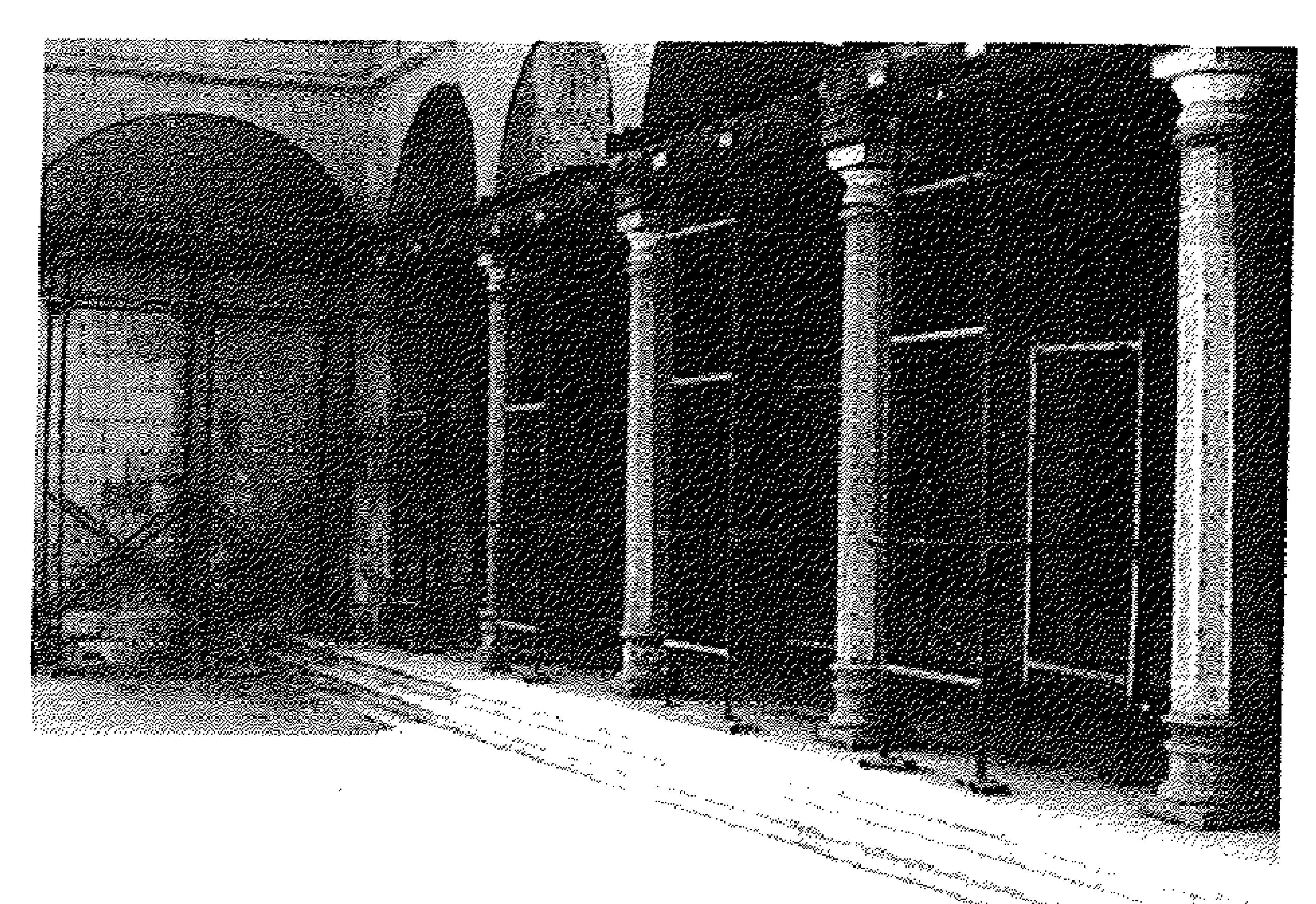


صورة (٧٧)
إبراج الناصر محمد بالحوش
السلطانى عن وصف مصر

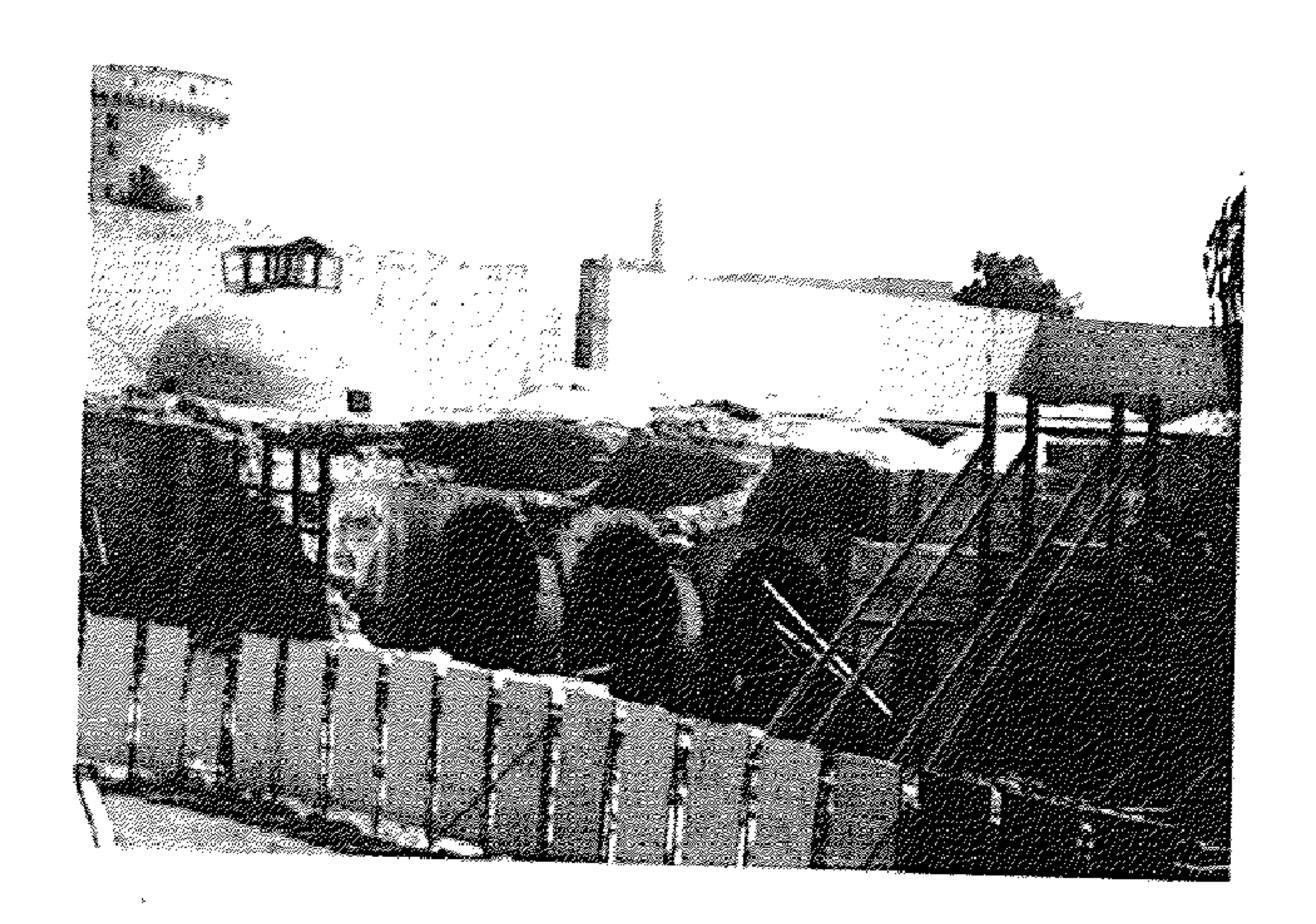




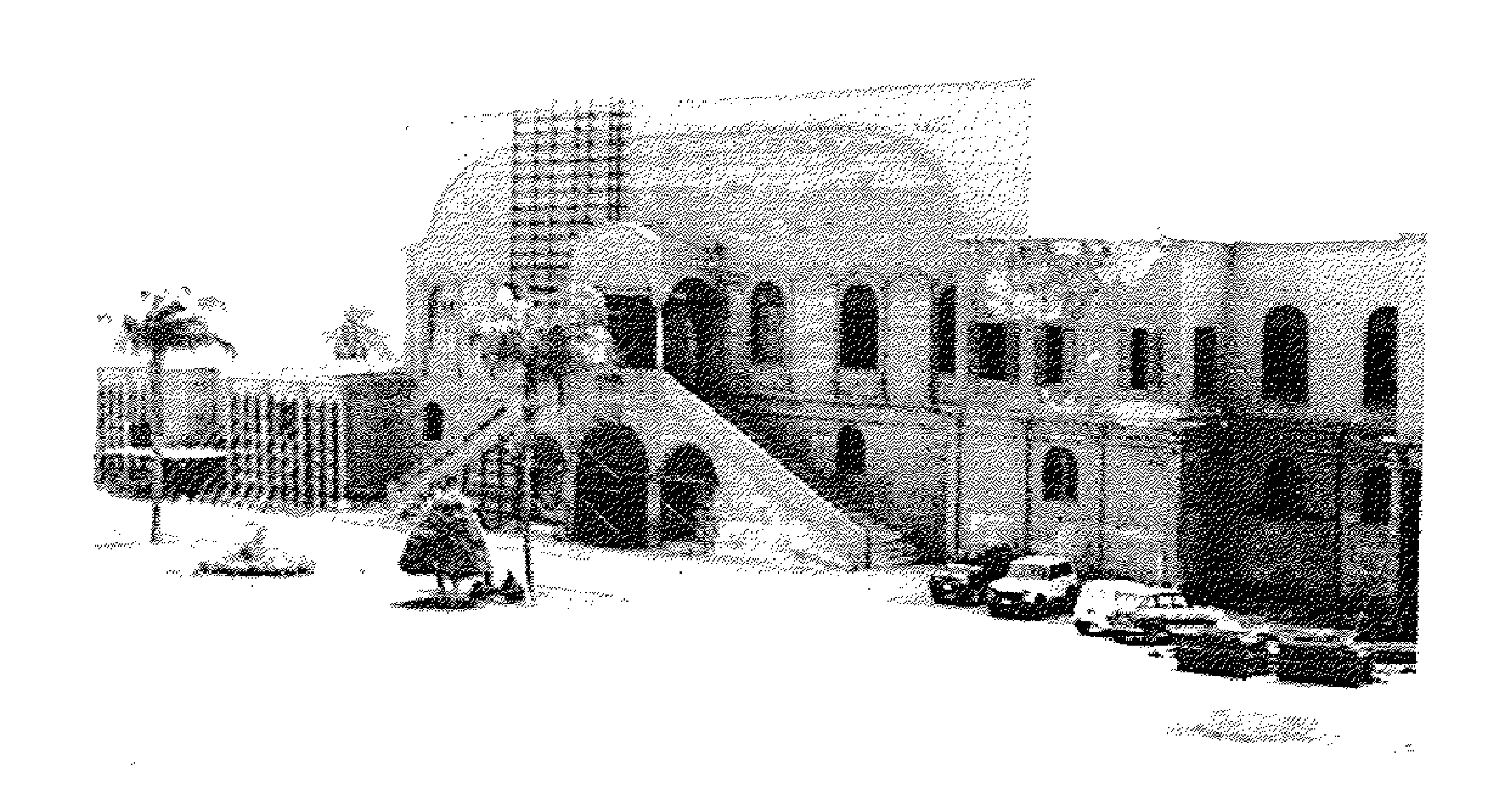
صورة (٧٨)
أبراج الناصرمحمد
بعد تجديدات محمد على



صورة (٧٩)
أعمدة مقعد السلطان قايتباى



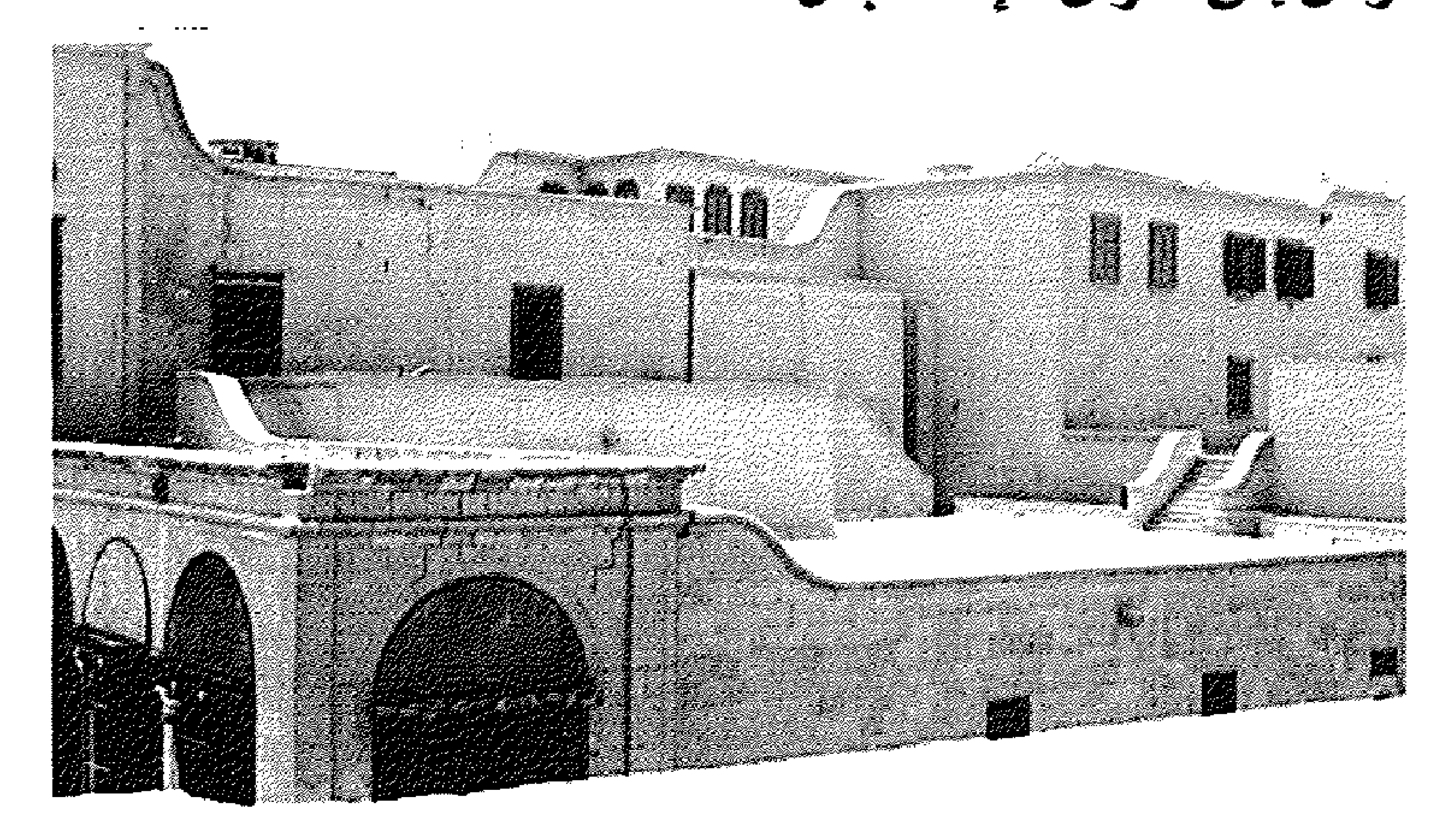
صورة (٨٠) مبنى دار الضرب



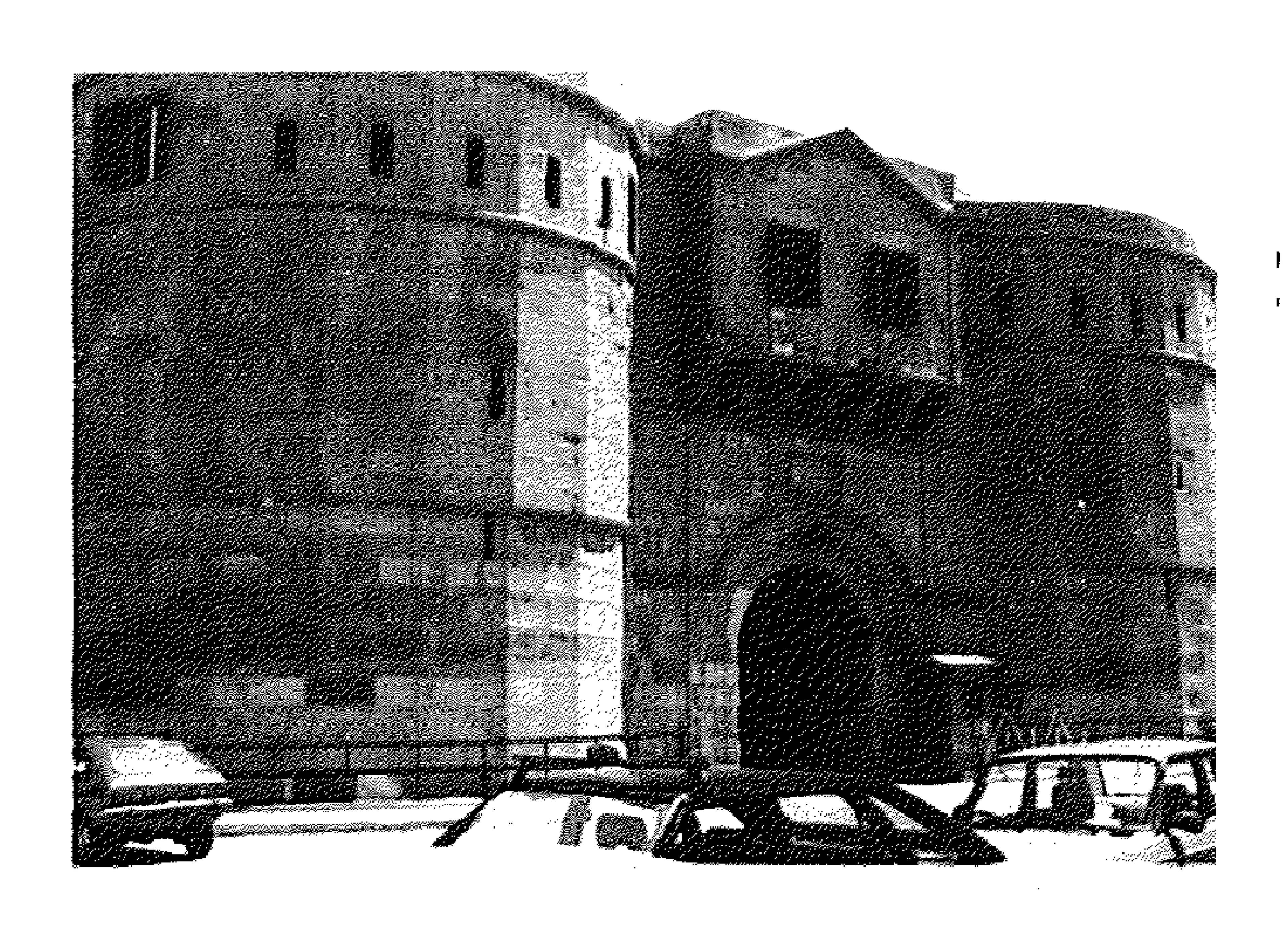
صورة (٨١) سراى العدل



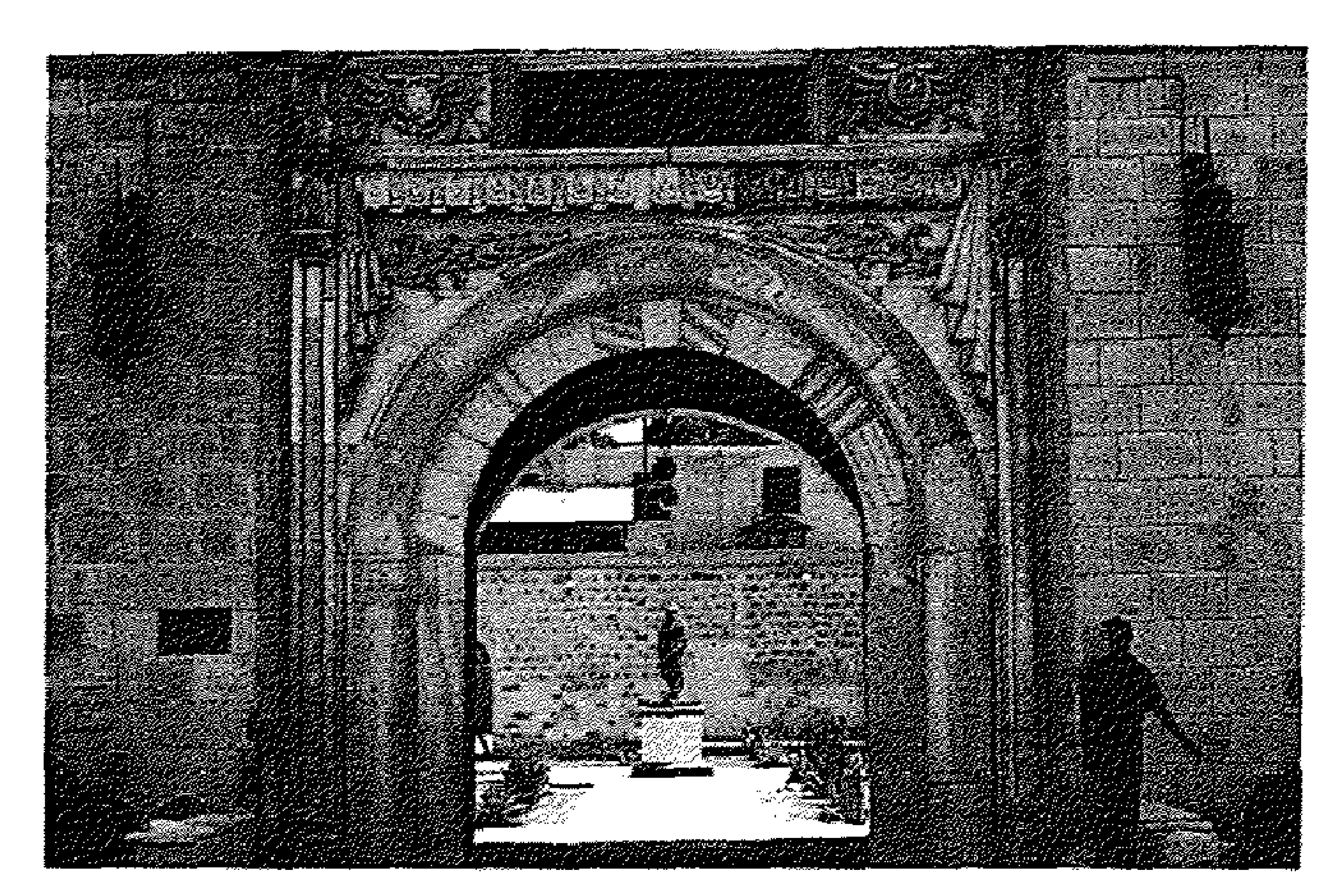
صورة (٨٢)
سراى الجوهرة المدخل المؤدى إلى سراى الإستقبال



صورة (٨٣) جانب من سراى الإقامة



صورة (٨٤) الواجهة الجنوبية لباب القلة



صورة (٨٥)
مدخل القصر الشرقى وتعلوه لوحة تأسيس القصر



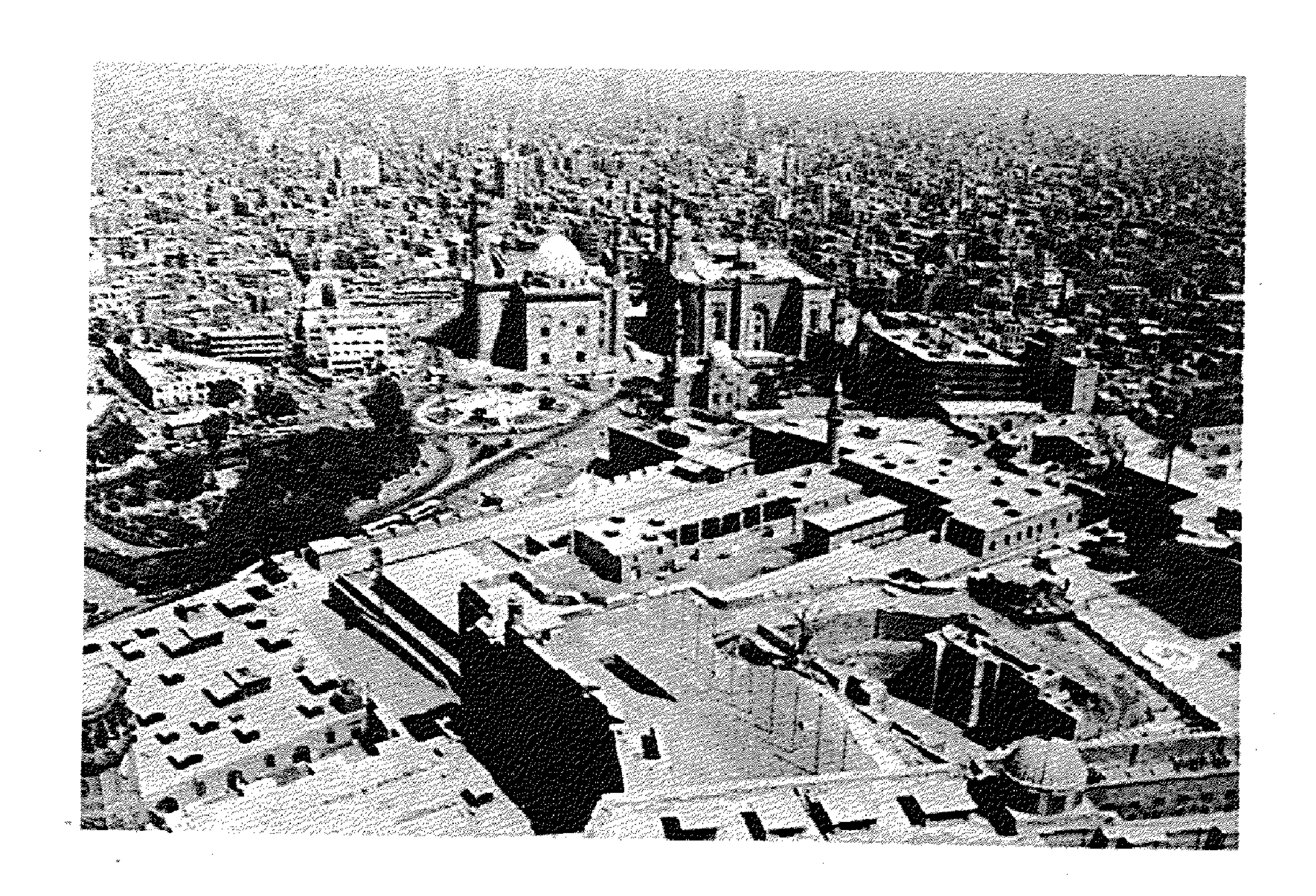
صورة (٨٦) قصور الحريم




صورة (٨٧) القصر الأحمر



صورة (٨٨) مسجد سارية الجبل (سنان باشا)



صورة (٨٩) جانب من منطقة باب العزب حاليا



أسوار وقلعة صلاح الدين
الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد - فريد
ت.ف : ٣٩٢٩١٩٢